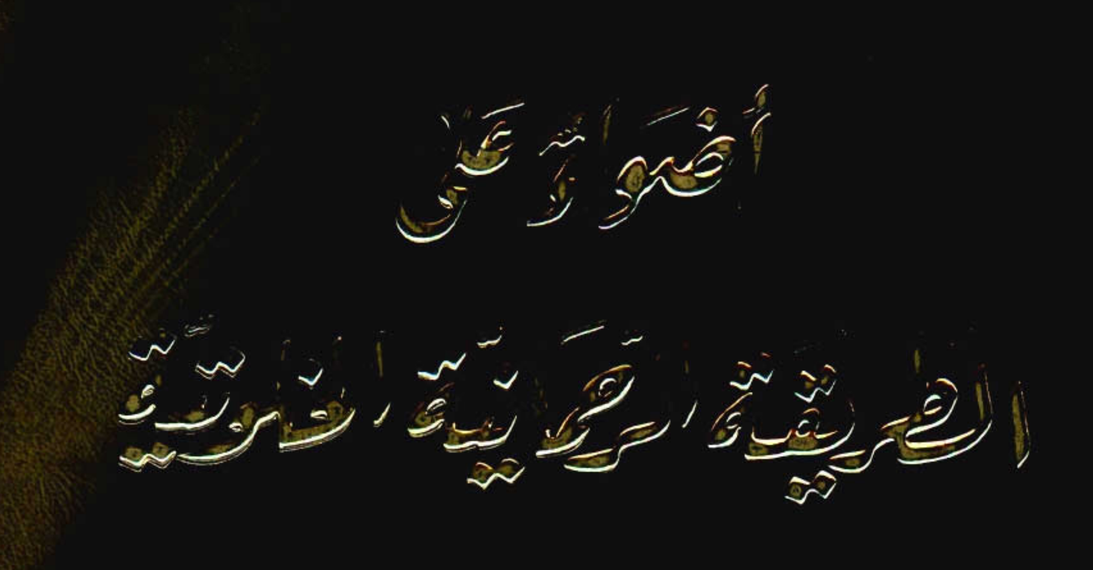


تأليف

عبد الباقي مفتاح

تقديم

خادم العلم الشريف في المقام القاسمي

محمد المأمون مصطفى القاسمي الحسني





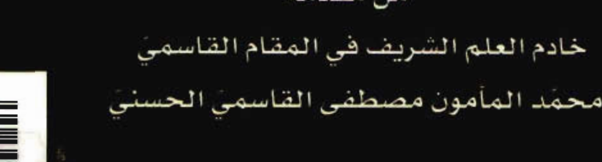
عبد الباقي مفتاح
أضواء على الطريقة الرحمانية الخلوتية
دار الكتب
بيروت
تاريخ تصوف
٥
٢
١٨

هـذا الكتاب

أضواء على الطريقة الرحمانية الخلوتية

• يسعدنا أن نتقدم للقرّاء الكرام كتاب: «أضواء على الطريقة الرحمانيّة الخلوتية» لمؤلّفه الأستاذ عبد الباقي مفتاح. وهو كتاب يعرّف بأصول هذه الطريقة ومؤسّسها، وكبار رجالها، وزواياها التي كانت، على مرّ السنين، قلاعاً عتيدة للإسلام، وحصوناً منيعة حفظت للأمّة عقيدتها وقيمها الروحيّة، وحافظت على عناصر شخصيّتها ومقوّماتها الأساسيّة. وستظلّ، إن شاء الله، معاقل للقرآن، تنبعث منها دعوة الإسلام، وتتغذّى فيها القلوب بهداية الإيمان، وتلتفّ حولها الجماهير المؤمنة التي تجد في رحابها السكينة والأمان، وتستمع فيها إلى الكلمة الطيّبة والتوجيه الراشد الذي يهدي الناس إلى ما يصلح دينهم ودنياهم.

• لقد عرفت الزوايا الرحمانيّة بأنّها زوايا تربية وجهاد، وعلم وعمل. والكتاب الذي نقدّمه يزخر بالنصوص التي تترجم لأعلام طريقة صوفيّة أغنت الحياة الروحيّة والعلميّة وأعطتها بسخاء، وكان الأعلام من رجالها القدوة الصالحة، بإعطائهم المثل العمليّ للحياة الإسلاميّة المتوازنة، والشخصيّة الإسلاميّة المتكاملة، المبنيّة على الجمع بين العمل بالإسلام واتّباع آدابه، وبين الاجتهاد في الوصول إلى العمق الروحيّ للعبادات ومقاصدها السامية، وبلوغ درجة الإحسان الذي يتحقّق نتيجة صدق الإيمان وتمام الإسلام.



من مقدّمة

خادم العلم الشريف في المقام القاسميّ

محمّد المأمون مصطفى القاسميّ الحسنيّ



ISBN 978-2-7451-6107-9


أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban
ص.ب 9424 - 11 بيروت - لبنان
+961 5 804810/11/12
+961 5 804813
1107 2290
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com


www.al-ilmiyah.com


دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

أضواء على
الطريقة الرحمانية الخلوتية

تأليف

عبد الباقي مفتاح

تقديم

خادم العلم الشريف في المقام القاسمي

محمد المأمون مصطفى القاسمي الحسني



http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales @al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

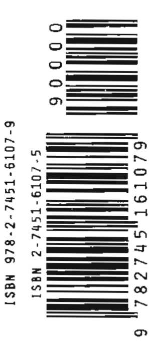
Title	: **Adwā᾽ ͨalā al-ṭarīqah al-Raḥmāniyyah al-Ḫalwatiyyah**
Classification:	Sufism
Author	: ͨAbdul-Bāqi Miftāḥ
Publisher	: Dar al-kotob Al-Ilmiyah
Pages	: 384
Year	: 2009
Printed in	: Lebanon
Edition	: 1st

الكتاب	: **أضواء على الطريقة الرحمانية الخلوتية**
التصنيف	: تصوّف
المؤلف	: عبد الباقي مفتاح
الناشر	: دار الكتب العلميـــة ــ بيروت
عدد الصفحات:	384
سنة الطباعة	: 2009
بلد الطباعة	: لبنان
الطبعة	: الأولى

الآراء والاجتهادات الواردة في هذا الكتاب

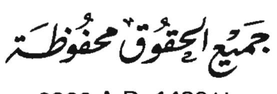
تعبّر عن رأي المؤلف وحده

ولا تُلزم الناشر بأي حال من الأحوال



ISBN 978-2-7451-6107-9

ISBN 2-7451-6107-5





الحمد لله. والصلاة والسلام على رسول الله
وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أمّا بعد؛ فيسعدنا أن نقدّم للقرّاء الكرام كتاب:

"أضواء على الطريقة الرحمانيّة الخلوتية"

لمؤلّفه الأستاذ عبد الباقي مفتاح. وهو كتاب يعرّف بأصول هذه الطريقة ومؤسّسها، وكبار رجالها، وزواياها التي كانت، على مرّ السنين، قلاعاً عتيدة للإسلام، وحصوناً منيعة حفظت للأمّة عقيدتها وقيمها الروحيّة، وحافظت على عناصر شخصيّتها ومقوّماتها الأساسيّة. وستظلّ، إن شاء الله، معاقل للقرآن، تنبعث منها دعوة الإسلام، وتتغذّى فيها القلوب بهداية الإيمان، وتلتفّ حولها الجماهير المؤمنة التي تجد في رحابها السكينة والأمان، وتستمع فيها إلى الكلمة الطيّبة والتوجيه الراشد الذي يهدي الناس إلى ما يصلح دينهم ودنياهم.

لقد عرفت الزوايا الرحمانيّة بأنّها زوايا تربية وجهاد، وعلم وعمل. والكتاب الذي نقدّمه يزخر بالنصوص التي تترجم لأعلام طريقة صوفيّة أغنت الحياة الروحيّة والعلميّة وأعطتها بسخاء. وكان الأعلام من رجالها القدوة الصالحة، بإعطائهم المثل العمليّ للحياة الإسلاميّة المتوازنة، والشخصيّة الإسلاميّة المتكاملة، المبنيّة على الجمع بين العمل بالإسلام واتّباع آدابه، وبين الاجتهاد في الوصول إلى العمق الروحيّ للعبادات ومقاصدها السامية، وبلوغ درجة الإحسان الذي يتحقّق نتيجة صدق الإيمان وتمام الإسلام.

وهذا هو شأن المسلم الذي يستكمل الإيمان حين يحرص على تطويع الباطن لما تجلّى به الظاهر؛ ويسعى للتوفيق بين الظاهر من أحكام السلوك الدينيّة، والباطن من الإخلاص لوجه الله فيها؛ والصدق في الالتزام بأوامره والانتهاء عن نواهيه، ابتغاء وجهه وحده؛ وتطهير القلب من الغوائل التي لا يطّلع عليها إلاّ الله، ولا يحاسب عليها

غيره، والتي تصدّ عن بلوغ درجة الصفاء في النيّات، والإخلاص في الأعمال.

فما أحوج أمّتنا إلى هذه الأمثلة المشرقة من العلماء الربّانيّين الذين يتحدّث الكتاب عن سيرتهم ويستعرض صفحات من جهادهم وجلائل أعمالهم.

ما أحوجنا إلى هذه الحياة الروحيّة الصافية التي تحقّق للإنسان توازنه، وتكفل له العيشة الراضية والحياة الآمنة في دار الدنيا، والسعادة الأبديّة والفوز بالرضوان في الدار الآخرة.

إنّ الحياة الروحيّة في الإسلام هي تلك الحياة التي ترتفع بالإنسان المخلوق إلى معرفة خالقه، وعبادته، ومحبّته، وإيثاره على ما سواه، عن طريق تزكية النفس، ومجاهدتها في الله، حتّى يهديها سبيله، وتنتصر على أهوائها وشهواتها الظاهرة والباطنة.

الحياة الروحيّة لا تقتصر على هذه الحياة الدنيا الفانية؛ بل تتجاوزها إلى الحياة الباقية. فاليقين بالآخرة - دار الجزاء العادل - أساس للحياة الروحيّة؛ وإليها ينبغي أن يتّجه أكبر همّ الإنسان المسلم؛ فيزرع هنا ليحصد هناك. فالدنيا مزرعة الآخرة، وهذا هو أساس فكرة الزهد التي لا تخلو منها حياة روحيّة صادقة.

والزهد الإسلاميّ ليس حرماناً من طيّبات الحياة، ولا تحريماً لزينة الله وما أخرجه لعباده من رزق، ولا اعتزالاً للمجتمع وإهمالاً لعمارة الأرض؛ فلا رهبانيّة في الإسلام. إنّما هو إيثار الآخرة على الدنيا، والاستعداد لبذل الدنيا كلّها، في سبيل الله، والتضحية بكلّ غال فيها، إذا تنافت مع القيم التي يؤمن بها المسلم، من إيمان وعمل وجهاد؛ والزهد، في الوقت نفسه، مقاومة لنزعة الترف والسرف، والتعلّق بملذّات الحياة ومتاعها الأدنى، الذي غرق فيه كثير من الناس اليوم، فجعلوا الدنيا أكبر همّهم ومبلغ علمهم ومنتهى أملهم؛ وباعوا آخرتهم بدنياهم، وذلك هو الخسران المبين.

إنّ أهل الإيمان يؤثرون التجارة الآجلة الباقية؛ وغيرهم يؤثرون التجارة العاجلة الفانية ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝ ﴾ [الأعلى: 16 - 17] ومن آثر تجارة الآخرة أعطاه الله الدنيا والآخرة؛ ومن أراد تجارة الدنيا وحدها لم يأته في الدنيا إلاّ ما كتب له، وحُرم تجارة الآخرة. ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ۝ ﴾ [الشورى: 20].

نسأل الله تعالى أن يجزي المؤلّف عن عمله جزاء عباده المحسنين؛ ويسلك بنا وبه مسلك الصالحين؛ وأن يجعلنا وإيّاه من عباده المتّقين الذين يؤثرون الآخرة ويسعون لها سعيها، ويستعينون بالدنيا للوصول إليها. إنّه وليّ ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

حرّر في الخامس عشر شعبان 1425 هـ

الموافق للثلاثين سبتمبر 2004 م

خادم العلم الشريف في المقام القاسميّ

محمّد المأمون مصطفى القاسميّ الحسنيّ



الباب الأول
الأصول التاريخية للطريقة الخلوتية

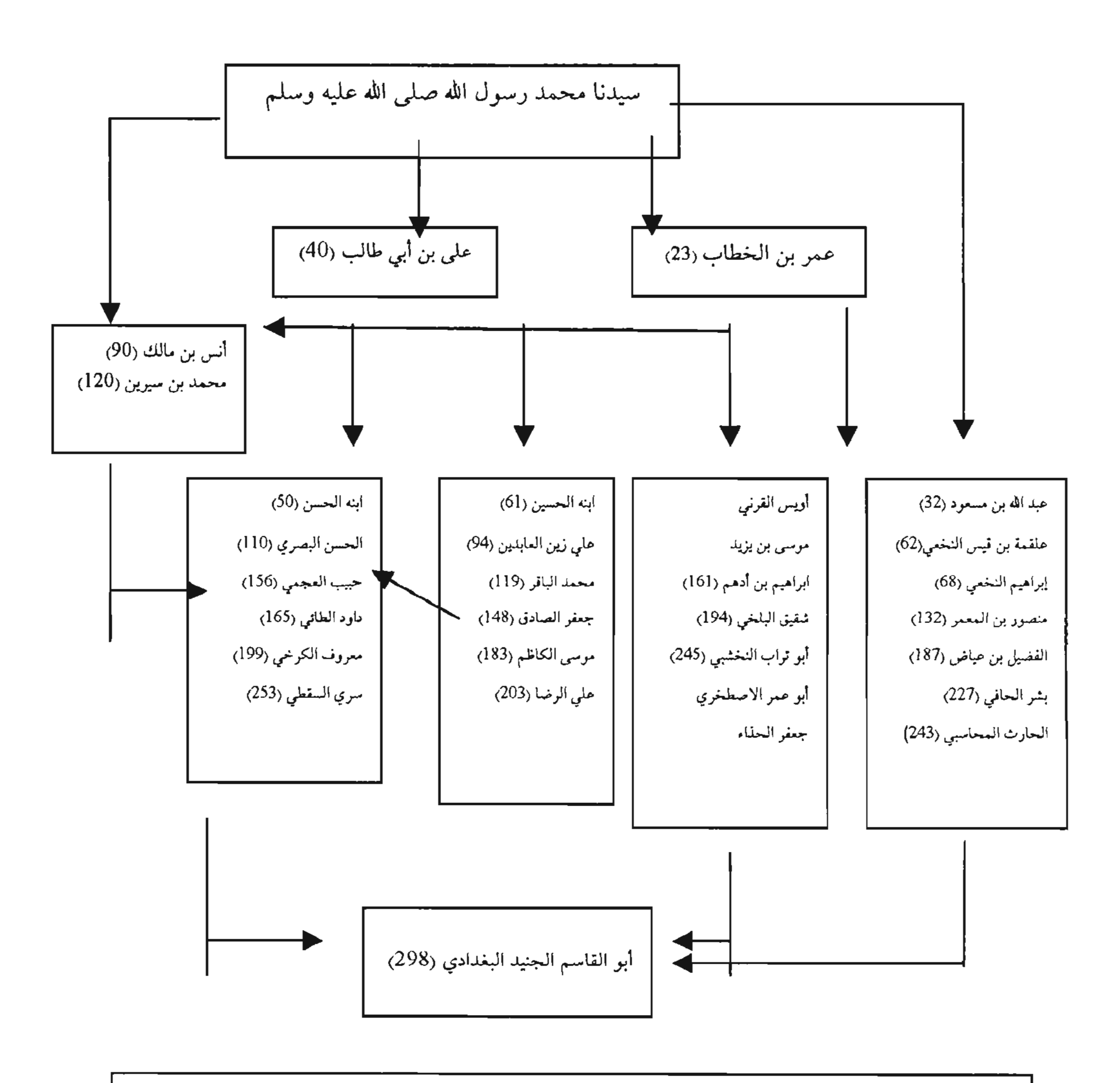
الأصول الأولى: من عهد الصحابة إلى الجنيد

البذرة الأولى لطرق التصوف الإسلامي هي قول الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾ [الجمعة: 2-4] فهذه الآيات تبين الوظائف الثلاث التي بعث بها النبي صلى الله عليه وسلم وورثتها أمته، وهي تعليم الكتاب وتعليم الحكمة، أي السنة النبوية، والقيام بالتزكية أي التربية الروحية. فورث علماء القرآن علم الكتاب، وورث الفقهاء علم السيرة والسنة، وورث المربون علم التزكية، وهو الذي اصطلح على تسميته بعلم التصوف، وفي هذا المعنى يقول الإمام القشيري (ت: 456) في رسالته: «إن المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتسمّ أفاضلهم في عصره بتسمية علم سوى صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ لا فضيلة فوقها، فقيل لهم: الصحابة. ولما أدركهم أهل العصر الثاني سمي من صحب الصحابة بالتابعين، ورأوا ذلك أشرف سمة، ثم قيل لخواص الناس ممن لهم شديد العناية بأمر الدين: الزهاد والعباد. ثم ظهرت البدع، وحصل التداعي بين الفرق، فكل فريق ادعوا أن فيهم زهادا. فانفرد خواص أهل السنة والمراعون لأنفاسهم مع الله تعالى الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم أهل التصوف. واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة».

وبحكم التخصص نشأت منذ العهد النبوي جماعات كانت حلقاتها مدارس لعلم التزكية أو التصوف المتمثل في ترقي المسلم عبر معارج التقوى والمعرفة بمقاماتها: الإسلام، ثم الإيمان، ثم الإحسان، كما بينها الحديث المشهور بين النبي وجبريل عليهما السلام... فالطريقة هي السلوك في معارج تلك المراتب الثلاثة، أو بعبارة أخرى هي ترقي المسلم من وراثة أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم إلى وراثة

أحواله ومنازلاته ومعاملاته مع الخلق ومع الحق تعالى، وما ينتج عنها من أذواق ومواجيد ومعارف وعلم بالله تعالى لا نهاية له، كل ذلك تحقيقا لقوله تعالى: ﴿ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ [الإنسان: 29]. فالصوفي الحق هو المتحقق بمقام الإحسان الذي عرَّفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: [أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك] والسالكون الصادقون لطريق التصوف هم الموصوفون بقول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[العنكبوت: 69]

فالتزكية القرآنية وآداب التربية النبوية تجسدت في الأمة الإسلامية داخل مدارس التصوف، وكان من أبرز أقطابها في القرن الثاني الهجري أئمة آل البيت النبوي وبعض أعلام التابعين. وفي القرن الثالث اشتهر بإمامة هذا العلم الأستاذ الكبير المربي أبو القاسم الجنيد البغدادي (ت: 298) الذي اجتمعت فيه سلسلتان: سلسلة آل البيت وسلسلة شيوخ التابعين كما هو مفصل في الجدول اللاحق. وقواعد مدرسة الجنيد هي ما عبر عنها أحد رجالها الأعلام وهو الإمام سهل بن عبد الله التستري (ت: 283) القائل: ((أصول علمنا ستة: الإقتداء بكتاب الله وسنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكف الأذى، وترك الآثام، وأداء الحقوق، واعتقاد أن لا معين إلا الله، ولا دليل إلى الله سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث لا زاد إلاّ بالتقوى ولا عمل إلا بالإخلاص والصبر)). ومن الجنيد تفرعت جل سلاسل الطرق الصوفية التي انتشرت بعده إلى اليوم. وفي ما يلي بعض السلاسل التي تصل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنيد، وما بين قوسين هو سنة وفاة المذكور.



ملاحظة : أخذ الإمام جعفر الصادق عن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق عن الصحابي الجليل سلمان الفارسي رضي الله عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أبي بكر الصديق . ويتصل الجنيد أيضا من عدّة طرق بالإمام ذي النون المصري عن اسرافيل المغربي عن أبي عبيد الله محمد حبيشة التابعي عن جابر الأنصاري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

السهروردية وفروعها الكبرى: امتداد لمدرسة الجنيد

من السلاسل الكثيرة المتفرعة عن الجنيد: السلسلة السهروردية نسبة للشيخ المربي الشهير أبي النجيب عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله عمويه بن سعد البكري السهروردي (490-563) مؤلف كتاب"شرح أسماء الله الحسنى" وكتاب "آداب المريدين" الذي شرحه الشيخ علي القاري شرحا جيداً. وقد تتلمذ على يد أحمد الغزالي (ت: 520) الذي هو أخو حجة الإسلام أبي حامد الغزالي (ت: 505)، وتربى في الطريق الصوفي على يد عمه القاضي وجيه الدين أبي حفص عمر البكري (455-532) الذي كان مقدم الصوفية في الرباط المعروف بسعادة الخادم ببغداد، ودفن عند قبر رويم بالشونيزية؛ وهو أخذ عن والده نجيب الدين محمد البكري (ت: 475) الذي أخذ عن أبيه عبد الله عمويه بن سعد البكري، وهو عن أحمد الأسود الدينوري (380) الذي ذكره القشيري في رسالته، وهوعن ممشاد علو الدينوري الكردي (ت: 299) عن الجنيد. وقيل أن أبا النجيب أخذ الطريق أيضا عن قطب زمانه الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت: 561). وأخذ عنه الطريق خلق كثير منهم علماء أعلام وشيوخ تربية. وكان من تلاميذه أبو محمد روزبهان البقلي من شيراز (ت: 606 هـ / 1209 م) وإسماعيل القصري وعمار البدليسي، وقطب الدين محمد بن أحمد الأبهري.

وقد خلف هؤلاء تآليف كثيرة، فمثلا من مؤلفات روزبهان البقلي: مشرب الأرواح في بيان ألف مقام ومقام /لطائف البيان في تفسير القرآن /مكنون الحديث /حقائق الأخبار /الموشح في المذاهب الأربعة /كتاب العقائد/ الأنوار في كشف الأسرار.

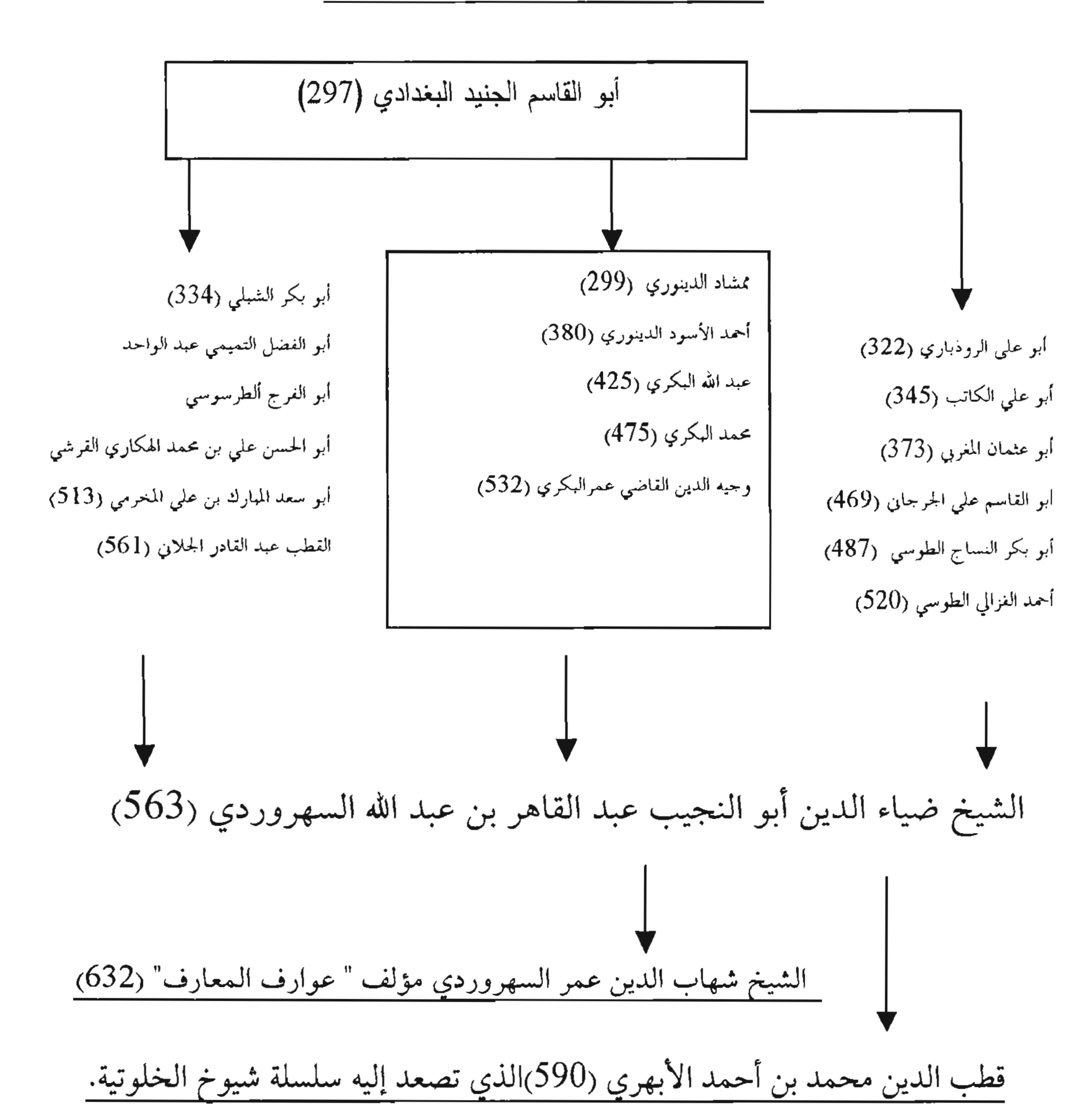
وأشهر خلفائه تلميذه ابن أخته الأستاذ المربي الكبير إمام الطريقة السهروردية الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي (ت: 632) مؤلف كتب (عوارف المعارف) الذي هو من أهم مراجع التصوف العملي، وقد ترجم إلى عدة لغات؛ وله أيضا كتاب (كشف الفضائح اليونانية) وهو في الرد على الآراء الفلسفية المناقضة للشريعة. وكان الشيخ عمر مستشارا للخليفة العباسي الناصر لدين الله (ت: 620) وتعاونا على تأسيس نظام الفتوة الذي كان له دور اجتماعي عظيم خصوصا في الجهاد طيلة قرون. ولإرساء قواعد شبكة ذلك النظام الجهادي والاجتماعي العتيد أرسله الخليفة الناصر كسفير إلى علاء الدين كايقوباد الأول الوالي السلجوقي في قونية، وإلى الملك العادل الأيوبي، وإلى الشاه الخوارزمي. وقد قصده المريدون من كل فج عميق، وتربي على يديه كثير من الخلق، وراسله الصوفية والعلماء من آفاق مختلفة، فانتشرت تعاليمه الصوفية

السنية في جل أنحاء العالم الإسلامي، حتى كتب عبد الرحمن الواسطي حوالي بداية القرن الثامن الهجري: إنه كان للسهروردية فروع كثيرة أكثر من أي طريقة أخرى. ولما توفي الشيخ شهاب الدين عمر عام 632 هـ خلفه ابنه عماد الدين محمد (ت: 655) كشيخ لرباط المأمونية في بغداد ثم تلاه ابنه ظهير الدين عبد الرحمن.

ومن الذين أخذوا عنه أو تأثروا به في سلوكهم الروحي ومشربهم العرفاني الشيخ الشهير الشيرازي نجيب الدين بوزغوش (ت: 678) والشاعر الفارسي الكبير سعدي الشيرازي (ت: 692) الذي أشار في كتابه (البستان) إلى تقوى شهاب الدين وحبه لإخوانه. وكثير من المشايخ اللاحقين انتسبوا للطريقة السهروردية مثل أبو بكر محمد بن أحمد القسطلاني (ت: 686) الذي ترأس دار الحديث الكاملية عام 668 بالقاهرة حيث رحب به الظاهر بيبرس، ومثل سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام (ت: 660)، ونور الدين عبد الصمد الغاطنزي وعبد الرزاق الكاشاني (ت: 730) وسعيد عبد الله الفرغاني (ت: 700). وكذلك الرحالة المغربي ابن بطوطة ذكر في رحلته أنه انتسب للسهروردية في أصفهان عام 728.

سلسلة الشيوخ بين الجنيد والسهروردي

ما بين قوسين هو السنة الهجرية لوفاة الشخص



ملاحظة: - من أشهر شيوخ القطب عبد القادر الجيلاني الشيخ حماد الدباس (525) الذي تصعد سلسلة شيوخه إلى الجنيد أيضا.

- أخذ أيضا أحمد الغزالي (الذي هو أخو حجة الإسلام أبي حامد الغزالي) (505) عن أبي علي القرماني الطوسي (477) عن الإمام أبي القاسم القشيري (465) صاحب الرسالة القشيرية المشهورة عن أبي الحسن الخرقاني (425) الذي تصعد سلسلة شيوخه إلى القطب أبي يزيد البسطامي (261) عن روحانية الإمام جعفر الصادق (148) عن أبيه محمد الباقر عن أبيه علي زين العابدين عن أبيه الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب -على جميعهم السلام – عن سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

انتشار السهروردية وفروعها:

انتشرت السهروردية وفروعها في الهند والصين والشرق الأوسط. ومن أشهر فروعها الباقية إلى اليوم الكبروية للإمام أبو الجناب نجم الدين كبرى الخوارزمي الخيوقي المحدث الشهيد الملقب بصانع الأولياء (540-618) - (انظر ترجمته المفصلة ليوسف زيدان في مقدمته لتحقيق كتاب" فوائح الجمال وفواتح الجلال") -. أخذ نجم الدين الطريقة على ثلاثة من خلفاء ابي النجيب السهروردي المذكورين سابقاً، وهم: محمد رزبهان (1184/584) وإسماعيل القصري (1193/585) وعمار البدليسي (1200/592) الذي ألف كتبا عديدة منها: (بهجة الطائفة بالله العارفة) و: (صوم القلب). كما أخذ الشيخ نجم الدين عن ابي عصرون (492-585) الذي كتب مؤلفات ضخمة كثيرة في العلوم الشرعية والفقه والتصوف. وقد مات نجم الدين شهيداً قتله المغول عند استيلائهم على خوارزم عام 618 هـ وترك مؤلفات وكثيراً من التلاميذ الذين تربوا عنده وواصلوا نشر طريقته. فمن مؤلفاته تفسير للقرآن، ورسالة الأصول العشرة للتصوف، ورسالة السفينة في بيان الشريعة والطريقة والحقيقة، ورسالة الهائم في مقامات الطريق والمشاهد الروحية، وكتاب "فوائح الجمال وفواتح الجلال" ورباعيات شعرية بالفارسية.

ومن أشهر تلاميذه سيف الدين أبو المعالي سعيد بن المطهر الباخرزي (ت: 659هـ) نزيل بخارى. كان إماما في الحديث والفقه، وروى الحديث عن الشيخ نجم الدين كبرى ولبس منه الخرقة، وأسلم على يديه جماعات من التتار، ومن مؤلفاته: «وقائع الخلوة ».

ومن تلاميذ نجم الدين الشيخ مجد الدين شرف بن مؤيد البغدادي (556-616) الذي كتب مؤلفات منها: « تحفة البررة في المسائل العشرة ». ورسالة شعر، ورسالة السلوك. وكلها حول التربية الروحية وما يعانيه السالك خلال معارجه.

ومن تلاميذ نجم الدين الآخرين: نجم الدين داية الرازي (ت: 654)، وله مؤلفات كثيرة في التصوف وتفسير للقرآن، والشيخ علي بن سعيد اللالا (ت: 642) والشيخ بهاء الدين ولد الذي هو والد الشاعر الصوفي الشهير إمام الطريقة المولوية ومؤلف ديوان "المثنوي" الشيخ الشهير جلال الدين الرومي (ت: 672).

وأما أكبر خلفاء نجم الدين فهو سعد الدين محمد بن المؤيد الحموي (توفي بين 649 و658 هـ) وله مؤلفات كثيرة في التصوف.

وانتشرت وتفرعت الطريقة الكبروية السهروردية في آسيا الوسطى والهند وإيران وتركيا. فكان من فروعها (السمنانية) لعلاء الدولة السمناني (ت: 736) و(الهمذانية) للسيد علي الهمذاني (ت: 786) ناشر الإسلام في كشمير. وامتدت طريقته إلى إيران وتركيا وسوريا، وعرفت أكبر انتشار لها في عهد المماليك العثمانيين.

وتغلغلت السهروردية في الهند والسند، ومركزها الأكبر كان بملتان في البنجاب، وكان روادها الأوائل هناك ثلاثة تلاميذ لعمر السهروردي هم: الأول بهاء الدين زكريا الخراساني (ت: 647) بملتان، وخلفه ابنه الأكبر صدر الدين محمد عارف واستمرت الخلافة في نفس العائلة. كما تشعبت منه فروع كثيرة منها سلسلة خلفاء جلال الدين البخاري في أوششن. والثاني حامد الدين الناقوري (ت: 642) بدلهي، والثالث جلال الدين التبريزي (ت: 642) بالبنغال ...ومن شيوخها الأوائل أيضا من تلاميذ السهروردي: نور الدين مبارك الغزنوي وضريحه بدلهي مشهور.

وفي القرن السابع الهجري التحمت السهروردية مع فرعها الكبروي فنتجت منها (الفردوسية) لبدر الدين الفردوسي وخليفته نجيب الدين محمد (ت. حوالي: 700) الذي نشرها في بهار بالهند واعتنقها علماء كبار منهم شرف الدين بن يحيى المناري (ت: 782) مؤلف مجموعة (المائة رسالة). التي كانت أشهر مرجع للفقه والتصوف خلال الحكم المغولي في الهند، وعاش المناري في رايجير وبهار شريف بالقرب من باطنا ... ومن ألمع شيوخ الكبروية في بداية القرن العاشر الهجري الشيخ أشرف جهانجير سمناني (ت: 1425/932) الذي أذكى الحوار الصوفي حول كتب الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي (ت: 638) قبولا ورفضا..

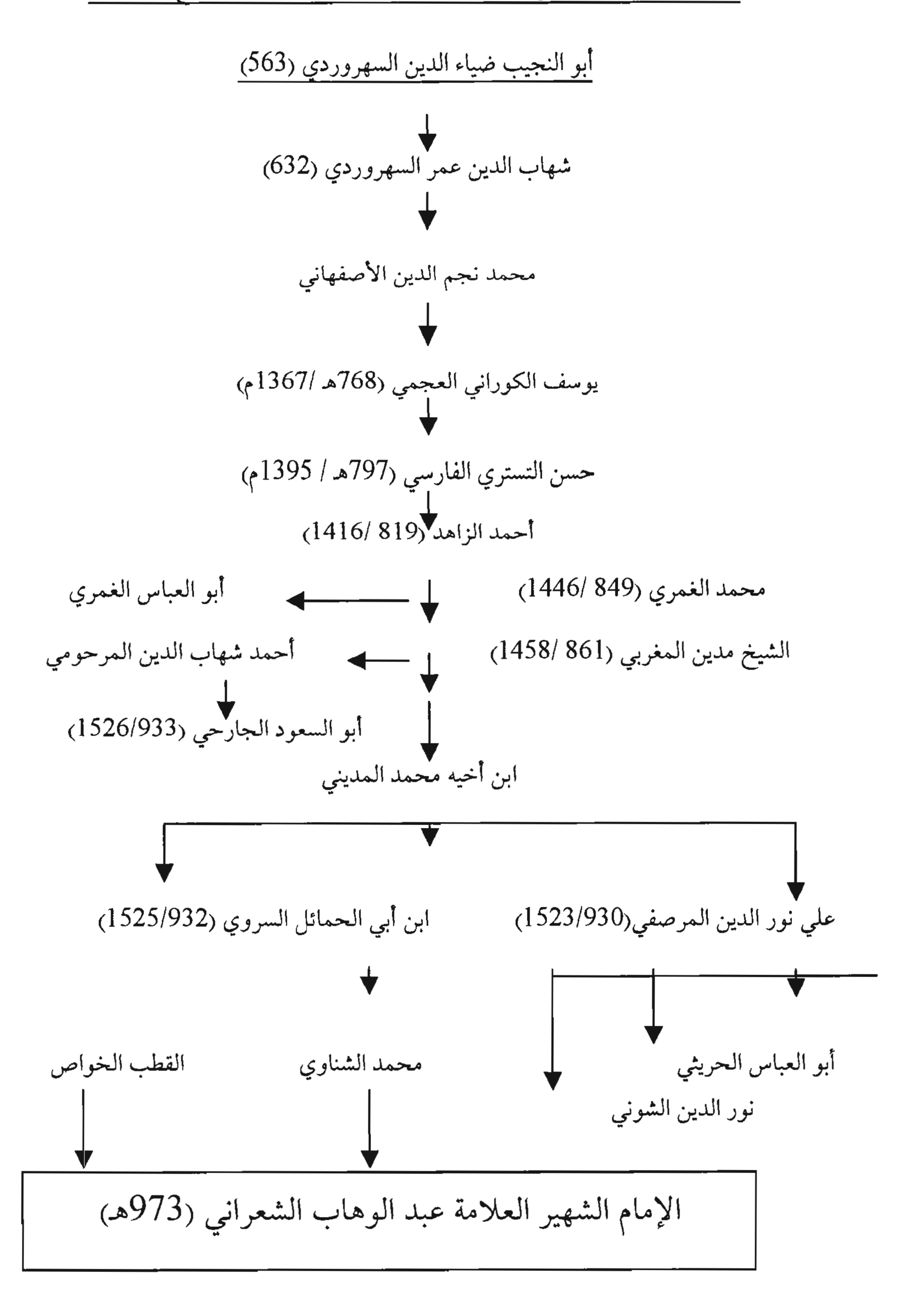
ومن فروع الكبروية فرع النورية الذي أسسه نور الدين عبد الرحمان الأسفراييني (ت: 1317/717) وهو شيخ السمناني. ثم فرع الركنية (أو السمنانية) الخراساني نسبة إلى ركن الدين أحمد بن شرف الدين المعروف بعلاء الدولة السمناني (1336/737) ومن الركنية ظهر في كشمير فرع الهمذانية الذي أسسه علي بن شهاب الدين بن محمد الهمذاني (1314/714- 1385/786) بخوتلان في طاجيكستان، وهو ناشر الإسلام في كشمير، وقد ارتبط بهجرة نحو 1000 صوفي لاجئين إليها هربا من المغول. وتلميذه في خراسان إسحاق الخطابي (1423/826) هو مؤسس فرع الاغتشاشية.

ومن تلاميذ إسحاق الخطابي الشيخ محمد بن عبد الله نوربخشي (1465/869) الذي تفرعت منه سلسلتان الأولى من ابنه قاسم فيض بخشي، والثانية من شمس الدين محمد اللاهيجي (1506/912) الذي كان له خانقاه في شيراز.

ومن طريقته تكونت في شيراز خلال القرن الثامن الهجري فرقة (الذهبية) التي لا تزال إلى اليوم تتغلغل في بعض الأوساط الإيرانية والإنجليزية والأمريكية، ومن آخر شيوخها في هذا القرن ميرزا أحمد التبريزي: (ت: 1954/1373) بشيراز والدكتور عبد الحميد غنجغيان.

وللتعرف على الفروع الكثيرة المتسلسلة من السهروردية يرجع إلى كتاب (تبيان رسائل الحقائق في بيان سلاسل الطرائق) لشيخ كمال الدين الحريري (ت: 1299 هـ) وهو في ثلاثة مجلدات.

إحدى أشهر السلاسل السهروردية بمصر بين القرنين السابع والعاشر



الخلوتية كامتداد للسهروردية الجنيدية

من سلاسل السهروردية برزت (سلسلة الخلوتية) نسبة للشيخ سراج الدين عمر الخلوتي (توفي بتبريز حوالي: 730هـ) أخذ الطريق عن خاله وشيخه محمد بن نور الخلوتي (665هـ)، عن إبراهيم الزاهد الكيلاني (ت بين: 690-700 هـ/1291-1300م) عن جمال الدين التبريزي المعروف بابن الصيدلاني (640 هـ)، عن شهاب الدين محمد الشيرازي (629هـ)، عن ركن الدين محمد بن الفضل الزنجاني (615هـ) – وزنجان بلدة قرب سهرورد –، عن قطب الدين محمد بن أحمد الأبهري (590هـ)، عن أبي النجيب السهروردي (563هـ). وقد لقب عمر وخاله بالخلوتي لكثرة التزامهما بالخلوة، حيث أن منهجية التربية عندهما التي أخذاها عن شيخهما إبراهيم الكيلاني تتم بذكر سبعة أسماء حسنى لقطع مقامات النفس السبعة في سبع خلوات وهي: (لا إله إلا الله) للنفس الأمارة ثم (الله) للوامة ثم (هو) للمطمئنة ثم (حي) للراضية ثم (قيوم) للمرضية ثم (حق) للملهمة ثم (قهار) للكاملة ثم الاسم الأعظم الجامع للمنتهي، وقد فصل كل هذه المراحل الشيخ مصطفى القسنطيني (1836/1252) في شرحه للمنظومة الرحمانية التي نظمها والده الشيخ عبد الرحمان باش تارزي الجزائري (ت: 1222). واستمر وجود الطريقة الخلوتية قوياً في إيران إلى العهد الصفوي، ومن أشهر رجالها هناك خلال القرن التاسع في هرات: سيف الدين الخلوتي (ت: 884/ 1381 هـ) وظاهر الدين الخلوتي (ت: 900هـ).

لكن أول انتشار واسع للخلوتية، إنما ظهر على يد الشيخ صدر الدين الخياوي (832هـ) - وخياوة اسم قرية في شروان بالقوقاز – وقبره قرب (كنبدكبود) بنواحي شيماخي، ثم توسعت خصوصا على يد خليفته صهره يحيى جلال الدين بن السيد بهاء الدين الشرواني الباكوي المولود بالقوقاز والذي استقر بباكو في أذربيجان، وهو مؤلف الحزب المعروف عند الخلوتية بورد الستار. أخذ صدر الدين الخياوي، عن الحاج عز الدين الشرواني (815هـ) عن محمد بيرام الخلوتي (780هـ)، عن عمر الخلوتي المذكور. وإلى الشيخ يحيى تنتهي كل فروع السلاسل الخلوتية، وهو المؤسس العملي لهذه الطريقة، قيل أنه اجتمع عليه نحو عشرة آلاف مريد، وبعض خلفاءه إلى الآفاق، وتوفي في باكو حيث قبره حوالي عام: 1406/868 مخلفا عددا كبيرا من الشيوخ. من تآليفه " أسرار الطالبين " و" شفاء الأسرار " و" أسرار الوحي " و" كشف القلوب " و"مراتب أسرار القلب " و"أسرار الوضوء" و" رموز الإشارات" و" منازل العارفين" و"شرح الأسماء الثمانية" و"شرح سؤالات كلشن راز" و"أطوار القلب"و" العلم اللدني"

وغير ذلك، وأغلب مؤلفاته بالفارسية، وعلى ورد الستار شروح كثيرة.

أشهر خلفاء سلسلة الشيخ يحي الباكوي

من أخصّ خلفاء الشيخ يحيى الشرواني الشيخ محمد بهاء الدين الأرزنجاني، ولد في (كثرليج) من ملحقات أرزنجان في الأناضول الشرقي، وقد توفي في أرزنجان سنة 879 هـ ودفن في مقبرة الجامع الكبير. من مؤلفاته " مقامات العارفين ومعارف السالكين". ومن أجل خلفائه تاج الدين إبراهيم القيصري الذي تفرعت منه الطريقة الجراحية بالأستانة. وأشهر من واصلوا نشر الطريقة من تلاميذه الشيخ محمد جمال الخلوتي المعروف بـ "جلبي سلطان الأقسرائي" المولود في أماسيا من بلاد الأناضول الوسطى. وقد توسع في ترجمته مؤلف " الشقائق النعمانية " ومما قاله عنه أن بناء الزاوية المعروفة باسم (قوجه مصطفى باشا) في الأستانة كان من أجله، ثم ذكر ما تم له مع السلطان بايزيد خان ابن السلطان محمد الفاتح وكيف بعثه إلى الحج ومعه أربعون رجلا من أصحابه ليدعوا هناك لدفع الطاعون من بلاد الروم، ومات في طريق ذهابه سنة 899 في المرحلة التاسعة في طريق الحج من الشام تسمى (حساء) و (حمى تبوك) وأوصى ان يدفن في ممر سبيل الحجاج وموطئ أقدامهم. وله نحو عشرين مؤلفا منها: "تفسير الفاتحة" و" سورة الضحى إلى آخر القرآن" و"شرح الأربعين القدسية " و"شرح الأربعين النووية " و" جامعة الأسرار والغرائب" و"زبدة الأسرار" و" تفسير آية الكرسي " و" جواهر القلوب" و" أسرار الوضوء" و" رسالة الأطوار" و" الكوثرية" وغير ذلك كما في (تراجم المؤلفين العثمانيين). ولقبه (جلبي) يعني في التركية (الرباني) كما أن لقب (سلطان) يستعمل لكبار الأولياء عندهم.

خلف الشيخ جمال الخلوتي شيوخا من أجلهم خير الدين التوقادي ثم القونرابي ثم الأسكداري. أصله من (توقاد) بأواسط الأناضول وسكن (قونرابا) وتوفي في أسكدار في حدود سنة 940 ودفن بها. من خاصة تلاميذه الشيخ مصلح الدين القونرابي صاحب اضريح المشهور في قرية (قراكوي العليا) في ناحية الأستانة. لكن أشهر خلفاء الشيخ جمال الخلوتي هو الشيخ شعبان القسطموني، وأصله من (طاش كبرى) - وهي بلدة في ولاية قسطموني، ومعنى اسمها قنطرة من حجر – وله كثير من الخلفاء انتشروا في الآفاق، وإليه تنسب الطريقة الشعبانية، وبعض كلماته وكراماته مجموعة في مناقبه المطبوعة سنة 1293، توفي سنة 976 هـ، وضريحه في قسطموني وجدده محمود سري باشا الجركسي لكرامة ظهرت له ووقف له أوقافاً. وخلف الشيخ شعبان في إمامة الطريقة الشيخ محيي الدين القسطموني المتوفى في حدود سنة 1000

ودفن جوار شيخه المذكور، كما دفن بجواره خليفته الشيخ عمر الفؤادي المتوفى سنة 1046 هـ والذي من مؤلفاته: "مناقب الشيخ شعبان الولي" المذكور أعلاه، و" معيار الطريقة" و" الواقعات" و" رسالة التوحيد" و" مصلح النفس "و " ديوان شعر"، وغير ذلك كما يظهر من ذيل العطائي على الشقائق، وتراجم المؤلفين العثمانيين.

والذي خلف لشيخ عمر الفؤادي في إمامة الطريقة الخلوتية هو تلميذه الشيخ اسماعيل الجورومي- نسبة إلى جوروم بلد في الأناضول- المتوفى في حدود سنة 1070 هـ، ودفن قرب بلال الحبشي رضي الله عنه في مقبرة الباب الصغير بدمشق. وعنه أخذ الإمام الكبير الشيخ علي علاء الدين الأطول العربكيري – نسبة إلى عربكير بلد في شرق الأناضول – المعروف ب (قراباش) أي الأسود الرأس الولي. حصل على العلوم في الأستانة ثم رحل إلى قسطموني وأدرك عمر الفؤادي، وتربى عند شيخه المذكور وعنه أخذ الخلافة، ثم سكن الأستانة ونشر بها الطريق، وهو رئيس فرع القاراباشلية من الخلوتية. وله مؤلفات كثيرة منها" كاشف أسرار الفصوص" و"جامع أسرار الفصوص" و" معيار الطريقة" و" أساس الدين " و" تفسير سورة طه" و" سماع الصوفية"و" التعبير". وخلفه في المشيخة ابنه مصطفى المعنوي الإدرنوي الذي ذاع صيته واشتهر بالارشاد حتى رغب السلطان محمد الرابع في ملاقاته، فأقام الشيخ في أدرنة حيث يقيم السلطان إلى أن مات السلطان سنة 1104 هـ، فانتقل إلى اسطنبول وكان يعظ في (يكي جامع) وكان محدثا شاعرا، ويقول عنه الجبرتي في تاريخه أن له 440 خليفة. وله من المؤلفات " شرح الفصوص" و"ديوان شعر". توفي سنة 1114 باسطنبول ودفن في تكية نصوحي في (طوغا نجيلر) في أسكدار، وترجمته في السجل العثماني وتراجم المؤلفين العثمانيين. وعنه أخذ خليفته الشيخ عبد اللطيف بن حسام الدين الحلبي الخلوتي الذي ولد في حلب وسافر وطاف، وأخذ عن شيخه مصطفى في مصر القاهرة، واختلى عنده خلوات عديدة، ثم أقام بدمشق واشتهر أمره إلى أن توفي بها سنة 1121 هـ ودفن بتربة مرج الدحداح. وقد توسع خليفته الأكبر الشيخ مصطفى البكري في ترجمته في كتاب حافل كما ذكره المرادي في " سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر". وسنعود إلى الشيخ مصطفى البكري بالتفصيل لاحقا.

من الفروع الأخرى للخلوتية

الرائد الأول للخلوتية وناشرها في الأناضول فهو أحد خلفاء الإمام يحيى الباكوي وهو محمد شمس الدين المعروف باسم أمير سلطان (ت: 1439) مؤلف (مولد النبي) التركي المشهور. ومن الخلفاء الآخرين للشيخ يحيى الشيخ حاجي بيرام (1429)

والشيخ عمر الأيديني الروشني – نسبة إلى (آيدين) بالأناضول المتوفى في تبريز سنة (892 /1487) الذي خلّف بدوره شيوخا كبارا زادوا في إشعاع الطريقة وتوسعها، فلم تبق منحصرة في القوقاز وأذربيجان وفارس وحدها، بل انتشرت تجاه محورين:

المحور الأول: امتد خلال الفتوحات العثمانية من الأناضول إلى جنوب شرق أوروبا بعد أن عم تركيا.

المحور الثاني: امتد من تبريز في إيران إلى مصر على يد خلفاء عمر الروشني التبريزي. ومن مصر انتشر في إفريقيا السوداء والقرن الإفريقي والسودان والشرق الأوسط. ثم من الحرمين الشريفين امتدت الخلوتية إلى أندونيسيا. وأشهر رواد الخلوتية في أندونيسيا: يوسف المقصر المعدود من أكبر أولياء جنوب شرقي آسيا. عاش نحو عشرين سنة بين الحرمين في الحجاز، وتتلمذ على كبير علماء عصره وشيخ شيوخهم المحدث إبراهيم الكوراني الكردي (1102هـ / 1691 م) حيث نشر الخلوتية هناك.

من الفروع الكثيرة للخلوتية ظهرت الطريقة البيرمية التي أسسها حاجي بيرام ولي (ت: 1429 أو 1430) بأنقرة في وسط الأناضول. ومنها تفرعت البيرمية الشمسية للإمام الشهير المربي الكبير الشيخ آق شمس الدين (ت: 1459) شيخ فاتح القسطنطينية السلطان محمد الفاتح. وتفرعت من البيرمية أيضا الملامية البيرمية للشيخ الملامتي عمر السكيني (ت: 1475).

الطريقة الجلوتية الخلوتية:

في بداية القرن السابع عشر ظهرت الطريقة الجلوتية التي أسسها عزيز محمود هدائي (ت: 1628) أحد خلفاء إمام البيرمية الخلوتية في عصره الشيخ أفتاده (متوفى في بروسة سنة: 1580). وكانت زاويتها الأم في حي اسكدار بالقسطنطينية، وقد عرفت نشاطا كبيرا في تركيا والبلقان، وتخرج منها علماء وشيوخ كبار منهم العلامة الشيخ اسماعيل حقي صاحب التفسير المشهور (روح البيان) وشرح: (فصوص الحكم) لابن العربي، وقد أخذ الطريقة الجلوتية عن السيد عثمان الفضلي عن عبد الله الواعظ ذاكر زاده عن أحمد الخطيب دزدار زاده عن محمود الهدائي الجلوتي عن محمد محيي الدين أفتاده عن الشيخ خضر دره المقعد عن الشيخ نعمان الأنقروي المعروف بالحاج بيرام الولي عن حامد الأقسرائي عن إبراهيم الأردبيلي عن علي الأردبيلي عن صدر الدين موسى الأردبيلي عن صفي الدين أبي إسحاق الأردبيلي عن إبراهيم الزاهد الكيلاني بسنده السابق ذكره.

وقد تم للخلوتية أوسع انتشار خلال العهد العثماني. وكثير من الحكام الأتراك اعتنقوها، وساهم أتباعها في الجهاد معهم .... كما اعتنقها السلطان مراد الثالث من الشيخ شجاع، والسلطان المبارك الخليفة الصالح محمد الفاتح الذي فتح الله به القسطنطينية عام (857هـ/1453م) وقد رافقه في هذا الفتح المبين شيخه الخلوتي ومربيه أق شمس الدين... ومن السلاطين الذين اعتنقوا الخلوتية بايزيد الثاني أخذها عن الشيخ الكبير مستشاره شلبي خليفة من أماسيا (ت: 906هـ/1500م).. وكان بعض شيوخها مستشارين للخلفاء كالشيخ مصطفى مصلح الدين نور الدين زاده البلغاري الأصل، والذي وجه السلطان سليمان للجهاد وحضه على الحضور شخصيا في حملة هنغاريا عام (974 هـ/ 1566م) حيث لقي ربه. كذلك الشيخ مصطفى الأدرنوي (ت: 114 1هـ باسطنبول) بن الشيخ علي قاراباشا، كان مستشارا للسلطان محمد الرابع (ت: 1104 هـ).

ويمكن القول أن الخلوتية وجدت في تركيا أخصب بلاد لزواياها خلال العهد العثماني، حتى أن أزيد من ربع زوايا اسطنبول في أواخر القرن التاسع عشر ميلادي كانت خلوتية ...والإحصائيات تبين أنه كان يوجد في تركيا في بداية العشرينيات من القرن العشرين، في أيام إعطاء الأوامر بغلق الزوايا وإلغاء الطرق الصوفية: 89 مركزا خلوتيا و65 مركزا نقشبنديا و57 مركزا قادريا.

ومن أشهر رواد الخلوتية بمصر الشيخ إبراهيم جوشني التركي من تلاميذ عمر الروشني (1487/992) استقر بمصر (1507) حيث استقبله بترحاب قنصوه الغوري بعد أن أسس زوايا بتركيا وتوفي بالقاهرة في (1534/940) في زاويته خارج باب زويله. وبعده في العباسية على مشارف القاهرة أسس تلميذ آخر لعمر الروشني زاوية وهو شمس الدين محمد دمرداش (1526/929) من المماليك الزهاد الجراكسة وعاش بجبل المقطم لمدة 27 سنة، ومملوك آخر اسمه شمس الدين بن عبد الله الجركسي (1547/954).

فروع الخلوتية

بفعل التوسع الكبير للخلوتية في مناطق النفوذ العثماني تفرعت إلى فروع كثيرة خلال القرنين العاشر والحادي عشر الهجري، منها في تركيا:

1 - (الجمالية) لجمال الدين الأقصاري المعروف بشلبي خليفة (ت: حوالي 1485/893).

2 - (السنبلية) ليوسف سنبل سنان (ت: 1529/936). وخليفته مصلح الدين

(ت: 959هـ)

3 - (الأحمدية) لأحمد شمس الدين البختياشي (ت: 1533/939).

4 - (الشعبانية) لشعبان ولي (ت: 1568/975).

5 - (السنانية) لإبراهيم أمي سنان (ت: 1569/976).

6 - (العشاقية) لحسن حسام الدين عشاقي (ت: 1593/1001).

7 - (الشمسية) لقاره شمس الدين سيواسي (ت: 1601/1010).

8 - (الجلوتية) لعزيز محمود خضيري هدائي (ت: 1628/1037).

9- (القرابشية) لعلي علاء الدين قرباش ولي (ت: 1096هـ/1685م). ومنها تفرعت فروع متعددة من أشهرها: البكرية للإمام المجدد الأستاذ مصطفى البكري (ت: 1162هـ).

10- (المصرية) للشيخ الشهير نوازي مصري (ت: 1104هـ/1693م).

وفي مصر ظهر الفرعان:

11 - (الدمرداشية) لمحمد دمرداش (ت: 930هـ/1526م).

12- (الكلشنية) لإبراهيم كلشن (ت ي 940هـ/1534م).

وفي الشرق الأوسط أيضا فرعان:

13- (الأصالية) لأحمد بن علي الحريري الأصالي (ت ي 1050هـ/1639م).

14- (البهشية) لمحمد البهشي الحلبي (ت: 1098هـ/1687م).

وخلال الصراع الإسلامي المسيحي في البلقان وشرقي أوروبا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجري، ظهرت فروع أخرى للخلوتية منها:

15- (الناصحية) لمحمد الناصحي (ت: 1124هـ/1718م).

16- (الجراحية) لنور الدين محمد الجراحي (ت: 1127هـ/1721م)

17- (الجمالية) لمحمد جمال الدين عشاقي (ت: 1157هـ/1751م)

18- (الرؤوفية) لأحمد رؤوف (ت: 1163 هـ/1757م)

19- (الصلاحية) لعبد الله صلاح الدين عشاقي (ت: 1198هـ/1784م)

20- (الإبراهيمية) لإبراهيم الخلوتي (ت: 1265هـ/1849 م)

21- (السيزائية) فرع (للكلشنية) لحسن سيزائي (ت: 1144هـ/1738م)

22- الزهروية (فرع للسنانية) لأحمد زهر (ت: 1150هـ/1744م)

23- (الحياتية) لمحمد الحياتي (ت: 1172 هـ/1766م)

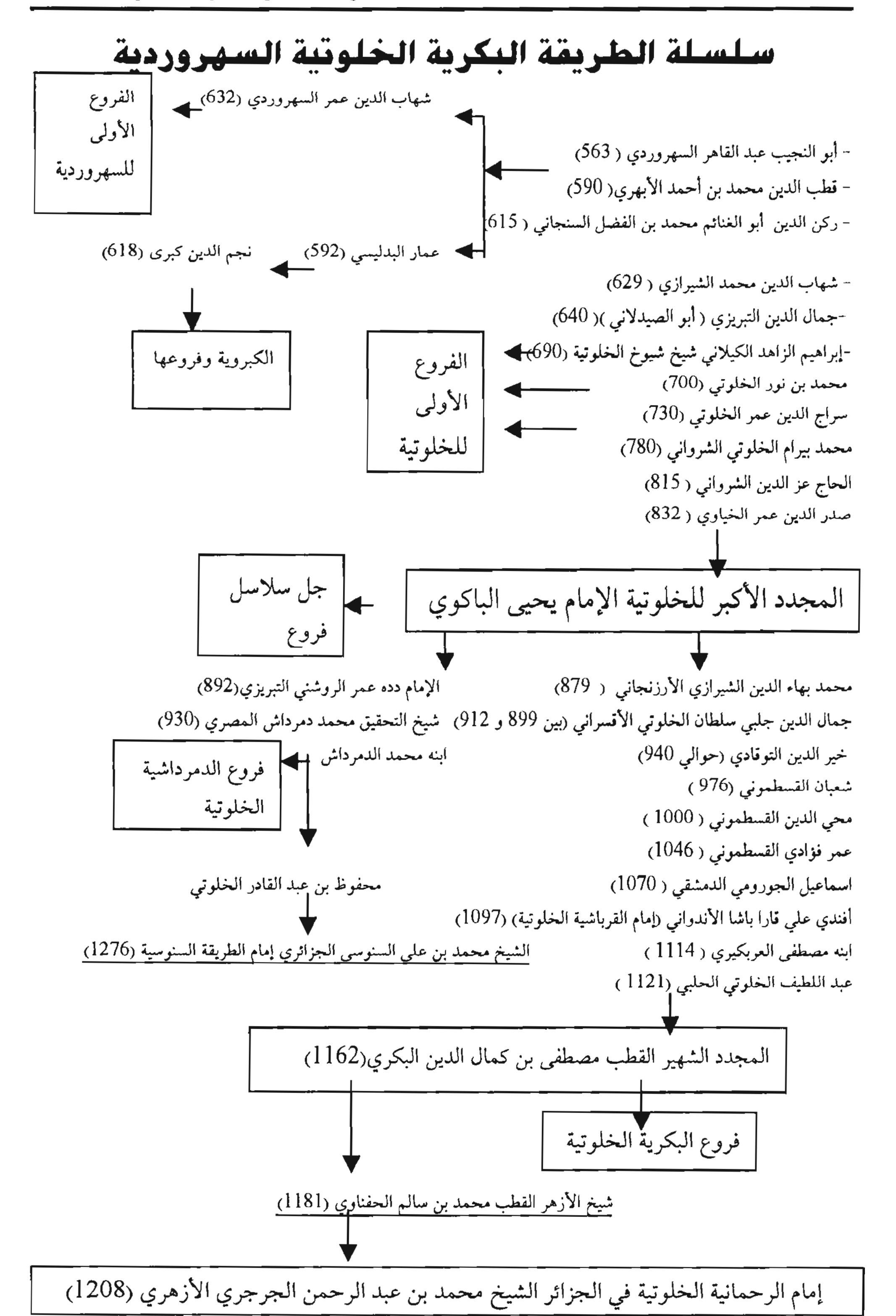
وقد بقيت زوايا هذه الفروع قائمة بدورها الإسلامي في المناطق التي تعرضت للغزو الصليبي المسيحي ثم الغزو الشيوعي الإلحادي، فانكسرت شوكتهما عند

ارتطامها بتلك القلاع العتيدة التي حصنت المجتمع حولها بالعقيدة القرآنية التي لا تتزلزل لارتباطها الوثيق بأولياء الرحمان، القائمين بدولة الذكر الثابتة أركانها إلى آخر الزمان ....

والدليل على هذا أنه بمجرد انهيار الشيوعية التي حاولت طيلة عقود محو الدين بكل الوسائل الجهنمية سرعان ما ظهرت من جديد زوايا للخلوتية وفروعها وغيرها من الطرق الصوفية خلال هذه السنوات الأخيرة في البوسنة وألبانيا وشرق أوروبا والشيشان وأقصى آسيا الوسطى وسيبريا وأذربيجان وما جاورها .... كما ظهرت خلال العقود الأخيرة زوايا للخلوتية في أوربا الغربية وأمريكا أسسها المهاجرون المسلمون، وبعض معتنقي الإسلام من الغربيين ....

يقول الداعية المجاهد الكبير الشيخ سعيد النورسي التركي (ت: 1379هـ/ 1960م) في مكتوبات له حول التصوف تحت عنوان: "التلويحات": [وقد كانت الطرق الصوفية ومازالت كذلك إحدى القلاع الثلاث التي تتحطم على جدرانها الصامدة هجمات النصارى بسياساتهم، ومكايد الذين يسعون لإطفاء نور الإسلام. فيجب ألا ننسى فضل أهل الطرق في المحافظة على مركز الخلافة الإسلامية «إسطنبول» طوال خمسمائة وخمسين سنة رغم هجومات عالم الكفر وصليبية أوروبا. فالقوة الإيمانية والمحبة الروحانية والأشواق المتفجرة من المعرفة الإلهية لأولئك الذين يرددون «الله...الله...» في الزوايا والتكايا المتممة لرسالة الجوامع والمساجد والرافدة لهما بجداول الإيمان حيث كانت تنبعث أنوار التوحيد في خمسمائة مكان، لتشكل بمجموعها أعظم نقطة ارتكاز للمؤمنين في ذلك المركز الإسلامي. فيا أدعياء الحمية، ويا سماسرة القومية المزيفين، ألا تقولون أية سيئة من سيئات الطريقة تفسد هذه الحسنة العظيمة في حياتكم الاجتماعية]».

سلسلة الطريقة البكرية الخلوتية السهروردية



الخلوتية في مصر

أشهر شيوخ الخلوتية الأوائل في مصر ثلاثة من تلاميذ الإمام الشيخ عمر الروشني التبريزي (ت: 892/1487هـ) تلميذ المجدد الأكبر للخلوتية الشيخ يحيى الباكوي الشرواني (ت: 868هـ)، وهم:

- الأول: التركي الشيخ إبراهيم الكلشني الذي لجأ إلى مصر بعد الاحتلال الصفوي لتبريز، وذلك سنة 1507م حيث أسس ثلاث زوايا ومات بالقاهرة عام 940هـ (1534م) في زاويته خارج باب زويلة.

- الثاني: الإمام الشيخ شمس الدين محمد دمرداش (ت: 1526/930) الذي كان مملوكا جركسيا ثم سلك الطريق الخلوتي واشتهر بالزهد والمعرفة. وعند قدومه إلى مصر عاش في جبل المقطم منقطعا للعبادة والدعوة إلى الله مدَّة سبعة وعشرين عاما، وأسس زاوية في العباسية على مشارف القاهرة. وطريقته الدمرداشية الخلوتية في مصر لا تزال فروعها وزواياها إلى اليوم نشطة ولها أتباع.

- الثالث: الشيخ شاهين (ت: 1547/954)، وهو أيضا كان مملوكا جركسيا.

ومن فروع الخلوتية التي ظهرت في مصر في بدايات القرن الحادي عشر البيرامية التي أتى بها إبراهيم ابن تيمور خان ابن حمزة القزاز (ت: 1617/1026)، وأصله من البوسنة، وساح كثيرا ليستقر أخيرا بالقاهرة.

وأما في أواسط القرن الثاني عشر الهجري فأشهر وأعظم محيي للخلوتية في مصر خصوصا والشرق الأوسط عموما هو الشيخ مصطفى بن كمال الدين البكري (1749/1162) وكبار خلفائه الذين أعطوها دفقاً غزيراً صافياً قوياً خلال العقود التي تلته لمكانتهم العلمية والتربوية السامية، حيث أن الكثير منهم كانوا مشائخ الإسلام ومن أعلام شيوخ الأزهر.

أخذ الشيخ مصطفى البكري عن الشيخ عبد اللطيف الحلبي عن شيخه مصطفى الذي قال عنه الجبرتي في تاريخه أنه خلف 440 خليفة، وله شرح على فصوص الحكم لابن العربي وديوان شعر، وقد أخذ عن والده أفندي علاء الدين علي قارا باشا الأنداوي إمام الطريقة القاراباشية الخلوتية عن عمر الفؤادي عن إسماعيل الجرمي المدفون بدمشق بالقرب من الصحابي بلال الحبشي- رضي الله عنه- عن محيي الدين القسطوني عن شعبان القسطموني عن خير الدين التوقادي عن جمال الدين سلطان الخلوتي عن محمد بن بهاء الدين الشيرازي عن المجدد الإمام يحي الباكوي الشرواني المذكور سابقا. وقد أخذ الشيخ مصطفى طرقا أخرى كالقادرية والنقشبندية والأكبرية

للشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي، وقد درس كتبه عند الشيخ الشهير الأكبري عبد الغني النابلسي (ت: 1143هـ).

وفي جل مكتوبات الشيخ مصطفى نجد أصداء كثيرة للمعارف الأكبرية كما هو ظاهر في تآليفه التي بلغت نحو المائتين، وفي أحزابه الكثيرة وأشعاره الغزيرة، كمنظومته التي تتألف من أكثر من 1200 بيت في مصطلحات التصوف، اقتبسها من كتاب "الفتوحات المكية" لابن العربي، وذكر فيها أنه تلقن الطريقة النقشبندية عن روحانية أبي يزيد البسطامي (ت: 261هـ). ونشير هنا إلى الأثر العميق الذي نجده للمشرب الأكبري في مكتوبات شيوخ الخلوتية عموما. وقد شرح بعضهم كتبا للشيخ الأكبر كشروح "فصوص الحكم" للشيخ بالي أفندي (ت: 961هـ/1533م) وعلي علاء الدين قاراباشا (ت: 1096هـ/1685م).

وخلف الشيخ مصطفى شيوخا كثيرين نشروا الطريقة هم وخلفاؤهم في جل العالم الإسلامي.

تعريف بالإمام المجدد مصطفى البكري شيخ الطريقة الخلوتية

1099-1162هـ/1688-1749م

هو أبو المعارف قطب الدين مصطفى بن كمال الدين بن علي بن كمال الدين بن محيي الدين بن محمد بدر الدين بن محمد ناصر الدين بن أحمد زين الدين بن محمد ناصر الدين بن أحمد شهاب الدين بن ناصر الدين بن عوض بهاء الدين بن عبد الخالق بن عبد المنعم بن يحيى بن الحسن بن موسى بن يحيى بن يعقوب بن نجم الدين بن عيسى بن شعبان بن عيسى بن عوض بن داود بن محمد بن نوح بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمان بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم. ولد بدمشق في ذي القعدة 1099هـ، مات والده وله من العمر ستة أشهر، فكفله ابن عمه أحمد، ورعاه في داره قرب البيمارستان النوري. طلب العلم على يد الشيخ عبد الرحمان السليمي المجلد، والشيخ أبي المواهب الحنبلي، قرأ عليه شرح صحيح البخاري لابن حجر، والشيخ محمد الدكدجي (ت: 1131) قرأ عليه متن الاستعارات وشروحه، والشيخ إلياس الكوراني (ت: 1138) والشيخ محمد الحبال والشيخ عثمان الشمعة والشيخ عبد الرحيم الطوقي والشيخ إسماعيل العجلوني والشيخ عبد الرحيم الكابلي. أخذ المسلسل بالأولية عن الشيخ محمد البديري الدمياطي (ت: 1140) المعروف بابن الميت وأجازه. ولازم الأستاذ عبد الغني النابلسي (ت: 1143)، وقرأ عليه التدبيرات

الإلهية وفصوص الحكم وعنقاء المغرب ومواضع من الفتوحات المكية، كلها للشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي، وقرأ عليه شيئا من الفقه. وكان الأستاذ يقول عنه: "السيد مصطفى درة جلوناها فظهر نورها وبدت محاسنها". وأخذ أيضا الإجازة من جمال الدين محمد بن سعيد الحنفي المشهور بابن عقلة (ت: 1150). وقد سلك الطريقة الخلوتية وهو لا يزال شابا صغيرا عند الشيخ عبد اللطيف الحلبي الخلوتي، ولقنه الأسماءالسبعة المعروفة في السلوك الخلوتي، ثم لما بلغ من العمر نحو العشرين سنة أذن له بالخلافة في الطريقة إذناً عاماً، وبعد وفاة شيخه بايعه طلاب الشيخ وغيرهم على مشيخة الطريقة. زار بيت المقدس فنشر فيها الطريق، ثم قصد بلدة أسكله قرب يافا فاجتمع بالشيخ نجم الدين الرملي الذي كان زائرا مثله، فسمع عليه المترجم أول الموطأ بروايته عن والده خير الدين الرملي بسنده إلى محمد بن الحسن الشيباني، وأجازه بباقيه، وبجميع ما تجوز له روايته. وبعد سنوات سافر إلى بيت المقدس، ونزل في خلوة بالمسجد الأقصى، وأقام هناك يقرئ وينشر الطريقة، ثم قصد حلب، ومنها توجه إلى بغداد، وبعد شهرين رحل إلى جبلة، على ساحل الشام، ثم قفل عائدا إلى دمشق، ولما سافر عمه إلى الحج صحبه في الذهاب والإياب. ثم رحل إلى القدس، فتزوج بها، وأقام فيها حتى قدوم الوزير رجب باشا، والي مصر، فزار المترجم واعتقده، ثم صحبه معه إلى مصر، فأقام بها مدة، وأخذ عنه خلق كثيرون، أجلهم الشيخ محمد بن سالم الحفني. ثم سار إلى دمياط، فأقام في جامع البحر. وأخذ بها عن الشيخ محمد البديري، فقرأ عليه الكتب الستة والمسلسل بالأولية وبالمصافحة وبلفظ أنا أحبك، وأجازه إجازة عامة بسائر مروياته وتآليفه. عاد بعدئذ إلى بيت المقدس بطريق الساحل، فأقام مدة، ثم توجه إلى طرابلس الشام، ومنها إلى حمص، فحماة، ونزل في بيت السيد ياسين القادري الكيلاني شيخ الطريقة القادرية بحماة، فأخذ عنه الطريقة القادرية، ورحل بعدها إلى حلب، فأخذ عنه بها جماعة، ومنهم الشيخ أحمد بن أحمد خطيب الخسروية المعروف بالبني، وبعد مدة توجه إلى القسطنطينية، ونزل بها في مدرسة سورتي، وهناك عكف على التأليف والنظم في التصوف تاركا الاشتغال بالدنيا.
اجتمع في القسطنطينية بالشيخ محمد التافلاتي المغربي الذي أفتى بالقدس (ت: 1191)، وكان شيخه من جهة وتلميذه من جهة أخرى. ولما اشتاق إلى أهله، سافر إلى أسكدار، فدخل حلب، ونزل الخسروية بجوار الشيخ أحمد البني المذكور. ثم قصد بغداد ونزل في التكية القادرية، وبعد مدة جاءته رسالة من الشيخ عبد الغني النابلسي يحثه على الرجوع إلى دمشق، فمضى إلى الموصل، ودخل حلب ونزل الخسروية ثم انطلق منها إلى دمشق، فنزل فيها بدار الشيخ إسماعيل العجلوني، ثم نزل بالساذرائية،

وبعد مدة رحل إلى بلاد صفد، وأقام في القدس حتى دخل موعد الحج فتوجه إلى صحبة العلماء، وأجلهم الشيخ حسن الجيوشي، وعاد معهم كذلك إلى القدس، وصحبه الشيخ محمد المكتبي من حلب، فبقي عنده مدة أدخله فيها الخلوة ولقنه أسماء الطريق كلها، وأجاز له بالبيعة وأقامه خليفة، وفي سنة 1148هـ قصد القسطنطينية، وبعدئذ توجه بالبحر إلى الإسكندرية، ومنها إلى القاهرة، ورجع إلى بيت المقدس، وبقي حتى موعد الحج من السنة التالية، فحج ورجع إلى دمشق، وكان واليها الوزير سليمان باشا العظم، فتلقاه وجوه أهلها قرب الخانقاه السميساطية، ثم رحل إلى ديار بكر، وأقام بها مدة، وتوجه بعدها إلى نابلس، فنزل بها زمنا، ثم قصد بيت المقدس، ومكث به مدّة إلى أن سافر إلى مصر واستأجر داراً قرب الجامع الأزهر، وأقبل على الإرشاد في البلدان حتى حان موعد الحج، وفي مصر أخذ المترجم عن الشيخ محمد بن عقيلة والشيخ أحمد النخلي والشيخ عبد الله البصري، وأجازوا له، وأخذ الطريقة النقشبندنية عن الشيخ مراد المرادي النقشبندي ولقنه الذكر ودعا له.

وقد ترجم له الشيخ إسماعيل بن يوسف النبهاني في كتابه"جامع كرامات الأولياء" فقال: (قال عنه الجبرتي: هو الأستاذ الأعظم، قدوة السالكين، وشيخ الطريقة والحقيقة ومربي المريدين الإمام المسلك الخلوتي. لما ارتحل إلى إسلام بول لبس فيها ثياب الخمول، ومكث فيها سنة لم يؤذن له بارتحال ولم يدر كيف الحال، فلما كان آخر السنة قام ليلة فصلى على عادته من التهجد، ثم جلس لقراءة الورد السحري، فأحب أن تكون روحانية النبي ﷺ في ذلك المجلس، ثم روحانية خلفائه الأربعة والأئمة الأربعة والأقطاب الأربعة والملائكة الأربعة، فبينما هو في أثنائه إذ دخل عليه رجل فشمر عن أذياله كأنه يتخطى أناسا في المجلس حتى انتهى إلى موضع فجلس فيه، ثم لما تم الورد قام ذلك الرجل فسلم عليه ثم قال: ماذا صنعت يا مصطفى؟ فقال له: ما صنعت شيئا! فقال له: ألم ترني أتخطى الناس؟ قال: بلى إنما وقع لي أني أحببت أن تكون روحانية من ذكرناهم حاضرة، فقال له: لم يتخلف أحد ممن أردت حضوره، وما أتيتك إلا بدعوة، والآن أذن لي في الرحيل وحصل الفتح والمدد، والرجل المذكور هو الولي الصوفي السني محمد التافلاتي؛ ومتى عبر السيد في كتبه بالوالد فهو السيد محمد المذكور. وقد رأى سيدي مصطفى البكري النبي ﷺ وقال له: من أين لك هذا المدد؟ فقال: منك يا رسول الله، فأشار أن نعم. ولقي الخضر عليه السلام ثلاث مرات. وعرضت عليه قطبانية المشرق فلم يرضها. وله مؤلفات نافعة كثيرة، وقد أحيا الطريقة الخلوتية ولم ير أحد من عصره إلى الآن من مشايخها نظيره.

وقال المرادي في « سلك الدرر»: مصطفى البكري بن كمال الدين بن علي بن

كمال الدين بن عبد القادر محيي الدين الصديقي الحنفي الدمشقي البكري الأستاذ الكبير، والعارف الرباني الشهير، صاحب الكشف، والواحد المعدود بألف، صاحب العوارف والمعارف والتآليف والتحريرات والآثار التي اشتهرت شرقا وغربا، وبعد صيتها في الناس عجما وعربا، أحد أفراد الزمان من العلماء الأعلام والأولياء العظام، العالم العلامة الأوحد أبو المعارف قطب الدين. ولد بدمشق عام 1089 ونشأ يتيما (...) وسافر إلى بلاد كثيرة منها القسطنطينية وبلاد الروم والعراق وحلب والموصل وبلاد الشام ولبنان وبغداد والقدس ومصر والحجاز، وفي كل هذه البلاد انتشرت عنه الطريق وعم الإرشاد وزار من فيها من الأولياء أحياء وأمواتا، وأقام في القدس مدة طويلة ولم يترك التأليف سفرا وحضرا، وأخذ العهد العام على جميع طوائف الجن أن لا يؤذوا أحدا من مريديه الذين أخذوا عنه أو عن ذريته بمشهد كان فيه السيد محمد التافلاتي مفتي القدس وغيره من المريدين وأخذ عنه خلائق كثيرون، ومن الجن سبعة ملوك وأسماؤهم محررة في بعض مؤلفاته. ولما توجه إلى مصر تلقاه الأستاذ الحفني أعظم خلفائه، ومعه خلائق كثيرون من علماء مصر ووجوه أهلها، وأفرد له دارا وأقام هناك مقبلا على الإرشاد والناس يهرعون إليه مزدحمين عليه.

ومن كراماته التي لا تعد ولا تحصى: أن مصرفه كان مثل مصرف أكبر من يكون من أرباب الثروة وأهل الدنيا، ولم تكن له جهة معلومة يدخل منها ما يفي بأدنى مصرف من مصارفه، ولكن بيده مفتاح التوكل لكنز« هذا عطاؤنا ».

قال المرادي: وقد أفرد ترجمته بكتاب ولده شيخنا أبو الفتوح محمد كمال الدين البكري سماه « التلخيصات البكرية في ترجمة خلاصة البكرية » بث فيه بعض مزاياه الجميلة، وما كان عليه من الأحوال الجليلة. وله من الخلفاء الذين توفي وهو عنهم راض ما ينوف على عشرين خليفة من أهل الأسرار والأنوار، واستيفاء الكلام على أحواله الشريفة يكاد أن يعد من المحال. وبالجملة فقد كان رحمه الله ورضي عنه من أفراد العالم علما وعملا وزهدا وورعا وولاية، انتهى ما نقلته من تاريخ المرادي باختصار وتقديم وتأخير.

وقال المفتي الفاضل الشيخ حسن بن علي شمة الفوي المكي ثم المصري في كتابه الذي ألفه في مناقب شيخه الحفني أعظم خلفاء سيدي مصطفى البكري وعنوانه: «منتهى العبارات في ما للأستاذ الحفني من الكرامات» أخبرني أستاذي عنه: أي عن شيخه السيد مصطفى البكري، أنه جمع مناقب نفسه في مؤلف بلغ نحو أربعين كراسا تسويدا في الكامل ولم يتم. قال: وأخبرني من أثق به أنه كان إذا مشى على أرض فرش له بساط من نور يمشي عليه، حتى سار مع بعض أولياء عصره مرة، فخلع ذلك الولي

نعله فقال: لم فعلت ذلك؟ قال: أستحي أن أمشي على بساط كرامتك بنعلي. وكان أكرم من السيل وأمضى في السر من السيف، وأوتي مفاتيح العلوم كلها حتى أذعن له أولياء عصره ومحققوه في مشارق الأرض ومغاربها، وأخذ على رؤساء الجن العهود وعم مدده سائر الوجود، وسمعت أستاذنا، يعني القطب الحفني يقول بعد وفاته: إني أود الآن لو كان أستاذنا الصديقي حيا وأكون خادما له فقط وأحظى بلثم أعتابه قال: ثم حج مولانا السيد الصديقي عام إحدى واثنتين، وعاد من الحجاز إلى القاهرة فمرض عقب دخوله مدة شهر، فحان مولد السيد البدوي، فأراد الشيخ أستاذنا الحنفي أن يتخلف عن الذهاب إليه لأجل السيد، فأشار إليه بعدم التخلف، فتوجه أستاذنا إلى المولد الشريف، فتوفي السيد الصديقي وهو في المولد ليلة الثاني عشر من شهر ربيع الثاني عام 1162، ودفن بالقرافة الكبرى خارج القاهرة، وقبره ثم مشهور، بزيارته تضاعف الأجور، وقد عمل له أستاذي في شهر شعبان من هذا العام مولدا عظيما شدت إليه الرحال، وحطت لديه الأثقال، وتطاولت دونه الآمال.

وبالجملة فمناقب هذا السيد الجليل تجل عن التعدد، انتهى كلام الشيخ حسن شمة باختصار.

ومن أعظم كراماته: كثرة مؤلفاته نظما ونثرا مع اشتغاله بالطريق والأسفار في الأقطار وأنواع العبادات والاجتماعات مع الناس. قال الشيخ حسن شمة: وتآليفه تقارب المائتين وأحزابه وأوراده أكثر من ستين. قال المرادي: وألف مؤلفات نافعة، ومنها: شرحه على الهمزية، وشرحه على ورد الوسائل، وشرحه على حزب الإمام الشعراني، وشرحه على قصيدة المنفرجة لأبي عبد الله النحوي، وشرحه على قصيدة الإمام أبي حامد الغزالي التي أولها:

الشدة أودت بالمهج — يا رب فعجل بالفرج

وشرحه على بيت من تائية ابن الفارض، وله اثنتا عشرة مقامة واثنتا عشرة رحلة، وسبعة دواوين شعرية، وألفية في التصوف، وتسعة أراجيز في علوم الطريقة، ورسالة سماها تبريد وقيد الجمر في ترجمة الشيخ مصطفى بن عمرو. ومرهم الفؤاد الشجي في ذكر يسير من مآثر شيخنا الدكدكجي. والمنهل العذب السائغ لوراده في ذكر صلوات الطريق وأوراده. والروضات العرشية على الصلوات المشيشية. وكروم عريش التهاني في الكلام على صلوات ابن مشيش الداني. وفيض القدوس السلام على صلوات سيدي عبد السلام، واللمحات الرافعات غواشي التدهيش عن معاني صلوات ابن مشيش، والورد السحري الذي شاع وذاع وعمت بركاته البقاع وصار وردا لا يضاهى وحقائقه لا تتناهى، وشهرته تغني عن الوصف والتحرير، ومعانيه ومزاياه لا

تحصيها أقلام التحبير، وشرح إحداهما سماه « الضياء الشمسي على الفتح القدسي » في مجلدين ضخمين. والثاني رفيع المعاني سماه « اللمح الندسي على الفتح القدسي » والثالث الذي لكشف أسراره باعث « المنح الأنسي على الفتح القدسي » ومن مؤلفاته: السيوف الحداد في الرد على أهل الزندقة والإلحاد. والفرق المؤذن بالطرب في الفرق بين العجم والعرب. وهذان التأليفان من أعجب العجاب لمن كشف له النقاب، فمن أراد فليراجعهما ففيهما ما تشتهيه القلوب وما تشتاقه من كل مطلوب ومرغوب. والوصية الجنية للسالكين في طريق الخلوتية. والنصيحة الجنية في معرفة آداب كسوة الخلوتية. والحواشي السنية على الوصية الحلبية. وبلوغ المرام في خلوتية الشام. ونظم القلادة في معرفة كيفية إجلاس المريد على السجادة. وله في الحقيقة مقامات: الأولى المقامة الرومية والمدامة الروية. والثانية المقامات العراقية والمدامة الإشراقية. والثالثة المقامة الشامية والمدامة الشافية. والرابعة الصمصامة الهندية في المقامة الهندية. وهي أغنى هذه المقامات في أعلى مقام البلاغة والفصاحة. وبلغة المريد ومنتهى موقف السعيد نظما. وألفية في التصوف، وكل ذلك في آداب الطريقة العلية.

ومن تآليفه رضي الله عنه: تشييد المكانة لمن حفظ الأمانة. وتسلية الأحزان وتصلية الأشجان. ورشف قناني الصفا في الكشف عن معاني التصوف والمتصوف. والصفاء والمدام البكر في بعض أقسام الذكر. والثغر البسام فيمن يجهل من نفسه المقام. والكأس الرائق في سبب اختلاف الطرائق. والتواصي بالصبر والحق امتثالا لأمر الحق. والوارد الطارق واللمح الفارق. والهدية الندية للأمة المحمدية. والموارد البهية في الحكم الإلهية على الحروف المعجمة الشهية. وجمع الموارد من كل شارد. والكمالات الخواطر على الضمير والخاطر. والجواب الشافي واللباب الكافي. وجريدة المآرب وخريدة كل سارب شارب. وهدية الأحباب فيما للخلوة من الشروط والآداب. والكوكب المحمي من اللمس بشرح قصيدة الجيلي سلاف تريك الشمس. ورسالة الصحبة التي انتخبتها الخدمة والمحبة. ورسالة في روضة الوجود. ورفع الستر والرداء عن قول العارف أروم وقد طال المدى. وأرجوزة الأمثال الميدانية في الرتبة الكيانية. والمطلب الروي على حزب الإمام النووي. وله شرح على ورد الشيخ أحمد العسالي. وشرح على رسالة سيدي الشيخ أرسلان، والبسط التام في نظم رسالة السيوطي المقدام. وله: الدر الفائق في الصلاة على أشرف الخلائق. والفيوضات البكرية على الصلوات البكرية لسيدي محمد البكري الكبير. والصلاة الهامعة بمحبة الخلفاء الجامعة. ونيل الوفا على صلوات سيدي علي وفا. والمدد البكري على صلوات

البكري، صلوات أخرى غير السابقة لسيدي محمد البكري. والهبات الأنورية على الصلوات الأكبرية لسيدي محيي الدين بن العربي، واللمح الندية في الصلوات المهدية، والنوافع القريبية الكاشفة عن خصائص الذات المهدية. والهدية الندية للأمة المحمدية فيما جاء في فضل الذات المهدية. وله رضي الله عنه: نظم أحاديث نبوية ومقدمة أربعين حديثا وخاتمة سنية. والأربعون الموروثة الأنتباه فيما يقال عند الانتباه. وله رضي الله عنه: تفريج الهموم وتفريق الغموم في الرحلة إلى بلاد الروم. والخمرة المحسية في الرحلة القدسية والحلة الذهبية في الرحلة الحلبية والحلة المغنية. رسوم الهموم والغموم في الرحلة الثانية إلى بلاد الروم. والثانية الإنسية في الرحلة القدسية. وكشط الصدا وغسل الران في زيارة العراق وما والاها من البلدان. والفيض الجليل في أراضي الخليل والنحلة النصرية في الرحلة المصرية وبرء الأسقام في زمزم والمقام. ورد الإحسان في الرحلة إلى جبل لبنان. ولمع برق المقامات العوال في زيارة سيدي حسن الراعي وولده عبد العال. وله رضي الله عنه بهجة الأذكياء في التوسل بالمشهور من الأنبياء. والابتهالات السامية والدعوات النامية. والورد المسمى بالتوجه الوافي والمنهل الصافي. والتوسلات المعظمة بالحروف المعجمة. والفيض الوافر والمدد السافر في ورود المسافر. والورد الأسنى في التوسل بأسمائه الحسنى. وسبيل النجاء والإلتجاء في التوسل بحروف الهجاء. وأوراد الأيام السبعة ولياليها.

وقد ترجم رضي الله عنه كثيرا من مشايخه وممن اجتمع عليهم. فمن ذلك: الكوكب الثاقب فيما لشيخنا من المناقب. والثغر الباسم في ترجمة الشيخ قاسم. والفتح الطري الجني في بعض مآثر شيخنا عبد الغني. والصراط القويم في ترجمة الشيخ عبد الكريم. والدرر المنتشرات في الحضرات العندية في الغرر المبشرات بالذات العبدية المحمدية. وله ديوان الروح والأرواح. وله عوارف الجواد التي لم يطرقهن طارق، قد أبدع فيه وأغرب، وجعله مبنيا على ذكر حاله ووقائعه من ابتدائه إلى انتهائه على طريقة الإجمال، هذا ما وقفت عليه ووصل سمعي إليه، وله غير ذلك من التآليف، انتهى ما ذكره المرادي من تآليفه.

يقول جامعه الفقير يوسف النبهاني عفا الله عنه: وقد وقفت على كثير من مؤلفاته رضي الله عنه ولله الحمد، ورأيت منها بخطه الشريف المقامة الرومية وعليها تقريظ بخط ناظمه العلامة الشيخ يوسف الحفني صاحب حاشية الأشموني، وهو أخو الأستاذ الحفني الشهير، وهذا هو التقريظ:

تقـول مقامـات الحريـري أن رأت ... مقامة هـذا القطب كالكوكب الدري
تـضاءل قـدري عـندها ولطائفـي ... وأيـن ثـرى الأقـدام مـن أنفس الـدر

فهـذي لأهـل الظـرف تـبدي ظـرائفا ... وللواصـل المـشتاق مـن أعظـم الـسر
فكـــيف ومنـــشيها فـــريد زمانـــه ... أجـل همـام قـال نـوديت فـي سـر

ورأيت خطه الشريف رضي الله عنه على كتب أخرى له من تأليفه موجودة الآن في القدس الشريف عند آل أبي السعود، الذي أوقف كتبه في حياته من مؤلفاته وغيرها، ووضعها في زاويتهم في جوار المسجد الأقصى، وقد ضاع أكثرها الآن ولم يبق منها إلا القليل في أيدي بعضهم. وعندي من تأليفاته عدة كتب مما ذكره المرادي ومما لم يذكره، ومن جملتها: شرح حزب النووي، وعليه خطه الشريف في آخره إجازة لمالكه، وهذه عبارته بنصها: بسم الله الرحمان الرحيم الحمد لله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم وبعد: فقد أجزت مالك هذا الكتاب الشيخ محمد به وبأصله المشروح، وبما لنا من أوراد وأذكار وصلوات على النبي المختار، وقال ذلك ورقمه العبد الفقير إليه تعالى مصطفى سبط آل الحسنين الأحسنين الصديقي عفا الله عنه بمنه وكرمه آمين اهـ.

وقد أحببت أن أنقل هنا فوائد تتعلق بسيدي مصطفى البكري من كتابه «السيوف الحداد في أعناق أهل الزندقة والإلحاد» وعنى بهم الذين يزعمون أنهم من الصوفية ولا يتقيدون بالأحكام الشرعية، قال رضي الله عنه: قال سيدي علي بن علوان: (يعني الحموي رضي الله عنه) في كتابه المسمى ب: (مصباح الهداية ومفتاح الولاية) وليرغب أي العالم التلامذة في علم السلوك والطريقة والحقيقة بعد ضبط الشريعة، وإلا فالحقيقة بدون الشريعة زندقة، شاهدنا ذلك وخبرناه، بل المرشد الصادق أول ما يندب المريدين إلى أحكام الشرع، وضبطه، وتطهير النفس وتصفية القلب وصقله بدوام الذكر والمجاهدة، فإذا تجلت الحقيقة فيه بعد ذلك كان نورا على نور، وإن لم يفتح له في الحقيقة فهو على ساحل السلامة في بر الشريعة ورياض الطريقة، والمتحقق قبل الشرع وحفظه قولا وفعلا هو إلى الزندقة أقرب، إلا أن يكون مجذوبا جذبة ربانية فيصير حينئذ في طور لا يعرفه إلا من شهده، وشاهد ذلك قصة الخضر مع موسى عليهما الصلاة والسلام كما تضمنها الكتاب العزيز والسنة، ولكن ها هنا مزلة الأقدام وموطن الدعاوي والغلط، وصح في الحديث النبوي الذي رواه الشيخان: (التشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور) وصح: (من ادعى دعوى كاذبة ليتكثر بها لم يزده الله عز وجلّ إلاّ قلة) رواه مسلم.

وأقول: ومما أدركته ذوقا في نفسي أني إذا نمت على غير طهارة أرى نفسي في تعب وعناء وأماكن خربة وأمور مكدرة، وإذا نمت على الهيئة المسنونة أرى نفسي في

بسط وسرور ومحلات نزيهة، حتى أني إذا عجزت عن الوضوء لغلبة نعاس أو شدة برد أتيمم، وإن تركته ونمت فكذلك، وكثيرا ما يتفق لي إذا احتجت اغتسالا ونمت قبله على غير طهارة أوتيمم رأيت أمور مهولة تزعجني وربما استفقت منها.

ومن ذلك أني أجد عندي نشاطا ما دمت على طهارة فإذا أحدثت ولم أتوضأ أجد في باطني ضيقا وقبضا، وكذلك إذا فاتني قيام ليلة أجد تغيرا في باطني في ذلك اليوم ولا أعلم له سببا إلا عدم القيام مع أنه لاصنع لي فيه.

ومما أشاهده في نفسي إذا مرّ عليّ وقت وكان الاشتغال فيه بالله تعالى أكثر من الغفلة عنه، حصول انفساح وانشراح في قلبي لا يعبر عنه لساني لأنه أمر وجداني، ويتفق لي إذا غلبني النوم قبل صلاة العشاء، وهذا الوقت يكره فيه النوم فأحس بشيء لين يضرب في وجهي فأستفيق من ذلك، وأعد مثل هذا وما شاكله من نعم الله على عبده.

ومما أشاهد تأثيره في القلب المطعم بالحرام، فإنه يحدث ظلمة وغشاوة في القلب لاتزول إلا بمجاهدة من حبس النفس وإشغال القلب بالذكر وإيقاد نار الخوف من الله فيه والشوق الذي يصفيه، وأكثر أهل الطريق إذا أحسوا بثقله في قلوبهم يستدعون القيء كما فعل الصّديق رضي الله عنه، وربما ادّعى هؤلاء الرعاع أن قلوبهم كالبحر لايعكرها الدلاء مع نص أهل الطريق أن ظلمة الحرام تؤثر في قلب كل أحد على حسب مقامه حتى القطب، وفعل الصّديق من أقطع حجّة وأرفع محجّة. ومما نشاهده في نفوسنا إذا وقعت منا هفوة كغيبة أو أذية أحد ولو بالقلب، اختلاف سير القلب وانقباضه وجموده وضيقه حتى كأنه بين جبلين انطبقا عليه وكلما عظمت المعصية عظم الكرب واشتد البلاء، هذا مع سرعة المبادرة للتوبة والاستغفار والاعتراف بالجرم وعدم الإصرار، لكن هذا من لطف الله بعبده حتى ينتبه وينزجر عن المعاصي، ولا يغتر بأناس أماتت الذنوب قلوبهم واستولت عليها، فلا يحسون بقسوة ولا يدركون أثر هفوة.

جاء في الحديث الشريف: (إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتت سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه، وهو الرّان الذي ذكر الله ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المطففين: 14] رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي وغيرهم عن أبي هريرة.

ومما نشاهده إذا أقمنا صلاة كما ينبغي لها نجد لها في القلب نوراً عظيماً حتى نرى الالتفات في الصلاة يضعف تأثيرها لما في الحديث: (إياكم والالتفات في الصلاة

فإنها هلكة) وفيه أيضاً (ما التفت عبد قط في صلاته إلا قال له ربه: أين تلتفت يا ابن آدم؟ أنا خير لك مما تلتفت إليه) وفي رواية: (لا تلتفتوا في صلاتكم فإنه لا صلاة لملتفت) إلى غير ذلك.

والحاصل أن كل عمل من أعمال الشريعة المطهرة يجد العامل به نورا أو سرورا، ويورثه قربة أو حضورا، ويكشف الحق له به عن قلبه ستورا، ومن أخل بآدابها ولم يعتصم بأسبابها وادّعى وصولاً فهو صادق، لكن إلى سقر، أو حصولاً فكذلك لكن على صفات البقر، ولا يحتاج الموفق إلى العيان والوجدان إلى دليل ظاهر أو برهان، فليس بعد العشية من عرار، ولا بعد عبادان من دار، فإن التمسك بالشريعة الغرّاء أعظم بركة من نخلة مريم، وأطيب من عطر منشم. وإياك أن تفرّق جمع قلبك على الحق بصحبة هذه الفرقة الزنادقة الأسافل، وتمسك بحبل الله المتين والزم حمى الفرائض والنوافل، فما بعد هدي المصطفى وشريعته المستنيرة حيرة، ولا بعد سيرته العلية وسيرة العمرين والأصحاب سيرة، لكن الأمر كما قال الله تعالى في كتابه الذي هدى به من اهتدى ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ [الكهف: 17] انتهى كلام سيدي مصطفى البكري باختصار وتصرّف قليل.

ثم قال: ومما استزلهم به الشيطان حتى أوقعهم في شبكة الخسران ادعاؤهم أن الشيطان ليس له عليهم سبيل، وكيف يركن من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان إلى أباطيل زخارف الشيطان بعد قول الله تعالى في كتابه الكريم وخطابه العظيم: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر: 6]، وذكر غير ذلك من الآيات والفوائد النافعات، ثم قال: ورأيت في بدء سلوكي على يد شيخنا الشيخ عبد اللطيف رحمه الله تعالى أني في مكان متسع فيه عرائش عنب كثيرة وخلق كثير، وكأني مشغول في الذكر غير ملتفت لما هم فيه، ورأيت شخصا دميما قصيرا على رأسه طنطور وفي يده ثلاثة جواهر، فوضعهن ما بين تلك العرائش ونادى في أولئك الأقوام: من وجد منكم هذه الجواهر أعطيته كذا وكذا دينار، فابتدر أولئك الأقوام يبحثون في تلك العرائش فلم يجدوا شيئا، فرفعت طرفي فرأيت الجواهر فأخذتها وطلبت منه الجعل فأبى، فرأيت في حجره دنانير فأخذت منها وانصرفت، فتبعني فالتفتّ إليه وصرت أقول: الله الله، وهو يدور ويصغر حتى فني، فانصرفت إلى قصر البناء فتبعني أيضا، فقلت: قد أتيت إلى هنا ثم إني توجهت إليه بهمة وعزمة وصرت أقول: الله الله، وهو يصغر ويذوب مع الدوران حتى لم يبق له أثر، ثم زدت في الذكر حتى تحققت انعدامه ونزلت من القصر فرأيت سلما يقابل السلم

الذي نزلت عنه، ورأيت على أول درجة منه أشرف الخلق ﷺ فتبعته، وصار كلما علا درجة صعدت خلفه، حتى أتينا متسع السلم فغاب عني هناك، وفسر لي الشيخ رحمه الله تعالى الجواهر بتوحيد الأفعال، والأسماء والصفات والدنانير بحقائق عرفانية، وذوبانه بالذكر قال: هو تصاغره بظهور عظمة المذكور، ثم السلم الأول هو السير بالهوى، والثاني بالاتباع للقدم المحمدي. ولا أمان منه لعنه الله إلاّ بعد حلول دار الأمان.

ثم ذكر فوائد مهمة، وأثنى على سيدي محي الدين بن العربي بما هو أهله، ونقل الثناء عليه عن غيره من العارفين، ومنهم من ألف الكتب المستقلة في ذلك، منها كتابان لشيخه العارف النابلسي أحدهما (الرد المتين على منتقص العارف محيي الدين) والثاني: رسالة سمّاها (السر المختبي في ضريح ابن عربي). انتهى كلام النبهاني.

خلف الشيخ البكري عددا كبيرا من الأتباع، حتى قيل أن عددهم بلغ مائة ألف، ولما توفي رثاه العديد من تلاميذه وأصحابه كالشيخ يوسف الحفني (ت: 1178) والشيخ محمد مصطفى أسعد اللقيمي (1105-1178هـ). ومن خلفائه ابنه محمد (1143-1196) وهو صوفي فقيه شاعر وله شروح على بعض مؤلفات والده منها كتاب: "الجوهر الفريد في حل بلغة المريد". وقد كتبت تآليف في ترجمة الشيخ البكري، من آخرها كتاب الدكتور كرم أمين أبو كرم المطبوع بأبو ظبي سنة 2003 م وعنوانه: "الشيخ مصطفى البكري – فلسفته الصوفية ورسائله".

بعض مشاهير خلفاء الشيخ مصطفى البكري

من أكبر خلفاء الشيخ مصطفى البكري في مصر ناشر الطريقة في المشرق والمغرب المحدث الشهير شيخ الإسلام محمد بن سالم الحفناوي – أو الحفني – (ت: 1181هـ). وقد خلف بدوره شيوخا مربين أعلاما ساهموا في توسيع الخلوتية في الشرق الأوسط وفي بلدان المغرب الإسلامي، وقد ذكر تراجم بعضهم الجبرتي في تاريخه، والشيخ محمد بن مخلوف في كتابه " شجرة النور الزكية في طبقات المالكية"، والشيخ عبد الحي الكتاني في (فهرس الفهارس والأثبات)، وغيرهما من كتب تراجم علماء وشيوخ القرون الثلاثة الأخيرة. يقول الكتاني عنه ملخصا:

[هو شيخ الإسلام بالديار المصرية وأشهر المشاهير بالديار المشرقية شمس الدين محمد بن سالم الحفني الشافعي الأزهري، محشي (الجامع الصغير)، وشارح الهمزية لابن حجر، وصاحب (الثمرة البهية في أسماء الصحابة البدرية). هذا الرجل وقع له من القبول في عصره في جميع الأقطار الإسلامية ما لم يحصل لغيره.

واستجازه من أعلام المغرب مكاتبة العدد العديد كالقادري صاحب " النشر"، وأبي حفص الفاسي، وأبي عبد الله محمد الجنوي، دون من أخذ منه شفاها بمصر كالهلالي والشيخ بناني والحضيكي والزيادي. ومن أشهر من أخذ عنه من رجال الطريق بالمغرب: العارف الشهير: مولاي أحمد الصقلي دفين زاويته بالبليدة في فاس، والمعمر السيد عبد الوهاب التازي، والشيخ محمد بن عبد الرحمان الزواوي الجزائري (إمام الطريقة الخلوتية الرحمانية)... وقد ترجم له تلميذه بالمكاتبة الشمس محمد بن الطيب القادري في (نشر المثاني) الكبير والصغير وفي (التقاط الدرر)، وأبو السعود الزيادي في رحلته الحجازية، وأخوه أبو عبد الله محمد في (سلوك الطريق الوارية)، وهما ممن أخذ عنه بمصر، والشيخ أبو الحسن علي الورتلاني الزواوي في رحلته. وممن أفرد ترجمته بالتأليف تلميذه الشمس محمد الفوي. وانظر (عجائب الآثار) للجبرتي، و (سلك الدرر) للمرادي، وثبت ابن عابدين، ومعجم الحافظ مرتضى الزبيدي] انتهى. ينظر أيضا طرفا من ترجمته في (جامع كرامات الأولياء) لإسماعيل بن يوسف النبهاني.

ومن مشاهير خلفاء الشيخين الحفناوي والبكري الأستاذ المربي العارف محمود بن أبي زيد الكردي الكوراني (ت: 1195) الذي نشر الطريقة في الشام ومصر، وعلى يديه تربى مؤسس الطريقة التجانية الجزائري دفين زاويته بفاس الشيخ الشهير أحمد التجاني (1150-1230) حسبما هو ثابت في كتاب "جواهر المعاني" لعلي حرازم تلميذ الشيخ التجاني. وقد ظهر الشيخ التجاني بمشيخة التربية سنة 1196 أي مباشرة إثر وفاة شيخه المذكور. وفي المدينة المنورة أخذ الشيخ التجاني أيضا بعض الأوراد عن الشيخ الخلوتي القطب السمان خليفة البكري، وذلك سنة 1186هـ.

ومن تلاميذ الشيخ الحفناوي الشيخ محمد الحفني المعروف بالمهدي. كان عالما فاضلا فقيها. ولد في مصر سنة 1150 هـ من والدين قبطيين وكان اسمه هبة الله. أسلم وهو صغير دون البلوغ على يد الشيخ الحفناوي. واشتغل بالعلم حتى نال منه الحظ الأوفر، ودرس في الأزهر، إلى أن صارت إليه رتبة شيخ الإسلام سنة 1227، وله تآليف، وتوفي سنة 1230 هـ.

ومن خلفاء الشيخ مصطفى البكري في مصر من وصفه الشيخ عبد الحي الكتاني في "فهرس الفهارس" بقوله: ملخصا [هو شيخ الإسلام بالديار المصرية عبد الله بن حجازي بن إبراهيم الشرقاوي الأزهري الشافعي الخلوتي، ولد حدود 1150 ومات سنة 1227 (1812). له عدَّة مصنفات منها في الحديث: اختصار "الشمائل" وشرحه، وشرح تجريد أحاديث الصحيح للشرجي في ثلاث مجلدات مطبوع، وله تاريخ مصر،

وطبقات الشافعية، (وكتاب فتح المبدئ في شرح مختصر الزبيدي) وغير ذلك وله ثبت أتمه عام 1217 أجاز به عبد الله محمد الأمين بن جعفر السوسي السجلماسي وابن عمه السعيد أحمد بن محمد العربي، وأجاز به الأمين المذكور المسند أبا عبد الله محمد التهامي بن رحمون الفاسي].

وخلف الشرقاوي بدوره شيوخا مربين أقطابا للخلوتية من أشهرهم شيخ الجامع الأزهر الإمام أحمد بن علي بن أحمد الدمهوجي- نسبة إلى دمهوج قرية بنها العسل بمصر- (ت: 1246هـ)، والأخوان العارفان خليل الهجرسي زين الدين الشافعي ومحمد الحفناوي الهجرسي. ومن خلفائهم القطب عمر الشبراوي وأبو الفتوح محمد بن خليل الهجرسي (1195-1269) وشيخ الإسلام الحافظ الفقيه البرهان الباجوري والشيخ المبلط وغيرهم من أعيان العلماء.

وقد أخذ عن الشرقاوي أيضا بعض علماء بلدان المغرب الإسلامي. فالشيخ الجزائري الحافظ العلامة محمد بن أحمد الناصر أبو راس المعسكري (1150-1238) يذكر اجتماعه به وأخذه عنه في مصر في كتابه " فضل الله ومنته في التحدث بفضل الله ونعمته". ويذكر أيضا أخذه عن اثنين من أكابر العلماء الذين أخذوا عن أكبر خلفاء الشيخ مصطفى البكري في الحجاز وهو الشيخ محمد بن عبد الكريم السمان الذي سنعود لذكره لاحقا، فيقول عنهما ما خلاصته:

[منهم شيخنا شيخ الإسلام العارف الرباني محمد بن عبد الرحمان التلمساني قاضي تلمسان وعالمها. رحل إلى مصر في طلب العلم الظاهر والباطن، وأخذ عن الشيخ السمان ومحمود الكردي. سمعت من دروسه فوائد. ولحق بالحرمين الشريفين حتى اتاه اليقين. ومنهم العالم الأجل أحد رجال الطريقة، وينابيع الشريعة والحقيقة الشيخ عبد الرحمان التادلي (من المغرب) أصلا ونجارا، المكي منشأ ودارا ووفاة. قرأت عليه شرح الحكم العطائية لابن عباد وختمناه بمكة تحت ميزاب الرحمة في الحجر].

ومن خلفاء الشيخ مصطفى البكري في مصر أيضا الإمام المحدث المسند أحمد بن أحمد بن جمعة البجيرمي المتوفى سنة 1197هـ والذي قال عنه تلميذه المغربي الإمام ابن عبد السلام الناصري (ت: 1214هـ) في رحلته الكبرى: [هو والله من الزاهدين والأولياء العارفين].

ومن مدرسة الخلوتية بمصر في القرن الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر برز أعلام جمعوا بين الإمامة في الطريقة شيوخا مربين والتبحر في الشريعة، وبعضهم تولى مشيخة الأزهر. فكان من شيوخها القطب الشهاب أحمد بن محمد الدردير العدوي

المالكي الأزهري (1127-1201) وهو أحد المنسوب لهم التجديد على رأس المائة الثانية عشرة من المالكية، وصفه بذلك الشهاب المرجاني في "وفيات الأسلاف". ومن خلفائه الإمام المفسر المحشي على تفسير الجلالين أحمد الصاوي المتوفى بالمدينة المنورة سنة 1241هـ، والمربي الكبير أحمد السباعي، والعلامة مؤلف تفسير "الفتوحات الإلهية" سليمان الجمل (ت: 1204) والإمام المربي الشهير الشيخ عبد الله الشرقاوي الأزهري (ت: 1227) وعبد العليم الفيومي الأزهري الضرير، والشيخ حسين بن عبد اللطيف العمري الدمشقي الخلوتي (ت: 1216) ومن تآليفه في تراجم أسلافه: "المواهب الإحسانية في ترجمة الفاروق وذريته بني عبد الهادي".

ومن أعلام الخلوتية بالشام ومصر السيد عمر بن عمر بن محمد البكري اليافي المولد سنة 1173 الدمياطي الأصل، درس على شيوخ زمانه في يافا ومصر ثم عاد إلى غزّة وتجول في أنحاء الشام والحجاز، وله تآليف في التصوف والأدب وديوان شعر يشتمل على قصائد صوفية ووعظية وغيرها وتوفي بدمشق.

ومن علماء الخلوتية بمصر يذكر أيضا شيخ الإسلام إبراهيم البيجوري (1198-1277) له كتب كثيرة في مختلف العلوم واشتغل بالتدريس ثم انتهت إليه رئاسة الأزهر، وكان عباس باشا خديوي مصر يحضر دروسه بالأزهر. ومن هؤلآء الأزهريين الخلوتيين يذكر أيضا الشيخ عمر جعفر الشبراوي شارح « ورد السحر للبكري »و «ورد الستار ليحيى الباكوي».

ولا تزال إلى اليوم نواحي الصعيد ونواحي أسيوط بمصر معاقل للطريقة الخلوتية بفضل المجددين لها من العلماء الأعلام مثل الشيخ المربي الشهير الامام أحمد بن شرقاوي الذي تكلم عنه الاستاذ محمد عبده الحجاجي في مجلة منبر الإسلام – العدد 1 من السنة 31 المحرم 1393 فبراير 1973- في قسم (من أعلام تصوفنا المعاصر) حيث قال عنه ما خلاصته:

[هذا الاستاذ الامام كان صاحب أكبر مدرسة في الفكر الإسلامي والتربية الروحية شهدها صعيد مصر مع مطلع القرن الرابع عشر الهجري وامتدت آثارها حتى شملت كافة ربوع مصر، وتخرج فيها العديد من الذين كانوا بحق مصابيح هداية في مجتمعاتهم. وكان من أخلص أصحابه وعارفي فضله علماء الأزهر الشريف في زمنه الذين كانوا يجلونه. وقد شهد الامام محمد عبده بجهوده وإخلاصه في الدعوة إلى الله وكان ياخذه شغف لحضور حلقات درسه حينما كان يفد إلى القاهرة، وكان يقول عنه: (إنه من العلماء العاملين ومن بقايا شيوخ الطريق المخلصين). ولد في ناحية الدير من محافظة قنّا في ذي القعدة سنة 1250 هجرية (1824م). وبعد أن تمكن في حفظ

القرآن طلب العلم حتى رسخ في مختلف العلوم الدينية، ثم درس كتب التصوف ولازم العبادة والخلوة إلى أن اجتمع بمدينة طهطا بشيخ الطريقة الخلوتية العارف بالله السيد أحمد الخضيري الطهطاوي فسلك على يديه معارج الطريق إلى أن أذن له في حمل أعباء الدعوة وأمره بالإرشاد، وذلك في شعبان 1285 هـ، فكرس حياته لذلك واتخذ من مسقط رأسه الدير مقرا له ينتقل منها إلى مختلف مدن الصعيد وقراها. وسرعان ما أثمرت دعوته فقصده الداني والقاصي من كل صوب وحدب يهتدون بهديه ويتمسكون بتربيته، فكان بحق مجددا للطريقة الخلوتية بمصر. وقد كان من أشهر مريديه في الطريقة السيد يوسف الحجاجي الأقصري، والشيخ أحمد الطاهر الحامدي، والشيخ محمد حسنين مخلوف العدوي، والشيخ محمد بن محمد بن حامد المراغي، والعالم الأديب عبد الرحيم السيوطي. وقد توفي وهو مستغرق في الذكر في شهر ذي القعدة سنة 1216 هـ ودفن في بلدته الدير التي سميت بنجع ابن شرقاوي تيمنا به، وقد رثاه الكثيرون. وقد خلف الكثير من الأشعار والمؤلفات من أشهرها: "شمس التحقيق وعروة أهل التوفيق" وهو في التصوف والأخلاق، و" نصيحة الذاكرين وإرغام المكابرين " فيه مباحث عديدة في علوم الحقيقة والشريعة، و" المورد الرحماني " وهو منظومة في علمي التوحيد والتصوف، وله العديد من القصائد في الفضائل والحكم والأخلاق].

ومن أعلام الخلوتية في أسيوط في القرن الماضي الشيخ المربي الجليل السيد حسن أحمد الرفاعي المعروف بالهواري. ولد سنة 1841 في قرية بني عدي التي كانت ولا تزال من أعرق وأحفل معاقل العلم والتصوف في أسيوط. وبعد تمكنه من حفظ القرآن بالروايات العشر أتقن علم القراءات وتفنن فيه، ثم استكمل دراسته بالأزهر وعاد إلى أسيوط حيث لازم الشيخ علي عبد الحق القوصي (ت: 1877 وقد جاوز التسعين من عمره) الذي كان قد أخذ الطريق في الحجاز عن إمام الطريقة الإدريسية الشيخ أحمد بن إدريس كما اجتمع بخليفته إمام الطريقة السنوسية السيد محمد السنوسي في الجبل الأخضر ببرقة، وقد أجاز الشيخ حسن الهواري بمروياته وأسانيده خصوصا في الحديث الشريف. أخذ الشيخ الهواري الطريقة الخلوتية عن العلامة الشيخ محمد الحداد العدوي، ثم تصدر في بلدته لنشر العلم والتربية الروحية، فنبغ على يده كثير من العلماء منهم الشيخ محمد حسنين العدوي والشيخ أحمد نصر العدوي، والشيخ أحمد خراش العدوي، والشيخ علي يوسف صاحب "جريدة المؤيد"، والشيخ مهران المنقبادي، والشيخ عبد الهادي مخلوف العدوي، والشيخ علي الهواري العدوي، والشيخ أحمد الدردير العدوي، والإمام الشهير العلامة السيد محمد بن

البشير بن محمد حسن ظافر المدني مؤلف كتاب " اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب أهل المدينة" الذي فرغ منه سنة 1329 هـ. ولكثرة انشغال الشيخ الهواري بالتدريس لم يصنف سوى كتاب واحد عنوانه: "فتح الجليل بذكر طرف مما يتعلق بالتنزيل" وقد قرظه كثير من علماء الأزهر كالرفاعي والبشري والنواوي والحامدي والجزاوي وغيرهم.

ومنهم الشيخ حسن رضوان الصعيدي الذي لقنها لشيخ لبنان الشهير صاحب التآليف الكثيرة حول الشمائل المحمدية وغيرها الشاعر القاضي يوسف بن إسماعيل النبهاني (ت: 1333)، وبعدهم أمثال الشيخ الشهير أحمد الطيب الحسني (ت: 1373 هـ / 1954م) وخلفاؤه من ذريته ومنهم شيخها الأكبر في صعيد مصر الآن (أي عام 1424هـ) وأخوه الآن هو العلامة شيخ الأزهر ومفتي جمهورية مصر سابقا السيد أحمد الطيب المعروف بدراساته حول الشيخ الأكبر ابن العربي، وكذلك أمثال الشيخ أحمد الشرقاوي (ت: 1380 / 1961م) وأحمد رضوان، وموسى علي محمود (ت: 1408 / 1988) وغيرهم من أعلام العلماء.

ولمزيد من التعريف ببعض أولئك الشيوخ الأعلام، نورد ما ذكره في ترجمتهم العلامة التونسي الشيخ ابن مخلوف مؤلف " شجرة النور الزكية ":

1- [أبو زيد عبد الرحمن بن حسين بن عمر الاجهوري سبط القطب الحضيري، العلامة المفضال العمدة المحقق المؤلف الرحال. كان أديبا متقنا للعربية والأصول والقراءات. أخذ علم الأداء عن جماعة منهم شمس الدين السجاعي وعبد الله بن محمد القسنطيني حين ورد مصر حاجا، وأخذ العلوم عن الشبراوي والعماري وأحمد النفراوي وعبد الوهاب الطندقاوي والشمس الحفني وأخيه يوسف والمولوي. وسمع الحديث عن الشيخ محمد الدفري والشيخ أحمد الصباغ ومحمد الدقاق، وأجازه الجوهري في الأحزاب الشاذلية وكذا الشيخ يوسف بن ناصر. وأجازه الشيخ مصطفى البكري بالخلوتية والأوراد السرية. ودخل الشام فسمع الأولية على الشيخ اسماعيل العجلوني والحديث، وأخذ فن القراءات عن الشيخ مصطفى الخليجي. ودخل حلب فسمع من جماعة، وعاد لمصر فحضر على الشيخ البليدي وكان يعتني به ويعترف بمقامه. ودرس بالأزهر عدّة من أنواع الفنون، وله سليقة تامة في الشعر، وله مؤلفات منها: الملتاذ في الأربعة الشواذ، ورسالة في وصف أعضاء المحجوب نظما ونثرا، وله شرحان على تشنيف السمع ببعض لطائف الوضع للشيخ العيدروسي، قرض عليها علماء عصره، وكتب على الجامع الصغير تقارير مبتكرة ما لو جمعت لكانت شرحا حسنا، ولـمّا شرح الشيخ محمد مرتضى القاموس كتب عليه تقريظاً حسنا نظما ونثرا،

ولا زال يملي ويفيد ويدرس ويجيد حتى توفي في رجب سنة 1198.]

2- [أبو البركات أحمد ابن الشيخ الصالح محمد العدوي الأزهري الخلوتي الشهير بالدردير، الامام العلامة النحرير العارف بالله القطب الكبير أوحد وقته في العلوم النقلية والفنون العقلية شيخ الإسلام وبركة الأنام، أخذ عن الشيخ الصعيدي لازمه وانتفع به وبه تفقه وبالشيخ أحمد الصباغ، وأخذ عن المولوي والحفني وبه تخرج في طريق القوم وصار من أكبر خلفائه في الخلوتية. وعنه أخذ جلّة منهم الدسوقي والعقباوي والصاوي والسباعي وجماعة، أفتى في حياة شيوخه مع كمال الصيانة والزهد والفقه والديانة وارتقى حتى تولى الفتيا، بل صار شيخا على أهل مصر بأسرها في وقته حسّا ومعنى، فإنه كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويصدع بالحق ولا تأخذه في الله لومة لائم، وله في السعي على الخير يد بيضاء. وله مؤلفات غاية في التحرير، رزق في غالبها القبول، منها شرح المختصر، وأقرب المسالك لمذهب مالك وشرحه، ورسالة في متشابهات القرآن، ونظم الخريدة السنية في التوحيد وشرحها، وتحفة الاخوان في آداب أهل العرفان في التصوف، وله شرح على ورد الشيخ كريم الدين الخلوتي، وشرح على مقدمة التوحيد للشيخ كمال الدين محمد البكري، ورسالة في المعاني والبيان، ورسالة أفردها لطريق حفص، ورسالة في المولد الشريف، ورسالة في شرح قول الوفائية: يا مولاي يا واحد يا مولاي يا دائم، وشرح على مسألة: كل صلاة بطلت على الإمام بطلت على المأموم والأصل للشيخ البيلي، ورسالة في التوحيد، ورسالة في الاستعارات الثلاث، وشرح على آداب البحث، وشرح صلاة الشيخ أحمد البدوي، وشرح على الشمائل لم يكمل، ورسالة في صلوات شريفة سماها: "المورد البارق في الصلاة على سيد الخلائق"، والتوحيد الأسنى بنظم الأسماء الحسنى، ومجموع ذكر فيه أسانيد الشيوخ، وشرح على رسالة قاضي مصر في قوله تعالى « يوم يأتي بعض آيات ربك » الآية وشرح على منظومة البيلي في المستثنيات، ورسالة في بيان السير إلى الله، ورسالة تحفة السير والسلوك إلى ملك الملوك، والعقد الفريد في ايضاح السؤال عن التوحيد، وحاشية على معراج الغيطي، وثبت. ومولده سنة 1127 وتوفي في سادس ربيع الأول سنة 1201 وقد وافق هذا التاريخ لفظ [رضي الله عنه].

3- [أبو الفلاح صالح بن محمد بن صالح السباعي الأستاذ العمدة العارف بالله القدوة الحبر الامام الفاضل الهمام نادرة الأيام وعمدة الأنام الزاهد الثقة الأمين مع ورع ودين متين. لازم الشيخ الصعيدي حتى بلغ درجة الترجيح في كل الفنون، وأخذ عن الشيخ الزيات العدوي والشيخ حسن الجداوي. وأخذ الخلوتية عن الشيخ الحفني،

وأتمها على الشيخ الدردير الوارث لسره والخليفة بعده بزاويته. وتصدر للتدريس وأجاد وأفاد. وتخرج على يده الكثير من الفحول منهم ولده محمد السباعي ومحمد بن عبد الرسول السباعي وسليمان الحلبي وأحمد الصاوي وسليم السباعي ومحمد المغربي وعبد الله القاضي وصالح الزجاجي ويوسف الصاوي. له شرح على الفتوحات المكية التزم فيه الاستدلال على كل حكمة منه بآيات قرآنية وأحاديث نبوية، وشرح على حكم ابن عطاء الله، وشرح على منظومة أسماء الله الحسنى لشيخه الدردير. وكانت له مكاشفات وكرامات. مولده سنة 1154 وتوفي سنة 1221 ودفن بزاوية شيخه الدردير بالكعاكين].

4- [أبو العباس أحمد الصاوي الخلوتي الإمام الفقيه شيخ الشيوخ وعمدة أهل التحقيق والرسوخ العلامة المحقق الحبر الفهامة المدقق قدوة السالكين ومربي المريدين. أخذ عن أئمة منهم الدردير والأمير الكبير والدسوقي. له حاشية على تفسير الجلالين، وعلى شرح الخريدة البهية للدردير، وعلى شرح الدردير لرسالته في البيان، والأسرار الربانية على الصلوات الدرديرية، وله شرح على منظومة الدردير لأسماء الله الحسنى، والفرائد السنية على متن الهمزية، وحاشية على شرح الدردير لأقرب المسالك، وغير ذلك. توفي بالمدينة المنورة سنة 1241].

5- [أبو العباس أحمد بن صالح بن محمد السباعي العدوي الفقيه العلامة البحر الحبر الفهامة، أخذ عن أعلام الأزهر، وأخذ الطريقة الخلوتية وغيرها عن والده، له مؤلفات جليلة منها حاشية على متن الألفية، وحاشية على متن السنوسية، ومقدمة في التصوّف، ورسالة في مبادئ العلوم، ورسالة في مناقب والده، وغير ذلك. توفي سنة 1266].

6 – [حسن بن الشيخ رضوان ابن الشيخ محمد حنفي ابن الشيخ عامر ابن الشيخ أحمد الرفاعي، العارف الواصل الاستاذ الفاضل العالم العامل كعبة القصاد والعلماء ومحط رحال الأجلاء، كان عظيم القدر شهما جليلا كريما جميلا، قرأ على أعلام الأزهر بجد واجتهاد حتى بلغ مقام التدريس وهو ابن سبع عشرة سنة، واستفاد وأفاد وأذنه مشائخه والأعيان بالتدريس لنفع العباد. وأخذ الطريقة الخلوتية وأقام بمديرية المنيا، واشتهر بالعلم والصلاح، وقصد الراغبون رحابه ووقف العلماء العارفون على بابه، منهم الشيخ حسن الطويل والشيخ محمد المغربي والشيخ محمد عبده مفتي مصر الشهير الذكر المتوفى سنة 1323، والشيخ أحمد أبو خطوة، كانت له مكاشفات وكرامات كثيرة ومناقب شهيرة، له تآليف منها شرح قوله صلى الله عليه وسلم « من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا في الجنّة"، والجوهر الملتقط في الخمس

الخالي الوسط، والفتح المبين في أحكام النون الساكنة والتنوين، والمفاتيح الرضوانية في الصلاة على خير البرية، ونفحات فيض الرضوان في الدلالة على معالم سلوك طريق العرفان، والتوجه الأفخم في التوسل بالاسم الأعظم، ومورد النفحات الالهية على شرح ابن تركي على العشماوية، ومنظومة سماها: روض القلوب المستطاب، وهي آلاف من الأبيات في آداب الطريق. مولده سنة 1249 وتوفي في رمضان سنة 1310].

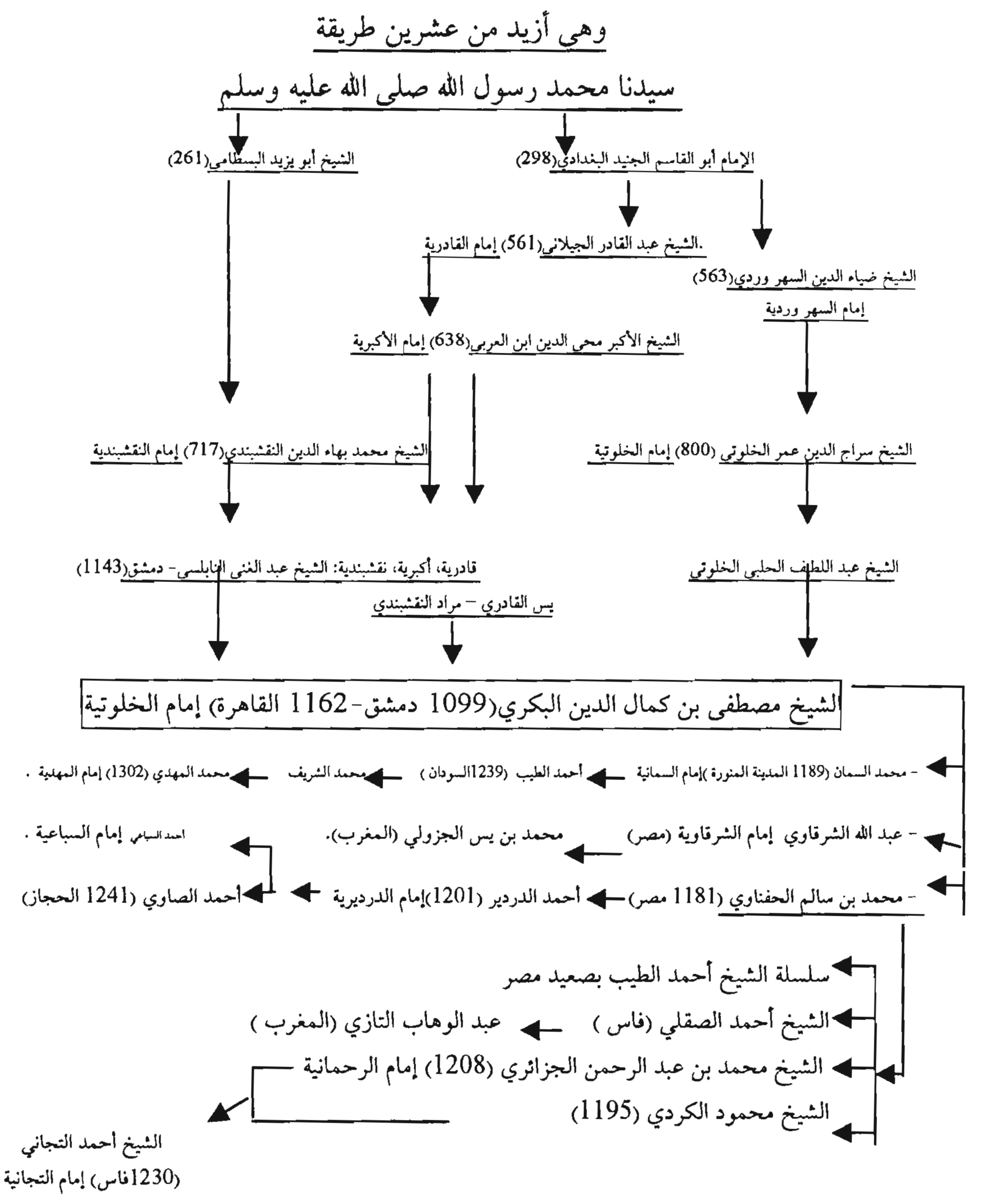
ومن أشهر شيوخ الخلوتية في مصر في عصرنا:

- محمد أبو الوفا الغنيمي التفتازاني شيخ الغنيمية الخلوتية.
- محمد محمود أحمد هاشم شيخ الهاشمية الخلوتية.
- أحمد السيد أحمد علي الصاوي شيخ الصاوية الخلوتية.
- حسين الدسوقي الجنيدي شيخ الجنيدية الخلوتية.
- جوده عبد العليم الشيخ بكري محمد شيخ الجودية الخلوتية.
- حسن محمد حسن علي المسلمي شيخ المسلمية الخلوتية.
- زغلول المصيلحي شيخ المصيلحية الخلوتية.
- نضال علي المغازي شيخ المغازية الخلوتية.
- محمد عمر عبد المتعال البهوتي شيخ البهوتية الخلوتية.
- مالك محمد علوان شيخ العلوانية الخلوتية.
- أحمد محمد أمين الشواربي شيخ الشواربية الخلوتية.
- أحمد عبد الهادي القصيبي شيخ القصيبية الخلوتية.
- السيد عبد العزيز محمد إبراهيم الجمل شيخ السمانية الخلوتية.
- أحمد محمد الدمرداش شيخ الدمرداشية الخلوتية.

ومن مشاهير شيوخ الخلوتية في مصر خلال القرن الرابع عشر الهجري الشيخ عبد الخالق الشبراوي إمام الطريقة الشبراوية (1305 – 1366 هـ / 1887-1947) كان مدرسا بالأزهر وإماما خطيبا بمسجد الفتح بعابدين. أخذ الطريق عن عمه عثمان الشبراوي والشيخ منصور هيكل الشرقاوي والشيخ محمد راغب السباعي. أمضى عمره في نشر العلم وتربية المريدين، وكانت له مجالس ذكر أسبوعية في مسجد عبد الله الشرقاوي في قرافة المجاورين. من مؤلفاته: مراتب النفس وبهامشه وصيته، ورسالة سراج أهل البدايات في التصوف، ورسالة السلاسل الذهبية في العقائد، وبعض أوراد الشاذلية والخلوتية. وقد انتسب إلى طريقته في مصر وخارجها كثير من العلماء والكبراء، منهم شيخ الأزهر عبد القادر أحمد عطاء، وعلي عبد المقصود، ومحمود بك

سامي، وعبد القوي باشا، وعبد الله أبو النجا، ومن أصحابه العلامة الأصولي الفقيه المحدث محمد زاهد بن حسن الكوثري الحنفي (1296-1371 هـ) الذي ألف أزيد من ثلاثين كتابا في العقائد والفقه والأصول والتصوف، وهو الذي علق على رسالة الشيخ عبد الخالق الشبراوي حول شيوخ سلسلة الطريقة البكرية الخلوتية، ومن علماء شيوخ الأزهر عبد القادر أحمد عطا وعلي عبد المقصود ومحمد بك سامي وعبد القوي باشا وعبد الله أبو النجا وغيرهم.

أشهر الطرق التى اجتمعت عند الشيخ مصطفى البكري وأشهر الطرق التي تفرعت منه وهي أزيد من عشرين طريقة



الخلوتية في الشرق الأوسط والشرق الأقصى

خلفاء مجددي الطريقة الخلوتية، أمثال خلفاء عمر الخلوتي (ت: 800هـ) ويحيى الشرفاني (ت: 868) وعلاء الدين علي قارا باشا (1096) انتشروا في جل أقطار العالم الإسلامي، فاستمرت الخلوتية بفروعها الكثيرة تارة تفور وتارة تكاد تغور حسب الأزمنة والأمكنة وظهور طرق صوفية أخرى تنافسها في استقطاب طالبي السلوك والتربية الروحية.

وفي القرون الثلاثة الأخيرة برز خلفاء الإمام المجدد الشيخ مصطفى البكري (1162)، وقد ذكرنا بعضهم سابقا. وكان من أشهرهم صيتا وأعظمهم تأثيرا القطب العلامة الشيخ محمد بن عبد الكريم القرشي المدني السمان دفين البقيع (ت: 1189) الذي اجتمعت فيه أيضا طرق أخرى كما اجتمعت في شيخه البكري، خصوصا القادريه والشاذلية. كان منزله بجوار مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، فكان جل العلماء والصلحاء الذين يزورون المدينة يؤمون بيته للأخذ عنه، فانتشرت طريقته السمانية الخلوتية في الحرمين والحجاز والشرق الأوسط وامتدت إلى الشرق الأقصى، وعرفت انتشارا كبيرا في السودان ومنه تسربت إلى بعض البلدان الإفريقية. ولا تزال إلى اليوم، خصوصا في السودان، من الطرق الصوفية النشطة، لها شيوخ ومربون وأتباع.

وانتشرت السمانية في أقصى الشرق على يد بعض تلاميذ السمان، نشرها في سومطره عبد الصمد بن عبد الله البالمباني الذي ترجم " احياء علوم الدين " للغزالي إلى اللغة الماليزية، وله كتاب في الجهاد، وامتدت إلى جنوب بورنيو وباطافيا وماليزيا واندونيسيا، وكان من أشهر روادها هناك خليفة السمان: الصديق بن عمر خان وتلاميذه، والكاتب نفيس البنجاري. وقد ساهم السمانيون بفعالية في الجهاد لمقاومة الاستعمار الهولندي وتزعموا ثورات ضدَّه عام 1819م و1860م.

وقد ألَّف الشيخ السمان كتبا عديدة في المعارف الصوفية، وفي بيان كيفيات السلوك والتربية، منها "الفتوحات المكية" و"الفتوحات الإلهية الروحية للحضرة المحمدية" و"الإنسان الكامل" و"إغاثة اللهفان ومؤانسة الولهان" و"القصيدة العينية" و"عنوان الجلوة في شأن الخلوة" و"كشف الأستار فيما يتعلق باسم القهار". وقد انتشرت طريقته التي سميت بالسمانية الخلوتية في عدة مناطق من الشرق الأوسط والأقصى وأفريقيا.

الطريقة الخلوتية في بلدان المغرب الإسلامي

قبل أواخر القرن الثاني عشر الهجري يبدو أن الطريقة الخلوتية في بلدان المغرب الإسلامي بقيت منحصرة عند قلة من أهل العلم، فلم تنتشر انتشارا واسعا كانتشار فروع الطريقتين الشاذلية والقادرية. لكن منذ أواخر القرن الثاني عشر وبدايات القرن الثالث عشر تمَّ لها انتشار واسع سريع على يد علماء أعلام أخذوها عن خلفاء الشيخ مصطفى البكري، أو خلفاء محمد دمرداش.

فشيخ الطريقة الحمداوية أحمد بن محمد بن بلعايش (ت: 1155 هـ / 1742 م) مؤسس زاوية زقزل بنواحي بني سناسن في الحدود الشمالية المغربية الجزائرية أخذ الطريقة الدمرداشية الخلوتية عن شيخه القطب الكبير محمد بن سعيد الهبري الذي عاش بين المغرب والجزائر وتونس واستقر بطرابلس ليبيا، وتوفي بها عام 1093، حسب ما ذكره أحمد التايب في كتابه "نفحات النسرين والريحان في من كان في طرابلس من الأعيان " – طبع ببيروت سنة 1963-. ويعتبر الهبري من أقطاب التصوف في بلدان المغرب العربي في وقته، وقد أشار إلى مراسلات وقعت بينه وبين بعض شيخ المغرب إمام الشاذلية في المغرب أبو الحسن علي العمراني الفاسي (ت: 1194 هـ) في كتابه " اليواقيت الحسان في تصرف معاني الإنسان". وللهبري رسائل ونصائح وأجوبة وتفسير ما أشكل من كلام بعض أئمة التصوف. وقد أخذ الطريقة عن أحمد النفاتي عن علي بن عبد الرحمن النفاتي عن عبد الرحمن بن عمر التاجري عن علي بن يونس الأبزري عن أحمد بن علي بن عبد القدوس عن محمد الشناوي عن دمرداش المحمدي. وينبغي التمييز بين محمد بن سعيد الهبري المذكور الذي عاش في القرن الحادي عشر الهجري، وبين إمام الطريقة الهبرية الدرقاوية الشاذلية – المنتشرة خصوصا في الجزائر والمغرب – الشيخ الحاج محمد الهبري العزاوي المتوفى سنة 1899م.

فرائدها في الجزائر هو إمام الطريقة الرحمانية الخلوتية الشيخ محمد بن عبد الرحمان الجرجري (ت: 1208هـ) تلميذ الشيخ محمد بن سالم الحفناوي. الذي أرسله إلى دارفور للدعوة إليها في السودان طيلة ست سنوات، ثم رجع بها إلى الجزائر حيث أصبحت طريقته أوسع الطرق انتشارا فيها، ومنها امتدت إلى تونس وليبيا والشام. وقد أخذها بعض المغاربة عن خليفته الشيخ علي بن عيسى المغربي (ت: 1248) مثل العلامة محمد المهدي المغربي.

ومن أشهر المغاربة الذين أخذوا الخلوتية عن الشيخ الحفناوي قطبها بالمغرب

الأقصى العارف الكبير أحمد الصقلي دفين زاويته بالبليدة في فاس، وخليفته المعمر عبد الوهاب التازي وتلميذه الإمام العلامة الحافظ أبو محمد عبد الكريم بن علي اليازغي (ت: 1199) الذي هو أحد من انتهت إليهم رياسة العلم بفاس في أواخر القرن الثاني عشر. ومن تلامذة التازي أيضا الفقيه السيد بن عبد الكريم ابن زاكور القطواني. وعن الصقلي والتازي أخذ الخلوتية أيضا عميد أشراف المغرب العلامة المحدث الرحلة محمد ابن ريسون العلمي التطواني (ت: 1234 بوزان) كما أخذها عن عبد العليم الفيومي المصري. (ت: 1190هـ/1775م).

كذلك الفقيه المغربي المسند الصوفي محمد بن يس الجزولي ذكر في ثبته (المواهب القدوسية) أخذه للخلوتية عن إمامها في مصر الشيخ عبد الله الشرقاوي الذي لقيه بمصر سنة 1211.

كذلك الجزائري مولدا ومنشأ، الليبي قرارا ووفاة، إمام الطريقة السنوسية العلامة محمد بن علي السنوسي (1276هـ/1859م) ذكر في كتابه "السلسبيل المعين" أخذه للطريقة الخلوتية عن الشيخ محفوظ بن عبد القادر الخلوتي عن شيخ الزمان محمد الدمرداشي عن والده حسن الرومي عن إمام الدمرادشية الخلوتية محمد دمرداش المصري مدفنا (ت: 930). وقد ترجم له ابن مخلوف في " شجرة النور الزكية " قائلا:
- [أبو عبد الله محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسني صاحب الجبل الأخضر الشهير الذكر الرفيع القدر شيخ الإسلام والمسلمين وارث علوم سيد الأولين والآخرين الفقيه الحافظ العالم العامل المحدث الجامع الولي المقرب الواصل، شهرته شرقا وغربا تغني عن التعريف به، له صيت عظيم في الجهات وذكر جميل وكرامات، متين الدين، أتباعه يعدّون بعشرات الملايين منتشرون باليمن والحجاز والشام والسودان ومصر وصحراء إفريقية والجهات الغربية ومركزه الجبل الأخضر بجغبوب القريب من بني غازي. أخذ الطريقة عن الشيخ عبد الوهاب التازي وهو عن الشيخ أبي العباس أحمد الصقلي وهو عن الشيخ مصطفى البكري وهاته الطريقة شاذلية خلوتية، وأخذ أيضا عن أبي العباس أحمد بن إدريس. وأخذ عنه أعلام لا يشقّ غبارهم منهم ابنه الوارث لسره وخليفته بعده محمد المهدي، وفي هذا العهد الخليفة عنه وقطب رحاها وشمس ضحاها حفيده أبو العباس أحمد، ومنهم عبد الرحيم البرقي والشيخ صالح بن حسن الطاهري الحجازي وعبد الهادي بن العربي عواد وأحمد بن الطالب بن سودة. له تآليف كثيرة منها الكواكب الدرية في أوائل الكتب الأثرية توفي سنة 1276.]

كذلك الشيخ المحدث المتبحر إمام الطريقة الكتانية محمد بن عبد الواحد الكبير الكتاني (ت :1289) أخذ الخلوتية عن الشيخ محمد بن صالح السباعي

المصري خليفة الإمام الفقيه أحمد الدردير (ت: 1201) الذي هو شيخ العلامة المفسر أحمد الصاوي (ت: 1241)، والدردير هو أحد خلفاء الشيخ الحفناوي. وللشيخ العلامة المتبحر في علوم الشريعة خصوصا الحديث والتصوف عبد الحي الكتاني أسانيد أيضا في الطريقة الخلوتية ذكرها في كتابه فهرس الفهارس، وله من التآليف النفيسة في الأحاديث النبوية والأسانيد والتراجم والتصوف وغيرها أزيد من 130 تأليفا.

ومن الجزائريين الذين أخذوا عن شيخها السمان في المدينة المنورة الشيخ أحمد التجاني الذي كان قد أخذ الخلوتية عن الشيخ محمود الكردي في القاهرة سنة 1186هـ، كما ذكرناه سابقا، كما أخذها قبل ذلك عن رائدها في الجزائر الشيخ محمد بن عبد الرحمان الجرجري.

ومن الذين أخذوا عن السمان أيضا الجزائري الشيخ الحسين بن محمد السعيد الورتلاني (1125-1193) صاحب الرحلة المعروفة باسمه، وطلب منه السمان شرح صلاة له على النبي صلى الله عليه وسلم فشرحها. وقد حج الورتلاني ثلاث مرات (في السنوات 1153-1166-1179) وله تآليف منها: شرحه على قدسية عبد الرحمن الأخضري، و (شوارق الأنوار في تحرير معاني الأذكار) و (المدائح الورتلانية النبوية) منها قصيدته الميمية التي بلغ فيها 500 بيت، وتشطيره لبردة البوصيري، ورسالتان في شرح ألغاز صوفية.

وقد مرَّ ذكر العلامة محمد أبو راس المعسكري (ت: 1238ه) الذي اجتمع وأخذ عن بعض شيوخ الخلوتية في مصر والحرمين.

وقد ذكر العلامة المغربي الإمام أبو عبد الله محمد التاودي بن سوده (ت: 1209 /1794م) في فهرسته الصغرى والكبرى اجتماعه وأخذه عن بعض الشيوخ المذكورين سابقا في المغرب ومصر والحرمين. فلنذكر ما قاله عنهم باختصار:

[منهم العلم المفرد والهمام الأوحد أبو عبد الله سيدي محمد الحفني. أجازني في تآليفه وفي جميع رواياته من العلوم العقلية والنقلية بشرطه وفيما أجازه العالم العامل الدال الكامل الواصل سيدي مصطفى البكري الشامي من علوم وأذكار.

ومنهم قطب الزمان وشيخ المشائخ الأعيان أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الكريم السمان، وهو لكل وارد عليه أب رفيق وأخ شفيق، يحسن للغرباء ويجري على الطلبة والفقراء، إقبال المصطفى عليه لائح، وأنوار طلعته مؤذنة بأن كل من تبرك به رابح، أضافني وأكرمني غير مرَّة، وألبسني الخرقة، ولقنني الأسماء السبعة، وأذن لي فيها وفي الطريقة القادرية وغيرها. وله تآليف عديدة ودعوات وصلوات منها صلاته

المسماة: المنحة المحمدية في الصلاة على خير البرية، وهي:

[اللهم صل على سيدنا محمد قطب دائرة الوجود وحيطة أفلاك مراقي الشهود، ألف الذات الساري سره في كل ذرَّة، حاء حياة العالم الذي منه مبدؤه وإليه مقره، ميم ملكك الذي لا يضاهى، ودال ديموميتك التي لا تتناهى، من أظهرته من حضرة الحب فكان منصة لتجليات ذاتك، وأبرزته بك من نورك، فكان مرآة لجمالك الباهر في حضرة أسمائك وصفاتك، شمس الكمال، المشرق نورها على جميع العوالم، الذي كونت منه جميع المكونات، فكل منها به قائم، من أجلسته على بساط قربك، وخصصته بأن كان مفتاح خزانة حبك، المحبوب الأعظم، السر الظاهر المكتم، الواسطة بينك وبين عبادك، والسلم الذي لا ترقي إلاَّ به في مشاهد كمالاتك، وعلى آله ينابيع الحقائق، وأصحابه مصابيح الهدى لكل الخلائق، صلاة منك عليه مقبولة بك منك لديه، تليق بذاته، تغمسنا بها في أنوار تجلياته، تطهر بها قلوبنا، وتقدس بها أسرارنا، وترقي بها أرواحنا، وتعمم بركاتها علينا وعلى مشائخنا، ووالدينا، وإخواننا، والمسلمين، مقرونة بسلام إلى يوم الدين، ولك الحمد في كل وقت وحين، مضروبة بألفي ألف صلاة وتسليم على السيد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين، آمين سبعا].

ومنهم الشيخ الإمام البركة الهمام أبو العباس سيدي أحمد الفيومي القاطن بالحسنية بطرف مصر، رجل مستغرق في الوحدانية دال على الله، أضافني وأكرمني وأنشدني:

أهـيم بليلـى مـا حيـيت فـإن أمـت وكلـت بليلـى مـن يهـيم بهـا بعـدي

ومنهم الشيخ الذاكر الورع الزاهد الصابر أبو الفضل سيدي محمود الكردي، صافحني وشابكني، له مجالس ذكر سنية وكاشفني بأمور تيقنت صدقها. ومنهم شيخ الشافعية بالإجماع الإمام الصوفي ذو التآليف الكثيرة المفيدة الشيخ أحمد الدمنهوري (ت: 1192هـ) بحر لا ساحل له، وشيخ ما لقيت مثله، قصدته ببيته في بولاق، فأملى ما شاء بالتساق وأجازني وذلك سنة 1182. قيل إن عدة تآليفه تقرب من تآليف السيوطي.

ومنهم الولي الصالح والقطب الواضح أبو العباس أحمد بن محمد الصقلي الحسني. فشا سره وشاع ذكره بعد حجته الأولى عام 1160هـ. ولقي الشيخ الحفناوي وأخذ عنه، ولقي غيره من أهل مصر والحرمين وطرابلس والجريد، وانتفع به هنالك قوم، ثم دعا إلى الله وأذعن إليه المنتسبون وأتوه من كل حدب ينسلون بعد حجته الثانية عام 1170. رأيت له كرامات عديدة. ومات يوم السبت ثامن رمضان عام 1177هـ. وممن أخذ عنه الشريف الأظهر مولاي محمد أبو الغيث الطرابلسي (ت: 1189هـ/

1775م) الذي استقر بطرابلس حتى مات بها فنسب لها وبها أشرقت شمس أسراره].

وقد ترجم محمد بن مخلوف في كتابه " شجرة النور الزكية في طبقات المالكية" لبعض علماء الطريقة الخلوتية وشيوخها في المغرب والجزائر وتونس، كالشيخ محمد بن عبد الرحمن الزواوي الأزهري إمام الطريقة الخلوتية في الجزائر، والشيخ محمد بن عزوز البرجي وابنه الشيخ مصطفى وحفيده الشيخ محمد المكي بن مصطفى وغيرهم، كما ترجم لإمامها في المغرب أبو محمد عبد الوهاب التازي الذي قال عنه:

[الشيخ العارف بالله الأكبر، الولي الصالح الصوفي الأنور، كانت له كرامات ومن أهل الأحوال الربانية والمواهب اللدنية الإصطفائية، عارفا مربيا هاديا مهديا، له تلامذة وأتباع كثيرون، واجتمع بأفاضل ونال منهم فضلا عظيما، منهم الشيخ عبد العزيز الدباغ، والشيخ محمد بن أبي زيان القندوسي المتوفى سنة 1146، والشيخ محمد بن سالم الحفناوي الشافعي إمام الصوفية وأستاذ الطريقة الخلوتية وانتفع به وأخذ عنه الطريقة، والشيخ محمود الكردي، والشيخ البرناوي، والشيخ أحمد الصقلي ولازمه، وغيرهم، وحج حجات وأخذ عنه أيّمة منهم الشيخ أحمد بن إدريس. توفي سنة 1206، مولده سنة 1099]. والشيخ أحمد بن إدريس هو إمام الطريقة الإدريسية (ت: 1253) الذي أخذ عدّة طرق منها الخلوتية أخذها عن الشيخ عبد الوهاب التازي المذكور وعن شيخها بصعيد مصر محمود الكردي وغيرهما. وقد أخذ عنه أجلاء وقته كالأستاذ القطب محمد حسن ظافر المدني الذي هو أحد أكابر خلفاء الشيخ العربي الدرقاوي (ت: 1239) وهو إمام الطريقة المدنية الدرقاوية الشاذلية، والشيخ عثمان المرغني إمام الطريقة المرغنية، والشيخ المجذوب السواكني إمام المجذوبية، والشيخ إبراهيم الرشيدي إمام الدندراوية، والشيخ عبد الرحمن الأهدل مفتي زبيد باليمن، والشيخ محمد عابد السندي صاحب الثبت في الأسانيد، كان له الباع الطويل في جميع العلوم وبالأخص في علوم القرآن والحديث، له مؤلفات منها: "العقد النفيس في جواهر التدريس " و" الصلوات المسماة المحامد الثمانية " التي كتبت حولها شروح عديدة، ومن أكبر خلفائه إمام الطريقة السنوسية الشيخ محمد بن علي السنوسي المذكور سابقا.

ومن أصحاب الشيخ أحمد الصقلي وشيوخه أئمة الخلوتية الشيخ الزبادي المغربي الذي عرّفه مؤلف " شجرة النور الزكية " بقوله:

[أبو محمد عبد المجيد بن علي المنالي الشهير بالزبادي الشريف الحسني الإدريسي الفاسي الفقيه العلامة ركن الشريعة جامع شتات الفضائل والمفاخر، الصوفي اللغوي الأديب الناظم الناثر الأريب، من بيت نبيه معروف بالفضل، أخذ عن أبي

عبد الله ميارة الصغير، وحج صحبة الولي أحمد الصقلي والهادي بن محمد العراقي، ولقي أعلاما منهم الشيخ محمد الحفني وتلميذه الشيخ محمد الكردي والشيخ البرناوي. وكان له أصحاب وأتباع كثيرون وظهرت عليهم بركته. له تآليف منها: "رحلته للحج"، وتأليف في التعريف بابن عباد، وتأليف في العروض، وتأليف في شرح الكلام المنسوب لشيخه السوسي في تقسيم أهل الخصوصية، وله تقاييد في التاريخ والتصوف والفقه. توفي سنة 1163] .

وشقيق الزبادي بن أبي الحسن علي بن محمد الزبادي بن علي بن محمد بن أحمد المناني وهو مؤلف الكتاب الكبير: (الطريق الوارية بالشيخ والمريد والزاوية) الذي فصل فيه تراجم طوائف الصوفية في المغرب، وترجم فيه لشقيقه الصوفي الشيخ عبد المجيد، وذكر فيه مشائخ الخلوتية بالمغرب ومصر في وقته عند ذكره للطائفة السادسة من رجال الطريق، وفصل لقائه مع الشيخ الحفني بالقاهرة وخليفته محمود الكردي ومحمد السقاط الفاسي أصلا المصري دارا، ما ذكر ما شهده من كرامات للشيخ أحمد الصقلي الخلوتي وأحاط به الذين ذر منهم:

- العلامة الحافظ شيخ الجماعة محمد التاودي بن الطالب بن سوده.
- الفقيه الناسك الحاج بن شعيب المطيري المتوفى بمصر سنة 1182 هـ.
- الشريف محمد بن علي بن العربي بن إدريس الصقلي (ت: 1186).
- المرابط محمد بن علي العلمي الحسني (ت: 1187).
- المرابط الناسك محمد بن حميدة الناسك (ت: 1190).
- العلامة المحدث المفتي الحاج محمد بن الحسن بناني إمام مسجد السيد إدريس بفاس (ت: 1194).
- الفقيه المفتي عبد الكريم بن علي اليازغي الفاسي (ت: 1199).
- العلامة محمد الجنوي العمالي (ت: 1200).
- الصوفي السائح محمد بن يونس (ت: 1200) وهو من خلفاء شيخه الصقلي في التربية.

ومن علماء الخلوتيين بفاس أبو حفص عمر الذي عرفه مؤلف" شجرة النور الزكية " بقوله:

[أبو حفص عمر بن عبد الله بن يوسف بن العربي الفاسي الشيخ الإمام خاتمة المحققين الأعلام حامل لواء العلوم معقولها ومنقولها ومفهومها ومنظومها. أخذ عن والده وقريبه أبي عسرية محمد بن أحمد بن يوسف الفاسي والشيخ محمد العراقي وأبي العباس بن مبارك واعتمده وأبي عبد الله محمد بن عبد السلام البناني وأبي

عبد الله محمد جسوس وابي الحسن علي بن أحمد الحريشي سمع عليه أوائل الكتب الستة وأجازه فيها وفي غيرها، كما أجازه شيخ الطريقة الخلوتية العلامة البركة الشيخ محمد بن سالم الحفناوي الشافعي وأضرابهم، وعنه أخذ من لا يعد كثرة منهم قريبه محمد بن عبد السلام بن محمد بن عبد السلام بن العربي الفاسي وزين العابدين العراقي وعبد الكريم اليازغي وأبو زيد عبد الرحمن الخياط والعربي بن علي القسنطيني ومحمد بن طاهر الهواري وعبد القادر بن أحمد شقرون ومحمد بن الصادق ريسون ومحمد بن الطاهر المير السلاوي وحمد بن عبد السلام الناصري وسليمان بن محمد الحوات والطيب بن كيران وأضرابهم. ألف تآليف مفيدة بارعة منها شرح التحفة في سِفْرين سمّاه: غاية الأحكام في شرح تحفة الحكام، وتحفة الحذاق شرح لامية الزقاق، وحاشية على مغني ابن هشام، وحاشية على كبرى السنوسي، وحاشية على مختصره المنطقي، وجزء في حكم المد الطبيعي، ونهاية التحقيق في مسألة تعليق التعليق في الطلاق، وإحراز الفضل في الفرق بين الخاصة والفصل للشيخ اليوسي، ومنّة الوهاب في نصرة الشهاب وضعه لتصحيح ما قرره الشهاب القرافي في الفروق في مسألة تخصيص نية الحالف والرد على ابن الشاط، ولواء النصر في الرد على أبناء العصر ردّ فيه قول من أفتى بجواز بيع الأحباس المؤبدة لضرورة المسغبة، وشرح قصيدة ابن فرح الاشبيلي في المصطلح، وغير ذلك. وبالجملة فإن فضائله جمّة وكان لا يذكر تاريخ ولادته اقتداء بالسلف الصالح كمالك والشافعي. توفي في رجب سنة 1188 وهو ابن ثلاث وستين سنة.]

الطريقة الخلوتية في السودان وافريقيا.

تسربت الخلوتية إلى السودان وبعض البلدان الأفريقية من مصر ومن الحرمين الشريفين حيث يلتقي الحجاج مع بعض شيوخها ويرجعون بها إلى بلادهم.

أهم المصادر التي صورت تيارات المناهج الصوفية وشيوخ طرقها كتاب الطبقات للعالم السوداني: محمد نور الدين ود ضيف الله بن محمد الجعلي المولود بحلفاية الملوك عام 1129هـ، المتوفى عام 1200هـ. وقد ترجم فيه لنحو 250 شخصية مرتبة ترتيبا هجائيا، وهو يماثل إلى حد كبير طبقات الشعراني. في هذا الكتاب نجد أن الطريقة الخلوتية تعتبر من الطرق الهامة في السودان، ورائدها الأول هو الشيخ محمود العركي، وهو سوداني الأصل درس في مصر ومنها عاد داعياً إلى الطريقة وأسس بمجرد عودته خمسة عشرة خلوة (زاوية) على النيل الأبيض. ويقول عنه صاحب الطبقات أنه لم تشتهر في تلك البلاد مدرسة علم ولا قرآن حتى قدم هذا

الشيخ الذي علم الناس الشريعة والفقه والعمل بهما.

ومن رواد الخلوتية في شمال السودان الجزائري الشيخ محمد بن عبد الرحمان الجرجري الأزهري الذي أرسله شيخه في القاهرة الإمام الحفناوي إلى دار فور ونواحيها حيث بقي ست سنوات داعيا إلى الله، ومعلما الناس شؤون دينهم، ومربيا للمريدين طالبي السلوك، وذلك خلال السبعينات من القرن الثاني عشر الهجري.

ومن أعلام علماء السودان الذين أخذوا عن القطب السمان بالمدينة المنورة من ترجم له الشيخ عبد الحي الكتاني في كتابه " فهرس الفهارس" فقال عنه ما ملخصه:

[الإمام المحدث الحافظ الأصولي صالح بن محمد بن نوح الفلاني العمري، نسبة إلى فلان – بضم الفاء – قبيلة بالسودان ولادة ومنشأ، مدني هجرة ومدفنا. وقد جزم بعض العلماء الأعلام ببلوغه مرتبة الاجتهاد لتبحره في علوم الشريعة. ولد سنة 1166هـ ببلد أسلافه (نوس) من إقليم (فوت جلوا). طلب العلم في السودان والمغرب وتونس والحجاز. وزار القبر النبوي عام 1187هـ، ولم يزل يرتع في جنان الرياض النبوية، مترددا إلى الرحاب الحرمية، إلى أن مات بالمدينة سنة 1218هـ. وله من التصانيف (عون الودود في سنن أبي داود) و الثبت الكبير (الثمر اليانع) والصغير (قطف الثمر)، وكتابه العجيب المطبوع بالهند (ايقاظ الهمم)، و (تحفة الأكياس بأجوبة الإمام خير الدين الياس المفتي المدني)، وله كتاب في الأحاديث القدسية].

إن أكبر انتشار للفرع السماني للطريقة الخلوتية في السودان كان على يد أحد كبار خلفاء الشيخ السمان وهو الشيخ أحمد الطيب (1155-1239هـ) الذي صحبه في المدينة المنورة مدة سبع سنوات، ثم جاء بها إلى السودان عام 1173هـ. وقد كتب عدة مؤلفات فصل فيها مشربه العرفاني المتأثر إلى حد بعيد بمكتوبات الشيخ الأكبر ابن العربي (ت: 638) والشيخ عبد الكريم الجيلي (832هـ) وابن عطاء الله السكندري الشاذلي (ت: 707هـ). من أهم مؤلفاته "كتاب الحكم" وله اسم آخر بعنوان "الجوهر الفريد في علم الوحدة والتوحيد". وله أيضا: "حزب الكمال"، و"حزب الأمان"، و"خواص الأسماء"، و"مراتب السعادة"، و"رسالة في الخلوة"، و"الصلاة الجمالية"، و"صلاة العظمة"، و"مفتاح القلوب"، و"سر الأسرار". وبعد وفاته بقيت إمامة الطريقة في ذريته. فخليفته الأول كان ابنه نور الدائم ثم حفيده محمد شريف الذي انشق عنه تلميذه محمد أحمد المهدي السوداني (1260/1845-1302/1885) إمام الطريقة المهدية المشهور بثورته على الاستعمار الإنجليزي في السودان. فالشيخ محمد شريف (ت: 1907م) زجره ونهاه عن دعوى المهدية، لكنه لم يمتثل واستمر في دعواه إلى أن مات في التاسع من رمضان سنة 1302. وقد ترجم للشيوخ الأربعة: مصطفى البكري

والسمان وأحمد الطيب وابنه نور الدايم، حفيد الشيخ الطيب الشيخ عبد المحمود نور الدايم في كتابه المفيد (الكؤوس المترعة في مناقب السادة الأربعة). ولعبد المحمود أيضا كتاب (الدرة اليتيمة في نشر علم الملة العظيمة) وكتاب (أزاهير الرياض في مناقب الشيخ أحمد الطيب) و (ديوان شرب الكاس). كما أن لشقيقه الشيخ محمد شريف مؤلف بعنوان "الأذكار الطيبية في أوراد الطرق السبعة الجلية". ولخليفتهم الشيخ أبو صالح قريب الله كتاب "جامع الأوراد القريبية الطيبية السمانية" وله أيضا: "رشفات المدام". ولا تزال إلى اليوم الطريقة السمانية وفروعها في السودان لها شيوخ وزوايا وأتباع.

مراجع:

لمعرفة بعض سلاسل الخلوتية وتراجم بعض شيوخها، زيادة على ما ذكر في الصفحات السابقة، يمكن الرجوع الى الكتب التالية:

1- الطرق الموضحة للأسانيد المصححة للشيخ شمس الدين ابن عبد الله الفرغلي السبنرباوي المصري تلميذ الشمس محمد بن سالم الحفناوي.

2- رسالة العجمي في الطرق لمسند مكة والحجاز العلامة أبو علي حسن العجمي اليمني المكي (ت :1113).

3- عقد الجواهر في سلاسل الأكابر للشيخ محمد ابن عقيلة المكي.

4- عقود الأسانيد للشيخ محمد أمين السفرجلاني الدمشقي وهو ثبت منظوم طبع بالشام عام 1319 ومؤلفه أخذ الخلوتية عن علي الحلواتي عن حسين الدجاني، وعن محمد صالح عن محمد المهدي المغربي عن علي بن عيسى المغربي عن إمامها بالجزائر الشيخ محمد بن عبد الرحمان الجرجري عن الحفناوي.

5- سرور القلب وقرة العيون في معرفة الآداب في الظهور والبطون للعلامة أبي الأنس محمد محي الدين المليجي المصري، كتبه سنة 1106هـ.

6- المواهب القدوسية في أسانيد بعض مشائخ الصوفية لابن يس المغربي.

7- السلسبيل المعين في الطرائق الأربعين للإمام محمد بن علي السنوسي.

8- هادي المريد إلى طرق الأسانيد للعلامة الأديب الشاعر الصوفي قاضي بيروت صاحب التآليف الكثيرة المفيدة خصوصا في السيرة والشمائل النبوية الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني. وذكر فيه أنه أخذ الخلوتية عن الشيخ حسن رضوان الصعيدي المصري.

9- فهرس الفهارس للشيخ عبد الحي الكتاني فيه تراجم للعديد من شيوخ الخلوتية وأسانيدهم.

10- الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية لطاش كبرى زاده (ت: 968) وفيه تراجم كثيرة لشيوخ الخلوتية الأوائل خصوصا في تركيا وبلاد الروم.

11- العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم لنفس المؤلف السابق.

12- الطبقات الكبرى للشيخ عبد الوهاب الشعراني.

13- جامع كرامات الأولياء ليوسف بن إسماعيل النبهاني.

14- تحفة السالكين ودلائل السائرين للشيخ الإمام العارف المقرئ محمد بن حسن بن محمد الشافعي الأحمدي للسمنودي المعروف بالمنير (1099- 1199) وهو

تلميذ وخليفة الشمس الحفني.

15- شرح صلوات القطب الدردير لتلميذه أحمد الصاوي.

16- مجموع أوراد الخلوتية والمنهل العذب للشيخ الإمام مصطفى البكري.

17 - شرح الشيخ أبي حفص عمر الشبراوي لورد السحر للشيخ مصطفى البكري.

18 - مشارق الأنوار للشيخ حسن العدوي.

19- تحفة الإخوان للقطب الدردير، وشرح الخريدة له.

20- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية للشيخ محمد بن محمد مخلوف.

21 - مناقب رجال الخلوتية للشيخ محمد المكي بن مصطفى بن عزوز الجزائري.

22 - علماء دمشق وأعيانها في القرن الثاني عشر الهجري للدكتور محمد مطيع الحافظ والدكتور نزار إباظه.

23 - سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر لأبي الفضل محمد خليل المرادي (1291هـ).

24 - هدية العارفين لإسماعيل باشا.

25 - الأعلام للزركلي.

26- معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة.

27 - عجائب الآثار في التراجم والأخبار للجبرتي، وفيه العديد من تراجم شيوخ الخلوتية في مصر والشام.

28 - سلوة الأنفاس لمحمد بن جعفر الكتاني.

29 - تعريف الخلف برجال السلف لمحمد الحفناوي بن أبي القاسم الديسي (ت: 1361هـ/1942م) وفيه تراجم لعلماء وشيوخ الطريقة الرحمانية الخلوتية الأوائل في الجزائر.

30 - قصيدة الشيخ الطاهر بن العبيدي السوفي (ت: 1387هـ/1968م) عنوانها: "جريان المدد في الاعتصام برجال السند" وهي في 856 بيت، ذكر فيها بضع مئات من شيوخ الخلوتية وفرعها الرحماني.

31- - (مطية السالك إلى مالك الممالك) في آداب الطريقة الخلوتية وفضائلها لمؤلفه العلامة الشيخ سيدي أحمد الطاهر.

32- البحوث السنية عن بعض رجال أسانيد الطريقة الخلوتية للعلامة المحدث محمد زاهد الكوثري (ت: 1371 هـ).

أما مكتوبات شيوخ الطريقة الخلوتية التي يكثر تداولها عند أتباعها فكثيرة جدا تعد بالمئات، وقد ذكر بعضها الشيخ محمد المكي بن مصطفى بن محمد بن عزوز الجزائري في كتاب (النفحات الرحمانية في مناقب رجال الخلوتية). ومن أهم تلك المكتوبات:

1- كتب الشيخ مصطفى البكري وخلفائه مثل السمان والحفناوي والدردير وأحمد الطيب وغيرهم من الذين ذكروا سابقا: تنظر عناوين بعضها في تراجمهم السابقة.

2- آداب المريدين لأبي النجيب السهروردي، والوصايا له وشرحها: إرشاد الطالبين للبروسوي.

3- عوارف المعارف للشهاب السهروردي، وحواشيه واختصاره.

4- رسالة السلوك لنجم الدين كبرى، وغيرها من كتبه وكتب خلفائه.

5- الوصايا القدسية لزين الدين الخوافي، ومنهج الرشاد له ايضا.

6- بغية السالك الإمام الساحلي المالقي.

7- وسيلة لغلط مزيلة لعبد اللطيف المقدسي، وكتاب وهب المواهب في المقامات والمراتب له أيضا، وشرحه لابن يونس.

8- ورد الستار ليحي الباكوي. وشرحه للشيخ شاه ولي.

9- صلوات الوردين وشرحها للصاوي وعبد البر الشافعي.

10- كتاب السر المصون، ورسالة آداب الذكر للشيخ محمد الحفناوي.

11- ربيع الفوائد للشيخ عبد الله الشرقاوي.

12- تحفة الاخوان والخلان في بعض آداب أهل العرفان للشيخ الدردير. وله أيضا: منهج القاصدين حاكى به كتاب الإحياء للغزالي.

13- كتاب السلوك للشيخ محمد الكردي.

14- تحفة السالكين ودلالة السائرين للمنير السمهوني.

15- الحجة المنيرة في الطريقة المنيرة للشيخ عمر الحنفي.

16- الرسالة لطلاب الإيقان للشيخ سنبل أفندي.

17- حياة الأرواح ونجاة الأشباح للشيخ محمود أفندي الاسكندري، وله أيضا: رسالة فتح الباب ورفع الحجاب، وكتاب كشف القناع عن وجه السماع وكتاب الطريقة المحمدية، وكتاب جامع الفضائل وكتاب الواردات.

18- رسالة النور للشيخ أحمد الزاهد، في مجلدين.

19- منح المنة لمحمد الغمري تلميذ أحمد الزاهد، في ست مجلدات.

20- منهج السالك إلى أشرف المسالك لعلي نور الدين المرصفي.

21- نزهة الأسرار لمحمد الجمالي.
22- مصقل القلوب لعبد المجيد السواسي.
23- معيار العلوم وشرحه لعمر الفؤادي.
24- المنظومة الرائية لمحمد القرشي البكري.
25- رسالة كريم الدين الخلوتي.
26- رسالة النصحية لطالب الطرق الفتحية لجمال الدين القرماني، وله أيضا رسالة أطوار السلوك السبعة.
27- المنظومة الرحمانية للشيخ عبد الرحمان باشتارزي وشرحها لولده الشيخ مصطفى.
28- رسائل ومكتوبات الشيخ محمد بن عبد الرحمان الجرجري وخلفائه، خصوصا رسائل الشيخ عبد الحفيظ الخنقي وشيخه محمد بن عزوز وشيوخ زاوية طولقة وشيوخ زاوية الهامل، وسنذكر عناوين بعضها في الصفحات القادمة.

ومن المراجع الأجنبية حول تاريخ الطريقة الخلوتية:

1 - BANNERTH (E), « La khalwatiyya en Egypte. quelques aspects de la vie d'une confrérie"، mélanges de l'institut dominicain d'études orientales VIII, le caire, 1964-66 pp-1-74.

2 - BANNERTH (E), « Uber den Stifter und Sonderbranch der Demirdashiyya- Sufis in Kairo », Wiener Zeitschrift fur die Kunde des Morgenlandes, 62,1969, pp 116-132.

3 - BELDICEANU-STEINHERR (I.),sheich uftade: der Begrunder des Gelvetiyye-ordens, Munich, 1961

4 - BRUINESSEN (M. van), « the Tariqa Khelwatiyya in South Celebes"، Leyde, KITLV,1991, PP 251-269.

5 - CLAYER (N.), l'Albanie, pays des derviches. Les ordres mystiques Musulmans en Albanie à l'époque post-ottomane (1912-1967),Berlin –Wiesbaden, Otto Harrassowitz,1990.

6 - CLAYER (N.), Mystiques, Etat de société. Les Halvetis dans l'aire balkanique de la fin du XV éme siècle à nous jours, Leyde, E. J. Brill, 1994.

7 - Derviches Balkans, disparitions et renaissances, Anatolia Moderna, IV, Paris Istanbul. 1991.

8 - la khalwatiyya, les Voies d'Allah, Tome II, Alger 1995, pp. 134-141.

9 - DORIS Behrens-Abousif, « An Unlisted Monument of the fifteenth

Century: the Dome of Zawiyya al-Damirdash » dans Ann. Isl. XVIII,. 1982, p. 105-115.

10 - JONG (F. de), « Khalwatiyya"، Encyclopédie de l'Islam, IV, pp. 1023-1026.

11 - « Mustafa Kamal al Din al- Bakri (1688-1749). Revival and Reform of the Khalwatiyya Tradition?"، in N. Levtzion et J. O. Voll, (éd.), Eighteenth-Century Renewal and Reform in Islam, Syracuse, New York, Syracuse University Press, 1987, pp 117-132.

12 - KISSLING (H. -J.) « Aus der Geschichte des khalvetiyye-Ordens"، Zeitchrift derdeutschen morgenlandischen Gesellschaft, CIII, 1953, pp. 233-289

13 - POPOVIC (A.), « les derviches balkaniques,II: les Sinanis » Turcia, XXI-XXIII, pp. 83-113.

14 - TRIAUD (J. -L), « Hommes de religion et confréries islamiques dans une société en crise, l'Airaux xixème et xx ème siècle. Le cas de la khalwatiyya », Cahiers d'etudes Africaines, 91, XXIII, 3,1983,pp. 239-280.

15 - ALEXANDRE (B.), CHANTAL (L. Q.): le Soufi et le Commissaire, les confreries musulmanes en URSS, Seuil, 1986.

الباب الثاني
مؤسس الطريقة الرحمانية
الخلوتية في الجزائر:

الشيخ محمد بن عبد الرحمن الجرجري الأزهري، وبعض الزوايا المتفرعة من زاويته الأم في منطقة القبائل ونواحي العاصمة، وبعض شيوخها وعلمائها، ومقاومة الرحمانيين للاحتلال الفرنسي.

الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمان الأزهري الجرجري:

نقل هنا ترجمته من كتاب (تعريف الخلف برجال السلف) للعلامة الشيخ أبي القاسم الحفناوي ابن الشيخ محمد بن بلقاسم بن الصغير الديسي، مع حذف بعض الفقرات منها لطولها وإضافات طفيفة توضع بين قوسين:

سيدي محمد بن عبد الرحمان بن أحمد بن يوسف بن أبي القاسم بن علي بن إبراهيم بن عبد الرحمان (الذي يرتفع نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله عليهم السلام). هو الغوث الأكبر والمربي الأشهر، جامع الناس على كلمتي الشهادة وداعيهم إلى مقام الإحسان في العبادة، ولد قدس الله سره وخلد في ألسنة الصدق ذكره ما بين سنتي 1126 و1133 هـ في وطن بن اسماعيل ((بجبال جرجرة في منطقة القبائل شرقي الجزائر العاصمة)). وساقته المقادير إلى مجاورة الأزهر الشريف صغيراً، وتزوج في القاهرة. وبعد زمن طويل ذهب إليه أخوه الأكبر سيدي محمد - بالضم - ومن غرائب الاتفاق أن أول رجل صادفه في أزقة القاهرة وسأله عن أخيه كان هو المسؤول عنه، ولطول الغيبة لم يعرفه، فقال له: ادخل الجامع واسأل عنه الإمام فإنه من خواصه وكن في الصف الثاني، وبعد الصلاة تقدم واطلب منه ما تريد. ثم إن سيدي محمد أخبر شيخه الآتي بقدوم أخيه وسؤاله عنه فقال له الشيخ: سننظر أمره، ولما صلى وسلم وانصرف الناس أشار إليه فدنا منه وتبرك به، وقال له: هذا أخوك، فقام سيدي محمد وقبل يد أخيه، وسأله عن أهله وأحوالهم. وعند

الانصراف قال له الشيخ: أقم عند أخيك ضيفاً، وعلي مئونتك مادمت هنا. وبعد مدة أمر سيدي محمد بالرجوع إلى وطنه لبث العلم وتربية الخلق، ودعا له دعوات ظهرت فيه أسرارها وسطعت عليه أنوارها، فكان هو الشيخ الإمام والأستاذ الهمام وسط عقد العارفين وكمل المتصوفين، الجامع بين الشريعة وطريقتها والولاية وحقيقتها ببركة شيخه علامة الزمان وفريد العصر والأوان، صاحب التصانيف المنيفة والتقارير الشريفة، سيدي محمد بن سالم الحفناوي المصري المتوفى يوم السبت 17 ربيع الأول سنة 1181 هـ رضي الله عنه ونفعنا ببركته. وكان وجهه إلى السودان لنشر الأوراد ونفع العباد، «وقد نجحت دعوته في السودان نجاحا كبيرا، وفي رسالة بعثها إلى نقيبه بتونس بلحسن اليوسفي قال إنه أقام ست سنوات في دار فور السودان ليقرئ السلطان هناك». ثم أمره شيخه بالرجوع إلى مصر، فرجع وألبسه الخرقة وصرفه إلى وطنه كما تقدم. ولما استقر به جدد غرس الإيمان والإحسان في القلوب، وبدد غياهب النفوس بذكر علام الغيوب. وكان الشيخ أذن له في التربية وتعليم خلق الله بما هم مطالبون به، فأخذ عنه الجم الغفير وسلك على يده الكثير، وذلك سنة 1183، فاشتهر أمره وأشرق نوره وفاضت مواهبه اللدنية بعلوم الدين ومعارف القوم، وصار كوثر الورّاد وبغية الرُّواد، يطهر البواطن بالتهذيب الخلوتي، ويطيب النفوس بالشريعة السمحاة، ولا يخاطب الناس إلا بما يفقهون مراعاة للحال والمقام، فانتفع بإرشاده الخواص فضلا عن العوام، وسارت بذكره الركبان في سائر الأوطان، وانجذب إليه أهل التل والصحراء، وطلبه عمال المدن الكبرى وبالأخص صاحب الجزائر، فدخلها واحتفل به علماؤها، وكانوا قد امتلأت أسماعهم من أخباره وأدهشهم ما بلغهم من أسراره، ولما اجتمعوا حوله وفي نفوسهم مسائل يريدون بها اختباره سكتوا طويلا، وكل منهم يشير بخائنة عينه إلى صاحبه أن ألق سؤالك، والشيخ مطرق مشتغل بسبحته، ولم يتجاسر منهم أحد عليه، فرفع رأسه قائلا: "أيها السادة ما لي أراكم صامتين، وهل الجامع إلا للذكر فهلموا إليه، أو لطلب العلم، فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون، وما عداهما فلهو ولغو. فأجابه أحدهم بأدب واحتشام: يا سيدي إنما أردنا التبرك بكم، واقتباس بعض الحقائق منكم، وكان صاحب الجزائر رئيس هذه الحفلة في المسجد الأعظم من أهل الدين المتين والاعتقاد المكين، فنطق الشيخ رضي الله عنه ونفعنا به وحدثهم بما كانت تحوم حوله أرواحهم وتطوف به عقولهم، ولكن لا تناله إلا بالمشافهة من أضرابه الذين تعلقوا بمن عنده مفاتح الغيب، وتخلقوا بأخلاق رسوله المحبوب صلى الله عليه وسلم.

وكان الشيخ قدس الله روحه ونور ضريحه يأتي في كلامه بجواب كل مسألة

أضمروها له، ويلتفت إلى صاحبها منهم مبتسماً إشارة إلى أن ضميره عند القوم من قبيل الظاهر، وأن كاتم سره عنهم كأنه مجاهر، وإذ ذاك بادروا إلى الأخذ عنه وفي مقدمتهم كبيرهم، فلقنهم ونصبوا الحضرة بذكر كلمة الشهادة بعددها المعلوم في الورد الخلوتي. ودعاه الباشا لمنزله وبقي عنده أياما لقن فيها أهله وبنته وأقاربه، وعند انصرافه أتاه بحصة من الدنانير فأظهر له البرهان على أنه في غنى عن الدنيا، ولما أكثر من محاولته على قبولها قال: لا إله إلا الله مرة، فسقط من السقف عدد من الذهب، وثانية فسقط عدد آخر، فاستسمحه الباشا واعتذر، فقبل عذره وانصرف إلى محله.

واشتهر أمره في القطر الجزائري، وأتاه رجال كثيرون، قدَّم منهم من قدَّم، وانتشر ورده بين الناس، ولم يزل يعمر قلوبهم بالله إلى أن لقي الله تعالى في آيت إسماعيل، فأقبر بها، ونقله أهل الجزائر ذات ليلة خفية إلى ضريحه بقرب الحامة، ففطن أهله لنقله وعزموا على رده وآل الأمر إلى النزاع، وانفصلت النازلة بوجوده في قبره عندهم أيضا، فسمي من يومئذ بأبي قبرين، الأول في جرجرة، والثاني في الجزائر، وكلاهما مزار متبرك به، وفي كل سنة تقصده الركبان من العروش عند الحصاد وعند الحرث، وحوله روضة كبرى لأهل الجزائر، محاطة بسور محكم له بابان، وفي القبة ثريات وبسط، وبداخلها خلوته بابها عند تابوته، وبئر طيبة الماء جدا وفيها قيّم وإمام.

توفي قدس الله سره ورحمه الله سنة 1208 (93-1794) ولم يترك ولدا من صلبه وإنما أولاده مشايخ طريقته الرحمانية الأزهرية الخلوتية، وكلهم أبا عن جد أقطاب كبار، أكرمهم الله تعالى بما يدل على علو مراتبهم عنده، وهم كثيرون في بر الجزائر وتونس والسودان وغيرها، منهم سيدي علي بن عيسى، وتلامذته، وتلامذتهم الكبار كسيدي محمد أمزيان بن الحداد، ومحمد ابن أبي القاسم البوجليلي، والشيخ علي، وغيرهم نحو الأربعة والعشرين وليا، ومنهم سيدي عبد الرحمن باش تارزي شيخ سيدي محمد بن عزوز جد الشيخ المكي بن الشيخ سيدي مصطفى بن عزوز، وتلامذته القطب سيدي علي بن عمر، وسيدي عبد الحفيظ، وسيدي مبارك بن قويدر، والشيخ المختار، وسيدي الصادق، وتلامذة سيدي علي بن عمر مثل: سيدي خليفة أستاذ سيدي علي بن الحملاوي، وسيدي مصطفى ابن عزوز، وتلميذه سيدي علي بن عثمان، وتلميذ الشيخ المختار سيدي الشريف بن الأحرش، والقطب شيخنا سيدي محمد بن أبي القاسم الشريف الهاملي، وتلامذته سيدي المكي بن عزوز، وتلميذ الشيخ الصادق سيدي الحاج السعيد بن باش تارزي، وأخيرهم الشيخ الحاج المختار، وغيرهم من المشايخ الرحمانيين معروفون في الأقطار عند أهلها نفعنا الله ببركات الجميع.

وللشيخ رضي الله عنه رسائل كثيرة في تعليم الخلق وإرشادهم إلى طريق الخير اعتنى بجمعها أكابر رجال طريقته، ولم تطبع ولو طبعت لكانت مجلدا كبير الحجم كثير العلم، ولنقتصر منها على ما يأتي: قال الشيخ محمد بن عبد الرحمان الزواوي رضي الله عنه وعنا به آمين:

وقد أجزت العارف بالله تعالى حبر الوجود ومحي ما اندرس من كل علم مفقود، أعني القطب المهدي سيدي علي نجل سيدي عيسى، نفعنا الله به بجاه النبي الشفيع، أن يعطي أورادنا أي أوراد طريقتنا المباركة الخلوتية لكل المسلمين، كما أذن له شيخه أن يعطيها، أي شيخه الذي هو الكاتب لهذه الاجازة بالبنان محمد بن عبد الرحمن الأزهري مجاورة: أوله لا اله إلا الله، ثم هو، ثم حق، ثم حي، ثم قيوم، ثم قهار، يخدمها تلميذه بالتدريج والترقي حتى يصل إلى العلامات، ولا ينفع إلا الإكثار من ذكره آناء الليل وأطراف النهار في كل زمان ومكان، على أية حالة طاهرا أو غير طاهر طهارة كبرى أو صغرى أم لا، مطلقا بذكر أولا: لا إله إلا الله خاصة من عصر يوم الجمعة إلى عصر يوم الخميس، ثم يترك لا إله إلا الله ويبدله بالصلاة الشاذلية وهي: اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، من عصر يوم الخميس إلى غد، وهو عصر يوم الجمعة، ثم يترك صلاة الشاذلية ويبدلها بصلاة الأمي وهي: اللهم صل وسلم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم، ثمانين مرة، تكفر له ذنب ثمانين سنة وتغفرها له، ثم يترك صلاة الأمي أيضا ويبدلها بلا إله إلا الله من عصر يوم الجمعة إلى عصر يوم الخميس، وهكذا دائما طول العمر اهـ. ونسأل الله أن ينفعنا وإياه بما علمنا، وأن يعيننا على ما كلفنا، وأن ينظر إلينا بعين العناية والهداية، وأن ينظمنا في سلك أهل الولاية والحماية، وأن يسبل علينا وعلى مشايخنا وجميع أئمتنا وعلى والدينا سجال الغفران، وأن يجمعنا جميعا بنبينا محمد صل الله عليه وسلم في غرفات الجنان، والمطلوب من الأخ المذكور أن لا ينساني صالح دعواته في خلواته وجلواته.

وطلب مني الأخ المذكور أن أضع له سلسلة الطريق تبركا، وليقف عليه المريد الذي لم يرها، فنقول:

(سلسلة الطريقة الرحمانية الخلوتية)

لقن رب العزة جبريل عليه السلام، وهو لقن النبي صلى الله عليه وسلم، وهو لقن علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه، وهو لقن ابنيه الحسن والحسين والحسن البصري وكميل بن زياد، والحسن البصري لقن حبيبا العجمي، وهو لقن داود بن نصير

الطائي، وهو لقن معروف بن فيروز الكرخي، وهو لقن السري بن المغلس السقطي، وهو لقن الجنيد بن محمد سيد الطائفة البغدادية، وهو لقن ممشاد الدينوري، وهو لقن أحمد الأسود الدينوري، وهو لقن عمويه عبد الله بن سعد البكري وهو لقن محمد البكري، وهو لقن القاضي وجيه الدين عمر البكري، وهو لقن أبا النجيب السهروري، وهو لقن قطب الدين الأبهري، وهو لقن ركن الدين محمد النجاشي، وهو لقن شهاب الدين محمد الشيرازي، وهو لقن سيدي جمال الدين التبريزي، وهو لقن إبراهيم الزاهد الكيلاني، وهو لقن محمد الخلوتي، وهو لقن عمر الخلوتي، وهو لقن محمد امبرام الخلوتي، وهو لقن الحاج عز الدين، وهو لقن صدر الدين، وهو لقن سيدي يحيى الباكوي، وهو لقن محمد بن بهاء الدين الشيرازي، ويقال له: الارنجاتي، وهو لقن جلبي سلطان الأقدس الشهير بجمال الخلوتي، وهو لقن محيي الدين خير الدين التوقادي، وهو لقن الشيخ شعبان القسطموني، وهو لقن محي الدين القسطموني، وهو لقن عمر فؤادي القسطموني، وهو لقن وأرشد الشيخ إسماعيل الجرمي المدفون بالقرب من مرقد سيدي بلال الحبشي بديار الشام، وهو لقن وأرشد الشيخ أفندي قاراباشا، وتخلف عن ولده الشيخ مصطفى أي هو الذي أجازه بالارشاد، وهو لقن وأرشد الشيخ عبد اللطيف الخلوتي الحلبي، وهو لقن وأرشد الشيخ شيخنا العلامة قطب الوجود سيدي مصطفى بن كمال الدين الصديقي وهو لقن وأرشد الشيخ العلامة قطب زمانه وفريد عصره وأوانه شيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى الشيخ الحفناوي، وهو سيدي محمد الحفناوي نفع الله به الأنام بجاه سيدنا محمد عليه الصلاة وأزكى السلام، وهو لقن وأرشد خميل المكان والأوان عز الأقران محب الإخوان محمد بن عبد الرحمن الأزهري مجاورة، السماعيلي عرشا، القجطولي قبيلة، الزواوي إقليما (أولئك آبائي)، وهو لقن وأرشد العلامة النوراني سراج الهدى سيدي يحيي نجل سيدي عيسى، نفعنا الله بالجميع آمين. انتهت السلسلة المباركة على الطريقة، وستأتي سلسلة الشريعة قريبا هنا.

ثم نذكر كيفية تلقين وردنا لكل من طلبه أو طلب هو غيره:

أن يتعوذ بالله من الشيطان أولا، ويقبض الإبهام الأيمن من المريد الذي هو تلميذه، وكلاهما غاض بصره ويأمره بذلك، ويقول له: اسمع مني لا إله إلا الله، والمريد ساكت حتى يفرغ الشيخ منها ويسكت، ثم يذكرها المريد ثلاثا أيضا، والشيخ ساكت، ثم يقرأ الفاتحة لإصلاح حاله، ثم يقرأ الفاتحة الثانية لروح النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يقرأ الفاتحة الثالثة لروح شيخه وأهل السلسلة، ويأمره بالتوبة وإكثار الذكر دائما، ولا ينفع إلا الإكثار منه آناء الليل وأطراف النهار. وقال بعضهم: من ذكر الله

حفظه الله من كل شيء ومن خصائص الذكر أنه غير موقت بوقت فما من وقت إلا والعبد مطلوب بالذكر إما وجوبا أو ندبا، بخلاف غيره من الطاعات، وأنشد بعضهم قوله:

وذكـــر الله يحـــسن كـــل وقـــت   فحـــصل حاجـــة وارجـــع إلـــيه
ومـــن يـــنفع أخـــاه بغيـــر خيـــر   مـــع الأذكـــار لـــم ينكـــر علـــيه

فينبغي للعبد أن يكثر منه في كل حالة، ويستغرق فيه جميع أوقاته، وليس له أن يتركه لوجود غفلة فيه، فعليه أن يذكر ولو كان غافلا، فلعل ذكره مع وجود الغفلة يرفعه إلى الذكر مع وجود اليقظة، وهو نعت العقلاء، ولعل ذكره مع وجود اليقظة يرفعه إلى الذكر مع وجود الحضور مع المذكور، وهذه صفة العلماء، ولعل ذكره مع وجود الحضور يرفعه إلي الذكر مع وجود الغيبة عما سوى المذكور وهذه مرتبة العارفين المحققين من الأولياء. قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: 24] غير الله، أذكر الله على حد: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَـٰرِغًا ﴾ [القصص: 10] أي من غير موسى حتى كادت أن تبدي به، وأشار بعضهم إلى هذا المعنى:

بذكـــر الله تبـــتهج القلـــوب   وتتـــضح الـــسرائر والغـــيوب

فترك ذكر الغير أساس كل خير، فإن نسيت ما سواه به كنت ذاكرا لله حقا، وفي هذا المقام ينقطع ذكر اللسان ويكون العيان. وقال الواسطي مشيرا إلى هذا المقام: الذاكرون الله في ذكره أشد غفلة من الناسين ذكره وهذا من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين، وقد وصف الله تعالى قلب أم موسى بمعنى ذلك في قوله: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَـٰرِغًا ﴾ من كل شيء إلا من ذكر موسى، فكادت أن تبدي به من غير قصد منها لذكره ولا تدبر، بل كان تركها للتصريح بذكره صبرا بما ربط الله على قلبها لتكون من المؤمنين.

تنبيه: إذا ذكر الشخص بلسانه ونظر بقلبه إلى الله تعالى، ودام على هذا الوجه يحدث في أعضائه ومفاصله نوع وجع، ويأخذ قلبه في الوجع مع قليل حرقة، اللهم لا تحرم طالبيك من هذا الوجع، ووفقهم أن يشكروك عليه، وهذه الأوجاع منشؤها أن الذكر يقطع اللذات والحظوظ التي تمكنت في قلبه وأعضائه وجوارحه أيام الغفلة، فتكون هذه بداية نفوذ الذكر في قلبه، فإذا زادت مواظبته على الذكر يصل أثر ذلك إلى الروح، فيذكر الروح ويجلس على سرير القلب بالخلافة، ويحكم على الحواس الظاهرة والباطنة، فتنعزل النفس وتكون من رعايا الروح. **انتهت.** هذه الإجازة والسلسلة على الطريقة معا خاصة وهي الإجازة الكبرى.

ثم نشرع الآن في إجازة سلسلة الشريعة معا، خاصة وهي الإجازة الكبرى أيضا ونقول: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام عل سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، والرضى على سائر الأئمة المجتهدين، وعلى تابعيهم بإحسان إلى يوم الدين. قد التمس مني السيد العلامة، ومعدن الشريعة والحقيقة، سيد السادات ومصباح الظلمات، سيدي يحيى بن سيدى عيسى نفعنا الله ببركة الجميع بجاه النبي الشفيع آمين، سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم إجازة فيما صح لي روايته، أو ثبتت درايته، فأجبته لذلك لأنه أهل وحقيق بذلك.

قد أخذت الفقه وغيره عن شيخنا العلامة صاحب التصانيف النافعة الشيخ علي بن أحمد الصعيدي العدوي (1112-1189)، وهو عن جماعة منهم السيد محمد السلموني والشيخ عبد الله المغربي، كلاهما عن السيد محمد الخرشي، وسيدي عبد الباقي الزرقاني، وهما عن نور الدين سيدي علي الأجهوري، وبرهان الدين سيدي إبراهيم اللقاني، وهما عن شيخ المالكية الشيخ سالم السنهوري، عن الشيخ علي السنهوري شيخ التتائي، وأبي الحسن الشاذلي شارح الرسالة، وهو عن العلامة الباسطي، وهو عن تاج الدين بهرام الدمري، وهو عن شيخه العلامة خليل بن إسحاق، وهو عن شيخه قطب الزمان سيدي عبد الله المنوفي بسنده المشهور. وقد أخذ الشيخ علي السنهوري المذكور أيضا عن الشيخ طاهر بن علي بن محمد النوري، وهو عن الشيخ حسين بن حلي، وهو عن الشيخ أبي العباس أحمد بن عمر بن هلال الربعي، وهو عن قاضي القضاة فخر الدين بن المخلطة، وهو عن أبي حفص عمر بن فراج السكندري، وهو عن أبي محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندري، وهو عن أبي بكر محمد بن الوليد بن خلف الطرطوشي، وهو عن أبي الوليد سليمان خلف الباجي، وهو عن الإمام مكي القايسي الأندلسي، وهو عن الإمام أبي محمد عبد الله ابن ابي زيد القيرواني، وهو عن الإمام أبي بكر محمد بن اللباد الإفريقي، وهو عن الإمام يحيى الكناني صاحب اختلاف ابن القاسم وأشهب، وهو عن الإمام سحنون، والإمام عبد الملك الأندلسي، وهو عن الإمام عبد الرحمن بن القاسم العتقي المصري، والإمام أشهب بن عبد العزيز العامري القيسي، وهما عن إمام الأئمة وحبر الأمة الإمام مالك بن أنس، وهو عن ربيعة ونافع مولى ابن عمر، وتفقه ربيعة عن أنس بن مالك خادم نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتفقه نافع عن مولاه عبد الله بن عمر، كلاهما أي أنس وابن عمر عن سيد أهل الدنيا والآخرة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم، وهو قد جاءه الوحي عن رب العالمين بواسطة الأمين جبريل عليه السلام.

قال ذلك وكتب الفقير الحقير الراجي عفو مولاه، خميل الزمان والمكان، أحقر الأقران محب الإخوان في الشان، محمد بن عبد الرحمن بن أبي القاسم ابن أحمد بن يوسف الأزهري مجاورة في مصر القاهرة الزواوي إقليما، القجطولي قبيلة، السماعيلي عرشا، البوعلاوي قرية، المالكي مذهبا، وأما شيخه في الطريقة الذي هو الشيخ الحفناوي فهو شافعي مذهبا، غفر الله ذنوبه وستر عيوبه آمين، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وسلم أولا وآخرا ظاهرا وباطنا والسلام.

تمت إجازة وسلسلة الشريعة بحمد الله وحسن عونه.

وكان الشيخ يأمر تلميذه أن يفدي نفسه من النار، وكيفية ذلك أن يذكر لا إله إلا الله خاصة سبعين ألف مرة، ثم يقول: اللهم إن هذه السبعين ألفا نويت بها فداء نفسي من النار، كما صرح بها سيدي محمد السنوسي في شرح صغراه اهـ. وكذلك ورد أن بين الناس والجن بغضا كبيرا، ومن قرأ المسبعات يذكرها صباحا ومساء أو صباحا خاصة انقلب ذلك البغض الكائن بينهما حبا بقدرة الله تعالى، وهي آية الكرسي إلى (العظيم)، ثلاثا، و (آمن الرسول) إلى (الكافرين) ثلاثا، و (قل اللهم مالك الملك) إلى (بغير حساب) ثلاثا، و (قل أعوذ برب الناس) ثلاثا أيضا.

تمت الإجازة المباركة بحمد الله وحسن عونه، قال بهذا وعمل به كاتبه بالبنان محمد بن عبد الرحمن الأزهري مجاورة، السماعيلي عرشا، القجطولي قبيلة، الزواوي إقليما، ونسأل الله تعالى أن يفتح أبواب فضله، وينشر خزائن رحمته على الجميع بجاه النبي الشفيع، وعلى من انتمى إليه آمين اهـ كاتبه أفقر الورى وأحوجهم إلى الله دنيا وأخرى محمد بن الزروق، أدام الله حياته موفقا مرزوقا، غفر الله له ولوالديه ولأشياخه آمين.

أما الإجازة العامة والخاصة أي مثالها فإني سألت أستاذي سيدي محمد بن سالم الحفناوي سبط الإمام حسن وقلت له: هذه الإجازة التي أجزتني بها بلسانك المبارك، وكتبتها لي ببنانك المباركة ما كيفيتها يا أستاذي هل هي مقيدة في بعض العلوم دون بعض، أو عامة في سائر العلوم والأدوار والحركات والسكنات والأقوال والأفعال وسائر الفوائد والدعوات والرياضات في الجلوات والعزلات والخلوات لنفسي ولغيري من سائر تلاميذي وإخواني وغيرهم؟ فقال لي: أذنتك إذنا عاما دائما لك ولغيرك ممن انتمى، إليك لا ينفعك إلا الإطلاق طول عمرك في كل زمان ومكان، الباب مفتوح لك ولمن أصدقك، وقال لي: خذ كتابي هذا في الأسانيد فانسخه لنفسك لتحمله معك أين ما توجهت، ثم أخذته منه وحصلته بالنسخ بأجرة من يوثق ويتبرك به، ثم أعطيته له. وكتب لي على ظهره إجازة بخط يده المباركة، وصفتها وكيفيتها هي هذه:

الحمد لله السند، والصلاة والسلام على أقوى سند، وعلى آله المهتدين وصحبه النجوم الهادين، أما بعد: فقد أجزت الحسيب النسيب الناسك السالك الأريب ولدنا الفهامة السيد محمد بن عبد الرحمن القجطولي الزواوي الباعليوي الحسني بما تضمنه هذا الثبت، وبما يجوز لي روايته من معقول، نفعه الله ونفع به منظوما في سلك أهل قربه أفضل صلاة وسلام على أكمل الأنام وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار، كتبه محمد بن سالم الحفناوي سبط الإمام الحسن في27 محرم الحرام.

وكتب لي قبل أن يكتب لي هذه الإجازة السابقة بكثير من الزمان الإجازة الآتية وهي قوله:

قد أجزت المولى الفاضل الحسيب النسيب السيد محمد بن عبد الرحمن الزواوي بأوراد طريقتنا طريق السادات الخلوتية، وأن يجيزها من طلبها منه، وأن يستعمل أسماء الطريق التي بها السلوك وهي سبعة: لا إله إلا الله، الله، هو، حق، حي، قيوم، قهار، نفعه الله ونفع به، وهذا التأليف المنسوب لولدنا العلامة الشيخ محمد بن المنير نافع جدا لمن أراد التخلق بأخلاق الصوفية عاملا به أدام الله النفع به، كتبه محمد بن سالم الحفني الشافعي غفر الله له ولوالديه وللمسلمين في غرة صفر الخير من شهور سنة 1168 ثمان وستين ومئة وألف، ونزلت مثل خاتم أستاذي هنا الذي يطبع به الإجازات وغيرها من البطائق والكتب التي ينسخها تبركا وتفاؤلا بأن يختم الله لنا ولمن انتمى إلينا بصدق بالخير، إنه قريب مجيب.

ثم نختم هذين السندين السابقين المنسوبين لأستاذي الحفناوي بسنده لي أيضا بسند المصافحة وهو وضع اليد على اليد وضمها بشدة قليلا، يختم لنا بالخير والصفح والمسامحة، فأقول:

قد صافحني شيخ الشيوخ العارف بالله تعالى مسلكي ومنقذي من العدم إلى الوجود أستاذي سيدي محمد بن سالم الحفناوي قال: قد صافحني العارف بالله تعالى سيدي محمد بن محمد البدير، قال قد صافحني العارف الرباني النقشبندي شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد الدمياطي الشهير بابن عبد الغني البنا، قال وقد وصل إلى اليمن: صافحني الشيخ الكبير الفاضل الفقيه أحمد بن عجيل اليمني في منزله، كما صافحني الكامل المكامل الشيخ تاج الدين النقشبندي السندي، كما صافحه الإمام العارف بالله تعالى الشيخ عبد الرحمن المشتهر بتاج زمرتي، كما صافحه مولانا الأستاذ الشيخ محمود استقرازي، كما صافحه أبو سعيد الحبشي الصحابي رضي الله عنه، كما صافحه سيد الأولين والآخرين وإمام المرسلين سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب عليه أفضل الصلاة والسلام من رب العالمين، قال أستاذي الحفناوي:

وقد تلقينا صورة سلسلة المصافحة اليدوية بما صورته هكذا، ومن فوائد المصافحة حصول البركة، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من صافحني أو صافح من صافحني إلى يوم القيامة دخل الجنة» ا هـ.

وهذه ثلاثة أسانيد من أسانيد أستاذي الحفناوي، والرابع منه أيضا هو سند التلقين للأسماء المتقدم المسلسل أيضا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ومع خمسة أسانيد أخرى وإجازات أخر للمشايخ الخمسة، والمجموع تسعة أسانيد وإجازات خرجت بها من مصر، وعاشرها أي عاشر الأسانيد والإجازات حصل لي هنا في بلادنا، والحمد لله على ذلك، وهي إجازة الشيخ أحمد الدرديري الصعيدي العدوي المالكي، كتبها لي بيده المباركة ككتابة أستاذي، وأستاذه الحفناوي أي هو أستاذنا جميعا، وهي الخامسة، ثم كتب لي أخرى أي السادسة، كتبها الشيخ علي بن أحمد الصعيدي العدوي المالكي، ثم السابعة كتبها لي أيضا الشيخ علي بن خضر بن أحمد العمرسي، ثم الثامنة كتبها لي الشيخ حسن بن غالي الجداوي المالكي، ثم التاسعة كتبها لي أيضا الشيخ سيدي محمد بن عبد الله بن أيوب الملقب بالمنير وبالمنور التلمساني مدينة، المغربي إقليما. الإذن العاشر للسيد الحسين بن اعراب صاحب جدي الزواوي، نفعنا الله بالجميع بجاه النبي الشفيع، إنما اقتصرت على إجازة خط أستاذي الحفناوي ونزلتها هنا دون إجازات الأشياخ الآخرين للاختصار الذي هو مطلوب هنا.

أقول: وللناس في مدحه والتوسل به إلى الحضرة الإلهية رسائل وقصائد لا تعد ولا تحصى، منها القصيدة الآتية جاءني بها السائح الصالح الحاج المبروك ابن بوعكاز البوزياني الطولقي في أوبته من الديار التونسية، فأثبتها هنا أخذا بخاطرها لأنها أتتني طالبة مني محلها من هذا المجموع، وهي:

ثق بالمجيد الواحد المتعالي	رب الورى ذي الطول والإجلال
وأنخ بساحة جوده سبحانه	عم الأنام ببره المتوالي
واسلك مناهج رشده مستمطراً	توفيقه في القول والأعمال
واضرع له في كل شأن لائذاً	لا تختشي من سائر الأهوال
وانبذ زخارف دار غي واحترص	من سحرها وارمق بعين القالي
كم قد دعتك إلى مخادع زلة	تصبو لرائق حسن ذات الخال
تزهو بمنتزه الرياض مسامراً	لنديم كأس اللهو والإضلال
أو ما زهت بالأقدمين غواية	من عهد عاد في الزمان الخالي
أطغت جبابرة الملوك تنعماً	ثم انثنت ترميهم بنبال

فأيقظ لحاظ النفس عن نوم الهوى وارحل عن الإغواء والإهمال
فمتى تغالط بالآمال جهالةً وعن افتراس يد المنية سالي
تب وانكفف عن كل غيٍّ وامتثل متوسلاً بالسيد المفضال
هو ذاك مشهور الكرامات العلا من صيتها قد شاع كالأمثال
تاج المعارف قطب دائرة الورى ذو المكرمات الخلوتي الحال
بدر الكمال الأزهري محمد غوث الورى في شدة الأوجال
من دوحة الزهرا البتول أصوله تاهت بذا مجدا عن الأقيال
بدر تسامى في العلا حتى ارتقى شأوا عزيزاً ذا مقام عالي
في حضرة الحضرات يسقي الأصفيا من راح سر الحق بالإكمال
فتفجرت أنوار هديه جهرة وغدا مبلغ غاية الآمال
بطريقة سمحا يروق شرابها أشهى وأصفى من لذيذ زلال
ناهيك أن المرتوي من ورده نال السعادة واكتسى بجمال
فامدد يديك إلى مواثق عهده واخلع وساوس حيرة الإجمال
و أيقن بأنك قد وثقت بضيغمٍ حامي الذمار بقاطع الأوصال
هيهات لا تخشى الخطوب وإن علت إذ قد حللت عرين ذي أشبال
يحمي من أهوال الحساب شفاعةً في الاحتضار مثبتا وسؤال
في حي جرجرة مطالع شمسه أكرم به قد فاق عن أمثال
وبها مقدس رمسه وبحمة قد صح نقلا عن سراة رجال
تلك المنازل منبع الفضل التي من جاءها قد فاز بالإقبال
تعنو لها زمر الوفود ليمنه تسعى على الأقدام والأحمال
أعلامهم تيها يميل بها الهوا كتمايل النشوان والمختال
في كل ثغر أثل التقوى على ركن متين دافق بنوال
أحيا غروس الدين حتى أينعت بالذكر في الأبكار والآصال
وكذا معالمه بنشر علومه بين الأنام في سائر الأعمال
ربي أذقني من عتيق علومه كأسا يخلص رؤية الأفعال
وامنن علينا بالرضى واختم لنا بسعادة عند احتلال آجال
وأتح لنا وللمسلمين جميعهم عفوا يؤمننا من الأوجال
وأدم صلاتك للنبي محمد خير البرية كلهم والآل

هذه القصيدة من إنشاء العالم الجليل الإمام الأصيل العفيف المتنور الشيخ إدريس بن محفوظ الشريف الحسني الدلسي أصلا. كان هاجر آباؤه لمدينة بنزرت التونسية للاستيطان فولد بها، ولما تمم حفظ القرآن توجه لتونس لجامع الزيتونة الأعظم، فمكث فيه نحو العشرين عاما بين تعلم وتعليم، حتى أجيز في التدريس بعد الامتحان الرسمي، وصارت له اليد الطولى في الفنون المتداولة بالجامع الأعظم، وكان مصححا في دار الطباعة الرسمية بتونس، ثم استعفى ورجع إلى بنزرت، ولا زال يشتغل بالعلم، وقد انتفع بعلمه خلق كثيرون، لأن تعليمه سائر فيه على طريقة علماء السلف في نصح المتعلم وقبول السؤال منه بوجه طلق بلا مكابرة، وتبجيل الطالب وإظهار الشفقة له والمحبة الخالصة كالابن الفريد، جزاه الله خيرا. وله عدة رسائل، من ذلك: رسالة في الحساب، ورسالة في التصوف، ورسالة في أحوال الفعل المضارع، وله شعر رقيق وقصائد بديعة مختلفة المقاصد، أغلبها في مدح سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وآل البيت وبعض المنتسبين لله، لأن الشيخ ميال إلى علوم القوم والمتصوفة، وله تفان في حب الطريقة الرحمانية ورجالها، وقد أخذ العهد عن العارف بالله الرحماني الشيخ سيدي علي بن عيسى صاحب زاوية الكاف بعمالة تونس، المتوفى في ذي الحجة علم 1318. وأشهر مشايخه في العلم حضرة الشيخ عمر بن الشيخ المفتي المالكي، والشيخ المكي بن عزوز الشهير، والشيخ النجار المفتي المالكي والشيخ السماتي نزيل طرابلس، والشيخ سالم بو حاجب المفتي المالكي بارك الله في حياة الجميع آمين ا هـ من خط الشيخ الكامل بن عزوز، أطال الله بقاءه.

وهنا انتهى كلام الحفناوي من كتابه "تعريف الخلف برجال السلف".

ألف الشيخ محمد بن عبد الرحمان الجرجري الأزهري العديد من المكتوبات والرسائل الخاصة التي كان يرسلها لخاصة تلاميذه أو لعامة الأتباع، ولا يزال بعضها مخطوطا ومحتفظا به في بعض المكتبات العامة أو الخاصة في الجزائر والمغرب وتونس، كمكتبة الزاوية العثمانية العزوزية في طولقة. فمن مكتوباته:

1- رسالة فتح الباب: ألفها في آداب الخلوة وشروطها وكيفية دخولها ونتائجها وآثارها الذوقية والخلقية والعرفانية. وقسمها الأول المتعلق بالآداب والشروط والكيفية مقتبس من رسالة الشيخ مصطفى البكري: (هداية الأحباب فيما للخلوة من شروط وآداب). توجد منها نسخة بمكتبة بزاوية طولقة.

2- رسالة طي النفوس من تكلم بها جال في بحر ملكوت القدوس: بيّن فيها آداب الطريق من ذكر وخلوة، وعلامات تزكية النفس، وقسمها المتعلق بآداب الذكر منقول من رسالة مصطفى البكري: "الوصية الجلية لسالكي الطريقة الخلوتية " كتبها

سنة 1199 هـ. وهي موجودة بمكتبة زاوية الهامل.

3- دفتر الدفاتر: هو مجموعة رسائل في كيفيات الذكر والخلوة ونتائجها ومراحل السلوك وآداب الطريق، تزيد على إحدى وسبعين صفحة، وتوجد بمكتبة زاوية طولقة.

4- شرح على الريفاوي: وهو شرح لتأليف عنوانه " قوته قولي"، ومؤلفه الشيخ عبد الله الريفاوي الأزهري. جمع في هذا الشرح أصول الطريقة وأركانها نقلا حرفيا عن كتاب محمد المنير السمنودي الخلوتي (ت: 1199هـ). وفيه أيضا بيان لآداب المريد مع نفسه وإخوانه وشيخه، وذكر فيه أيضا إجازاته وسلسلته في الطريق.

5- كتاب زلزلة النفوس، وكان لا يفارقه لعزته عليه.

6- كتاب الزقاقية ألفه بإذن شيخه الحفني.

7- رسائل حول دوائر طبقات الأولياء وأصنافهم. ورسائل أخرى كتبها إلى تلاميذه بالجزائر والبليدة وقسنطينة وتونس، كلها في التربية الروحية ومدارج السلوك. وتوجد مجموعة من رسائله في المكتبة العامة بالرباط.

ولمكانته في التربية وعلوم الشريعة نجده ضمن حلقات بعض سلاسل أسانيد الحديث الشريف والعلوم الشرعية. مثلا الأمير عبد القادر الجزائري (1222-1300) في مذكراته التي كتبها في السجن بفرنسا عام 1849- ونشرت بالجزائر عام 1991- يذكر في أسانيد بعض علومه الشرعية أخذه عن سلسلة متصلة بمن وصفه ب: [العالم الأعرف النحوي اللغوي السيد العربي بن كيران وهو أخذ عن شيخه السالك المسلك طريق القوم الجامع الشيخ محمد بن عبد الرحمان صاحب جرجرة، وهو أخذ عن الحفني، ثم سند هذا لا يحتاج إلى اتصال إذ هو معلوم].

كذلك العلامة الحافظ الشيخ عبد الحي الكتاني في كتابه "فهرس الفهارس" يذكر عدة أسانيد له في الكتب الشرعية تتصل بالشيخ محمد بن عبد الرحمان الجرجري الزواوي. منها روايته عن القاضي أبي العباس أحمد بن الطالب بن سودة عن أبي عبد الله محمد بن علي السنوسي المكي عن ابن المهل المازوني عن ابن عبد الرحمان الزواوي عن الحفناوي.

كما يروي الكتاني أيضا عن علامة القطر ومفخرته الشمس محمد بن عبد الرحمان الديسي البوسعادي الجزائري، والحاج محمد بن أبي القاسم الهاملي، كلاهما عن عم الأخير العارف أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم صاحب زاوية الهامل، عن شيخه العارف أبي محمد مختار بن عبد الرحمان الجلالي عن أبي حسن علي بن عمرو الطولقي عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن عزوز البرجي عن الشيخ سيدي

عبد الرحمان بن أحمد التارزي عن الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمان الزواوي عن محمد بن عبد الله بن أيوب المعروف بالمنور التلمساني المتوفى بمصر عام 1173هـ بعد رجوعه من الحج.

ونختم هذه الترجمة لإمام الطريقة الخلوتية الرحمانية ببداية إحدى رسائله، وفيها يذكر اثنين من كبار خاصة تلاميذه، أحدهما وهو محمد بن بلقاسم التاجديوي، وهو مشهور في أوساط الطريقة، وله كتاب مخطوط جمع فيه رسائله التي كان يبعث بها لشيخه، وكلها في وصف مشاهده الروحانية وكشوفاته الغيبية. وفي الباب الأخير من هذا الكتاب توجد رسالة أخرى للشيخ وجهها لجميع المريدين.

نص الرسالة بعد البسملة والتصلية:

من محمد بن عبد الرحمان الأزهري مجاورة إلى الأحباب جميع تلاميذنا في كل زمان ومكان، يعني الذين لقنتهم الأسماء السبعة بمباشرتي أو بواسطة مقاديمي. اعلموا انكم بعد أن حملت تلقينها لكم وفزتم بها في حياتي وهرستم إجمالها، ارجعوا لتفصيلها، اخدموا ترتيبها إلى ظهور العلامات لكل اسم، وهو المسمى بالتدقيق بعد التهريس، والتفصيل بعد الإجمال، لا بد مما نذكر، فارجعوا الآن الى مرعاي ومرعاكم، وهو من الاسم الثاني فأعلى، إلى ظهور العلامات، تخدمونها بالتدريج إلى الاسم السابع. والعلامات نعرفها منكم فرع من إعلامكم لنا مما تكرر من الخواطر والمنامات، لمن نصح نفسه وربه وورده وشيخه وقوانينه بالصدق والتسليم والصبر والاجتهاد. ثم إن التلاميذ معادن وأجناس وأنواع وأصناف، ولكل علامات مخالفة للآخر. سبحان من خلق وفرق. بعضهم خفيف الدم وقريب الروحانية، وبعضهم بالعكس. والصنف الأول أقل تعبا في الخدمة من الثاني، وقد يكون الثاني فتحه أقرب لتوالي رياضته دون الأول. [...] إذا دخل الخلوة تأخذ بصيرته في الانفتاح، وإذا خرج منها وبقي أياما ولم يرجع إليها سريعا تأخذ بصيرته في الانسداد، وهكذا طول العمر يصير كالتي نقضت غزلها من بعد قوة، والعياذ بالله من ذلك، وهو من مزلة الأقدام، ومن سوء الظن في الله وفي الشيخ ومن تكذيب علم الباطن، ومن جحد تنزيله. وبعض التلاميذ الصادقين الذاكرين 00000000000000 على عدد هذه الحلقات (رمزالشيخ بكل حلقة إلى العدد 5000، فالأربعة عشر حلقة تعني العدد 70000) رزقهم الله طي الأنفاس السبعة. بعضهم طويت له الأنفاس السبعة في النفس الأول وهو مقام الأمارة وهذا من العجائب. وأعجب منه هو سيدي محمد بن بلقاسم التاجديوي أعجب من الأول الذي هو سيدي محمد بن عياض. ثم نذكر لكم بعض عجائب مناقب الأول، ثم

نذكر لكم بعض بحور الثاني قدر الطاقة لتقيسوا عنهما بعض علاماتكم لتتبصروا ولتزدادوا نشاطا مثلهما أو أكثر منهما. فمن ذلك أول ما لقنته الاسم الأول في النفس الأول، ذكره مدة شهرين أو أكثر وهو يخدم فيه من غير دخول خلوة ولا عزلة، فكتب لي أمرا وصله وفرحني به لا يصله الداخل في خلوة ثلاثين سنة بقوانينها، وعاملته بما عاملني شيخي الحفناوي، وقال لي: لو نجد جزيرة نهرب إليها في وسط بحر نعبد فيها حتى نموت [...] فقلت له الآن وصلت مقام الهيمان فوجبت عليك السياحة الالهية الى الحج، تقضي فرضك وتستعمل سياحتك.

من رسالة أخرى له لخليفته الشيخ محمد بنعزوز البرجي

عليكم بمراتب الطريقة إلى الله تعالى وهي ثلاثة: شريعة وطريقة وحقيقة. فالشريعة هي العلم الذي يجب على كل مكلف معرفته، والطريقة هي القصد إلى الله تعالى بذلك العلم وهو السير إلى الله تعالى وهو العمل، لأن علما بلا عمل لا يسمى علما كما أن عملا بلا علم لا عبرة به فهما متلازمان، وأما الحقيقة فهي الثمرة وهي الوصول إلى المطلب ومنها مشاهدة النور المطلوب ومنها قول أبو بكر رضي الله عنه: (ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله تعالى فيه). فالوصول وصول عظمة وافتقار لاوصول مسافة وانتظار.

تطورات الزاوية الأم بعد مؤسسها:

قبل وفاته سنة 1208هـ (1794 م) أوصى الشيخ محمد بن عبد الرحمن بالخلافة على زاويته الأم لتلميذه المغربي الشيخ علي بن عيسى الذي مكث على رأس الطريقة حوالي 43 سنة إذ توفي سنة 1836. وفي عهده توسع انتشار الطريقة ليعم جل مناطق الشرق الجزائري والجنوب وتونس. وحسب بعض المصادر فإن الشيخ ابن عيسى كان متزوجا بالسيدة الصالحة لالة خديجة التي اشتهرت شهرة كبيرة حتى سميت باسمها قمة جبال جرجرة، وهي أم المجاهدة الصالحة السيدة لالة فاطمة، وقيل أنها تولت شؤون الزاوية بعد وفاة زوجها بعض الوقت.

وفي ذلك العهد من بداية الاحتلال الفرنسي الذي لم يدخل منطقة الزاوية الأم إلا سنة 1857، تحالف شيوخ الرحمانية مع الأمير عبد القادر على الجهاد، وعين بعض مقدميهم خلفاء له في مناطقهم. فمن أبرز رجالها الذين خدموا دولته بإخلاص الشيخ الحاج سيدي السعدي الذي عينه الأمير على منطقة شرقي الجزائر العاصمة،

وجاهد في متيجة إلى جانب ابن زعموم إلى حوالي 1837.

ومن أشهر مقدمي الرحمانية الذين سارعوا لنصرة الأمير عبد القادر خليفته في نواحي القبائل الشيخ الجليل أحمد الطيب بن سالم الذي جاهد معه سنوات طويلة إلى أن ألجأته الظروف لإنهاء مواصلة المقاومة وذلك بسور الغزلان يوم 27 فبراير 1847، أي عشرة أشهر قبل انتهاء جهاد الأمير. وبعدها هاجر الشيخ أحمد الطيب إلى الشام برفقة 442 من أتباعه وأفراد أسرته. وفي الشام التفّ حوله الجزائريون، وبقي ثماني سنوات وهو رئيس الجالية الجزائرية إلى أن وصل الأمير إلى دمشق سنة 1855. وقد التحقت به في بلاد الشام عائلات من أتباعه خصوصا من جهة بوسعادة حيث كان ممثله فيها هو (سيدي عامر)، وقد أدى ابن سالم فريضة الحج، وشجع الجزائريين على الإقامة في جهة الجليل بفلسطين.

بعد وفاة الشيخ علي بن عيسى خلفه على الزاوية الشيخ بلقاسم بن الحافظ بن محمد المعانقي الذي جعله الشيخ محمد بن عبد الرحمن أحد مقدميه خلال حياته. لكنه لم يلبث طويلا، وإثر وفاته تولى المشيخة مغربي آخر يدعى الحاج البشير الذي كان على صلة وطيدة بالأمير عبد القادر وتعاون مستمر معه في جهاده الطويل. واستمر في مهامه إلى وفاته سنة 1841م (1257هـ) ودفن بجامع تالة أوغانمي بالشرفة، فتولى بعده الشيخ محمد بن بلقاسم نايت عنان مدة سنة واحدة. وبعده تولى الشيخ الحاج عمر. وتدعي بعض المصادر أنه تزوج بالسيدة فاطمة التي أججت الثورة على فرنسا سنة 1856 م، الثورة التي قمعها المرشال رندون، والمشهور أنها بسبب دعوتها للجهاد اعتقلت في نواحي تابلاط، وماتت في معتقلها. وكان الشيخ عمر من زعماء المقاومة في زواوة سنة 1857، وهدمت الزاوية في عهده على يد الجنرال (ديفو) فاضطر إلى الهجرة إلى تونس حيث واصل نشر الطريقة الرحمانية هناك.

يقول سعد الله بلقاسم في الجزء الرابع من "تاريخ الجزائرالثقافي"ما ملخصه:

[وتذهب المصادر إلى أن الحاج عمر بقي وهو في المهجر الشيخ الأكبر للطريقة. ولكن الإخوان اختاروا بعده شيخا آخر يدير أمرهم، فكان هو الشيخ محمد الجعدي، وهو من بني جعد نواحي سور الغزلان. وقد جاء في وقت صعب للغاية أي بعد احتلال الفرنسيين للمنطقة ومحاصرة الرحمانيين في كل مكان هناك، وتشريد السكان وحرق المداشر خلال المعارك العنيفة بقيادة الحاكم العام (راندون) وثلاثة جيوش أخرى، وانتهت بمعركة ايشريضين التي لا تنسى لدى الفرنسيين، إذ أقام لها كامبون سنة 1896 نصبا تذكاريا تخليدا لذكرى قتلى الفرنسيين فيها].

ثورة جرجرة عام 1851 كان قد أعلنها وقادها الشريف محمد بن عبد الله

المعروف ببو بغلة. أعلنها في بني منصور حيث وقعت معارك ضد قوات الغزو الفرنسي، ثم توغل بجيشه في جبال جرجرة. فتوجه إليه من العاصمة الجنرال روندون، ومن قسنطينة المارشال ماكمهون بجيش كبير. واحتدمت المعارك خصوصا في ربوة تميزقيدة ومنطقة بني يني حيث التحق بجيش المجاهدين شيوخ وأتباع الزوايا الرحمانية بتشجيع وتحريض من الشيخة الصالحة لالة فاطمة نسومر - بنت لالة خديجة زوجة شيخ الطريقة العام الحاج عمر حسبما تقول بعض المصادر - التي أنقذت القائد الشريف بو بغلة من الوقوع في أيدي الأعداء بعد أن سقط جريحا في إحدى تلك المعارك، فقدمت إليه ما يحتاج من إسعاف وعلاج حتى تمكن من النجاة واستمر في الجهاد إلى غاية 1857. وشيخ الرحمانيين نفسه الحاج عمر أعلن الثورة مرة أخرى في سنة 1856 بنواحي ذراع الميزان وبالاتفاق مع الشيخ واعراب في آيت ايراثن وشيخ بني منقور محمد بن عبد الرحمن. واستمرت المعارك والمقاومة إلى يوم 7 جويلية 1857، فقد كانت قوات الطرفين بعيدة عن التكافؤ إذ ضمّ جيش المجاهدين حوالي سبعة آلاف مجاهد بسلاح بسيط بينما ضم جيش فرنسا حوالي خمسة وأربعين ألف مقاتل متوفر على أحدث المعدات الحربية.

بعد الشيخ محمد الجعدي، انتخب الإخوان العلامة العارف الشيخ محمد أمزيان بن علي بن محمد الحداد (ت: 1290هـ) شيخاً للطريقة ورئيسا لزاوية صدوق. فعادت للطريقة حيويتها وانتشارها وللزاوية الأم إشعاعها بالعلم والتربية والأعمال الخيرية، رغم محاولات الإدارة الاستعمارية السيطرة على الزوايا عموما ومراقبتها. واستمر الشيخ في إدارة شؤونها إلى حين إصدار نداء للجهاد في 08 أفريل 1871 (1288هـ)، فاندلعت الثورة في المنطقة الممتدة من الأخضرية إلى القل، والتحق بها وساندها جل أتباع الزوايا الرحمانية والمتعاطفين معهم في كل القطر الجزائري. وقد ساهمت جهات القبائل وحدها بمائة وخمسين ألف رجل، منهم مائة وعشرون ألف من أتباع الطريقة الرحمانية. وقد بلغ عدد المعارك التي خاضوا غمارها نحو 350 معركة. ونتيجة لذلك خربت زاوية صدوق، وسجن شيخها في 13 يوليو، وقبض على إبنيه عبد العزيز ومحمد. وحوكم المقدمون والوكلاء، وأعدم عدَّة منهم، وشرد الباقون، وطوردوا إلى حدود تونس، وصودرت أملاكهم ووزعت على المستعمرين الفرنسيين؛ وزاد هؤلاء نكاية في الرحمانيين خاصة والجزائريين عامة، فأقاموا على أرض الزاوية وأوقافها قرية استيطانية وأصبح خماسوها خداما عند الكولون. صدر على قائد الثورة الشيخ الحداد الحكم بالسجن الانفرادي خمس سنوات، لكن لم يمض على صدور هذا الحكم مدّة عشرة أيام حتى توفي في سجن الكدية بقسنطينة عن 83 سنة بعد أن

أوصى بخلافته لتلميذه وهو مقدمه في زاوية أولاد عبد النور الحاج علي بن الحملاوي بن خليفة مؤسس الزاوية الحملاوية المشهورة في نواحي تلاغمة جهة قسنطينة.

كان عبد العزيز بن الشيخ الحداد متحمسا للجهاد وهو الذي شجع والده على الدعوة للثورة، وسمّى نفسه « أمير الجهاد» وهو الذي تزعم اجتماع 27 مارس بصدوق وخطب فيه آمرا بقتل الفرنسيين وأرسل رسائل الدعوة إلى الجهاد. ولما اعتقل نفي إلى جزيرة كالدونيا الجديدة مع الشيخ علي بن الحملاوي وآخرين من أصحابه ومقدمي والده. لكنه فرَّ سنة 1881 بعد عشر سنوات قضاها في المنفى. ومكث يتردد بين مكة وجدة ويلتقي بالحجاج الجزائريين. وكان خلال منفاه يمنح الإجازات للإخوان في الطريقة بالمراسلة، ومن الذين حصلوا منه على الإجازة الشيخ محمد بن عمارة، وجاء في آخرها: من عزيز الحداد « المبعد عن أهله». ومرض سنة 1895 فرخصت له السلطات الفرنسية بالتوجه إلى باريس للعلاج، لكن لم تطل إقامته بها إذ توفي بعد قليل من حلوله بها سنة 1895. قيل أنه مات خلال عملية جراحية، وقيل بأنه مات مقتولا بأيدي المخابرات الفرنسية. وجيء بجثمانه إلى قسنطينة ودفن بها.

خلّف الشيخ محمد أمزيان الحداد رسائل عديدة في التربية والإرشاد كان يرسلها لمريديه، وله تأليف في أطوار الطريقة الرحمانية، ذكره المؤرخ المهدي البوعبدلي، وقال إن الحداد وصف في كتابه حالة البلاد بعد ما أذن له في رياسة الطريقة شيخه محمد المهدي السكلاوي (ولد بدلس حوالي 1200وتوفي بدمشق سنة 1278) الذي هاجر للشام سنة 1263 هـ (1847م). وقد كان السكلاوي من أنصار أحمد الطيب بن سالم خليفة الأمير عبد القادر في زواوة، وتولى في الشام مشيخة الطريقة الخضرية، وتتلمذ عليه بعض حكام دمشق وعلمائها، وكانت له سمعة واسعة في الجزائر والشام. ومن تلاميذه العلامة الصوفي الشاعر الأديب الشيخ محمد الطيب بن محمد المبارك الذي ولد أيضا في دلس سنة 1255 وتوفي بدمشق سنة 1313 (1896)، وهاجر سنة 1263مع والده (ت: 1269) والشيخ السكلاوي الذي هو جده لأمه، ودرس على الأمير وغيره. وقد أرسله الأمير عبد القادر مع الشيخ محمد الطنطاوي إلى قونية بتركيا لتحقيق نسخة من كتاب " الفتوحات المكية" للشيخ الأكبر ابن العربي الذي طبعه الأمير لأول مرّة على نفقته.

من تلاميذ الشيخ المهدي السكلاوي البارزين الذين هاجروا من زواوة إلى الشام العلامة صالح الصمغوني بن أحمد بن موسى ابن أبي القاسم. ولد عام 1240 هـ (1825م) ببوغليس بمنطقة القبائل وتعلم في زواياها حتى تمكن في العلوم الشرعية

والأدبية. وأخذ الطريقة الرحمانية على الشيخ السكلاوي الذي كان من أكبر خلفاء الشيخ علي بن عيسى المغربي الخليفة الأول على الزاوية الأم. هاجر الشيخ صالح إلى الشام عام 1262 هـ (1846م) واستقر فيها مدرسا ومربيا مرشدا إلى أن توفي بدمشق سنة 1868 م ودفن بمقبرة الباب الصغير. وقد ترك تآليف منها: رسالة في اختلاف المذاهب، ورسالة في علم الميقات، ومنظومة في الفقه وله عليها شرح وحاشية. أشهر أبنائه العلامة الكبير شيخ علماء الشام الإمام الطاهر الجزائري المولود بدمشق سنة 1852 م وبها أخذ عن كبار علمائها، وأتقن جلّ اللغات الشرقية كالتركية والفارسية والسريانية والحبشية. وتقلد مناصب عديدة منها مفتشا للمدارس، ومديراً لدار الكتب الظاهرية، وعضوا في المجمع العلمي العربي. ترك مؤلفات منها: (إرشاد الألباء إلى طريق تعليم الألف باء) و (تسهيل المجاز إلى فن المعمّى والألغاز) و (التقريب لأصول التعريب) و (الفوائد الجسام في معرفة خواص الأجسام) و (مراقي علم الأدب). توفي بدمشق عام 1920 م.

وقد ظهرت في عهدالشيخ أمزيان الحداد مكتوبات أخرى حول الطريقة ورجالها مثل كتاب: "الفيوضات الربانية والتدرجات الانسانية في نشر الطريقة الخلوتية" ألّفه علي بن محمد المغازي الزواوي (ت: 1301هـ/1884م)

وقد كان للزاوية الرحمانية الأم كثير من المقدِّمين الآخرين منهم الشيخ محمد بن الحسين (1839-1902) المقيم في قرية (آيت أحمد) وكان يتمتع بسمعة كبيرة في الدين والورع. وقد صحب من مشائخ الطريقة الشيخ الحداد، والشيخ الطيب أخليفة (بإيفليسن) والشيخ محمد اجوادي (بقلعة أثخليلي) والشيخ محمد أوديع (بأثزلال) والشيخ محمد اوالطيب (أثلعزيز) والشيخ محمد أوعلي والشيخ الدقاق (بتمقوت ابحرين) والشيخ الحاج سليمان (بتاوريرت). وكذلك بقي في آيت اسماعيل الشيخ محمد البجاوي وغيرهم ممن يقولون إنهم من نسل الشيخ ابن عبد الرحمن (بوقبرين) المؤسس. وإضافة إلى ذلك هناك حوالي خمسة عشر مقدما آخرين في أنحاء الجزائر حينئذ، ولهم زوايا، وقدر عدد أتباعهم وزواياهم كما يلي: 21000 إخواني، و19 زاوية في المجموع. هذا طبعا خارج زوايا وأتباع الفروع المستقلة الأخرى.

وخلال كلامه عن الطريقة الرحمانية في الجزء الرابع من كتابه " تاريخ الجزائر الثقافي" ذكر بلقاسم سعد الله الثورات المتتالية التي قام بها أتباع الطريقة، بحيث لا تكاد تقمع ثورة بأقسى أنواع العنف الاستعماري الفرنسي حتى تتأجج ثورة أخرى في جهة أخرى، فيقول:

[وقبل أن نطوي صفحة الحديث عن الرحمانية نذكر أن بعضهم يقول أنها كانت

وراء انتفاضة عين التركي سنة 1901 التي وقعت بالقرب من مليانة والتي اقادها الشيخ يعقوب «المرابط الرحماني» ضد المسيحيين في الناحية، محاولا إجبارهم على اعتناق الإسلام، حسب رواية هذا المصدر، وقد أعد الشيخ العدة للهجوم على المراكز الأوروبية قبل إعلان الجهاد وأضاف هذا المصدر (هنري قارو) أن انتفاضة الشيخ عمر (عمار؟) بن عثمان التي حدثت سنة 1906، في أعقاب انتفاضة الشيخ يعقوب المذكورة كانت أيضا رحمانية. وقد وقعت في القصرين kasserine ، وهيج هذا الشيخ المسلمين باسم الجهاد وهاجم الأوروبيين الذين رفضوا اعتناق الإسلام. بل ذهب هذا المصدر إلى القول بأن الشريف بوبغلة زعيم ثورة 1851 -1854 [كان مقدما رحمانيا. وهكذا كان بعض الباحثين الفرنسيين «يتخيلون»أشباح الإخوان الرحمانيين وهي تطاردهم في كل حدث يقع ضدهم].

ولمزيد الإطلاع على ثورات الرحمانيين ضد الاحتلال الفرنسي يمكن الرجوع إلى كتاب"الحركة الوطنية الجزائرية" للدكتور أبو القاسم سعد الله "وتاريخ الجزائر العام" للشيخ عبد الرحمن الجيلالي، وبحوث الدكتور يحي بو عزيز التي سنذكر عناوين بعضها في فصل المراجع من آخر هذا الباب وغيرهما من كتب تاريخ المقاومات في الجزائر.

ثم يعطي سعد الله في الجزء الرابع من كتابه " تاريخ الجزائر الثقافي " إحصائيات لأتباع الرحمانية فيقول:

يثبت إحصاء سنة 1882 أن عدد الإخوان الرحمانيين بلغ 96. 161 ألفاً من الرجال. أما المقدمون فهم 754، وأما عدد الزوايا عندئذ فهو 220. وقد جاء في إحصاء 1897 أن العدد قد بلغ 160 ألفا في مجموع الزوايا التي درست. ومعنى ذلك أن هناك مناطق ظلية لم تدرس وهناك إخوان لم يدخلوا بعد في العدد. وقد حمد الله صاحب هذا المصدر على أنه لم يكن لهؤلاء الرحمانيين قوة محركة واحدة (يقصد شيخا أو زاوية واحدة) وإلا لكان على فرنسا أن تنسج كفنها بسرعة. وقد أعطى هنري قارو الذي درس الحركة الإسلامية في أوائل هذا القرن إحصاء آخر للطريقة الرحمانية سنة 1906.

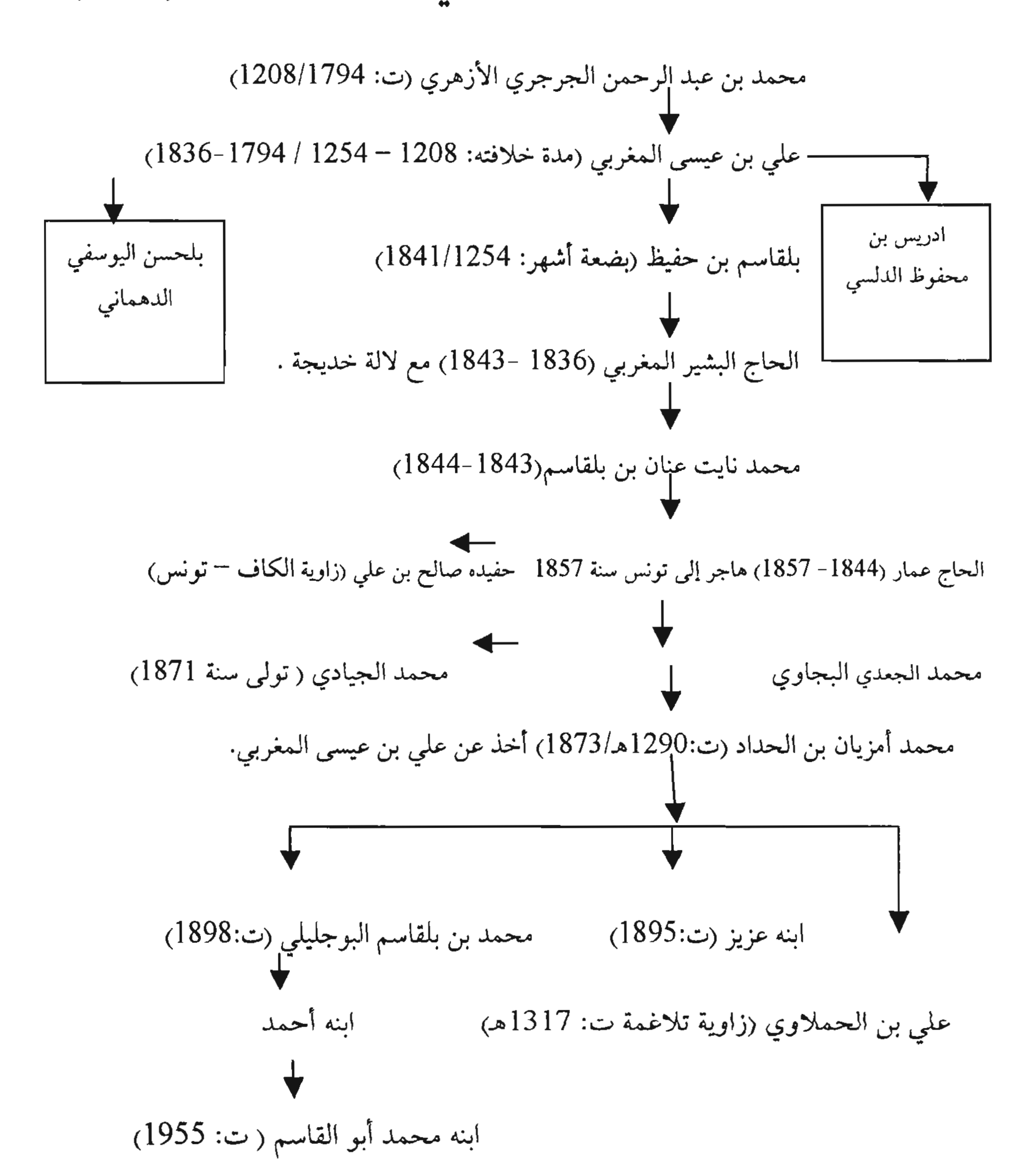
فكان مجموع الإخوان الرحمانيين، بناء على رأيه هو 133,500 ألفاً من بينهم أكثر من 13,000 ألفاً من النساء، وينظر تفصيل أعداد الأتباع وزواياهم في فصل الإحصاءات من هذا الكتاب.

والزاوية الرحمانية الأم في آيت اسماعيل (ولاية تيزي وزو) حيث ضريح مؤسسها، تشهد الآن (1425 هـ - 2004م) تجديدا وتأصيلاً حسيا ومعنوياً بفضل

جماعات من أهل العلم والفضل. فقد جدد بناؤها ووسع مسجدها وتكررت الملتقيات العلمية والروحية فيها وفي فروعها المتعددة خلال السنوات والشهور الأخيرة، مما يدل على بوادر لنهضة قوية جديدة للطريقة.

وكنماذج لتلك الزوايا الرحمانية نذكر أربعة منها نقلا من كتاب (زوايا العلم والقرآن بالجزائر) للأستاذ محمد نسيب المطبوع أول مرة سنة 1409 هـ بالجزائر ومن كتاب" تاريخ الجزائر الثقافي" لسعد الله بلقاسم.

سلسلة شيوخ الرحمانية الأوائل في منطقة القبائل (زواوة)



زاوية ابن سحنون بتغراست دائرة
سيدي عيش – ولاية بجاية

تكلم عنها المؤرخ أبو القاسم سعد الله في الفصل الثاني من الجزء الثالث من كتابه تاريخ الجزائر الثقافي فقال ما خلاصته:

تأسست زاوية ابن سحنون في تغراست ببني وغليس حوالي السبعينيات من القرن التاسع عشر على يد الشيخ محمد السعيد بن سي السعيد أمقران بن سحنون، فرعا عن الزاوية الأم المؤسسة في وقت سابق في قرية اسحنون بآيت ايرائن – بلدية آيت أومالو دائرة أربعاء بني ايراثن – ولاية تيزي وزو التي أسسها الشيخ عمرو الشريف. وكانت أصلا وفرعا رحمانية الطريقة، وعلى صلة بالشيخ أمزيان الحداد بصدوق والزوايا الرحمانية الأخرى.

ولد مؤسسها محمد السعيد السحنوني سنة 1839. وكان والده السعيد أمقران قد التحق بجيش الأمير عبد القادر واستشهد في المقاومة، تاركا ابنه محمد السعيد جنينا في بطن أمه. وأثناء طفولته وصباه تولى تربيته ابن عمه الشيخ محمد وعلي السحنوني الذي علّمه القراءات والبلاغة والنحو والفلك والفقه والحديث الخ.

كان هذا الشيخ (محمدو علي) قد درس في زاوية العائلة الأصلية، ثم في زاوية ابن أعراب بتيزي راشد، ثم درس على الشيخ أمزيان الحداد بصدّوق وعنه أخذ الطريقة الرحمانية، فأصبح من مقدميها في اربعاء بني أيراثن. وقد تولى أيضا التدريس في الزاوية السحنونية إلى ثورة 1871. فكان من المحاربين الشجعان، وتولى قيادة سهل عمراوة (سباو) وشارك في معركة ايشريضن الشهيرة، وتزعم المسبلين. وكان مع أحمد بومزراق المقراني حين قبضت عليهم السلطات الفرنسية في الرويسات، ناحية ورقلة، في 20من يناير 1872، حين كانوا في طريقهم إلى تونس عبر سوف، فأخطأوا الطريق. وبعد المحاكمة في قسنطينة نفي (محمدو علي) إلى كايان، ثم سمح له بالإقامة في غير الجزائر، فاختار المدينة المنورة. وقد دخل الحجاز من طريق اليمن حيث بقي فترة مدرسا هناك، ومن اليمن دخل مكة عند موسم الحج. وفي المدينة أقام ودرّس، وتزوج إمرأة من آل القاضي أرسلت إليه من الجزائر. وبقي يراسل بني قومه إلى وفاته التي ربما تكون وقعت في نهاية القرن الماضي.

زيادة على ابن عمه الشيخ (محمدو علي) درس محمد السعيد كذلك على شيوخ آخرين مثل الحداد وخليفته البوجليلي. وبعد أن شبّ في العلم انتصب للتدريس في

زاوية الحاج احساين بسمعون، ثم بزاوية عمرو اولحاج جهة عزازقة. كما درس في زاوية بني زروق في بني وغليس، وزاوية سيدي موسى قرب سيدي عيش. ثم أسس زاويته السحنونية الخاصة به في تاغراست. ومن أبرز المواد التي كانت تدرس فيها التفسير والحديث والقراءات ثم العلوم العربية كالنحو والصرف وكذلك الفلك. وقد ضاعف الشيخ محمد السعيد جهوده في التعليم فكان يتردد أيضا على الزاوية الأصلية بالأربعاء (بني ايراثن) ويستعين ببعض طلابه في التدريس، إلى أن توفي سنة 1914، فتولى شؤون الزاوية تلاميذه ومن أبرزهم الشيخ ابو القاسم بن طعيوج، والشيخ محمد أمزيان بودريوة الذي أسّس زاوية بقرية الشرفة بأكفادو.

وكان الشيخ محمد السعيد من التلاميذ الأوفياء للشيخ الحداد، وللشيخ المجاوي الذي كان يجالسه، وللشيخ حمدان الونيسي. ومن الذين أثروا فيه ابن عمّه (محمدو علي) الذي رباه وعلمه إلى أن نفته السلطات الفرنسية إلى (كايان) بعد ثورة 1871، فبقي الشيخ محمد السعيد وصيا على عائلته، وظل على صلة دائمة به حتى بعد أن لجأ (محمدو علي) إلى المدينة المنورة.

الشيخ ابو القاسم بن طعيوج من نواحي جيجل، وسكن السيلات قرب وادي الزناتي وعين عبيد، وما يزال أحفاده هناك. زيادة على توليه الزاوية السحنونية اثر وفاة شيخه تولى أيضا زاوية معطا الله الحركاتي بالعين البيضاء، وأثناء وجوده بها تعرف على الشيخين المكي بن عزوز وحمدان الونيسي وحصل منهما على الإجازة.

عند وفاته ترك الشيخ محمد السعيد أبناءه صغارا، وكان منهم محمد الشريف السحنوني. فقد تركه والده ابن عشر سنوات (ولد سنة 1905) ولذلك تولاه، كما تولى شؤون الزاوية الشيخ طعيوج المذكور. وبعد أن حفظ محمد الشريف القرآن وتتلمذ على ابن باديس، قصد تونس بنصيحة ابن باديس، ونال من جامع الزيتونة شهادة التحصيل سنة 1931. وكان ذلك هو تاريخ تأسيس جمعية العلماء وصحوة التعليم العربي الحر في الجزائر. ولذلك كثر الطلبة بالزاوية حتى بلغ نحو ثلاثمائة. وبالإضافة إلى نشر العلوم الإسلامية، كانت الزاوية لا تتوقف عن تحفيظ القرآن الكريم، وكان لها تأثير في نواحي سطيف والبرج وثنية بني عايشة وسكيكدة. ويبدو أن الشيخ محمد الشريف قد تأثر بحركة ابن باديس، ومن تلاميذه الشيخان البارزان في جمعية العلماء أحمد حسين وعبد الرحمان شيبان.

وقد تطورت هذه الزاوية في القرن العشرين حتى أصبحت تستقبل بعض التلاميذ من البلدان المجاورة. كما أنها وجهت بعثات إلى تونس للتعلم منذ أواخر الثلاثينيات، وأسست لهم هناك دار استقبال. ولبعض شيوخ الزاوية السحنونية تآليف في التصوف

وغيره.

تكلم الأستاذ محمد نسيب في كتابه "زوايا العلم والقرآن في الجزائر " على الزاوية السحنونية فقال ما خلاصته:

زاوية ابن سحنون في تغراست، حسب تسجيلات المؤسس، هي معهد قرآني علمي داخلي بالمفهوم الحديث، أسس في حوض الصومام الذي كانت جباله تضم حوالي تسع عشرة زاوية قرآنية وعلمية، وفي بني وغليس الذين كانوا يحتضنون حوالي ستة زوايا قرآنية حيث نشأ وتعلم سيدي عبد الرحمان الوغليسي، والذين كانوا بطانة الشيخ بالحداد والمقراني.

كان تأسيس هذه الزاوية في تلك المنطقة، أثر ثورة 1871م مباشرة يهدف إلى:

- استقطاب حفظة القرآن الكريم من الزوايا الأخرى ومن نفس الزاوية لنشر العلوم العربية والدينية.

- بعث نهضة علمية فكرية، بعد كبوة، بتيار يوصل ماضي المنطقة بمستقبلها.

- ربط أطراف المنطقة الثائرة (الأخضرية-الحدود التونسية شمالا) بمركز انطلاق وإعلان ثورة 1871م، استبطانا لفكرة رفض الاستعمار واستلاب الغالب للمغلوب، ودعمها برجالات يحملون بين جوانحهم شرارة الشخصية الجزائرية العربية الإسلامية وكبريائها.

المصدر المالي للتأسيس والإنفاق على الزاوية:

ولقد تأسست الزاوية بعرق جبين مؤسسها الذي تصدى للتعليم والتدريس إثر فشل ثورة 1871م ونكبة عائلته، في زوايا بني وغليس، وكان يدخر ما فضل من أجرته ومن نتاج استثماره لقطع أرضية موروثة في مسقط رأسه (بني ييراثن) حتى تمكن من شراء مكان التأسيس، وبنائه وافتتاحه، ثم حبس كل ممتلكاته على طلبة القرآن والعلم في زاويته، ولكن ما إن انطلق المعهد في تحفيظ القرآن وتدريس العلوم العربية والدينية حتى التف حوله الناس وأصبحت موارد تمويل المعهد تأتي من مصادر ثلاثة:

- ممتلكات المؤسس المحبسة.

- مساهمة عرش بني وغليس التي كانت منظمة حسب نمط خاص في إقامة أود الزوايا التي يحتضنها، وهو يتضمن باختصار التزام كل عامل من سكان العرش بتخصيص جزء من دخله السنوي، حسب ثرائه، يوزعه على الزوايا حسب نماء عدد الطلبة وازدهار التعليم فيها، تبرعات المحسنين وخاصة حيث ينتشر تعلم القرآن الكريم في الكتاتيب والمساجد.

- نماء التعليم وتنظيمه في الزاوية:

لقد تعلم في زاوية ابن سحنون في تغراست آلاف الطلبة، في غضون قرن من الزمن، من مختلف جهات الوطن، وتخرج منها مئات من حفظة القرآن الكريم، ومن شيوخ، وممن كان لهم شأن في حرب التحرير، إذ كان عدد الطلبة يتراوح سنويا ما بين (300-500) ويندر أن يقل عن 300 طالب.

وكان التعليم منظما، منذ العشرينيات، حسب نوعين من الطلبة:

1 . طلبة القرآن: أي طلبة مسجلون لتعلم القرآن الكريم وحفظه.

2 . طلبة العلم: أي طلبة مسجلون لإتقان حفظ القرآن الكريم ودراسة العلوم العربية والدينية.

ونظم تدريس طلبة العلم في طبقات أربعة، حسب الكتب المدروسة، على غرار ما كان التدريس منظما في جامع الزيتونة بتونس، ثم في مرحلة تالية في جامعي سيدي الأخضر وسيدي قموش (1932) بقسنطينة اللذين تطور التعليم فيهما إلى صيغة معهد ابن باديس، وفي المدرسة الكتانية، وبداية الثلاثينيات أسس امتحان داخلي في الزاوية للانتقال من طبقة إلى أخرى.

وقد كانت منابع العلم هذه معترفة ضمنيا بمستوى التعليم في زاوية ابن سحنون، إذ كان من الممكن دائما أن يسجل طلابها في أي معهد من هذه المعاهد وفي نفس الطبقة التي تخرج منها في الزاوية بادعائها والامتحان فيها، فإن أخفق يسجل في الطبقة الأدنى مباشرة.

وكانت المواد المدروسة في الزاوية إلى جانب تحفيظ القرآن الكريم، كعمل أساسي وعلة وجود متزامن مع استظهار التصانيف والمتون الفقهية والنحوية والصرفية والفرائضية وعيون قصائد أشعار العرب، هي نفسها بصفة عامة المقررة في جامع الزيتونة، وتطورت بتطورها بكتبها المتاحة أو المماثلة، وببرمجة وتوقيت مناسب، على الطريقة التقليدية، مما مكن الزاوية، في منتصف الثلاثينيات، من تنظيم أول بعثة تعليمية من طلبتها، أوفدتها على حسابها ايواءاً وتموينا، للتسجيل في جامع الزيتونة، واستمر الإنفاق على دار طلبة ابن سحنون في نهج بوخريص في تونس حتى منتصف الخمسينيات.

زاوية أبي القاسم الحسيني البوجليلي

تقول إحدى الوثائق التي تملكها الاسرة الحسينية – وتعود كتابتها إلى القرن الحادي عشر للهجرة-السادس عشر الميلادي-أن جدها الأعلى أسس بقرية بوجليل

كتّاباً يعلم فيه صبيان القرية والقرى المجاورة. وذلك إثر استقراره بها بعد هجرته إليها من بني ورتلان (الجنوب الشرقي لبجاية). وتقول وثائق أخرى أن هذا الكتاب استمر في تحفيظ القرآن خلال الأعوام الطويلة التالية قويا تارة وضعيفا أخرى ولكنه تشبث بالحياة على كل حال.

وعندما ولد الشيخ أبو القاسم الحسيني كان أبوه معلما في هذا الكتّاب وتحت إشرافه. وهذا الكتّاب هو الذي تطور إلى زاوية على يد الشيخ أبي القاسم رحمه الله الذي يحدثنا في أحد كتبه أنه قرأ في هذا الكتّاب كثيرون، وفيه حفظ القرآن الكريم. وإذا كان تحديد تاريخ التأسيس متعذرا، فليس كذلك تحديد انتقال الكتّاب من صفة كتّاب خاص بقرية بوجليل والقرى المجاورة لها إلى زاوية ومعهد يقصده الكثير من منطقة القبائل خصوصا، ومن غيرها شرقا وغربا عموما.

ولد الشيخ أبو القاسم سنة 1836. وبعد أن حفظ القرآن على والده بعث به إلى زاوية سيدي عبد الرحمان اليلولي وكان في الخامسة عشر من عمره. وفي هذه الزاوية المتخصصة في القرآن والقراءات درس على جلة من حفاظ ذلك العصر ومقرئيه علوم القرآن وتبحر في القراءات ودرس النحو والصرف والفقه. واشباعا لنهمه العلمي غادر هذه الزاوية إلى زاوية صدوق التي كان على رأسها في هذا الوقت العالم الكبير والصوفي الجليل الشيخ محمد أمزيان بلحداد رحمه الله، وهناك تفرغ للدراسة العربية والفقهية بعد أن انتسب إلى الطريقة الرحمانية التي انتهت رئاستها إلى الشيخ بلحداد الذي رأى في تلميذه نبوغا وطموحا وصلاحا، فخصه بالعناية والرعاية. وكانت علاقتهما أكبر من علاقة التلميذ بالشيخ، بل علاقة روحية خالصة، علاقة الداعية بمستشاره وأمين سره، وعلاقة المرشَّح بمرشِّحه لتولي شؤون الطائفة الرحمانية، لذلك كان يدربه على القيادة بتكليفه بمهمات كان ينجزها بكفاءة ووفاء وإخلاص. وقد أذن له - بعد أن أتم دراسته - بالعودة إلى قريته بوجليل كإمام لمسجدها ومعلم للقرآن في كتّاب أسرته، وناشر للطريقة الرحمانية بأمر من شيخه. وعندما أعلن الشيخ الحداد الجهاد سنة 1871 على رأس الرحمانيين انضم إلى شيخه كداعية وقاض للعسكر ومستشار للبش آغا المقراني وحضر بعض المعارك منها: معركة وادي سفلات الشهيرة التي استشهد فيها المقراني رحمه الله.

وبعد فشل الثورة سيق الشيخ الحداد وابناه إلى السجن، ومن داخله كتب إلى تلميذه رسالة يُعَيِّنُهُ فيها خليفة له ويعهد إليه برئاسة الطريقة الرحمانية وبتسيير أملاك زاوية صدوق. فنفذ التلميذ طلب شيخه، فرأس الطريقة الرحمانية. أما تسيير أملاك زاوية صدوق فلم يكن ذلك ممكنا لأنه في الواقع لم تبق للزاوية أملاك، فقد صودرت

كلها ووزعت على المعمرين.

وفي هذه الفترة الحرجة - وقد مات الشيخ بلحداد في السجن، ونفي ابناه - رأى الشيخ أبو القاسم - وفاء لشيخه - أن يجمع طلبته ويواصل بهم المسيرة، فبنى مسجدا على نفقته الخاصة في قريته وبنى بجانبه محلا لاقامتهم وتصدى لنشر القرآن والعلم، وهكذا ولدت زاوية بوجليل، أو قل هكذا صار الكتَّاب الذي أسس في أوائل القرن الحادي عشر الهجرى.

أكب الشيخ محمد البوجليلي في زاويته نحو ثلاثين سنة على التعليم والتأليف والتربية الروحية الرحمانية وخدمة الدين، فاشتهر أمره وورد عليه طلبة العلم ومريدوا الطريق، وكان منهم مثلا، تلميذه الشيخ محمد بن عمر السازيلجي الذي أجازه في 18 ذي الحجة 1293 (15 يناير 1876). ومن أنفس تآليف الشيخ محمد البوجليلي كتابه (التبصرة في القراءات بالروايات العشرة).

وحسب إحصاء سنة 1897 فقد كان عدد أتباعه في الطريقة 7904 إخواني منهم 1115 امرأة، وله 42 زاوية تابعة، وثمانية من الوكلاء و64 مقدما فمجموع إخوانه 9092.

كان برنامج التعليم في تلك الفترة مركَّزا بصفة خاصة على العلوم العربية – النحو الصرف البلاغة - وتأتي بعد ذلك القراءات... أما الفقه فيأتي في الدرجة الأخيرة، ويبرر الشيخ ذلك بكون الطلبة الذين التحقوا بالزاوية كانوا قد درسوا القراءات والفقه في وقت سابق، بعضهم عن الشيخ بلحداد وبعضهم عن شيوخ آخرين. وبعد وفاة الشيخ رحمه الله سنة 1898، ترأس الزاوية ابنه الشيخ أحمد وكان فقيها، لذلك تقلصت في عهده العلوم العربية قليلا وازدهر الفقه، وقد أحدث هذا الشيخ ما يمكن أن يسمى الدراسة الموسمية، فقد خصص أشهر الشتاء لتدريس الفقه بصفة معمقة لعدد من المثقفين الكبار في السن الذين لم تسمح لهم ظروفهم المعاشية أن يواصلوا الدراسة في المعاهد طول العام، وهذا النظام يسمح لهم أن يقبلوا على الدرس بعد أن يكونوا قد انتهوا من حرث أراضيهم وجمع التين والزيتون خلال فصل الخريف، وكانت الدروس تعطى أواخر النهار وصدرا من الليل.. وبعد الفجر... وذلك لتتاح الحرية لبعضهم في الانصراف إلى العمل وإلى التجارة.

وبعد وفاة الشيخ أحمد رحمه الله تسلم الزاوية ابنه البكر الشيخ محمد أبو القاسم الحفيد فلم يغير من نظام الزاوية كثيرا وإن كان وسَّع بنيانها واستعان بمشائخ آخرين استقدمهم لتحفيظ القرآن أو لتدريس المواد العلمية الأخرى.

وقد تخرج من هذه الزاوية رجال كثيرون من أهل العلم والقرآن والجهاد منهم

محمد عمارة والطيب عمارة وآيت أحمد يوسف.

الزاوية الرحمانية بالجزائر العاصمة

منذ تأسيسها على يد الإمام الأول للطريقة الرحمانية الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري قام بشؤون زاوية العاصمة مقدمون تابعون لخلفائه في زاويته الأم بجرجرة. ومن أولئك المقدمين رجال عائلة تنتسب إلى قطب الطريقة الشاذلية بالجزائر في القرن العاشر الشيخ أحمد بن يوسف الملياني. كانت هذه العائلة تقطن في قرية سيدي علي موسى بنواحي تيزي وزو، إلى أن برز منها الشيخ علي بن بلقاسم بن محمد سليل الولي سيدي علي موسى الذي كان من كبار مقدمي الرحمانية المجاهد الشيخ الحداد شيخ زاوية صدوق بناحية أكبو. وشارك معه في ثورة 1871 فوضع تحت الإقامة الجبرية بالجزائر العاصمة وبقي رئيسا للزاوية الرحمانية بالعاصمة إلى أن توفي يوم 14 أفريل 1904 ودفن في مقبرة الحامة. وقد خلف ستة أولاد وست بنات وبعده تولى إدارة الزاوية ابنه الأكبر الشيخ محمد (توفي سنة 1913) ثم ابن هذا الأخير الشيخ الشريف بن محمد (ت: 1925) ثم ابنه الآخر الشيخ علي بن محمد بن علي الذي بقي قائما عليها إلى ما بعد 1951. وقد كان لهذه الزاوية أتباع كثيرون في العاصمة وضواحيها وفي جرجرة وذراع الميزان، بلغ عددهم حوالي سنة 1950 أزيد من 14500 تابع حسب الإحصاءات المذكورة في كتاب (الطرق الدينية في الجزائر) الذي جمع تحت إشراف مصلحة الإتصالات بشمال افريقيا سنة 1951.

زاوية الشيخ عبد القادر الحمامي

تأسست الزاوية الحمامية سنة 1880م بقرية الحمام دائرة الأخضرية ولاية البويرة حاليا، وذلك على يد الشيخ عبد القادر بن عمر بن محمد بن عبد القادر بن عبد الرحمان بن القاضي الحمامي. ونظام الانتساب لا يختلف عن أنظمة الزوايا الأخرى في مناطق الجزائر، إذ يقدم الطالب عند دخوله إلى الزاوية مقدارا رمزيا للتسجيل فيعد بذلك منتسبا، وللطالب بعد انتسابه البقاء في الزاوية بدون تحديد للمدَّة يقرأ القرآن الكريم تلاوة وتجويدا إلى أن يحفظه ويتقن تجويده ورسمه، ثم ينتقل إلى دراسة الفقه والتوحيد واللغة العربية المتمثلة في النحو والصرف والبلاغة.

تعتمد الزاوية على الزكوات والتبرعات للإنفاق على الطلبة سواء كانت من أولياء الطلاب أو غيرهم من المحسنين المحبين للتعليم.

وللزاوية دستور خاص – كغيرها من الزوايا – وهو عبارة عن مجموعة من القوانين يخضع لها الطالب في سلوكه أثناء وجوده في الزاوية أو خارجها، وقد يؤدي

انحراف الطالب إلى طرده نهائيا أو مؤقتا.. الخ...

وقد تعلم الشيخ المؤسس رحمه الله بزاوية الرابطة بذراع الميزان، ثم انتقل إلى سيدي عمر الشريف ناحية دلس، ثم إلى زاوية بوجليل حيث تعلم على الشيخ أبي القاسم البوجليلي. أما الطريقة الرحمانية فقد أخذها عن الشيخ الشريف الإفليسي مقدم البوجليلي. وقد بلغ عدد الطلاب في عهده رحمه الله 500 طالب، وطلاب زاوية الشيخ عبد القادر الحمامي كثيرون قاموا بعد تخرجهم من الزاوية بنشر العلم هنا وهناك ورابطوا في الزوايا يبصرون الناس بشؤون دينهم.

هذا وقد استمرت الزاوية عامرة بتوافد الطلاب عليها من كل مكان وذلك حتى سنة 1954م، عندما اندلعت الثورة الجزائرية، وبدأ التحرش الاستعماري بها فكانوا يضايقون الطلبة، لكن الزاوية صمدت في وجه الاستعمار ولم تحفل بما تلاقي من الجيش الفرنسي من التهديدات والمضايقات، بل استمرت في جهادها صابرة صادقة حتى ضاق بها صدر الاستعمار الفرنسي فانفجر حقده وجن جنونه فراح ينتقم من كل شيء ونهب كل ما في الزاوية من كتب ومخطوطات، ثم تخلص من مضايقتها بهدمها سنة 1958م.

زاوية الشيخ بلعموري بضواحي مدينة سيدي عيسى جنوب ولاية البويرة

والد مؤسسها هو الشيخ محمد رحماني الذي هو من نسل الولي المشهور سيدي إبراهيم الغول، وقد توفي بينبع في الحجاز خلال إيابه من الحج. وقد كانت وصيته لابنه ابن يوسف نذير التزام طريق التصوف والبحث عن شيخ مرب عارف يسلك به معارج الترقي. نفذ الابن الوصية إلى أن وجد شيخه المنشود في الولي الصالح الشيخ محمد بن سعد بلعموري الذي قدم من غرب الجزائر، وتوقف مدّة بجبال العمور في الجنوب الغربي فنسب إليها، ثم انتقل إلى بو سعادة، واستقرّ أخيرا بسيدي عيسى حيث التقى بمريده بن يوسف نذير، وأرشده إلى الذهاب إلى الزاوية الرحمانية الأم بآيت اسماعيل في جرجرة حيث أخذ العلم والطريقة الرحمانية. ثم أرشده شيخه بلعموري إلى تأسيس زاوية في ضاحية مدينة سيدي عيسى، فأسسها سنة 1313 هـ (1895م) في البقعة المسماة اليوم زاوية الشيخ بلعموري الذي توفي سنة 1918 ودفن بالزاوية. واستمر الشيخ النذير في إدارة زاويته تربية وتعليما وإصلاحا بين الناس إلى أن توفي سنة 1950، فتولاها نجله الشيخ الوقور العلامة محمد النذير المولود سنة 1920 وهو باق على مشيختها إلى اليوم، يقصده الناس للإرشاد والتربية

والإصلاح. وابنه ابن يوسف النذير هو الإمام الخطيب المدرس في مسجدها. وهي تؤوي اليوم أزيد من مائة طالب متجردين لحفظ القرآن والعلوم الشرعية.

زاوية الديلمي بالمسيلة

أنشأها الشيخ محمد بن عبد الله الديلمي بن عبد القادر بن أبي زيان بن مبارك بن الموهوب المتصل نسبه بالشيخ محمد بن عزوز الديلمي المسيلي الذي ذكره صاحب "البستان"، وهو شريف النسب. ولد الشيخ محمد بن عبد الله في المسيلة سنة 1264 ودرس على والده، ثم طلب العلم في بجاية فأخذ بها عن الشيخ سعيد الحريزي، ثم توجه إلى زاوية الشيخ اليلولي وزاوية أحمد بن يحي بزواوة، ثم قصد قسنطينة فأخذ عن الشيخ المجاوي. ثم توَّج دراساته بأخذه تربيته الروحية في الطريقة الرحمانية على الشيخ عمارة بن أبي الديار في جبل الناظور والشيخ الحداد إمام الطريقة الذي أجازه فيها، فأسس زاويته بالمسيلة للتعليم والتربية الروحية. وقد حج مرتين وجاور بالحرمين وكان له اهتمام خاص بكتب أبي حامد الغزالي (ت: 505) والشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي (560-638هـ). ودام على التدريس وبث العلم ونشر القرآن وتربية المريدين وتلقين الأذكار حوالي أربعين سنة مع الزهد والتقشف والتواضع والإصلاح بين الناس إلى أن توفي سنة 1361 (1942) ودفن بجوار جده في المسيلة.

تراجم لبعض علماء الطريقة الرحمانية خلال القرن الثالث عشر الهجري في منطقة القبائل ونواحيها من كتاب (تعريف الخلف برجال السلف للحفناوي)

محمد الصالح بن سليمان العيسوي الزواوي

العلامة الأستاذ محمد الصالح بن سليمان بن محمد بن محمد بن أبي القاسم الطالب الرحموني نسبة إلى أولاد رحمون من شرفاء العش في بلد امشدالة. وجد بخطه أنه قرأ وأجيز في جامع الزيتونة بتونس، ولما رجع منها اشتغل بالتدريس، في جبل بني عيسى، واستدعاه الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمان الأزهري، وقدم إليه واشتغل عنده في جبل جرجرة بالتدريس، ونفع الخلق بالعلوم إلى أن توفي سنة 1242 عن نحو 90 سنة، ودفن بداخل الروضة الأزهرية الرحمانية إزاء الشيخ محمد بن عبد الرحمان. وتآليفه كثيرة منها "ميزان اللباب في قواعد البناء والإعراب" و"الدليل على الأجرومية". وشرح على الأزهرية، وحاشية على شرح الصغرى لمؤلفها سماها "المحتاج في شرح معاني السراج" للأخضري و"رياض السعود في ما لله من العجائب والحدود"، وشرح البردة للبوصيري، وشرح السلم. ومن تلامذته ولده الشيخ محمد الطيب أجازه إجازة عامة مطلقة، وتآليفه كثيرة منها: نظم في عقائد التوحيد سماه ب"الدرة المكنونة" كما أشار إليه بقوله:

هذا وإنني لما نظمتها ... بدرَّة مكنونة لقبتها

وله شرح على أم البراهين سماه "تكملة الفوائد في تحرير العقائد" ومنظومة في أحكام الفتوى، تقرب أبياتها من الألفين سماها "مفتاح الأحكام" وشرحها ب"تذكرة الحكام" ومنظومة أخرى سماها "نصرة الإخوان في احتجاج الفقهاء بالبرهان" ونظم في علم الفرائض قال فيه:

سميته بمنهج الوصول ... إلى ما في الإرث من أصول

وشرح الأجرومية سماه "مفيد الطلبة" وله تأليف في أحكام الفتوى أيضا سماه "القرة العصرية". وتوفي رحمه الله زوال الثلاثاء سابع شوال سنة 1251.

محمد بن علي الشريف الزواوي صاحب شلاطة

الفاضل المحترم الظريف السيد محمد السعيد بن علي الشريف. ولد رحمه الله عام (1238هـ - 1820م) في يلولة من بلاد زواوة، وهو من نسل الصالحين الذين جاءوا من المغرب واستوطنوا منطقة القبائل ما بين القرن السادس والثاني عشر، وجده

الأعلى الشريف سيدي موسى (أو علي)، وينتهي نسبه إلى سيدي أبي محمد عبد السلام بن مشيش بن منصور بن إبراهيم الحسني. وكان الشريف سيدي موسى فارق مسقط رأسه في صغره، وأقام في يلولة وتزوج فيها بصالحة ابنة صالح هناك، وبعد مدة أحدث زاوية شلاطة المعروفة حتى الآن بهذا الاسم، وهي زاوية مقصودة لقراء كتاب الله عز وجل في تاسلينت. والذي في علمي أن من لم يقرأ القرآن في شلاطة، ولم يتعلم الفقه في تاسلينت، ولو قرأ وتعلم في غيرهما يعتبر عند المحققين ناقص السر. والدليل على هذا أن الناس إذا أرادوا تعظيم طالب أو فقيه نسبوه إلى إحدى الزاويتين، إما زاوية تاسلينت فقد تقدم الكلام عنها، أو زاوية شلاطة فيكفي من الكلام عنها أنها زاوية ابن علي الشريف الذي ورثه في الظاهر والباطن ولده سيدي محمد السعيد رحمه الله، المتوفى يوم 14 جمادى الأولى سنة 1314. وكانت له محبة في الوالد رضي الله عنه، وبينهما مخالطات ومكاتبات يلتمسان فيها من بعضهما الدعاء الصالح، وكان الشيخ سيدي محمد السعيد من أصحاب النفوذ البليغ والجاه العظيم في قبائل زواوة وما يليها (.....) وله محبة في العلماء والطلبة. وخلف ولدا مشتغلا خصوصا بعمارة زاوية آبائه، وهو السيد الشريف بن علي الشريف.

سيدي محمد العمالي

العمالي نسبة إلى جبل عمال من قرية فيه، بينها وبين الجزائر مسافة قليلة، وكان من الصالحين وله محبة شديدة في الشيخ الأكبر سيدي محمد بن عبد الرحمان الأزهري، رضي الله عنه، وكان من النفر الذين حملوه خفية في ليلة واحدة من زاويته إلى مقامه في الجزائر بعد أن دفن فيها. قدس الله سره وكفى أنه من خواص هذا القطب الأعظم. ومن مقاديمه المحبوبين الذين عمتهم بركته، فكان من أولاده الشيخ حميدة العمالي وولد ولده سيدي علي العمالي رحمهم الله وقد ترجَمتهما معا في جريدة (كوكب إفريقية)، ومحلها الجزائر، ومحررها العلامة محمود كحول القسنطيني.

استأثرت رحمة الله منذ أسبوع بالشيخ الفقيه المشارك أبي الحسن السيد على العمالي المدرس بالمدرسة الثعالبية في الجزائر، والإمام بالجامع الأعظم بعد أن أمضى معظم عمره في الانكباب على العلوم والإقراء والإفادة والاستفادة. كان رحمه الله لطيف المسامرة حلو المحاضرة، عاكفا على تدريس التصريف بشرح الزنجاني، وعلم الكلام بمتن الجوهرة والعقائد السنوسية. ولد كما وجد بخط والده عليه رحمة الله ضحوة يوم الاثنين بالساعة الحادية عشرة من شهر رجب، وهو اليوم الحادي عشر من الشهر المذكور من سنة 1266. وفي يوم الأربعاء الحادي عشر من ذي القعدة سنة

1274 ختم البقرة، وفي محرم سنة اثنتين وثمانين حفظ القرآن واشتغل بقراءة العلم. وتوفي صيف هذه السنة (1326).

أسف لنعيه سكان الجزائر عموما، فهرعوا لتشييع جنازته زرافات ووحدانا، وكان مشهده مهيبا جدا مشى فيه أهل العلم ورجال الفضل والمجد وأعيان الجزائر، وأساتذة المدرسة الثعالبية، وحضره مديرها من منزله بحسين داي إلى مقبرة ضريح الولي الصالح سيدي عبد الرحمان الثعالبي، فدفن بمقبرة أسلافه الأكرمين، ورجع المشيعون يذكرون مآثره ويثنون على غر شمائله، تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته، ورزق أولاده وآله عظيم الصبر والأجر.

وله ولد طيب السيرة والسريرة، جميل الخَلق والخُلق، ملازم للجامع الأعظم في الجزائر اسمه محمد، ولولده هذا أولاد أحيا الله ذكر والديهم، وحفظهم من صروف الزمان وظروفه آمين.

وإفادة للعموم نأتي على ترجمة والده بتصرف نقلا عن الرحلة المسماة "ذخيرة الأواخر والأُوَلْ" تأليف الشيخ أبي محمد سيدي العربي بن علي المشرقي الحسني في حال مروره بالجزائر سنة 1294 فنقول: السيد الجليل العالم النبيل فريد العصر ووحيد المصر في علم المعقول والمنقول، الشيخ حميدة بن محمد العمالي، جمع أشتات العلوم وأجاز وأجيز، ونال ذلك بدعوة والده أيضا، لشهرة صلاحه وكونه من خاصة قطب الصلاح والفلاح، سيدي محمد بن عبد الرحمان الجرجري الأزهري. ومن شيوخه العلامة مفتي الجزائر وشيخ جماعتها الشيخ سيدي محمد بن الشاهد، والفقيه المحدث إمام الجامع الأعظم الشيخ سيدي العربي والشيخ سيدي محمد بن الكاهية والشيخ سيدي مصطفى ابن الكبابطي، والشيخ سيدي واعزيز القاضي.

ومن تلامذة العلامة الشيخ المدرس بمدرسة التعليم الرسمية السيد محمد القزادري. وسيدي أحمد حفيد سيدي سعيد قدورة، والسيد حسن ابريهمات شيخ المدرسة النظامية، وسيدي محمد بن حمدان بن العطار، وسيدي محمد بن عيسى كاتب دار الإمارة بتونس، وحصل له اجتماع في رحلته بحجة الإسلام سيدي عبد القادر بن يوسف القادري، وله القلم البارع الذي يرعف الدرر، ويواقيت الكلام والرسوخ في الفتاوى والأحكام، واشتهر بالفتوى فكان إليه المفزع فيها. لديه إجازات من شيوخه في عدة علوم ولا سيما في علم الحديث، وصحاح الكتب الستة، و"موطأ" الإمام مالك. فإجازة الصحاح الستة و"موطأ" مالك بسند مسلسل وقراءة بحث وتحقيق، كل ذلك السند سماع، وكل رجاله مالكيون وفقهاء مشهورون مصنفون قرطبيون، أخذ هذه الإجازة من العلامة الشيخ القطب الواضح سيدي محمد صالح

البخاري في وفوده للجزائر من مدينة فاس. وله إجازة في الحديث عن شيخه العلامة الإمام القدوة سيدي مصطفى بن محمد عرف بالكبابطي، عن الشيخ علي ابن عبد القادر بن الأمين مفتي الجزائر المتوفى سنة 1236، رواية في البعض وإجازة في الباقي، بالإجازة الخاصة والعامة، والمطلقة والمقيدة. وله إجازة أخرى في علم الحديث عن خاتمة الحفاظ المحققين الشيخ الحاج حمودة بن محمد المقايسي، عن الشيخ الصعيدي، وإجازة في قراءة الرواية عن الشيخ الصالح سيدي أحمد بن الكاهية الجزائري. وكان المذكور من العلماء العاملين، استفاد منه خلق كثير، وانتفع ونفع وأجاز وأجيز، وألف وصنف، ومن أهم تآليفه مؤلفه في القضاء، وتتبع فصوله وأنواعه، وحلية القاضي وشروط القضاء.

محمد بن عبد الرحمان الإمام الجزائري

العالم العامل التقي السني العابد الزاهد الورع محمد بن عبد الرحمان بن أحمد الأمين. كان رضي الله عنه ونفعنا ببركته إماما بالجامع الكبير بالجزائر، وتنقل من الإمامة إلى ضريح القطب سيدي عبد الرحمان الثعالبي، قدس الله سره ونور ضريحه، وبقي فيه قيما صالحا إلى أن توفي وعمره 73 سنة عام وفاة العلامة المفتي ابن الحفاف، وهو عام 1307، وكانت وفاة أبيه سيدي عبد الرحمان الإمام عام 1293 بعد وفاة العلامة المفتي حميدة العمالي بثلاث سنوات إمام الجامع الكبير في الوقت الحاضر هو الشيخ قدور، ولد صاحب الترجمة، خلفا لشيخنا البركة سيدي محمد القزادري ممن يضرب به المثل في الجزائر بالرزانة والعقل واتباع السلف الصالح، ولما توفي أسف عليه الغريب والقريب لمكارم أخلاقه ولا سيما تلامذته في المدرسة الثعالبية قبل تسميتها بهذا الاسم وتجديدها. ومن تلامذته فيها العبد الفقير. قرأت عليه فيها فقها نقيا مأخوذا عن أطواده في مدينة الجزائر، كما سمعت فيها من المرحوم سيدي على العمالي نصيبا من نحو الآجرومية وأوائل الألفية، لأن مدتي فيها لم تزد على شهرين أو ثلاثة، وكان يؤنسني فيما يحكيه لي عن المتقدمين والمتأخرين من علماء الجزائر، ومن جملة ما حكاه لي أن والده كان إماما بجامع ركروك الذي كان في البازار الموجود الآن، عند اتصال زقاق شارتر باخير نهج باب عزون، ولما ختم فيه السنوسية دراية، كان ممن حضر ختمه شيخاه بالكبابطي، ومحمد بن الشاهد الصغير، وبعد الفراغ من الختم قال له بالكبابطي: إني لفي سرور اليوم بأكلي ثمرة غرسي ودعا له بالخير اهـ. وحكى لي أن والده اجتمع في المدينة بالشيخ محمد بن عبد القادر المدني.

وحكى لي سيدي علي العمالي أن والده كان في الجامع الكبير يدرس مختصر السعد، ولما كان في باب الفصل والوصل حضر الدرس أجنبي وراء القائمة المقابلة للشيخ، وجعل يتقدم شيئا فشيئا إلى أن قرب منه منصتا إليه بإصغاء تام، وبعد الدرس دخل مقصورة الشيخ إذ ذاك وسأله أن يذكر له المحل الذي أخذ منه الجمع بين عبد الحكيم وغيره في مسألة من مسائل الباب، فقال الشيخ العمالي: هو مذكور قبل المسألة بثلاث أو أربع ورقات، ولما طالع الرجل بين يديه وجد الجمع سهلا، وكان من أصعب ما يكون عليه فقال له: كنت مع شيخي بسمرقند نحاول هذا الجمع ولم نجد له مسلكا، وإني أكاتبه اليوم لأخبره بأني وجدته في الجزائر، وهذا الرجل هو العلامة سيدي عبد الرحمان النابلسي. وحكى لي أن والده قرأ القرآن على سيدي عمر تلميذ سيدي محمد بن عبد الرحمان الأزهري، وبوصية منه دفنه في عتبة الضريح قائلا له: لأن أكون كذلك بين يدي شيخي بن عبد الرحمان بعد موتي.

ومن تلامذة العمالي العظام سيدي محمد بن عيسى مؤلف رسالة "الألماس" وغيرها، وأحد كتاب الوزارة التونسية في حياته. وذكر الثقات أن سيدي محمد بن عيسى هذا كان ملازما لثلاثة كتب: المصحف، و"الإبريز" في مناقب سيدي عبد العزيز الدباغ، "ودلائل الخيرات". والحق أن رسائله تدل على أنه في طبقة عليا من الفهم والعلم.

ومن تلامذة العمالي سيدي علي بن عبد الرحمان مفتي وهران المتوفى سنة 1325. وهو من أصحاب " الفتوحات المكية" لابن العربي، و"جواهر المعاني" لعلي حرازم تلميذ الشيخ أحمد التجاني. حضرنا مجلسه مرارا فسمعنا منه ما رقَّ وراق، مما خلت منه الأوراق وتشتاقه الأذواق، والفضل في ذلك كله للمحب المحبوب سيدي علي بن الحداد. متعه الله بطيب الحياة وطولها وقر عينه بولده العزيز.

ومن تلامذة العمالي سيدي علي بن الفخار مفتي المدية، وسيدي محمد القزادري، وسيدي حسن بريهمات، وسيدي محمد بن العطار إمام سيدي رمضان في حياته، وسيدي محمد بن عبد المؤمن. وسيدي محمد بن زاكور قال: وللشيخ العمالي فتاوى مجموعة ومحاورات فقهية تزيد مسائلها على الثلاث مائة، وقعت بينه وبين سيدي محمد بن سيدي علي مبارك الولي المشهور، دفين القليعة، وله رسالة في ترتيب محاكم القضاء وأخرى في أحكام مياه البادية، وكان يجري على لسانه قبل وفاته بأيام قول القائل:

سيفقدني قومي إذا جن ليلهم وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

كان الشيخ العمالي خلوتي الطريقة رحمانيا، أخذها عن أبيه عن سيدي محمد بن عبد الرحمان الأزهري، ودفن قرب الخروبة التي كان تحتها مجلس سيدي عبد الرحمان الثعالبي، والتقى عندها بصاحب الصغرى سيدي محمد بن يوسف السنوسي، وأخيه سيدي علي التالوتي، رضي الله عنهم وجمعنا بهم في دار السلام، بفضل الله الملك العلام آمين.

ولد الشيخ العمالي سنة 1227، وتولى الفتوى سنة 1273، وتوفي سنة 1290. ولما كانت الترجمة للشيخ محمد بن عبد الرحمان المشهور بالإمام فالأنسب أن نختمها بأبيات له، نقلتها من خطه مادحا بها محكمة القضاء المالكي الملاصقة للجامع الكبير في الجزائر، لما تم بناؤها في ربيع الثاني عام 1266، وتولى قضاءها الشيخ العمالي، وهي قوله:

أحسن بمحكمة قد راق منظرها ... أبدت محاسنها شكرا لباريها
يحق حسن الثنا للآمرين بها ... مع الذين سعوا كذاك بانيها
للحكم قد نصبت أركانها رفعت ... لشرعة المصطفى الله يبقيها
لا تعجبن أما يكفيك نسبتها ... لمالك شيدت له نواحيها
وحالها نطقت في الحين مفصحة ... بالبشر ضاحكة تزهو لرائيها
يا قاصدا ربعها لا تخش مضيعة ... الله للحق يهدي كل من فيها

بعض المراجع حول رجال وزوايا الطريقة الرحمانية خصوصا في منطقة القبائل

للأستاذ يحي بوعزيز:

1- ثورة المقراني محمد والشيخ ابن الحداد، مجلة الأصالة عدد 2 (الجزائر ماي 1974) ص 22 – 29.

2- الحقيقة عن دور زاوية صدوق والإخوان الرحمانيين في ثورة 1871 الأصالة عدد 15/14 (ماي، جوان، جويلية، أوت 1973) من 161-172.

3- دور الشيخ الجعدي في ثورة 1871 من خلال الوثائق. الثقافة عدد 35 (أكتوبر-نوفمبر 1976) ص 11-25.

4- دور الإخوان الرحمانيين في ثورة 1871 بمنطقة باتنة وأثر المقراني والحداد فيها الثقافة عدد 38 (ابريل، ماي 1977) ص 11 27.

5- دور عائلتي المقراني والحداد في ثورة 1871، الثقافة عدد 54 (الجزائر،

نوفمبر – ديسمبر 1979) ص 27-38.

6- الدور الديني والسياسي للطرق الصوفية في الجزائر، مجلة الحضارة الإسلامية عدد 2 (وهران-أبريل 1996)

7- ثورة 1871 ودور عائلتي المقراني والحداد فيها (الجزائر. و. ك 1978) 471 ص.

8- وصايا الشيخ الحداد ومذكرات ابنه سي عزيز (الجزائر في م. و. ك 1989).

9- ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين (الجزائر م. و. م1996) جزءات.

10- ابن زكري (محمد السعيد بن أحمد): أوضح الدلائل على وجوب إصلاح الزوايا في منطقة القبائل (الجزائر 1913) 127 ص.

11- SALHI (M. B), Etude d'une Confrérie religieuse algerienne: La Rahmaniyya à la fin du XIX é et au debut de XXéme siécle, thése du 3émé cycle Paris, école des hautes études en sciences sociales, 1979.

ب- وثائق الأرشيفات:

أرشيف وهران وأرشيف إكس آن بروفنس بفرنسا، أرشيف وهران به ملف عن الزوايا وأرشيف إكس به ملفات منها:

1- 16H 3: Autres confréries

2-8 x222: (BARON HENRI) Notes sur les confrériesde l'arrondissement de Batna.

3- La Zaouia de Chellata. Excurtion chez les zouaouas de la Haute – Kabylie.

- (Genéve – 1960) 26 p.

4-AZZIZ (SI) -Insurrection de 1871, mémoire d'un Accusée Si AZZIZ BEN MOHAMED AMEZIANE BEN CHEIKH EL HADDAD à ses juges et ses défenseurs. Traduit par Mercier (ERNEST). (Constantine Mars 1873) 202p.

5-BROSSELARD (CH) A-Les Khouans de la constitution des ordres religieux musulmants en Algérie (Alger – 1862) 36p.

6-BRUZON (p): Les confréries musulmants Nord Africaines. Oriont – Occidents (1929). T II. pp322-344.

B – Les confréries religieuses musulmanes (Alger 1897). XXVIII. 577p.

7-DEPONT (OCTAVE): Les confréries musulmanes. R A. (1903) T. XIV. Pp. 385-406.

8- NEVEN (E. DE): Les Khouans ordres religieux chez les

musulmants de l'Algerie.

2è Ed (Paris-1846) pp. 197.

9-RINN (LOUIS): A-MARABOUTS ET KHOUANS: Etude sur L'Islam en Algerie.

(Alger 1884). XXIII+552 P.

B – Histoire de L'insurrection de 1871 en Algerie. (Alger 189) 960 p.

10-SIMIAN (MARCEL):

- Les Confréries Islamiques en Algerie, Rahmania et Tidjania (ALGER 1910) 95 P.

11- COPPOLANI (XAVIER) et DEPON (OCTAVE): les confrèries religieuses musulmanes, Alger 1897, XXVIII, 577 p.

الباب الثالث
الطريقة الرحمانية
في قسنطينة ونواحيها

الزاوية الرحمانية بقسنطينة

هذه الزاوية هي أمُّ جلِّ الزوايا الرحمانية في الشرق الجزائري وجنوبه. مؤسسها هو العلامة الفقيه الأديب المربي الحاج عبد الرحمان بن أحمد بن حمودة ابن مامش باشتارزي. نشأ بقسنطينة وأخذ العلم عن علمائها وعلماء جامع الزيتونة بتونس حتى تمكن من العلوم الشرعية والأدبية، ثم أخذ تربيته الصوفية عن الشيخ محمد بن عبد الرحمان إمام الطريقة الرحمانية الخلوتية. ولما عرف فيه الكفاءة في الدعوة إلى الله وتربية المريدين أرسله لقسنطينة لبث الطريق. يعرّفه الشيخ محمد بن الحاج محمد الهاملي مؤلف " الزهر الباسم في ترجمة محمد بن أبي القاسم" فيقول عنه:

[صاحب الكرامات الظاهرة والأحوال الفاخرة، والحقائق الباهرة، والعلوم اللدنية والمعاني النورانية، والفتح الموثق والكشف المشرق والباع الطويل، والإيضاح عن حقائق الآيات، والنظر الخارق لعرائس المغيبات، والمجلس العالي في حضرة القدس، والمقر السامي في أرائك الأنس، والمنهاج الموطوء على متن الملكوت إلى ملك الجبروت، وله اليد البيضاء في معاني المشاهدات وعلوم المنازلات، وهو أحد من أظهره الله إلى الوجود، وخرق له العادات، وأجرى على لسانه الحكم، ومكنه من الأحوال في النهاية، وملّكه أسرار الولاية، ونصبه حجة وقدوة، وهو أحد أركان هذا الشأن علما وعملا وزهدا وتحقيقا ورئاسة وجلالة: الشيخ سيدي عبد الرحمن باش تارزي القسنطيني الدار. صحب الشيخ سيدي عبد الرحمن رضي الله عنه وأخذ عنه علم الطريق وتخرج به وانتهت إليه رئاسة هذا الشأن في وقته. وتخرج بصحبته غير واحد من أهل قسنطينة وغيرهم، وانتهى إليه جماعة من الأكابر وتلمذ له خلق كثير من العلماء واجتمع عليه أمة من المريدين وانتفعوا بكلامه وصحبته. توفي رحمه الله في حدود عام 1221 هـ (1806م).

للشيخ باش تارزي تآليف منها كتاب نفيس عنوانه: "غنية المريد في شرح مسائل التوحيد" وهو شرحه على قصيدة له تتضمن 45 مسألة تتعلق بالتوحيد. وله " عمدة المريد في بيان الطريقة" في غاية الحسن. وله " المنظومة الرحمانية في الأسباب الشرعية المتعلقة بالطريقة الخلوتية" التي شرحها ابنه وخليفته الشيخ مصطفى شرحا في غاية الجودة والتحقيق بحيث أصبح يعد أهم مرجع للتعرف على التربية في الطريقة الرحمانية، وهي تتألف من أزيد من 700 بيت، وقد أعيد طبعها وطبع شرحها عدَّة مرات، كما وقف على تصحيحها لطبعها الشيخ عبد الحميد بن باديس وكتب بعد الانتهاء منها ما يلي: [الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين. والآل وجميع التابعين بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فقد تم طبع المنظومة الرحمانية، ذات الأسرار الربانية، الجامعة لأصول الطريقة الخلوتية، وآداب التربية الشرعية، الدالة على علم ناظمها وبركته بما نفع الله بها من أتباعه وتلامذته، حتى نفدت طبعتها الأولى مع شرحها فكثرت الرغبات، وتوالت الطلبات في إعادة طبعها، لتعميم نفعها. فقام بذلك على نفقته العالم البركة الخير الثقة شيخ شيوخ الطريقة الخلوتية بقسنطينة اليوم، المتحلي من أخلاق أسلافه بالنفائس الغالية السوم: الشيخ سيدي مصطفى بن الشيخ سيدي محمود بن الشيخ سيدي الحاج محمد ابن الشيخ سيدي محمود بن الشيخ الأكبر سيدي الحاج عبد الرحمن باشتارزي زاده الله من بره وتوفيقه، وسدده في سلوك طريقه بمنه آمين. ولنحل هذه الخاتمة بكلمات وجيزة في ترجمته، فنقول:

مازال هذا الرجل معروفا من شبابه بجمال العفة وحسن السمت ومكارم الأخلاق والحياء التام والتواضع الفطري مع جميع الناس. اعتنى بتربيته أبوه الشيخ سيدي محمود، ثم ابن عم جده الشيخ سيدي الحاج السعيد، فحفظ القرآن وقرأ العلم وتأدب بأدب الطريق وشب على الأخلاق الكريمة اللائقة بمثله في كرم محتده وشريف تربيته وما هو مترشح له من الجلوس على سجادة الطريق وتهذيب الإخوان حتى نال بذلك المنزلة الرفيعة من قلوب عارفيه عموما وأهل الطريقة خصوصا. وفي شهر رجب عام 1329 هـ وُلِّي خطة الخطابة والإمامة بالجامع الأخضر الحنفي بعد وفاة الشيخ سيدي السعيد الذي كان إماما خطيبا بالجامع الكتاني الحنفي. وفي شوال عام 1335 هـ. جلس على سجادة الطريقة الخلوتية بعد وفاة عمه الشيخ البركة سيدي الحاج أحمد عليه الرحمة والرضوان. وله في الإذن بتلقين الذكرفي الطريقة الخلوتية إجازتان بسندين يتصلان بالقطب الأكبر والغوث الأشهر الشيخ سيدي مَحَمَّدْ بن عبد الرحمن القشطولي الأزهري دفين الجزائر الذي أتى بالطريقة الخلوتية إلى وطن الجزائر من

ديار مصر.

(**الإجازة الأولى**) أجازه بها أبوه الشيخ سيدي محمود عن أبيه الشيخ سيدي الحاج محمد عن عمه العلامة الشيخ سيدي مصطفى شارح الرحمانية، عن أبيه الولي الكامل الشيخ سيدي عبد الرحمن باشتارزي ناظمها عن القطب الأكبر سيدي محمد ابن عبد الرحمن دفين الجزائر رحمهم الله تعالى ورضي عنهم. (**الإجازة الثانية**) أجازه بها ابن عم جده الشيخ سيدي الحاج السعيد باشتارزي عن الولي الصالح الشيخ سيدي علي بن عيسى عن القطب الأكبر سيدي محمد بن عبد الرحمن رحمهم الله ورضي عنهم. وهذا السند عال ليس فيه بين القطب الأكبر والشيخ المجاز إلا واسطتان ولا يعرف مثله اليوم لمقدم خلوتي في وطن الجزائر. ندبني الشيخ المذكور إلى إعانته على نشر المنظومة الرحمانية بالوقوف على تصحيحها فلبيت طلبه راجيا من وراء ذلك أن يتذكر الإخوان ما عليهم في هذا الطريق الشرعي من الأدب العملي والعلمي، ويعلموا أنهم لا يكفيهم في ترقية نفوسهم مجرد الانتساب الإسمي، فيدعوهم ذلك إلى العلم والتعلم اللذين لا سعادة في الدارين بدونهما ولا تقدم، فيفقهوا حينئذ حقيقة الدين وينتفعوا بنصائح المرشدين ويكونوا يوم ذلك إن شاء الله تعالى من المهتدين، والله المسؤول أن يهب التوفيق والنفع والثواب لكل ساع في خير المسلمين. آمين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين. حرر بقسنطينة (الجزائر) عشية الأربعاء 14 شوال عام 1341 هـ عبد الحميد بن باديس].

وللشيخ عبد الرحمن باشتارزي أشعار وموشحات جلها في التصوف والتربية يوجد بعضها في كتابه " غنية المريد " الصادر عن المطبعة العربية التونسية في 1322 هـ (1904 م)، وبعضها في كتاب " المنح الربانية " لابنه وخليفته الشيخ مصطفى. وله رسائل عديدة إلى تلاميذه. فمن رسائله لتلميذه وخليفته الشيخ محمد بن عزوز البرجي الرسالة التالية:

[من خديم الخدام ومقبل تراب الأقدام، محب الصالحين من الناس والإخوان، عبده وأقل عبيده عبد الرحمن إلى الحبيب الذي أخذ من كل فن بنصيب، سيدي محمد بن عزوز، منحه الله تعالى الرضا والفوز.

سلام الله عليك ورحمة الله وبركاته وعلى كل من تعلق بك من الأهل والإخوان والتلاميذ والعشاير والأصحاب والأحباب كل واحد باسمه. وبعد فقد بلغني مكتوبك هذا، وقام لديَّ مقامك، فإن ما عجزت عنه الأقدام تبلغه الأقلام، فوجدته كتاب مشتاق، ومن بغيته التلاق، جازاك الله خيرا، وكفاك ضيرا، وجعلك من العشاق، وهكذا شأن المتحابين في الله، زادك الله تعالى من ذلك. وقولك: (الحمد لله الذي أتى بك وكنا بقيد

الحياة) هكذا كان يقول شيخنا، نفعنا الله تعالى به، طوَّل الله تعالى بنا الأعمار في الخير حتى نشبع من طاعة الله تعالى إن شاء الله. وقولك الظريف: (ولقد قامت قلوبنا) إلى قولك: (وإن كان لنا العيب عند من يقربنا) إلى قولك: (ولم نر شيئا ولم نستحسن شيئا سوى محبتك)؛ نعم، ذلك هو المطلوب من السير والسلوك إلى مالك الملوك، فاشكر الله تعالى يزدك. ولقد حكى لنا الأستاذ رحمه الله تعالى حكاية: رُؤي معروف الكرخي في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك يا معروف؟ فقال: خيراً إن شاء الله تعالى، فقيل له: بورعك أم بزهدك؟ فقال معروف رضي الله عنه ونفعنا به: بعملي بموعظة ابن السماك. قال لنا الأستاذ: أعلمكم بموعظة ابن السماك؟ قلنا نعم. قال: قال ابن السماك رحمه الله تعالى: من أعرض عن الله بكلياته، أعرض الله عنه جملة، ومن أقبل على الله بقلبه، أقبل الله عليه برحمته وبوجوه الخلق إليه، ومن تارة فتارة فالله يرحمه [...] معناه: ألبسه الله تعالى خلعتين، خلعة ظاهرة يعلمها الخلق منه ولا يعلمها هو من نفسه، وخلعة باطنة يعلمها هو من نفسه ولا يعلمها غيره منه. أشكر الله تعالى. وهذا جوابك. وإن كانت لنا حياة فستأتيك الخلعة الباطنة إن دمت، فبالدوام تنقطع الأوهام. وينكشف عن القلب الغمام، واترك الزيارة إلى وقت الإمكان، حيث تعذَّر الآن الزمان، وأفضلها وقت الأنوار والأثمار، كما كان يأمرنا به الأستاذ رحمه الله تعالى. ولا تقل لماذا كتب لي في بطاقتي، ولم يكتب لي في مكتوب آخر، حتى لا تضيق الكتب. وأنت خبير يا سيدي بأن الشيخ رحمه الله تعالى، في الكثير والغالب لا يكتب إلاَّ في البطاقة المرسلة إليه، ولا يحب كثرة التمجيد والكلام لغير فائدة. وفي الحديث الشريف: [**مسألة من العلم خير من الدنيا وما فيها ومن عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم**]. فعليك أيها الحبيب بالإقبال على الله تعالى بقلبك من غير التفات إلى إقبال الخلق وإدبارهم، فيمنحك الله تعالى الخلعتين، ولكن واحدة بعد واحدة، كما جرت عادة الله تعالى بذلك. وعليك بالنصيحة لنفسك أولا، فإن من نصح نفسه قدر على نصح غيره. أعاننا الله تعالى وإياكم على النصيحة لأنفسنا ولغيرنا، ورزقنا وإياكم الإقبال على الله تعالى بالقلب واللسان والجوارح بمنّه وكرمه وجوده وفضله، ولم يجعل كلامنا حجة علينا آمين. وبلغ سلامنا إلى من سلم علينا. ويسلم عليكم كافة أولادنا وأهلينا والإخوان والنقباء وعلى من ذكر سلاماً تاماً مباركاً عاماً. وبلغ سلامنا إلى سيدي المبروك والوالدة. وقولك: (خشيت) الخ. فأنا راض عنك إن رضيت بي، أنت تعلم ذلك من قلبك، فإن القلوب لا بعد بينها ولو تباعدت الأجسام. ولقد أخبرني سيدي مصطفى بصدقك ودوام نيتك. وقد كان يذكر لنا الشيخ رحمه الله تعالى مراراً: من دام على عادته، دامت سعادته في الدارين، ومن لا، فلا. ولا بد سيدي أن تنصحني وننصحك

هكذا، ونكون إن شاء الله من المتناصحين في الدين لا غير، خصوصاً في هذا الزمان، الذي صار فيه الدين غريباً والقابض عليه كالقابض على الجمر. جعلنا الله وإياكم من أصحاب الدين المتين، ولا تلتفت لمادح ولا لقادح، ولا تتحرك لذلك كما لا يتحرك جبل لنفخ ناموسة. وهذا ما ورد عليَّ في الوقت، كتبته عاجلا وعليكم السلام. أواخر شعبان عام 1214، من هجرة من خلقه الله تعالى على أكمل وصف، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.]

ولما توفي الشيخ باش تارزي سنة 1221 خلفه في مشيخة زاويته بقسنطينة وفروعها ابنه العلامة الشيخ مصطفى الذي عرَّفه ناشر شرحه على المنظومة الرحمانية لوالده (دار البعث بقسنطينة عام 1424 هـ - 2003م) كما يلي:

[هو الشيخ الإمام العلامة، نخبة الفضلاء، وواسطة عقد النبلاء، حسنة الليالي والأيام، وواحد العلماء الأعلام، الشهير الكبير، الصدر القدوة، العظيم قدرا ومنصبا، الجليل الوجيه، الفقيه العاقل، القاضي سيدي مصطفى بن الشيخ ولي الله سيدي عبد الرحمن بن أحمد بن حمودة بن مامش المعروف بباشتارزي، الجزائري منشأ القسنطيني دارا ومدفنا، كان أعجوبة أوانه علما وحفظا وورعا وديانة، ممتلئا من علميّ المعقول والمنقول، عارفا بالفلك لا يشاركه فيه غيره، شاعراً مجيداً، ولي الفتوى الحنفية، ثم القضاء، ثم الخطابة بجامع سوق الغزل، ثم بجامع القصبة، ثم بسيدي الكتاني.

للعلامة سيدي مصطفى باشتارزي عدة تآليف منها ما هو مطبوع ومنها ما هو مخطوط، ومن أشهرها:

1. كتاب المنح الربانية في بيان المنظومة الرحمانية، وجد هذا الكتاب مخطوطاً، ثم وقع طبعه بتونس بالمطبعة الرسمية التونسية في شعبان عام 1307 هـ، ثم أعيد طبعه بالمطبعة التونسية بنهج سوق البلاط في ربيع الثاني من عام 1351هـ. وقد افتتحه بقوله: [نحمد من وهب من نوره القدسي، وأبرز من إشراق الضياء الحسيِّ وأودع مصباح اللطيفة السرية، في مشكاة القوة النظرية، وجعلها كالكوكب الدري متوقدة من شجرة مباركة علوية، لا شرقية ولا غربية، ونصلي ونسلم على أشرف قائم بدعوة الهداية، وأفضل من أنقذ الأمة من الضلالة والغواية، وعلى آله الطاهرين، وأصحابه وأتباعه أجمعين، وبعد فلما لم ينفعني التعلل بلعل وعسى، عن اقتراح بعض الإخوان في كل صباح ومساء أن أكتب فوائد لائقة بمطالعة المنظومة الرحمانية، التي وضعها الشيخ الوالد رحمه الله تعالى في الآداب الشرعية المتعلقة بالطريقة الخلوتية، تحفظها من الضياع، وتخرجها إلى حيز الانتفاع، لما أن كثيرا من المجموعات، سيما

المنظومات، إذا لم تقيد شواردها بقيود الشروح، تظل فوائدها في زوايا الإهمال ولو كان نشر التحقيق منها يفوح، مع إعراضي عن ذلك برهة من الزمان، لعلمي أني لست من أهل هذا الشان، وفقد مادة نستند إليها في علم المتقاصي، وعدم قريحة وقادة نعتمد عليها في فهم المتعاصي، وبعد عهدي عما تلقيته في عنفوان الشباب، عن الاستاذ والدي رحمه الله تعالى في هذا الباب، حتى نسجت عناكب النسيان على ما مر على ذهني أو لمحته عيني في مطالعة رسالة أو كتاب، عدت إلى مقتضى اقتراحهم، عسى أن يكون بارق إلهام أومض برقه من جانب سريرتهم، ورجاء أن يكون سعياً مشكوراً، وعملاً خالصاً مبروراً، فشرعت مع قلة البضاعة، وعدم التمرن في الصناعة في تقييد شرح يستسهله الدخيل، ويستحسنه النبيل، وإن كان لوضوح الأصل لولا ما قيل لا يحتاج إلى قال وقيل، مستعينا بالمنفرد في ملكه بالتدبير والإبداع]

2. منظومة: {صل يا ذا الجلال وسلمن على * المصطفى والآل وكل من تلا}

هذه المنظومة توجد في كتاب "تعطير الأكوان بنشر شذا نفحات أهل العرفان"، للشيخ محمد الصغير بن الشيخ المختار، طبعة 1916م بالمطبعة الثعالبية بالجزائر؛ قام بشرح هذه المنظومة العلامة الشيخ عبد القادر المجاوي وسماها "مواهب الكبير المتعال"، وكان تمام الشرح حسب ما جاء في هذا الكتاب في الثالث عشر من ذي الحجة الحرام عام 1301 هـ.

3. رسالة "تحفة الناظرين في إبطال القول بنقض الحكم بصحة الوقف بعد موت الواقفين" وهي رسالة مخطوطة، جاء في أولها: [حمدا لمن أحكم الدين بأهل التمكين، وأظهر الحق المبين بفضله ولو بعد حين، وكشف عن غوامض الأحكام ظلمة الوهم والرين، وصلاة وسلاما على أكمل المرسلين، القائل: "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين"، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد فيقول تراب أقدام العلماء العاملين، قليل البضاعة بين العاملين، مصطفى بن عبد الرحمان الخلوتي الحنفي، عاملهما الله بالغفران واللطف الخفي: هذه كلمات قاطعة بحجتها أوهام بعض الناظرين من الفضلاء المعاصرين، معتمدين على مجرّد عبارة رواها مسطرة لبعض المتأخرين، لغير جميل غرض ثابت بيقين، وسيعلمون نبأ ذلك بعد حين، جمعتها من تصانيف المتقدمين والمتأخرين، لتكون عونا على القضاء بالحق المبين، وصدا للمعتدين على أوقاف المسلمين، وسميتها "تحفة الناظرين في إبطال القول بنقض الحكم بصحة الوقف بعد موت الواقفين"، ورتبتها على خاتمة ولمعتين؛ فقلت بعدما استخرت راجيا من الله تعالى الحفظ من الخطأ والزلل، في القول والنية والعمل، الخ...].

وجاء في آخرها [ولنمسك عنان القلم عن المزيد، إن في ذلك لذكرى لمن كان

له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، حامداً مصلياً مسلماً على النبي المجيد، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. اهـ].

4. رسالة "تحرير المقال في مسألة الانتقال".

هذه الرسالة مخطوطة كذلك، جاء في أولها: [حمدا لمن تنزَّه عن التبديل والتغيير والانتقال، وشكرا لمن أزال الشبهة عن وجه السؤال، وصلاة وسلاما على النبي المرشد إلى السداد والكمال، وعلى آله وصحبه نجوم الهدى واختلافهم رحمة للعباد في كثير من الأعمال، وبعد: فلما كثر السؤال عن حكم من انتقل إلى غير المذهب الذي كان مقلداً له وإليه ينسب، سألني من لا يسعني مخالفته أن أجمع له نبذة مختصرة في ذلك مما حرَّره الفحول من فروع وأصول، فاستخرت الله تعالى وامتثلت، وبه لا بغيره استعنت، وسميتها تحرير المقال في مسألة الانتقال، ورتبتها على مباحث ثلاثة وخاتمة الخ...].

5. رسالة جواب عن سؤال.

هذه الرسالة مخطوطة أيضا، في أولها: [الحمد لله. إذا قال الواقف من مات منهم، أي من أولاد الواقف، عن غير عقب رجع نصيبه لأقرب قريب إليه، فمات أحدهم من غير عقب وله اخوة أشقاء واخوة لأب، هل يدخلون في نصيبه جميعا أو يختص به الأشقاء.

الحمد لله بعد أن تصفحت المقصود من السؤال وما أجاب به بعض أولي الألباب، قلت وبالله اعتصمت، الخ...]

6. كتاب الدر المنتظم في فوائد قوله صلى الله عليه وسلم: [من لم يستطع الباءة فليصم].

7. رسالة في الوقف على مذهبه.

8. شرح منظومة الشيخ أبي زيد سيّدي عبد الرحمن في الحساب، مقتصرا على العمل دون التبيين لكلامه.

هذا وللشيخ سيدي مصطفى باش تارزي الذي تولى القضاء والتدريس والإفتاء وغير ذلك بمدينة قسنطينة، عدَّة رسوم تثبت أسلوبه القويّ الواضح في معالجة المسائل، وتبيين بوضوح مقدرته الفائقة في تحرير الرسوم الشرعية، كما أن له عدَّة رسائل منه وإليه يسأله الناس فيها عن أمور الشريعة الإسلامية، لأن مركزه بعد وفاة أبيه كشيخ للزاوية الرحمانية بقسنطينة جعله أهلا لذلك. كما أن للشيخ أيضا عدَّة قصائد ومنظومات دينية متفرقة تدل على مهارته في هذا المجال منها قصيدة في مدح الشيخ سيدي عبد الرحمان الثعالبي رحمه الله دفين مدينة الجزائر مطلعها:

قف بالضريح ضريح مجلي الرّان — شيخ الطريقة عابد الرحمان
بحر الفضائل والفواضل والوفا — نور البصائر نزهة الأعيان
علم الهدى مزن المعارف والندا — تنبيك عنه (الجواهر الحسان)
عدَّت له في العالمين مناقب — جلت فلا تنسى مدى الأزمان
في أفق العلياء يسطع نوره — فما له في عصره من ثان
غوث الورى للنائبات مفرج — وهو الصريخ للهيف الجان

توفي الشيخ سيدي مصطفى بقسنطينة سنة 1252 هـ الموافق 1836 م، ودفن في العليا بسوق الغزل، وسمي الممر باسمه "ممر باشتارزي". تغمده الله بالرضوان في داره ورحمه بالرحمة التي وسعت كل شيء وأنزله مقام الإحسان، ونفعنا الله ببركته، آمين والحمد لله رب العالمين].

وأتباع هذا الفرع الرحماني القسنطيني، كغيرهم من الرحمانيين، قاموا بأدوار هامة في مقاومة الاستعمار والمشاركة في الجهاد ضدَّ الاحتلال.

ففي عام 1864 في زغاية وفرجيوة والبابور ونواحي الشمال القسنطيني تنفجر مرة أخرى الثورة على الاحتلال الفرنسي بقيادة مقدمي الزوايا الرحمانية. وبقيادة المقدم مولاي محمد بدأوا بمحاصرة قرية الزغاية واحراق برج القائد، ثم هاجموا قوات الجنرال (بريقو) حاكم مقاطعة قسنطينة بالوادي الكبير. واستمرت الثورة إلى سنة 1865 لتنتهي بفك الحصار على بلدة تاقيطونت.

ومن مقدمي زاوية باش تارزي الذين سجلهم تاريخ الشرق الجزائري الشيخ صالح خاوة بن يوسف بن عبيد الذي ولد في بوحجر حوالي 1856 وكان أبوه قاضيا بها كما كان جده قاضيا بعنابة. والعائلة من دوار المزيح ببلدة مرسد، وأصلهم من قبيلة الهمامة القاطنة تونس في أغلبها. حصل صالح خاوة على إجازة من الشيخ أحمد الشريف مقدم الرحمانية في زاوية الكرشة قرب عين مليلة. وأصبح بدوره مقدماً رحمانياً يعطي الإجازات في الطريقة، وقصده الناس بكثرة، فتخوفت منه سلطات الاحتلال فسجن بدون محاكمة حسب قانون (الانديجينا) المعروف. ثم حمل إلى سجن تقرت حيث ساءت صحته ولم يطلق سراحه إلى أواخر الحرب العالمية الأولى ومات في تاجروين قرب الكاف سنة 1919.

وحسب إحصاء عام (1897) فإن أتباع زاوية قسنطينة بلغوا: (10،70) بينهم 1958 امرأة، وثماني زوايا ووكيل واحد و25 طالبا وشيخ واحد و85 مقدما و104 من

الشواش، ومعظم هؤلاء كانوا في إقليم قسنطينة وبعضهم كانوا في إقليم الجزائر.

وقد توارث أحفاد الشيخ باشتارزي المشيخة الرحمانية في قسنطينة ونواحيها وكان لهم نشاط ومقدمون.

وشيخها الحالي (ونحن الآن في عام 1425هـ) الحاج محمد الشريف يسعى في تجديدها وتفعيلها وتوسيعها مادياً ومعنوياً وفقه الله.

سلسلة شيوخ زاوية باشتارزي الرحمانية بقسنطينة

محمد بن عبد الرحمن الأزهري (1208) ◄ علي بن عيسى المغربي (1252)

(1)عبد الرحمن باشتارزي القسنطيني (1221)

(2) ابنه مصطفى(ت:1252هـ/1836م)

ابنه محمد

(4) ابنه محمد

(3) ابنه محمود

ابنه محمد

ابنه محمود

(10) ابنه أحمد (9)ابنه محمد الصغير

(7) ابنه مصطفى

ابنه عبد الحميد

(8) ابنه محمود

ابنه عبود

ابنه محمد العربي

ابنه عبود

(12) الحاج محمد الشريف (الشيخ الحالي)

ابنه أحمد

(6) ابنه محمد

(11) ابنه عبد الحميد

ابنه أحمد

(5) ابنه

محمد السعيد بن أحمد

ملاحظة :الأرقام الترتيبية من 1 إلى 12 تدل على التسلسل التاريخي للشيوخ.

الزاوية الحملاوية

الزاوية الحملاوية تعتبر بحق من كبرى الزوايا التاريخية في الجزائر، كما تعتبر الأسرة الحملاوية من الأسر الدينية العريقة؛ إذ عرف العديد من رجالها منذ تاريخ بعيد بالدين والصلاح والعلم والفضل، ويرتفع نسبها إلى الأدارسة الحسنيين من آل النبي صلى الله عليه وسلم. قدمت هذه الأسرة من مدينة تازة المغربية وحطت رحالها في المكان المعروف «بوفوله» بدائرة شلغوم العيد حاليا بنواحي قسنطينة، وكان ذلك في القرن التاسع الهجري، منتصف القرن الخامس عشر ميلادي... وشيدت الأسرة في بوفولة زاوية لتعليم القرآن وعلوم الشريعة... وبرز منها رجال كانوا من أعيان تلك المنطقة خلال العهد التركي، كما عرفت بمساهمتها المتواصلة في مقاومة الاستعمار الفرنسي. وتزعَّم الجهاد أعيانها مثل الشيخ محمد الشريف بن الحملاوي الذي كان تحت قيادته خمسة قبائل في أواخر العهد التركي، واستشهد في المعارك الأولى التي سبقت الاستيلاء على قسنطينة عام 1837. وكان منهم الآغا أحمد بن الحاج محمد بن الحملاوي الذي كان مستشارا لأحمد باي خلال ولايته الثانية سنة 1832 حيث عينه على رأس الجيش، وكان من المدافعين عن قسنطينة في الحملتين الفرنسيتين لاحتلالها. وبعد احتلالها بقي على اتصال بالأمير عبد القادر بواسطة جمعية سرية تمد الأمير بالمعلومات والأموال إلى أن ألقت عليه السلطات الفرنسية القبض ونفته إلى جزيرة سانت مرغريت سنة 1842 وحكمت عليه بالأشغال الشاقة، ثم نفي إلى تونس وعاد إلى بلده سنة 1845...

واستمرت العائلة في رسالتها العلمية والتربوية إلى أن برز من أبنائها مؤسس الزاوية الحملاوية الشيخ علي بن الحملاوي الذي تعلم في صباه القرآن والعلوم الشرعية ثم انخرط في الطريقة الرحمانية على يد السيد خليفة أحد مقدمي شيخ زاوية طولقة علي بنعمر خليفة الشيخ محمد بن عزوز البرجي. ثم التحق بالزاوية الرحمانية بصدوق نواحي آقبو حيث تتلمذ على شيخها العارف المجاهد إمام الطريقة محمد أمزيان بن علي الحداد وواصل سلوكه الروحي عنده حتى أصبح من المقدمين فيها. ولما دعا الشيخ الحداد إلى الثورة في أفريل 1871، كان الشيخ علي بن الحملاوي في مقدمة من لبَّى داعي الجهاد. وبانتهاء الثورة بالقمع العنيف من قبل فرنسا نفي الشيخ علي إلى جزيرة كاليدونيا لمدة أربع سنوات، ثم أعيد بعدها للوطن ليزج به في سجن تبسة مدة ثلاث سنوات، ثم أطلق ليسجن مرة أخرى بقسنطينة، وأخيرا أطلق سراحه فسارع بتنفيذ ما أمره به شيخه الحداد الذي كتب في وصيته أن خليفته هو الحاج

علي بن الحملاوي بن خليفة، وأكد عليه القيام بتعليم القرآن لأنه هو الكفيل بإحياء الجهاد ضد المستعمر في الوقت الذي يريده الله تعالى. وكرس حياته لنشر القرآن والعلم والتربية الروحية الرحمانية. فكان مربياً ناجحاً للكثير من العارفين والصالحين وتخرج من زاويته عدد كبير من العلماء والصلحاء وحملة القرآن، كما كان من عشاق المعارف الالهية حتى أنه نسخ بيده كتابا كبيرا في أعلى الأذواق العرفانية من تأليف الشيخ علي الجمل العمراني الفاسي (ت: 1193) أستاذ محيي الطريقة الشاذلية في وقته شيخ الشيوخ مولاي العربي الدرقاوي (ت: 1239هـ)، وعنوانه: "اليواقيت الحسان في تصرف معاني الانسان". وفي عهده أصبح لزاويته اشعاع كبير في كل الشرق الجزائري وفي تونس ونشأت لها فروع، وكان له أتباع في طرابلس والقاهرة وجدة. وقد ذكرت الإحصائيات التي جرت في عام 1897 م أنه كان له 44 زاوية و227 مقدما منهم العلامة الكبير الشيخ محمد البشير بن أحمد بن البواب الزموري و352 شاوشا وأن عدد أتباعه يفوق الأربعين ألفا.

ومما قيل في مدحه قصيدة لأحد تلاميذه من العلماء الصالحين التونسيين، ومما جاء فيها:

نسيم الصبا بالله بلغ تحيتي	إلى ولد الحملاوي شيخي وقدوتي
علي فريد العصر مصباح قطره	ولي زكي قد تحلى بسنة
نزيه عظيم النفس قد عم فضله	تقي نقي العرض شيخ الطريقة
فصيح لسان عالم ومفخَّم	حميد خصال ذو حياء وعفة
حليم كريم خير متواضع	حباه جميل الستر ثوب المروءة
فلا يزال يرقى للمعالي جنابه	عزيز مقام عند أهل البصيرة
لقد أحبه المنان جل جلاله	وأولاه أسرارا وعلم الشريعة
فيا رب أبلغه المنى وزيادة	وأعل مقامه لأرفع رتبة
فيا أيها المشهور بالعلم والتقى	والصفح عن الإخوان بعد الجناية
فهذا عبيد قد أتاكم بعذره	يريد الرضا منكم وأنجح دعوة
ألا فارحموه من دعاء جنابكم	بفتح وتوفيق وأحسن حالة
عليكم سلام من مريد يعزكم	بتونس يهواكم بخالص نية
ونرجو دعاء الخير منكم فإنني	محب من الإخوان أهل الطريقة

وهكذا قضى عمره في خدمة الإسلام والقرآن والعلم والتربية إلى أن توفي سنة 1317 هـ. فتولى شؤون الزاوية بعده ابنه الأكبر الشيخ الحفناوي فواصل رسالة والده

نحو العامين والتحق بأسلافه، فانتقلت المشيخة إلى أخيه أحمد الذي بقي على رأسها مدَّة 12 سنة مجتهداً في مواصلة الدعوة إلى الله ونشر القرآن والعلم وأوراد الطريق إلى أن توفاه الله تعالى. فتولى المشيخة أخوه عبد الرحمن الذي عرفت الزاوية في عهده تطوراً كبيراً كما زادت الطريقة على يده اشعأعا متزايداً وفيضاً واسعاً، وبالإضافة إلى تطوير برنامج التعليم ومناهجه حيث كانت تدرس في الزاوية تقريباً كل العلوم التي تدرس في جامع الزيتونة، استقدم الشيخ سيدي عبد الرحمن أساتذة أكفاء من شيوخ جامع الزيتونة ومن شيوخ بعض كبرى زوايا الجزائر. وقام بتجديد وتوسيع المكتبة وإثرائها بنفائس المخطوطات وأمهات الكتب في مختلف أنواع العلوم والفنون ليستفيد منها العلماء والطلبة والدارسون. وقام سيدي عبد الرحمن بوقف مساحات زراعية واسعة على الزاوية ولا يزال هذا الوقف المورد الرئيسي لنفقاتها. وقد بلغ عدد الطلبة الداخليين المقيمين في عهده نحو 600 طالب، كان منهم من واصل تعليمه بتونس وفي الجامع الأزهر بمصر وغيره، وتخرج منهم طبقات من رجال العلم والقرآن واللغة والتربية الروحية. وبعد حياة حافلة بالعمل الصالح وخدمة الإسلام توفي الشيخ عبد الرحمن سنة 1942 وعمره 67 سنة.

وبعده تولى شؤون الزاوية ابنه الشيخ عمر المتخرج من جامع الزيتونة. وقد ترجم له العلامة الشيخ بلهاشمي بن بكار مفتي معسكر رحمه الله فقال عنه في كتابه: "مجموع النسب والحسب":

[هو الشيخ سيدي عمر بن الشيخ سيدي عبد الرحمن الحملاوي رحمه الله، وقد اجتمعت بهذا الرجل العظيم في مدينة الجزائر فرأيت ملكاً في صورة مسكين، تلذه الأعين وتعظمه القلوب وترضاه الأرواح والعقول، ولما هو قائم به في زاويته من العمارة العظيمة ونفع الأمة بتعليم القرآن العظيم ودروس علوم الشريعة في فنون عديدة على وجه منظم. وقد تواتر تخريج الكثير من التلامذة الناجحين في حفظ القرآن العظيم وتحصيل العلوم من هذه الزاوية، مع ما له من الارشاد وحسن التربية والنصيحة في الدين من أتباع الكثيرين لهذه الزاوية من المؤمنين عباد الله الصالحين، نفعنا الله ببركاتهم آمين.]

وفي عهد الشيخ عمر، وبسعي منه مع أهل الخير تم فتح المعهد الكتاني في قسنطينة ليكون فرعا مكملا للتعليم في الزاوية الحملاوية ويقوم بدور عظيم في نشر الثقافة العربية الإسلامية، وبمناسبة افتتاح المعهد الكتاني أقيم حفل بهيج أشرف عليه أحد الشيوخ الذين درَّسوا بالزاوية الحملاوية؛ وهو الاستاذ البشير بن صفية الذي ألقى بالمناسبة خطابا ومما جاء فيه: [لهذا الغرض وحده فارقت أعزَّ مكان عندي – أي

تونس – وباشرت التعليم بالزاوية الحملاوية المحفوفة بأسرار القرآن، المزدانة بنغماته، المزدهرة بحلقات الدروس العلمية الصحيحة التي صيرتها قطعة من الزيتونة موضوعة هناك (...) فهذا المشروع الذي كان الركوب في شراعه باسم (الله) هو الذي سيرصع سماء البلاد الجزائرية بكواكب لماعه مشرقة، إذ وظيفته التعليم وتهذيب الأنفس وصقل العقول وتقويم الأمة بالمعروف].

وبالفعل فقد تخرج من الزاوية والمعهد نُخبٌ من الإطارات في كل المجالات العلمية والتربوية والإدارية والسياسية احتلت مناصب سامية في الدولة الجزائرية المستقلة. فمن الطلبة الذين تلقوا بها دراستهم الاولى نذكر مثلا عبد المجيد الشافعي، والعربي سعدوني، وتركي رابح، وسليمان بشتون، ومحمد بو خروبة المعروف بهواري بومدين الرئيس الجزائري الراحل. ومن الشيوخ الذين علموا بها العلامة الفلكي الشهير المولود الحافظي الأزهري، والعلامة عبد الحفيظ بن الهاشمي، والعلامة الشاعر عاشور الخنقي، والشيخ أحمد الخالدي من بلدة سيدي خالد وخريج جامع القرويين بفاس، والشيخ السعيد اليعلاوي والشيخ محمد بلحكيمي، والفقية الشيخ محمد الطاهر آيت علجت، ومن علماء تونس محمد قريبع والبشير صفية رحمهم الله.

هذا، وفي عهد الشيخ عمر بلحملاوي تزايد عدد الطلبة في الزاوية حتى بلغ حسب بعض الاحصائيات نحو 1000 طالب. وهؤلاء الطلبة كانوا في طليعة المجاهدين في ثورة نوفمبر المباركة حيث كانت الزاوية الحملاوية في مقدمة المؤسسات والزوايا التي لبَّت داعي الجهاد. فقد أمر الشيخ عمر طلبة الزاوية بالالتحاق بالثورة، ومواقفه الوطنية كانت معروفة قبل ذلك. وفي سنة 1955 التحق الطلبة زرافات ووحداناً بإخوانهم المجاهدين وتحولت الزاوية إلى مركز يؤوي جنود الثورة ويزودهم بالغذاء والأدوية والألبسة والسلاح. يشهد بهذا واحد من قدماء المجاهدين المشهورين وهو الأستاذ عمار النجار من ضباط الولاية الثانية والكاتب العام لجمعية الطلبة الجزائريين بتونس سابقا ونائب بالمجلس الوطني الشعبي في مقال له نشر في جريدة النصر يوم 12 ديسمبر 1989 ومما جاء فيه: [لقد كانت زواياهم في مختلف جهات الوطن – وهذا لا يمكن إنكاره – مؤئلاً وملجأ لوحدات جيش التحرير، وأذكر هنا على سبيل المثال زاوية بالحملاوي بوادي سقان ولاية ميلة، لقد كان يلجأ إليها جنودنا بالولاية الثانية. وأن رئيسها الشيخ عمر رحمة الله عليه قد فرضت عليه الإقامة الجبرية، ونقل إلى مدينة قسنطينة. كما كانت الكتانية منارة علمية يؤمها الطلبة التابعون لحزب الشعب، وكان من بين هؤلاء الطلبة الأخ العقيد علي كافي أحد رؤساء ولايتنا الثانية.].

وبالفعل أغلق الاستعمار الزاوية وفرض على الشيخ عمر الإقامة الجبرية

المضيقةَ المحاصرة بقسنطينة إلى الاستقلال.

وإثر الاستقلال فتح الشيخ عمر من جديد الزاوية ليواصل رسالتها في العلم والتربية والإصلاح إلى أن توفي سنة 1966، فتولى المشيخة أخوه سيدي عبد المجيد الذي كان له من العمر أربع سنوات لما توفي والده سيدي عبد الرحمن عام 1942. وقد حفظ القرآن الكريم وتلقى دراساته الأولى في الزاوية، ثم بعثه أخوه الشيخ عمر ليواصل دراسته بالقرويين في فاس وعند إمام الحديث في المغرب الشيخ عبد الحي الكتاني الذي تزوج الشيخ عمر بابنته ثم طلقها لأسباب يطول تفصيلها. فبقي الطالب عبد المجيد بفاس مدَّة قصيرة، ثم التحق بجامع الزيتونة بتونس. وفي سنة 1958 وعمره عشرون سنة انضم إلى صفوف جيش التحرير الوطني حيث مكث مجاهدا في الجبل لمدة أربع سنوات، أي إلى الاستقلال عام 1962، فواصل بعدها العمل في الجيش الوطني إلى سنة 1992 التي خرج فيها إلى التقاعد برتبة رائد. وكان قد تولى مشيخة الزاوية إثر وفاة أخيه الشيخ عمر عام 1966. وأخذ الطريق حوالي سنة 1970 على شيخ الطريقة الهبرية الدرقاوية الشاذلية محمد بلقايد التلمساني (1911 – 1998) وتربى عنده وذاق معارج السلوك لديه وأذن له في الطريقتين الرحمانية الخلوتية امتداداً لسلسلة أسلافه، والهبرية التي أخذ منها مشربه السلوكي الصوفي. وشيخه المذكور محمد بلقائد من أشهر شيوخ التربية في عصره، وله تلاميذ في المغرب والمشرق، منهم العلامة المصري الداعية الشهير الشيخ محمد متولي الشعراوي الذي نظم قصيدة في 24 بيتا يبين فيها بعض ما تحقق به في سلوكه الروحي، وذلك اثر خروجه من خلوة الاسم المفرد عند شيخه المذكور بتلمسان عام 1972، وفيها يقول:

نور القلوب وري روح الوارد ... هبرية تدني الوصول لعابد

تزهو بسلسلة لها ذهبية ... من شاهد للمصطفى عن شاهد

طوفت في شرق البلاد وغربها ... وبحثت جهدي عن إمام رائد

فهداني الوهاب جل جلاله ... حتى وجدت بتلمسان مقاصدي

واليوم آخذ نورها عن شيخنا ... محي الطريق (محمد بلقائد)

ذقنا مواجيد الحقيقة عنده ... وبه عرجنا في صفاء مصاعد

....

إياك من لفت الفؤاد لغيره ... واجعل سبيلك واحدا للواحد

فإذا وصلت به لنور المصطفى ... فالمصطفى لله أهدى قائد

وهناك تكشف كل سر غامض ... وتشاهد الملكوت مشهد راشد

وإذا البصائر أينعت ثمراتها ... نالت بها الأبصار كل شوارد

إلخ.

فالشيخ عبد المجيد هو القائم الآن منذ 37 سنة بمشيخة زاوية جده الحملاوية بكل اجتهاد وإخلاص وكفاءة. فواصل مسيرة أسلافه ونفخ فيها روحاً علمية وتربوية واجتماعية جديدة متناسقة مع تطور العصر أصالة وتجديداً. وهو متفان في حرصه على خدمة أهل القرآن وطلبته وأهل العلم وأهل الطريق. وقد زرت في هذه الأيام – من شهر جمادى الأولى 1425 هـ (جوان 2004م) - هذه الزاوية فوجدت في ملفات إدارتها أن عدد طلبة القرآن الذين تعلموا بالزاوية ما بين 1992 و2004 يزيد على 1900 طالب، ختم حفظ القرآن منهم بضع مئات. ومن آخر أعمال الشيخ عبد المجيد إتيانه بمجموعة من الطلبة من "بوركينا فاسو" في إفريقيا لزاويته لحفظ القرآن وعلوم الشريعة والعربية حتى يعودوا إلى بلدانهم دعاة إلى دين الله الإسلام. وهو يقيم سنويا عدَّة ملتقيات علمية وروحية يحضرها أساتذة مختصون في العلوم الشرعية وغيرها، كما يصدر مجلة سنوية عنوانها " منبر الإمام مالك". وبالإضافة إلى الدور التعليمي والتربوي والاجتماعي لهذه الزاوية المباركة، فهي زيادة على ايوائها طلبة القرآن والعلم تؤوي أيضا بعض المساكين والمرضى المحتاجين واليتامى نساء ورجالا.

وكثير وهم الشعراء الذين مدحوا الزاوية الحملاوية وشيوخها. مثلاً الشيخ الطاهر بن العلامة الشهير حمدان الونيسي يقول في قصيدة له:

فما كل الأنوار كنور شمس ولا كل الزوايا كعين العرس

وللشيخ البشير صفيه من علماء تونس هذه الأبيات من قصيدة طويلة قيلت بمناسبة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف سنة 1946 في هذه الزاوية:

بخير الرسل يا نفسي حفلت اليوم بالأنس

وأنت في عين العرس مع الزوار والصحب

مكان للعلا حاوي بذكر المصطفى راوي

وتاجه الشيخ الحملاوي سليم الصدر والقلب

وللعلامة الفقيه الأديب الناسك الولي الصالح الشيخ عمر أبو حفص الزموري (ت: 1990 م) هذه الأبيات من قصيدة طويلة في مدح الأسرة الحملاوية وزيارتهم:

رائد الوصل دنا الوصل، فلا تبرحن حتى تنال الوطرا

هذه أنوارهم قد لمعت من سماء المجد بدر ظهرا

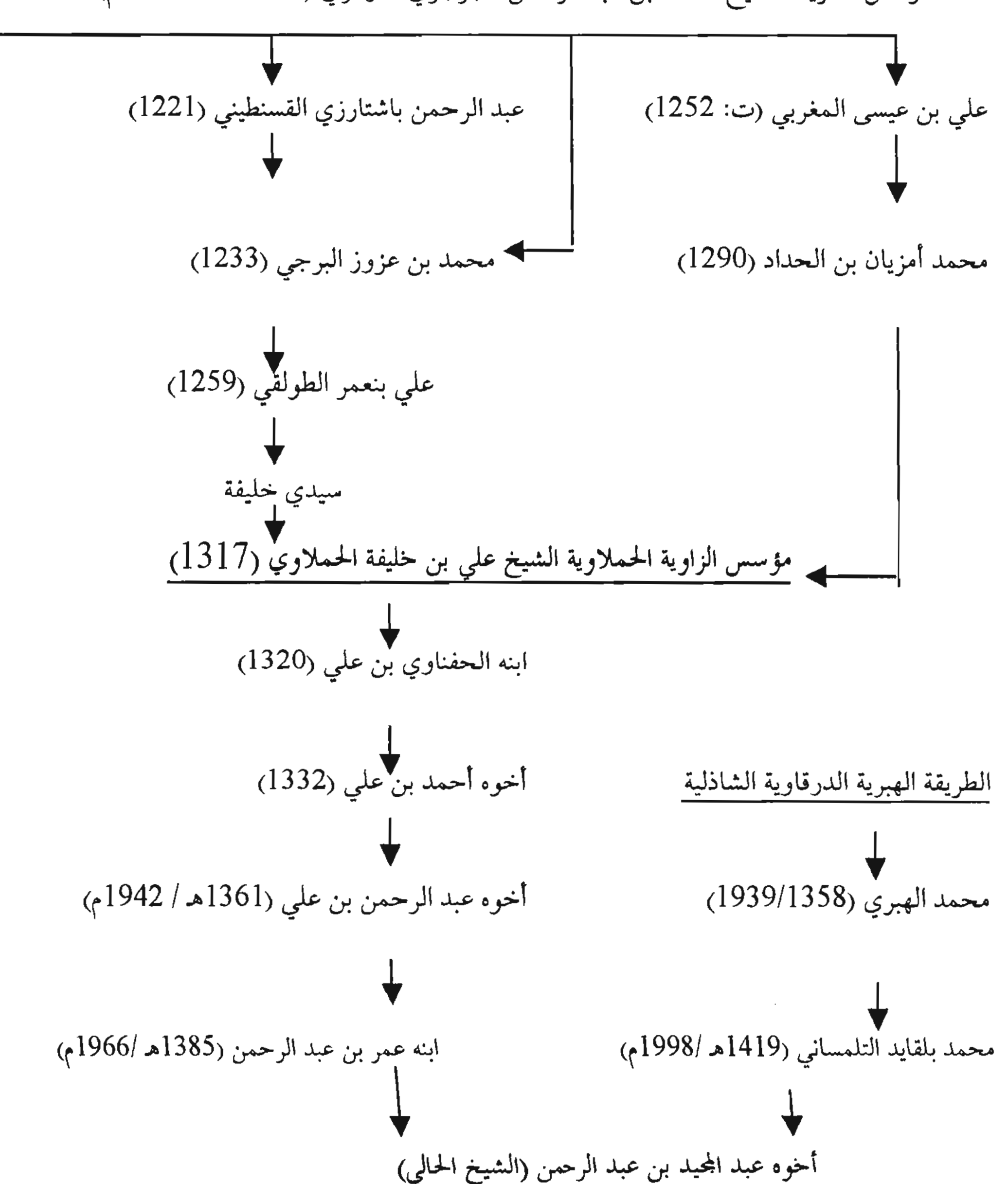
ساقني الشوق إلى تلك الذرى منبع الجود ومأوى الفقرا

دعني من هذا فإن فضلهم ذاع قبل وقديم نشرا

انهض بي لمقام رائق نجمه الصاعد نجني الثمرا

سلسلة شيوخ الزاوية الحملاوية الرحمانية بضاحية تلاغمة ناحية قسنطينة

ما بين قوسين سنة وفاة الشخص



زاوية المخلفي بعين مليلة

جد عائلة المخلفي هو سيدي محمد بن عودة أحد أشراف الأدارسة الذين كانوا من المقربين لسلاطين فاس بالمغرب. وابنه سعيد كان في جيش السلطان مولاي الشريف الحسني وقتل في إحدى حروبه سنة 1634 م، وولد له بعد وفاته ولد سمي (مخلوف) تربى في رعاية السلطان مولاي محمد ثم مولاي الرشيد، إلى أن أصبح من شيوخ العلم. وخلفه في ذلك ابنه الوحيد علي الذي صحب شيوخ التصوف والعلم في المغرب وتلمسان، ثم واصل سياحته ومكث مدة في المسيلة، واستقر أخيرا في قسنطينة حيث ولد له سنة 1140 هـ (1727) ابنه المشهور بالشيخ محمد العلمي بن علي المخلفي الذي عمَّر حوالي قرن قضاه في العلم والعبادة والتربية الروحية. وكان رفيقه في طلب العلم وسلوك الطريق إمام الرحمانية بقسنطينة الشيخ عبد الرحمن باشتارزي. فقد درسا معاً في قسنطينة وفي جامع الزيتونة بتونس. وذهبا معا إلى الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري في زاويته بآيت اسماعيل وسلكا على يده الطريق، وكتب لكل واحد منهما إجازة في تلقين الأوراد وبث العلم. فأسس الشيخ محمد العلمي زاوية رحمانية في أولاد عاشور قرب عين مليلة، وبقي قائماً بشؤونها إلى أن توفي عام 1259 هـ (1843 م) فتولى أمورها ابنه الحاج محمد الشريف الذي كان قد أسس خلال حياة والده زاوية أخرى بجبل زرازار على بعد بضع كيلومترات من الزاوية الأم. وواصل مسيرة والده إلى أن توفي عام 1885 مخلفا ابنه الشيخ مصطفى الذي لحق بسلفه عام 1912 مخلفا على إدارة زاوية والده الابنين: سيدي التونسي وسي عبود، وخلف على إدارة زاوية جده ابن عمه سي صالح بن العلمي بن البشير بن محمد العلمي المخلفي. وقد خلف سيدي التونسي من الأبناء: محمد الأمين وعلي وعمار والحمودي، كما خلف سيدي عبود من الأولاد: عبد الرحمن والخضير ومحمد العربي.

زاوية الشيبانيين في البيبان

جدّ عائلة الشيباني هو الولي الصالح سيدي منصور، ومسجده وزاويته معروفان في منطقة البيبان شمال قسنطينة. يصعد نسبه للقطب عبد السلام بن مشيش (ت: 625 هـ) دفين جبل العلم بشمال المغرب، وأستاذ إمام الطريقة الشاذلية الشيخ أبي الحسن الشاذلي (ت: 656 هـ)، وابن مشيش شريف إدريسي مشهور.

استقر سيدي منصور في ناحية وادي الخميس بين دائرة بني منصور والبيبان، وقضى حياته في بث العلم والدعوة إلى الله تعالى، وفي أواخر حياته انتقل إلى بني وقاق حيث بنى زاوية قصدها طلبة القرآن والعلم، وبها توفي مخلفاً عليها ابنه الشيخ

محمد الذي لم يلبث طويلا حتى توفي مخلفاً على مشيخة الزاوية ابن أخيه الشيخ العلامة سيدي إبراهيم بن أبي بكر بن سيدي منصور. هذا الشيخ تمكن من العلوم الشرعية والعربية في زاوية أسلافه ثم رحل إلى الحج وزار العراق ومصر حيث صحب رجال العلم وشيوخ التصوف، ثم رجع للزاوية في وطنه حيث قصده الطلبة والمريدون من كل فجّ، ونسبت إليه كرامات كثيرة، لعل أعظمها بناء مسجد سمّي باسمه (مسجد سيدي إبراهيم) حيث توفي ودفن عام 1780 م. وواصلت ذريته مسيرته في بث القرآن والعلم إلى أن آل أمر العائلة إلى العلامة الشيخ سيدي الشريف بن سيدي صالح بن علي بن أمحمّد بن محمد بن سعيد بن منصور بن سعيد بن إبراهيم بن أبي بكر بن سيدي منصور، الذي أصبح مقدما في الطريقة الرحمانية بعد أن أخذها عن الشيخ سعيد باشتارزي بن أحمد بن عبد الرحمن باشتارزي شيخ زاويتها بقسنطينة. وهكذا أصبحت زاوية الشيباني من معاقل الرحمانية، فازداد نشاطها وإشعاعها العلمي والتربوي، وقصدها الطلاب والمريدون. وقام شيخها سيدي الشريف مع أهله وتلاميذه بأعمال خيرية كبيرة خصوصاً في عام المجاعة 1867 / 1868. واستمر في مهامه التربوية والاجتماعية إلى أن توفي عام 1893.

زاوية بني عبد الصّمد بعين الشفا ومركونه (دائرة باتنة)

تنتسب العائلة الصمدية إلى جدهم علي بن عبد الصمد بن وضاح الذي يرتفع نسبه إلى إدريس ثم إلى فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعبد الصمد هو من نسل الولي المشهور سيدي يحيى بن زكرياء الذي استوطن أولاً في أعلى جبال الأوراس بناحية بوثعلب ثم استقر نهائياً في قبيلة القصر (دوار عين العصافر) حيث أنشأ زاوية مشهورة كانت ملجأ للمساكين والمحتاجين زيادة على تدريسها للعلوم الشرعية، وتوفير العناية الطبية والعلاج بالمياه المعدنية والأعشاب الطبيعية للمرضى الذين يقصدونها. وقد أعطى الشيخ عبد الصمد لزاوية أسلافه إشعاعاً واسعاً بفضل علمه وورعه وصلاحه وتشجيعه للأعمال الفلاحية. وانتسب إلى الطريقة الرحمانية الخلوتية على يد شيخها في قسنطينة الشيخ عبد الرحمن باشتارزي. وبعد وفاته سنة 1820 م (1214 هـ) خلفه على الزاوية ابنه الأكبر الشيخ علي، ثم أحمد بن علي، ثم ابنه محمد، ثم ابنه محمد الثاني، ثم ابنه الشيخ عبد الله بن محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن عبد الصمد الذي خلفه ابنه محمد وهو المجاز في خلافة الطريقة الرحمانية من طرف مقدمها في قرقور سيدي بوزيد بن أحمد بن محمد الذي هو من تلاميذ الشيخ علي بنعمر مؤسس زاوية طولقة وخليفة الشيخ محمد بنعزوز البرجي.

وقد اشتهر الشيخ محمد بورعه وزهده ودعوته للعلم والعمل والعبادة في إطار التربية الروحية المتكاملة، كما اشتهرت زاويته بإغاثة الناس في عام المجاعة والوباء المعروف بعام الشر عام 1867- 1868. ولما توفي الشيخ محمد عام 1891 خلفه على زاويته بعين الشفا ابنه محمد الذي لم يلبث طويلاً إذ توفي وهو شاب مخلفاً رئاسة الزاوية لابنه سي حمو. وبعده تولاها عمه سيدي محمود بن محمد بن عبد الله المولود عام 1864 ببرج عين العصافير. وقد واصل الشيخ محمود رسالة أسلافه علماً وعملاً وعناية بالزاوية التي كانت تؤوي في عهده حوالي مائة طالب.

الزوايا الرحمانية في نواحي تبسة

بدأت الرحمانية في الانتشار بنواحي تبسة والحدود الجزائرية التونسية خلال حياة المؤسس الأول الشيخ محمد بن عبد الرحمن، ثم تسارع انتشارها على يد خلفائه في الشرق الجزائري، خصوصا خليفته في قسنطينة الشيخ عبد الرحمن باشتارزي، وخليفته الشيخ محمد بنعزوز في الجنوب، وخليفته الشيخ عبد الحفيظ مؤسس زاوية خنقة سيدي ناجي، وسيأتي ذكر هذين الأخيرين لاحقا. وقد ذكر المؤرخ الفرنسي (بيار كاستال) في الجزء الأول من كتابه المنشور في باريز سنة 1904 حول تاريخ وجغرافية تبسة أن أفضل عائلات منطقة تبسة انخرطت في الرحمانية، فكان منهم أبناء قبيلة أولاد سيدي يحيى بو طالب وبعض من قبيلة أولاد سيدي عبيد وقبيلة النمامشة. ومن أشهر زواياها زاوية يحي بن طالب بالكويف، وزاوية سيدي عبد الله بمرسط. وقد بلغ عدد الأتباع حوالي سنة 1903 قريبا من 4000، ومن الشواش 116، ومن المقدمين 23.

وقد تزعم مقدمو الرحمانية المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي في عدة معارك بنواحي تبسة خلال سنة 1842 وفي صيف 1843 بوادي شبرو بقيادة الشيخ الحسناوي بن بلقاسم من قبيلة النمامشة، وفي سنة 1846 في وادي الركل شمال شرق تبسة حيث مضارب قبيلة أولاد سيدي يحيى بن طالب بقيادة شيخ أولاد سيدي يحيى علي بن بو حيطة، وفي هذه السنة نفسها وقعت معركة الدير الثانية التي استشهد فيها أكثر من 300 من الرحمانيين والموالين لهم. وفي سنة 1853 تندلع مرة أخرى ثورة أولاد سيدي عبيد المقيمين في بكارية والموالين لهم في تونس، وذلك بقيادة الشريف عمار بن قديدة. وتنظر تفاصيل أكثر حول موضوع هذه المقاومات في كتاب الأستاذ عبد الوهاب شلالي الذي عنوانه "المقاومة الشعبية التبسية في القرن 19 م من خلال بعض الكتابات العسكرية الفرنسية".

الباب الرابع
الزوايا الرحمانية بالشرق الجزائري وجنوبه

العائلة العزوزية وزواياها الرحمانية

رائد العائلة العزوزية هو الشيخ محمد بن عزوز البرجي الذي يصعد نسبه إلى إدريس الأكبر ثم إلى علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أيضا رائد الطريقة الرحمانية في الجنوب الشرقي للقطر الجزائري وفي وسطه وفي الأوراس وفي تونس حتى سميت الطريقة باسم (العزوزية) نسبة إليه. وهو الذي عرَّفه الشيخ الحفناوي في كتابه " تعريف الخلف برجال السلف " فقال عنه: [الولي الأكبر والقطب الأشهر الشيخ سيدي محمد بن عزوز، ولد رضي الله عنه بالبرج من صحراء بسكرة في حدود سنة 1170، وتوفي سنة 1233، ربي في حجر والده الولي الصالح سيدي أحمد بن يوسف، وحفظ القرآن العظيم واشتغل بتحصيل العلم، فأخذ منه بغيته حتى تضلع في المعقول.

وألف تآليف مفيدة، منها رسالة عالية في قواطع المريد، وشرح على التلخيص وغيرهما، ثم اشتاقت نفسه لعلم الباطن فرحل لزيارة الشيخ الأكبر سيدي محمد بن عبد الرحمن الأزهري، وأخذ عنه الطريقة وأدخله الخلوة. وفي تلك المدة خفيت عن والدته أخباره حيث لا بوسطة ولا تلغراف، واشتد شوقها إليه وقلقها عليه، فصعدت سطح دارها ونادته بثلاثة أصوات فسمع نداءها وهو في الخلوة، وأخبر شيخه بما سمع فأمره بالرجوع إلى والدته، وقال له: إن أدركتني المنية من بعدك فعليك بخدمة الشيخ عبد الرحمان باشتارزي تلميذه دفين قسنطينة، فكان الأمركما ذكره، ولازم خدمة الشيخ باشتارزي إلى وفاته، فكان تمام سلوكه على يديه.

وفي سنة 1232 سافر صاحب الترجمة لحج بيت الله الحرام مع تلامذته الكاملين سيدي علي بن عمر الطولقي، وسيدي عبد الحفيظ الخنقي، وسيدي مبارك بن خويدم، وكان الركب الذي سافر معه فيه سلطان المغرب مولاي عبد الرحمن قبل

استيلائه على عرش الملك، فتعرف بالشيخ لما رآه من كماله ولازمه إلى أن أصبح ذات يوم متألما وتعطل سير الركب، ولما بلغ خبره مسامع السلطان تحير ودعاه حيناً وعالجه فشفاه الله، وقال له سيدي علي بن عمر على لسان الشيخ: لما شفاني الله على يدك فادع الله بما تريد يستجب لك فقال: لا أريد الآن إلا ولاية الملك، وهي بعيدة عني إذ بيني وبينها سبعة رجال، فقال: ندعو الله أن تكون لك، وإذا بالمملكة المغربية نزل بها وباء مات فيه السبعة، ولما آب السلطان من الحج وجد رجال دولته في انتظاره فبايعوه وبقيت المكاتبات الودادية جارية بينهما. ثم أن الشيخ رجع من حجه ووجد الوباء ضاربا أطنابه في الزيبان، فكان هو آخر من استشهد به رضي الله عنه، وذلك سنة 1232 ودفن بقرية البرج، وبها الآن ضريحه المقدس، يأتيه الزوار من كل فج عميق، وترك ستة أولاد كلهم مرشدون علماء صالحون، منهم سيدي مصطفى بن عزوز صاحب زاوية نفطة.

كان الشيخ رضي الله عنه آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر محباً للسلم والأمن، ولذلك كان الناس يدعونه للصلح بينهم في مشكلاتهم، ويطلب منه أمراء وطنه إخماد الثائرين، فيسعى في تليينهم بعظيم جاهه ولطف قوله، وكان حليماً ذا أخلاق مسكية مع ما ألبسه الله من الهيبة والوقار. وتخرج على يده فحول منهم الشيخ سيدي علي بن عمر صاحب زاوية طولقة (ت: 1258هـ/1832م) والشيخ سيدي عبد الحفيظ صاحب زاوية خنقة سيدي ناجي (ت: 1850/1266)، والشيخ الصادق بن الحاج (ت: 1278/ 1862) صاحب زاوية تبرماسين، والشيخ المختار الجلالي (ت: 1859/1276) والشيخ محمد الصادق بن رمضان (ت: 1859/1276) صاحب زاوية بسكرة، والشيخ ارويح البوزيدي، وأبو ستة الدراجي، وعلي الجروني الخالدي، والشيخ سيدي المدني التواتي، وسيدي مبارك بن خويدم، وغيرهم، ولهؤلاء أتباع ومريدون لا يحصون، حتى أنه قلما يوجد في القطر الجزائري الشرقي والتونسي وطرابلس الغرب وبنغازي من ليس منتسبا لطريقته بواسطة أو وسائط، بل كادت أن تسمى الرحمانية بالعزوزية. ولولا الالتزام بالاختصار لأتينا في سيرته ومناقبه بما يكون وحده جزءا كبيرا ولكن شهرته تغني عن التعريف به. وناهيك أن ولده سيدي مصطفى وحفيده سيدي المكي بن عزوز قاطن الأستانة.

أقول: وللشيخ سيدي محمد بن عزوز أرجوزة سماها "رسالة المريد في قواطع الطريق وسوالبه وأصوله وأمهاته" وشرحها شرحاً عجيباً مفيداً للغاية، وهي وشرحها كافيان في الدلالة على عظم مقامه العلمي والعملي، وسنذكرها بتمامها حرصاً على الإفادة، ولأنها في الحقيقة قانون التمدن الكامل، لأنه عبارة عن تهذيب النفس وقتل

حيوانيتها الطبيعية، لكن قتلها عند الآخرويين في سبيل الله، وعند الدنيويين في سبيل الانسانية، وهذه تختلف باختلاف المعارف والعقائد والأقطار والعوائد، والحق أنها ما به إدراك الخير وطلبه والشر واجتنابه، وقد أحببت أن أذكر نبذة من كلام الشيخ في شرح أرجوزته للتبرك به، قال قدس الله تعالى روحه، ونور ضريحه، ونفعنا ببركاته:

واختلف أيضا هل الحمد والمدح بمعنى واحد أو متغايران، والذي يقول بالتغاير يفرق بينهما بأن الحمد مخصوص بالحي، والمدح يعم الحي وغيره، ولذلك يقال: مدحت اللؤلؤة على صفائها ولا يقال: حمدتها، واختلف في الألف واللام من الحمد لله فقيل: إنها للاستغراق استغراق جميع أفراد الحمد، إذ في الحقيقة ما حمد الله إلا الله، لأنه تارة حمد نفسه بنفسه كقوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ [الفاتحة: 2] و ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى ﴾ [طه: 14] وتارة حمد نفسه بخلقه كحمد العبيد له تعالى، وتارة حمد فعله بنفسه كقوله: ﴿ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [صٓ: 30] وتارة يحمد فعله بفعله كحمد العبيد بعضهم بعضا، فالحمد منه بدا وإليه يعود. وقيل: إنها للجنس، وهو يستلزم الاستغراق، وقيل إنها للعهد، والمعهود حمد الله لنفسه في الأزل، كما أجاب به سيدي الشيخ أبو العباس المرسي ابن النحاس النحوي حين سأله عن ذلك] انتهى كلام الحفناوي.

ووصفه الشيخ عبد الرحمان بن الحاج بن علي بنعثمان بن علي بنعمر في كتابه "الدر المكنون في حياة سيدي علي بن عمر وسيدي بنعزوز" فقال عنه: [وكان رضي الله عنه متبعاً للسنة عاملاً بها، ومن كلامه رضي الله عنه: المطلوب منا جميعاً الإكثار من الذكر والاتباع، وعدم الإصغاء لمن أراد صدنا عن ذلك، فإن طريقنا طريق سلوك.

وكان رضي الله عنه خائفا من ربه، صاحب دعوات عظيمة، فمن دعائه رضي الله عنه: [اللهم ارحمني إذا واراني التراب، وودعنا الأحباب وفارقنا النعيم، وانقطع النسيم، اللهم ارحمني إذا نسي اسمي، وبلي جسمي، واندرس قبري، وانقطع ذكري، ولم يذكرني ذاكر، ولم يزرني زائر. اللهم ارحمني يوم تبلى السرائر، وتبدو الضمائر، وتنصب الموازين، وتنشر الدواوين، اللهم ارحمني إذا انفرد الفريقان، فريق في الجنة وفريق في السعير، فاجعلني يا رب من أهل الجنة، ولا تجعلني من أهل السعير. اللهم لا تجعل عيشي كدا، ولا تجعل دعائي ردا، ولا تجعلني لغيرك عبدا، إني لا أقول لك ضدا، ولا شريكا ولا نِدا. اللهم اجعلني من أعظم عبادك عندك حظا ونصيبا من كل خير تقسمه في هذا اليوم وفيما بعده من نور تهدي به، أو رحمة تنشرها، أو رزق تبسطه، أو ضر تكشفه، أو فتنة تصرفها، أو معافاة تمن بها برحمتك، إنك على كل شيء قدير].

ومن هذا الدعاء، يعلم مقدار خوفه من ربه، وكيف لا يخاف وهو يعلم ما أوعد به من لا يخافه. وله كرامات عديدة رضي الله عنه) ا هـ.

وقد ألف الاستاذ علي الرضا الحسيني الدمشقي كتابا عنوانه: (شيخ العلماء المجاهدين محمد بن عزوز نور الصحراء- حياته وآثاره) جمع فيه جملة من رسائله وشرحه لقصيدته "رسالة المريد"، وضم إلى ذلك بعض المحاضرات التي ألقيت في ملتقى ذكرى مرور قرنين على وفاته الذي وقع بزاوية طولقة سنة 1418هـ. وطبع هذا الكتاب بالدار الحسينية للكتاب سنة 1422هـ 2001 م.

خلف الشيخ ابن عزوز من المكتوبات رسائل عديدة كان يبعثها لإرشاد أصحابه ومريديه، وله مجلسين في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وكتاب " شرح تلخيص المفتاح " لجلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني المتوفى عام 739 هـ (1338م) وقد لخص في كتابه هذا القسم الثالث من كتاب "مفتاح العلوم " ليوسف بن أبي بكر السكاكي. والشرح المذكور لابن عزوز يعتبر الآن في حكم المفقود. لكن أهم مكتوبات الشيخ هو شرحه على نظمه "رسالة المريد في قواطع الطريق وسوالبه وأصوله وأمهاته". وهذا الشرح منشور في كتاب "شيخ العلماء المجاهدين محمد بن عزوز نور الصحراء" لمؤلفه (علي رضا الحسيني) المطبوع بدمشق عام 1422 هـ (2001م).

ترك الشيخ بن عزوز ثمانية أبناء كلهم جمعوا بين العلم والصلاح وهم:

1-الحسين: مات مقتولا، ودفن حذو والده.

2-محمد الشيخ: عاش في رعاية وكفالة خليفة والده الشيخ علي بنعمر بطولقة ودفن في زاويتها محاذياً له.

3-أبو العباس: لم يترك نسلاً، توفي بنفطة في الجنوب التونسي ودفن بها.

4-محمد: انتقل إلى القيروان واستوطنها وتوفي بها وما زال فرعه بها إلى الآن.

وأما الأربعة الباقون فنخصص لكل واحد منهم فقرة.

5-الحسين بن محمد بن عزوز. تكلم عنه تقي الدين العقبي في كتابه " الزوايا والطرق الصوفية بالجزائر " فقال عنه:

[... الخليفة الحسن بن عزوز الذي يعتبر من الوجوه البارزة في عهد المقاومة الوطنية بقيادة البطل الأمير عبد القادر رحمه الله، فقد عينه الأمير خليفة على مقاطعة الزاب بعد عزل فرحات بن سعيد الذي لم تطل مدة خلافته إلا قليلاً. وقد أشرف على حفل تنصيب الحسن بن عزوز على الزاب أخو الأمير عبد القادر السيد مصطفى بن محيي الدين رفقة محمد البركاتي على رأس فرقة عسكرية وذلك سنة 1839. وبعد

تنصيبه مباشرة شرع الخليفة الحسن بن عزوز في أداء مهمته بحزم ونشاط، فقام بإنشاء جيش قوي للدفاع عن الوطن والحفاظ على سلامة البلاد والعباد، واتصل بالأعراش وراسل أعيان الزاب ووجهاءه وأعد العدة لمقاومة الأعداء ومحاربتهم. وأظهر من ضروب الشجاعة ما جعل مؤرخي الأعداء يكتبون عنه فقد جاء في المجلة الإفريقية قول سيروكا: (إن الحسن اكتسب التدريب العسكري من عمله في زمالة فرحات بن سعيد، ثم قال: إن له صوتاً يشبه زئير الأسد وأنه كان فارساً مقداماً) اهـ. كما اعتبره حاكم قسنطينة (نيقريية) من أخطر العناصر وطلب عدم السماح له بالعودة إلى الإقليم مطلقا].

ورغم شجاعته وحزمه فقد اضطر في مارس 1840م إلى الانسحاب إلى المسيلة التي كان بها وقتئذ الخروبي ممثل الأمير عبد القادر وأخوه. وبقي الحسن رغم الظروف القاسية التي كان يواجهها يخطط للعودة إلى الزاب لمواصلة الجهاد وحث الناس وتحريضهم على المقاومة وعدم الاستسلام إلى أن احتلت المسيلة من طرف الغزاة، حتى ألقي عليه القبض من طرف أحمد مقراني الذي سلمه إلى الفرنسيين فتم نفيه إلى جزيرة "سانت ما رغيت" سنة 1842 مع علي بن عيسى وأحمد بن الحملاوي، فبقي في الجزيرة المذكورة 26 شهرا، نقل بعدها إلى سجن بجزيرة قرب مرسى (برج التالة) بضواحي مدينة عنابة حيث توفي سنة 1847 م. وللخليفة الحسن بن عزوز رحمه الله عدة رسائل وكتابات كثيرة، وقد طلب في بعضها إطلاق سراح أخيه محمد بن عزوز الذي كان مقدما للطريقة الرحمانية ليتسنى له التوجه إلى المشرق.

والملاحظ أن الكثير من خلفاء الشيخ محمد بنعزوز وتلامذته ناصبوا فرنسا العداء، وحاربوها بمريديهم، فكان منهم: الشيخ المختار بن عبد الرحمن الذي تزعم الانتفاضة مع الشريف بومعزة ببلدة (أولاد جلال) نواحي بسكرة سنة 1849 م ومنهم الشيخ عبد الحفيظ الخنقي قائد معركة (وادي براز) قرب (سريانة) بنواحي بسكرة سنة 1849. ومنهم المجاهد الكبير الصادق بن الحاج شيخ زاوية (تبرماسين) و (القصر) من واحات بسكرة وهو صاحب ثورة 1858 بالأوراس. ومنهم الشيخ محمد بن رمضان الذي تزعم انتفاضة نفي اثرها إلى (البرانيس) ثم إلى جمورة.

6- الشيخ مصطفى بن محمدبن عزوز مؤسس زاوية نفطة

هو أشهر أبناء الشيخ محمد بن عزوز لكونه من أعلام شيوخ طريقة والده العزوزية الرحمانية. ولد عام 1220 هـ. وكان صغيراً لما توفي والده عام 1232هـ

فكفله خليفة والده الشيخ علي بنعمر مؤسس زاوية طولقة، وتربى في زاويته ثم أرسله إلى الشيخ الحاج علي التماسيني (1180-1260 هـ) بتماسين بنواحي تقرت الذي هو الخليفة الأكبر للشيخ أحمد التجاني (1150-1230) مؤسس الطريقة التجانية - وهو الذي كان قد تربى في الطريقة الخلوتية عند الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري (ت: 1208) عندما زاره بجرجرة عام 1185، وعند الشيخ محمود الكردي (ت: 1195هـ) بمصر والشيخ محمد بن عبد الكريم السمان في المدينة المنورة عام 1186. ولما رأى الشيخان علي بنعمر والحاج علي التماسيني كفاءة الشيخ مصطفى وأهليته للمشيخة أمراه بالذهاب إلى نفطة بالجريد التونسي ليؤسس زاوية قرآن وعلم وتربية. يقول عنه شيخ زاوية طولقة عبد الرحمن بلحاج بن علي بنعثمان بن علي بنعمر في كتابه "الدر المكنوز" ماخلاصته:

[ومنهم سيدي مصطفى، كان رحمه الله من أهل التقى والحلم والعلم والكرم والزهد، وأخذ الورد عن سيدي علي بنعمر، وصار من إخوانه الصادقين، فلما دخل الخلوة وخرج منها محصلا على مرغوبه أمره أستاذه بأن يذهب إلى نواحي تونس فامتثل. ولما وصل إلى تونس هرعت الناس إلى ملاقاته ورأوا مكانته في التربية والصلاح والعلم فكثر إخوانه، وجاء الناس إليه أفواجا. ثم كرّ راجعا من نفطة إلى طولقة لزيارة شيخه وضريح والده، فلم يمكث كثيرا حتى توفي شيخه، وبقي وصيا على أولاد شيخه كما كان شيخه وصياً عليه. وتولى رياسة زاوية طولقة ستة أشهر بعد شيخه، وحينما رأى الصلاح من الابن الأكبر لشيخه وهو علي بنعثمان، خلفه على الزاوية، وأوصاه على إخوته، وقفل راجعا إلى نفطة وأسس فيها زاويته المشهورة. ثم صار الشيخ علي بن عثمان يذهب لزيارة نفطة وأدخله الخلوة، فصار شيخه. ثم أنه قصد الحج بصحبة خليفته الشيخ علي بنعثمان، وصحبه أيضا ولده محمد الذي توفي بنواحي مصر، فاكترى له سفينة ورفع جثمانه فيها وتوجه به إلى مكة ودفنه بها. ولما رجع من الحج استمر في القيام بشؤون الطريقة والزاوية والدعوة إلى الله تعالى وتربية المريدين إلى أن توفي سنة 1283 هـ عن عمر 63 سنة، وخلف أولاًدا هم الحفناوي والإمام العلامة محمد المكي، والشيخ الأزهري الذي تولى رياسة زاوية والده] اهـ.

كان لزاوية الشيخ مصطفى بنفطة اشعاع كبير في جنوب تونس وجنوب وشرق الجزائر. يقول عنها تقي الدين العقبي في كتابه: "الزوايا والطرق الصوفية بالجزائر":

وقد كان قبل وفاته- أي الشيخ علي بنعمر شيخ زاوية طولقة- أوصى بالإشراف على شؤون الزاوية لصهره الشيخ مصطفى بن عزوز الذي لم تطل مدة رئاسته لها حيث قرر الهجرة إلى نفطة بالجريدة التونسي، وفيها طاب له المقام فأسس بها زاويته

المعروفة التي أصبحت قبلة طلاب العلم من كل مكان، كما كانت ملجأ للمجاهدين والمواطنين المضطهدين من طرف السلطات الاستعمارية.

وقد درس بها وتخرج منها عدد كبير من العلماء الأعلام الذين كان لهم في التعليم والتأليف والإصلاح شأن يذكر، ومن بينهم نشير على سبيل المثال إلى العلمين الكبيرين: الشيخ عاشور الخنقي صاحب كتاب المنار المعروف، والشيخ الشهيد المصلح الكبير العربي التبسي نائب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، رحمهم الله جميعاً.

ولا بدّ من وقفة عند الشيخ مصطفى بن عزوز الذي أصبح له بالقطر التونسي فيما بعد شأن عظيم حيث استقر بنفطة سنة 1257هـ. وقد تحدث عنه الشيخ إبراهيم خريف والد الشاعر الفحل مصطفى خريف في كتابه: "المنهج السديد في التعريف بقطر الجريد". فقال: [خلال سنة 1257هـ ورد على بلدة نفطة من بلاد الزاب مهاجراً القدوة المرشد بن عزوز البرجي، فاستوطنها مع عائلته وعدد كبير من أتباعه وأشياعه، فأقبلت عليه البلاد وهرعت إليه العباد يلتمسون بركته ويستلمون فيوضاته، ثم أحدث زاويته المشهورة المشتملة على عدد كبير من المساكن لإيواء الواردين عليها من كل صقع، وأنشأ بها بيوتا لسكنى المنقطعين لقراءة القرآن الكريم وتعليم العلوم باختلاف مشاربها] هـ.

وجاء في تراجم الأعلام للعلامة محمد الفاضل ابن عاشور أن شهرة الشيخ مصطفى بن عزوز ملأت الأصقاع وأن مناطق نفوذه الديني متصلة غير محدودة، وذلك بما كون حوله من عصبة متينة من الأتباع قائمة على الزوايا المنسوبة إلى الطريقة الرحمانية المتفرعة في القطرين الجزائري والتونسي.

وحظي الشيخ مصطفى بن عزوز رحمه الله لدى السلطات الحاكمة في تونس يومئذ بمكانة مرموقة من التقدير والاحترام وخاصة لدى الباي محمد الصادق الذي تولى الحكم في تونس بين سنتي 1859م/1882م.

وتتحدث بعض المصادر التاريخية في تونس بكل إكبار وإجلال عن الدور العظيم الذي قام به الشيخ مصطفى بن عزوز في تهدئة ثورة علي بن غداهم سنة 1864م حيث توسط بينه وبين الباي، والحق أن هذه الوساطة لم يكن ليكتب لها التوفيق والنجاح لولا الرصيد الكبير من الاحترام والتقدير الذي كان يتمتع به الشيخ من الجانبين المتخاصمين.

ويشير المؤرخ التونسي المعروف ابن أبي الضياف في كتابه: "اتحاف أهل الزمان" إلى الرسالة التي وجهها علي بن غداهم إلى العلامة المفتي المالكي ابن

العباس الشيخ أحمد بن حسين الكافي يوم السبت 18 صفر سنة 1281هـ الموافق لـ23 جويلية سنة 1864م ومما جاء فيها متحدثاً عن الشيخ مصطفى بن عزوز قوله: "...وها نحن اتفق رأينا بالإمكاث ومترقبين لقدوم شيخ الطريقة ومعدن السلوك والحقيقة سيدي مصطفى بن عزوز". ومما قاله ابن أبي الضياف عن الدور الذي قام به الشيخ في هذه القضية: "ولم يزل الحال في اضطراب وشدة إلى أن قدم من الجريد بركة القطر المشار إليه بالبنان المتدرج في مقامات العرفان الولي السالك المحبب لعباد الله شيخ الطريقة الرحمانية أبو النخبة الشيخ مصطفى بن عزوز. واجتمع بعلي بن غداهم ووجد جموعهم وقد مسّهم نصب الملل بعد أن أخذ لهم الأمان من الباي واستوثق منه بالعهود والأيمان، وقرأ للباي قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً ﴾ ثم قال لهم: ولا جواب لكم عند الله تعالى في إراقة دماء المسلمين وقد أعطاكم الباي الأمان على يد أمير المحلة وخفف خشية إراقة الدماء، وقال لعلي بن غداهم: "أنت لست بقائم تطلب ملكاً وزعمت أنك جامع عصابة شاكية لكف عادية جهالها وقد زال السبب فلا بد من أن يزول المسبب، وقد عطلتم الناس على السعي ابتغاء رزقهم". كما قام الشيخ مصطفى بن عزوز بأدوار في مناطق جلاص والهمامة وأعيان القلعة الكبرى وإعادة ولائها إلى الباي.

إن ما قام به الشيخ مصطفى بن عزوز من أدوار عظيمة في إطفاء نار الفتنة بالبلاد التونسية إلى حد كبير يشبه ما قام به بطل الجهاد والمقاومة الأمير عبدالقادر رحمه الله في بلاد الشام من مساع وما بذله من جهد في سبيل التوفيق والصلح في الفتنة التي شبت في بلاد الشام بين أبناء الوطن الواحد. وعلى كل حال فالصلح بين المؤمنين من تعاليم ديننا الحنيف والتي لا تزال إلى يومنا هذا من الوظائف الهامة التي يقوم بها شيوخ الزوايا حيثما وجدوا وحيثما حلوا وارتحلوا والشيء الذي من مأتاه لا يستغرب. (وسنعود إلى الكلام حول الشيخ مصطفى في فصل الرحمانية في القطر التونسي).

ومن أبناء الأسرة العزوزية الأعلام نذكر العلامة الكبير الشيخ المكي بن عزوز صاحب التآليف العديدة والكتب القيمة المفيدة، المتوفى سنة 1916م بالاستانة وهو ابن الشيخ مصطفى بن عزوز السابق الذكر وجده للأم الشيخ ابن أبي القاسم الديسي من شيوخ الزاوية العثمانية الأوائل. ولا يذكر الشيخ المكي بن عزوز إلا ويذكر معه ابن أخته العلامة الكبير الشيخ محمد الأخضر بن الحسين بن علي بن عمر الجزائري الطولقي الأصل الذي بلغ من العلم منزلة أهلته لمشيخة الأزهر بعد أن صال وجال في العلم والتدريس به وبجامع الزيتونة والجامع الأموي وفي عالم الصحافة حيث كانت

مقالاته في اللغة والأدب والتاريخ والاجتماع تملأ صفحات مجلته "السعادة العظمى" التي تعتبر أول مجلة تصدر بالقطر التونسي الشقيق، أما مؤلفاته في مختلف العلوم والفنون فحدث ولا حرج].

وفي كتابه " تاريخ الجزائر الثقافي" تكلم سعد الله بلقاسم عن زاوية نفطة قائلا:

[وزاوية نفطة لا تهمنا من حيث الجغرافية ولكن تهمنا من حيث الطريقة. فقد عرفنا أنها تأسست لأسباب سياسية بعد احتلال بسكرة، وأن مؤسسها هو مصطفى بن عزوز، وترجع شهرة زاوية نفطة إلى كونها أصبحت مدرسة للتعليم، بالإضافة إلى الدور الديني والاجتماعي. وكان رجالها يكملون تعليمهم بجامع الزيتونة، ويتولون الوظائف الدينية كالقضاء والتعليم، ومنهم المكي بن عزوز والخضر بن الحسين. وذهب إلى هذه الزاوية عدد من طلبة الجزائر للدراسة أيضا، مثل عاشور الخنقي، كما هرب إليها بعض الثوار أمثال ناصر بن شهرة وشريف ورقلة، ونزل فيها محيي الدين بن الأمير عبد القادر سنة 1870- 1871 حين دعا إلى الجهاد. فأهل بسكرة وتبسة والوادي وتقرت كانوا يقصدون زاوية نفطة للتعليم والسلوك معا].

من بين الخريجين الكثيرين لزاوية نفطة يذكر العلامة الجليل الشيخ البشير بن الصادق بن إبراهيم من أولاد عبد الرحمن أكباش القبيلة المعروفة بمنطقة (أحمر خدو) بجبل أوراس. انتقل أجداده إلى بلدة سيدي عقبة التي ولد بها سنة 1844. بعد حفظه للقرآن الكريم عند الشيخ الصادق بن السعيدي، وأخذه مبادئ العلوم عن الشيخ بلقاسم بن منصور وغيره من علماء بلدته، هاجر لزاوية الشيخ مصطفى بنفطة، فأقام بها اثني عشر عاما حتى رسخ في مختلف العلوم. وكان من رفاقه هناك الشيخ محمد المكي بن الشيخ مصطفى والشيخ عثمان بن المكي الزبيدي التوزري. ثم عاد إلى سيدي عقبة ليتجرد للتدريس بمسجد سيدي عقبة بن نافع رضي الله عنه مدّة تزيد على الخمسين سنة تخرج عليه خلالها كثير من أعلام علماء الجزائر منهم الشيوخ: علي بن إبراهيم الصادق وبلهادي علي بن عثمان وشاعر الجزائر الشهير الشيخ محمد العيد آل خليفة الذي صحبه في بسكرة لما انتقل إليها الشيخ البشير في آخر حياته، وبها توفي سنة 1928 ودفن بمسقط رأسه سيدي عقبة.

7- الشيخ محمد التارزي بن الشيخ محمد بن عزوز

قال عنه كاتب مقدمة كتابه " الهواتف التارزية" ما خلاصته:

[هو العارف بالله تعالى الدال عليه، المتهالك في محبة الله عز وجل، الولي الكامل والطود المانع أستاذنا محمد التارزي بن محمد بن عزوز البرجي أصلاً ومولداً،

النفطي مهاجراً وداراً. كان يقطع غالب الليل تهجداً بالقرآن العظيم وتفهماً في معانيه وغوصاً في غامض أسراره، لا يدع التهجد ولو في السفر والمرض، مستغرقاً في الأذكار ممتلئاً بالأنوار والأسرار، عالما عاملا، صواما قواما، شديد المحافظة على آداب الشريعة المطهرة، شديد الحلم والتواضع والحياء والعفة وعلو الهمة، أخذ في حق نفسه بالأحوط في الدين. نشأ في طلب العلم ما بين منقول ومعقول ببلده البرج من وطن الزاب عن جهابذة فحول فنال من ذلك الحظ الأوفر. وكان مع ذلك شديد البحث عن الشيخ المرشد المربي لأن والده إمام الطريقة العزوزية الرحمانية الخلوتية توفي وهو صغير فلم يأخذ تربيته الروحية عنه، حتى ظفر بأستاذه العارف بالله تعالى الشيخ عبد الحفيظ بن محمد الخنقي أحد خلفاء والده في التربية. فسلك على يديه الطريق فنال ما نال من مقامات أهل التحقيق. وقد جمع الله تعالى له بين العلمين والجهادين والهجرتين والحياتين والموتتين والسعادتين وكان مع ذلك متهالكاً في محبة سيد الوجود عليه الصلاة والسلام لا تسكن لوعته إلا بذكره أو شهوده. فحج وزار أربعاً. وكانت ولادته عام 1227 هـ أو 1228 هـ بمسقط رأسه البرج ثم هاجر منه إلى نفطة من بلد الجريد في الجنوب التونسي عام 1260، ثم هاجر من نفطة إلى المدينة المنورة عام 1310، فمكث بها شهرين وأياما، ومرض قبل وفاته بنحو 18 يوما، ثم توفي بها يوم السبت سابع أو ثامن ربيع الثاني من عام 1310 فكان عمره 82 أو 83 سنة، ودفن بالبقيع تحت جدار قبة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه] انتهى.

للشيخ محمد التارزي كتاب جمع فيه بعض مخاطباته ومشاهده ومواقفه الروحية، وله أشعار وقصائد في المواجيد الصوفية، منها قوله:

تـــدفقت العلـــوم علـــيك حقـــاً فكـــن يـــا تـــارزي بهـــا ولـــيعا
وجاهـــد نفـــسك اقـــتلها بذكـــري وشـــيطانا هـــوى دنـــيا جمـــيعا
وصـــل علـــى حبيبـــي كـــل وقـــت وكـــن لـــشرابه عـــبدا كـــريعا
ســـأفرده بـــسقيك حندريـــساً لتـــشربها وتلمـــيذا مطـــيعا
بكـــأس يخطـــف الابـــصار حـــسناً فـــلا يلفـــى لـــه بـــرق لمـــيعا
يـــسوغ لـــك الـــشراب إذا اقتـــربت مـــن أحمـــد باتـــباعك للـــشريعة
تمـــتع بالوصـــال وبالجمـــال فـــذا شـــأن الـــرجال وكـــن ســـميعا
مناجاتـــي إلـــيك وبـــث ســـري لقلـــبك كـــن لـــه عـــبدا منـــيعا
تبـــرجت الـــسماحة فـــي ســـليمى إلـــيها ســـر علـــى فـــرس ســـريعا
اذا مـــنعت رســـولك مـــن جـــواب فـــلا تـــيأس لـــديها وكـــن ضـــريعا

على طول الزمان وعند موت ... الى باب المليحة كن قريعا
دماء عيونك اسكبها دواماً ... لشوق لا لذوق كن تبيعا
لها ولأمرها واخدم حزيناً ... على فقد لرؤيتها البديعة
عسى ترضى عليك تجد بوصل ... وتدخل بحر معرفتي الوسيعة
صلاة الله ما غنت حمام ... على الماحي لشرك بالشريعة

وله أيضا:

تمتع بنور الوصل في كل ساعة ... فأنت من الرحمان أقرب منزل
اذا اشتاق روح السكر منك إلى اللقا ... تجدني قريبا منك لست بمعزل
هنيئا لمن بالقصد جاء لنحونا ... يذق خمرة تشفي بها القلب يصقل
ويلبس ثوب العز عن يد عبدنا ... هو التارزي بدر أضا في المنازل
حباه إله الناس ثوب اصطفائه ... لتلبسه وألبسه كل مفضل
وناد لدى الليل البهيم بنا تجد ... مرادك تاتيك العروسة تنجلي
تجد معها خمرا شذاه معطر ... لدى شمه تبقى طريح تهلل
اذا غبت سكراً خاطبتك عروسة ... بحسن خطاب ماله من ممثل
فتنعش منك الروح والقلب هائم ... بأوصاف ليلى والجمال المكمل
تهتز أشواق القلوب اليك يا ... عبيداً بليلى شغله حتى يقتل
سماء وأرض والطيور تشوقت ... لشوقك بالبشر منك اذ يبجل
وصل وسلم ثم بارك على النبي ... وآله والأصحاب يا عبدنا اسع لي

ومن لطيف إشاراته:

سكرنا بخمر والرفاق تمايلوا ... فيا ليتهم بالذكر غابوا وهيللوا
فمن كان ذا وجد عليه بخمرة ... تأنس شاربوها منا وأفضلوا
وتحشرهم في وفد ليلى وزينب ... وزهرتنا الغراء فيها المكمل
ويعقبهم برد لذيذ شرابها ... على قلبه كالثلج لكن يعمل
ويسمع قول الغانيات بلذة ... وصوت رخيم جاءمنه التذلل
لرب كريم راحم بعباده ... ومعط لكل فوق ما قد يؤمل
اذا حان وقت الموت أغمر فضله ... لأحبابه أدناهم فتكملوا
فبعض بسيف الحب مات تلهفا ... لما قد راى والسيف هو التحمل
وبعض فنى عن نفسه ومماته ... ولم يدر شيئا مجمل أو مفصل

وبعض صحا عن سكره متمتعا بقرة عين يا له متقبل
تخاطبه ليلاه دأبا بُعيد ما أزالت رواقا كان بالوجه مسدل
وقالت: حبيبي أنظر جمالي فبعض الناظرين لروح باع والبعض دللوا
هنيئا لهم يا فوزهم بحبيبهم فإن كنت منهم فاخلع النعل تقبل
وصل وسلم ربنا عن حبيبنا وعن آله ما الشوق منه التوصل

من أبناء الشيخ التارزي الشيخ عبد الكريم الذي اجتمع به شيخ الطريقة الكتانية العلامة المحدث المغربي عبد الحي الكتاني على ظهر سفينة وأجازه بإحدى الصيغ المشهورة للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تسمى (الصلاة الكاملة)، ونص مطلع هذه الإجازة هو التالي: [بعد حمد الله تعالى وشكره له سبحانه بما هو له أهل، فإني وأنا الفقير الأحقر محمد بن عبد الحي بن الشيخ عبد الكبير بن الشيخ محمد بن عبد الواحد الحسني الإدريسي الكتاني الفاسي أقول: قد حصل الاتصال بالاجتماع والتآلف بالاجتماع مع السادات الأفاضل الكمل الأماثل سلالة الصالحين وبركة العلماء الفالحين مواليد أبناء بن عزوز التونسيين حفظ الله تعالى مجدهم وكلأ سبحانه عزّهم وجاههم، فكان منهم السري الأمثل الأجل الأنبل السميذعي اللبيب اللوذعي النجيب الشيخ عبد الكريم بن السيد العالي القدر والجلالة مولانا الشيخ التارزي بن عزوز كان الله لي وله في الحركات والسكنات ووقانا همّ كل شيء في كل اللحظات آمين، ولما وقف على بعض ما لي من السلاسل المتصلة بكمل الرجال طلب أن أكون له مجيزا بالصلاة الكاملة بسائر رواياتها وكيفياتها وزجرها وأسانيدي فيها فلبيت دعوته وأجبت رغبته فقلت: أجزت الفاضل المذكور بالصلاة المذكورة يذكرها لنفسه بكيفياتها المقررة المروية في كل أوقاته وخصوصا حين يعرض موجبها وقانا الله تعالى وإياه كل همّ في السماء والارض آمين. وأجزته أن يجيز بها من رأى فيه أهلية موصيا لنفسي وله عليه أن لا ينساني من صالح دعواته في خلواته وجلواته وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله، قاله وكتبه خادم الحديث والطرق بالمغرب محمد عبد الحي الكتاني وفقه مولاه آمين صبيحة يوم الأحد ثامن رمضان عام 1323 والحمد لله حق حمده على ظهر البحر سلمنا الله وإياه في السفر والحضر آمين.

8- الشيخ المبروك بن الشيخ محمد بن عزوز البرجي

بعد استشهاد أخيه خليفة الأمير عبد القادر الشيخ الحسن، اشتدت مضايقات الاحتلال الفرنسي على العائلة العزوزية فهاجر أخوه الشيخ مصطفى إلى نفطة كما سبق ذكره، والتجأ الشيخ المبروك إلى مدينة الأغواط بجنوب غرب الجزائر سنة 1845

فأصبح إماما بمسجدها العتيق، وفتح بها زاوية لتعليم القرآن والتربية والذكر والعبادة والخدمات الاجتماعية من إحسان للمحتاجين وتشجيع لطلبة العلم وإصلاح للخصومات بين الافراد والجماعات، واحتضنت الزاوية آنذاك حوالي 900 طالب جلهم من الفقراء واليتامى، إلى أن توفي الشيخ المبروك سنة 1886، فتولى رئاستها ابنه الأكبر عزوزي الحاج عبد القادر الذي واصل مسيرة والده إلى سنة وفاته 1910، حيث تولاها شقيقه الشيخ الأزهري لمدة 9 سنوات، ثم حولها إلى منطقة في نواحي الأغواط تسمى الحطيبة وذلك سنة 1919، فازداد إشعاعها العلمي والتربوي والإجتماعي، حيث كانت الزاوية ملجأ لليتامى والأرامل والمساكين. وكان فيها جناح طبي يشرف عليه طبيب للعيون جراح سويسري، ومنه تعلم الشيخ الأزهري فكان طبيباً للعيون ماهراً يداوي مرضى تلك النواحي مجاناً، كما نشّط الحياة الاقتصادية في تلك النواحي، إلى أن التحق بأسلافه سنة 1951. واستمرت الزاوية تؤدي رسالتها على يد نجله محمد الأمين، لكن ما إن حلت سنة 1957 خلال ثورة التحرير الجزائرية، دمر الاحتلال الزاوية بكاملها، وأحرق مكتبتها وهدم مسجدها وما جاوره من سكنات ومراقد الطلبة. واستشهد بعض طلبة الزاوية، والبعض الآخر التحق بجيش التحرير الوطني، واستشهدوا جلهم رحمهم الله. لكن هذه الخسارة الجسيمة عوضها الشيخ صفي الدين بن محمد بن الشيخ المبروك، وذلك بفتحه زاوية بحي القواطين بقرب الأغواط سنة 1953، فاستمرت في أداء مهامها إلى سنة 1970، وهي السنة التي تولى فيها المشيخة الشيخ عزوزي الحاج التارزي (المولود سنة 1945) ابن الشيخ محمد الأمين بن الشيخ الأزهري بن الشيخ المبروك بن الشيخ محمد بن عزوز، الذي أحيا زاويتهم من جديد ببلدة وادي مرة (تبعد عن مدينة آفلو ب 25 كلم كما تبعد عن الأغواط ب 80 كلم). فاستأنفت الزاوية نشاطها الديني والتربوي والاجتماعي وايواء طلبة القرآن وتعليمه للصغار والكبار، وإغاثة اليتامى والمساكين والمحتاجين، إلى يومنا هذا.

الشيخ محمد المدني بن عزوز وابنه أحمد الأمين

ذكره العلامة الشاعر عاشور الخنقي (ت: 1929م) في آخر كتابه "منار الأشراف" عند ذكره للعلماء الذين أخذ عنهم في زاوية الشيخ مصطفى بن محمد بن عزوز في نفطة حوالي سنة 1280 هـ فقال عنه ما ملخصه: [وبين أظهرهم شيخ الجميع الشيخ الأكبر جامع أشتات العلوم الشيخ محمد المدني بنعزوز صهر القطب مصطفى بن عزوز وابن عمه صنو أبيه، ومعه في نفطة جمع كثير من أطواد العلماء المتخرجين عليه في العلوم العقلية والنقلية وفي مقدمتهم الشيخ محمد الصالح

العبيدي الحمادي والشيخ إبراهيم بن صمادح النفطي العلقمي. وقد سلك الشيخ محمد المدني في الطريقة الخلوتية على الشيخ عبد الحفيظ الخنقي أحد أكابر خلفاء عم والده أي الشيخ محمد بنعزوز فوصل إلى أعلى مقامات الولاية. وأجيز في مختلف العلوم من كبار علماء عصره الذين أخذ عنهم وأشهرهم خمسة هم: المبروك بن عزوز، ومحمد بن عزوز- وتخرج والده وعمه على الشيخ الغدامسي أحد تلاميذ العلامة القطب أحمد الدردير- والثالث محمد الأمير صاحب الثبت الشهير، والرابع الإمام الكبير إبراهيم الباجوري، والخامس إمام الطريقة السنوسية العلامة الحافظ الشيخ محمد السنوسي صاحب قرية جغبوب بليبيا.]. ثم ذكر حاله قبيل وفاته فقال: [وفي صبيحة يوم وفاته وانتقاله إلى دار السعادة دخل عليه المؤلف في جماعة من أصحابه على وجه العيادة فقال للجماعة إنه كان قبلكم عندي مَلَك من الملائكة فقال لي إقرأ: ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [السجدة: 11] فقرأتها عليه فاستعادها مني ثلاث مرات فقرأتها عليه ثلاث كرات، وإني عما قريب أرتحل إلى حضرة الملاقاة، واعلموا أني شارطت الله فيكم شرطاً تقبله مني فاسمعوا وعوا وخذوه عني، وهو أن لا يولى أحد من تلاميذي الوظيف، حتى لا يتلوث علمي بما يقتضيه هذا الوقت السخيف، ولا سيما أنتم يا طلبة الغرب فإياكم وطلب الوظيف على البعد والقرب، وأستحفظكم دينكم وأمانتكم وخواتم عملكم وهذا الكلام، واذهبوا بسلام، فخرجت الجماعة على كسوف بالها، وهيجان بلبالها، وما لبثت إلا ريثما وصلت إلى منازلها حتى تصارخت النعاة من حواليه، توفي الشيخ الأكبر رحمة الله عليه، في حدود عام 1285، من هجرة جده أكمل خلق الله في الذات والوصف، عليه أفضل الصلاة وأكمل السلام، وآله وأصحابه الأعلام.] انتهى. يعني بطلبة المغرب طلبة القطر الجزائري الواقع غرب نفطة بتونس، ومنعهم من تولي الوظيف لأن الحاكم حينذاك كان الاحتلال الفرنسي.

وقد ترجم الشيخ عبد الحي الكتاني للشيخ محمد المدني في كتابه " فهرس الفهارس " تحت رقم 303 فقال عنه:

[محمد المدني بن عزوز، هو المدني بن أحمد بن إبراهيم بنعزوز البرجي التونسي، الخلوتي شيخ الشيوخ بالمملكة التونسية والجزائرية، العلامة الصوفي النفاعة المتوفى عام 1285. وقفت على إجازته العامة من الشيخ السنوسي، لقيه بمكة وأجاز له ولأخيه محمد الصغير ابن عزوز بعدما سمعا عليه الأوائل العشرة وأضافهما وصافحهما، ومن الشيخ عبد الله أبي المعالي السناري المصري بفهرس الأمير وكتب له

على ظهرها، ومن البرهان الباجوري وهي أيضا عامة، ومن الأخوين محمد وأحمد المرزوقين المكيين بمافي فهرسة شيخهما الأمير عنه، ومن مصطفى بن الكبابطي الجزائري إجازة بالصحيح عام 1264 عن شيخه ابن الأمين عن الصعيدي، ومن علي أبي سالم ابن محمد ابن عبد المومن ابن إبراهيم بن عزوز البرجي حسب روايته الفقه المالكي ومختصر خليل عن شيخه المبروك بنعزوز عن الفاضلين الخضر ومحمد وهما عن موسى الجمني عن عمر الجمني عن الخرشي والزرقاني بأسانيدهم.

استفدت ما ذكر من نصوص إجازات السبعة المذكورين للمترجم من مجموعة ولد المترجم العالم الناسك الرحال أحمد الأمين لما لقيته بمالطة. وأوقفني على أعيانها وما كتبه شاعر الجزائر عاشور الخنقي في آخر ديوانه من كون المترجم يروي عن الأمير الكبير وما في نقده لفخر القطر الجزائري ونادرته الشيخ محمد بن عبد الرحمن الديسي البوسعادي من أنه إنما روى عن الأمير الصغير كله وهم، بل لم يرو لا عن الأمير الكبير ولا عن الصغير وإنما أخذ عن تلاميذهما. وما في " عمدة الأثبات" في تردده في رواية عن الباجوري كله في غير محله.

أروي ما للمذكور عن الشيخ محمد المكي ابن عزوز عن كثير من أصحابه عنه. وأخبرنا ولده الشيخ أحمد الأمين بن المدني عن إبراهيم ابن الحاج أحمد الشابيح إجازة له عام 1303 والمختار بن الخليفة الأحدابي الجزائري كلاهما عن الشيخ المدني حسب إجازته لهما عامة، وأروي ما له عاليا عن آخر تلاميذه شاعر آل البيت المعمر المشارك الشيخ عاشور الخنقي القسنطيني إجازة شفاهية ببرج بو عريريج بالجزائر وهو عنه، وهو آخر تلاميذه مطلقاً]. انتهى.

وقد أورد الشيخ محمد الصغير بن الشيخ المختار الجلالي في كتابه "تعطير الأكوان بنشر شذا نفحات أهل العرفان " من ص 165 إلى ص 180 كلاما نفيساً دقيقاً محرراً كتبه الشيخ محمد المدني فيه ردود على بعض الاعتراضات على أهل الطريق.

وأشهر أبناء الشيخ محمد المدني هو ابنه أحمد الأمين الذي كان من فحول الشعراء وأفاضل العلماء مع النسك والسياحة والأذواق العرفانية العالية. ولد في مدينة نفطة سنة 1860م وتوفي بالمدينة المنورة سنة 1935. له قصائد في المديح النبوي نشرها علي الرضا الحسيني في كتابه "منظومات ابن عزوز"، كما ترجم له وأورد بعض قصائده في كتابه "زاوية مصطفى بن عزوز". وقد أورد مؤلف «الزهر الباسم» بعض قصائده قال: [ولمّا اجتمعت بالعلامة الشيخ أحمد الأمين ابن الولي لله سيدي المداني بن عزوز في أيام زيارته للأستاذ- أي الشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي- سنة سبع من القرن الرابع عشر أرخه بقوله:

خيـــر أعمـــال الفتـــى المدخـــره ... مـــا حـــواه جمـــع تلـــك العـــشره

حيث تبقى ذكر من أسسها ... بجميل في نوادي البرره
وأجزل الكل أجراً وثنا ... وعلى العاقل أن يدخره
مسجد يذكر فيه الله أو ... مظهر للسنة المعتبره
فلذاك النبلاء ازدحموا ... كي ينالوا المكرمات العطره
مثل ذا الماجد من همته ... لمهمات العلا مبتكره
من الحمد اسمه اشتق اذا ... ضعف التحميد بين الخيره
شاد بيت الغربا ان جنحوا ... لتحدي الظلمة المعتكره
فهو الداعي إلى كلِ الهدى ... والى المهدي هو التذكره
مربع التقوى عليها أُسِّست ... نية الاخلاص فيها حجره
روض اعزاز وفضل فاقطفوا ... منه أزهار العلوم المثمره
جنة فيها جميع المشتهى ... زينة الدنيا وفضل الآخره
ذا مقام الأمن يا داخله ... فانو ما شئت بصدق واعبره
يا إلهي احفف به الفتح على ... قارئيه بسر البقره
وأدم عمرانه ربي به ... وأدم في فرعه ذي الثمره
وصلاتي وسلامي أبداً ... على طه وجميع البرره
ما تلا من قال في تاريخه ... مسجد بالسر حقا عمره.

العلامة الشيخ محمد المكي بن مصطفى بن محمد بن عزوز

قال عنه المحدث الشهير العلامة المغربي الشيخ عبد الحي الكتاني في كتابه "فهرس الفهارس" تحت رقم 490 ما يلي:

[هو صديقنا الإمام العلامة المحدث المقرئ الفلكي الفرضي الصوفي المسند الشهير الشيخ أبو عبد الله سيدي محمد المكي ابن ولي الله سيدي مصطفى بن العارف الكبير أبي عبد الله محمد بن عزوز البرجي، النفطي مولداً التونسي تعلماً القسطنطيني هجرة ومدفناً. ولد في حدود سنة 1270، وسماه بالمكي عمه الشيخ محمد المدني بن عزوز وكناه بأبي طالب تيمنا بأبي طالب المكي صاحب "القوت" (أي كتاب " قوت القلوب"). قرأ بتونس وتصدر للتدريس بها، وولي الافتاء ببلد سكناه نفطة عام 1297 وهو ابن 26 سنة ثم قضاءها، ثم انتقل إلى السكنى بتونس سنة 1309، وفي سنة

1313 انتقل إلى الاستانة فبقي بها إلى أن مات بها على وظيفة معلم الحديث الشريف بدار الفنون ومدرسة الواعظين. هذا الرجل كان مسند افريقيا ونادرتها، لم نر ولم نسمع فيها بأكثر اعتناء منه بالرواية والإسناد والإتقان والمعرفة ومزيد تبحر في بقية العلوم والاطلاع على الخبايا والغرائب من الفنون والكتب والرحلة الواسعة وكثرة الشيوخ، إلى طيب منبت وكريم أرومة، وكان كثير التهافت على جمع الفهارس وتملكها حتى حدثني بزواية الهامل الشمس محمد بن عبد الرحمن الديسي الجزائري الضرير عنه أنه اشترى ثبت السقاط وهو في نحو الكراسين بأربعين ريالا، وهذا بذل عجيب بالنسبة لحاله، وأعجب ما كان فيه الهيام بالأثر والدعاء إلى السنة مع كونه كان شيخ طريقة ومن المطلعين على الأفكار العصرية، وهذه نادرة النوادر في زماننا هذا الذي كثر فيه الإفراط والتفريط، وقل من يسلك فيه طريق الوسط والأخذ من كل شيء بأحسنه، عاملاً بقوله تعالى: ﴿ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ ﴾ وكانت وفاته رحمه الله بالقسطنطينية العظمى سنة 1334. ورثاه جماعة من أدباء القطرين الجزائر وتونس.

حلاه شيخ الإسلام بمكة الشهاب دحلان في إجازته له بقوله: (قد اشتهر في الأقطار بلا شك ولا مين، ولا سيما في الحرمين الشريفين، بالعلم والحلم نخبة العلماء الأعيان، وخلاصة الأعيان من ذوي العرفان، سراج إفريقية، بل بدر تلك الأصقاع الغربية، الأستاذ الكامل، جامع ما تفرق من الفضائل والفواضل).. الخ. وهذه التحلية نادرة من مثل الشيخ دحلان، يعلم ذلك من تتبع حلاه في إجازته لأهل المشرق والمغرب وهي كثيرة.

وقال فيه عالم الطائف العلامة عبد الحفيظ القاري أثناء سؤال قدمه له:

من نرتجي للدين يكشف غمة	عمت على الإسلام بالإغماء
غير ابن عزوز إماما للهدى	بالحق يفتي لا بأخذ رشاء
من مغرب في مشرق يبدي السنا	في المطلعين له ضيا كذكاء
إن كان فينا قائما فهو الذي	بالعلم يرقى ذروة الجوزاء

وشيوخ المترجم يقرب عددهم من الثمانين. ثم ذكر الكتاني أسماءهم وواصل قائلا:

للأستاذ محمد المكي ابن عزوز: "الصفح السعيد في اختصار الأسانيد" وهو منظوم، وله أيضاً "الثبت الجامع لأسانيده في كل فن"، و"عمدة الأثبات" التي هي أفيد وأوسع ما كتب في هذه الصناعة ألفها باسمنا عام 1330 بالآستانة، ولعلها آخر ما ألف. وله "رسائل في أصول الحديث" طبعت سنة 1332 بالآستانة، وله" السيف

الرباني" وهو مطبوع بتونس، وله "طريق الجنة في تحليات المؤمنات بالفقه والسنة"، وله "الذخيرة السنية في الخزانة المدنية"، و"مورد المحبين في أسماء سيد المرسلين"، و"برق المباسم في ترجمة الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم"، و"مغانم السعادة في فضل الإفادة على العبادة". ومما لم يتم "عمدة الشيوخ في الناسخ والمنسوخ"، و"الرحلة الهاملية"، و"اختصار الشفا"، و"تعديل الحركة في عمران المملكة"، و"النصح المتين في زلقات العامة وبعض المتطلبين"، و"نظم جمع الجوامع"، و"الفائدة في تفسير سورة المائدة"، و"التفصيل الجامع في رفع الأصوات بالأمداح في الجامع"، و"نظم الجغرافية التي لا تتحول بمقالبة الدول"، وله غير ذلك.

أروي عن المذكور كل ما له من مؤلف ومروي ونظم إجازة عامة راسلني بها من الآستانة بتاريخ 22 ربيع الثاني عام 1329 وأشرك فيها معي أولادي، واستجازني أيضا فأجزته رحمه الله رحمة واسعة، وطالت مراسلتي ومكاتبتي معه واتصالي به إلى أن مات، بحيث لو جمعت المكاتبات التي جرت بيني وبينه لخرجت عن مجلدة متوسطة، وكلما تذكرت موته أظلمت الدنيا في عيني، رحمه الله رحمة الأبرار] اهـ.

يبدو أن التواريخ المذكورة في هذه الترجمة غير دقيقة، فحسب المراجع الأخرى كانت ولادة الشيخ محمد المكي في 15 رمضان سنة 1270 هـ بنفطة حيث زاوية والده مصطفى. وبها تولى منصب الفتوى سنة 1297 والقضاء سنة 1305، وقصد شيخه في الطريق محمد بن ابي القاسم بزاوية الهامل في الجزائر سنة 1307، ثم رحل إلى مصر والحجاز والشام، واجتمع بالكثير من الأعلام. ثم استقر بتونس سنة 1309 حيث قام بالتدريس في جامع الزيتونة، وتتلمذ عليه علماء وأعلام منهم ابن أخته العلامة شيخ الأزهر محمد الخضر الحسين (ت: 1377)، ومنهم الزعيم السياسي الكاتب الخطيب المؤرخ الشهير عبد العزيز الثعالبي (ت: 1363).

وقد كان الشيخ محمد المكي في المسائل الفقهية مقتدياً بأهل الحديث. يقول عنه الشيخ محمد الخضر حسين: (... أذيع عنه في تونس بأنه صار يقول بفتح باب الاجتهاد، ولما لقيته بالآستانة ذكر بعض الحاضرين له هذه المسألة، فقال: إني مالكي في المسائل الاجتهادية، أما إذا ورد حديث صحيح فأعمل به ولو خالف المذهب).

رغم تربيته الصوفية في زاوية والده بنفطة، لم يكتف الشيخ محمد المكي بطريقة التبرك التي ورثها من أسلافه بل جد في البحث عن الشيخ المربي الحي الذي يسلك به في معارج الترقي الإحساني العرفاني، إلى أن وجد مطلوبه في الشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي، فرحل إلى زاويته بالهامل وأخذ عنه الطريق وسلك على يديه. وله قصائد في مدح شيخه ذكر بعضها الشيخ محمد بن الحاج محمد الهاملي في كتابه

"الزهر الباسم".

ومن أعماله في الميدان الإسلامي تأسيسه (لجمعية الشرفاء) التي كان لها فروع في تونس والجزائر وغيرها. ولمواقفه الوطنية طاردته سلطات الاحتلال الفرنسي، فرحل إلى اسطنبول سنة 1316، وكان السلطان عبد الحميد يجله. درس الحديث الشريف والتفسير في الكلية الإسلامية الكبرى " دار الفنون " وفي " مدرسة الواعظين"، وكان يلقي دروسه باللغتين العربية والتركية.. وتوفي يوم الخميس في الثاني من شهر صفر سنة 1333 هـ عن 64 سنة، ودفن في مقبرة (محي أفندي) باسطنبول.

ومن كتبه الأخرى:

- الأجوبة المكية عن الأسئلة الحجازية - نظم -.
- الاحتواء في جواب من سأل عن الاستواء، وهي رسالة أجاب بها الشيخ إسماعيل الصفايحي قاضي تونس (ت: 1336) الذي سأله عن الآية ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝ ﴾.
- إرشاد الحيران في خلاف قالون لعثمان، في القراءات.
- الرياض البواسم في رواية حفص عن عاصم، في القراءات.
- الدراية في ما ليس برأس آية (نظم في 42 بيتا).
- النفح المسكي في قراءة ابن كثير المكي.
- تهذيب التفاسير القرآنية.
- تنظيف الوعاء من سوء الفهم في آية ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝ ﴾ [النجم: 39].
- مروي الظمأ في قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر: 28].
- مزيل الإشكال في آية ﴿ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ ﴾ [الأنفال: 23] في سورة الأنفال
- إسعاف الإخوان في جواب السؤال الوارد من داغستان.
- إقناع العاتب في آفات المكاتب.
- إنارة الحوالك في أن الرفع في الصلاة مذهب الإمام مالك.
- تذكرة المنصفين في أن المكتشفات الحديثة لا تكذب الدين.
- التفريج بحل الإشكال في صلاة التراويح.

- التقرير المهذب في حل تراجم الجوهر المرتب.
- التنزيه عن التعطيل والتشبيه.
- حزم اليقظان في أن الصلاح والفساد يسريان من الخلان.
- الحق الصريح في مناسك الحج على القول الصحيح.
- المسك الأظفر في بيان الحج الأكبر.
- حقيقة الأمر في تحريم البيرة والتداوي بما فيه الخمر.
- ردّ الذاهب في ما يقلد وما لا يقلد من مسائل المذاهب.
- رفع النزاع في بيان معنى التقليد ومعنى الاتباع.
- الزلف في ترجيح تفويض السلف على تأويل الخلف.
- المسألة المهمة في سبب اختلاف الأئمة.
- السلوى والمن في مواضع حسن الظن وسوء الظن.
- شرح حديث كميل بن زياد في الرد على الطبيعيين.
- طبقات المحدثين (نظم).
- طريقة السلامة في هيئات الناس يوم القيامة.
- طي المسافة إلى دار الأمن من المخافة.
- فتح الخلاق في استكمال لمحاسن الإسلام الأخلاق.
- فتح السلام في نجاة من لم تبلغهم دعوة الإسلام.
- القول القيم في حال ابن تيمية وابن القيم.
- عقيدة الإسلام (طبع بالسعودية).
- كشف البأس في كلمات يقولها كثير من الناس.
- مغانم السعادة في فضل الإفادة على العبادة.
- المنبهات لحكم ذبائح القبور والمزارات.
- النجدة في زجر من تهاون في أحكام العدّة.
- النصيحة في الصلاة المفروضة الصحيحة.
- الهلال في بيان حركة الإقبال.
- المقالات العزوزية في الأدب.
- عدة مقالات في جرائد ومجلات كالحاضرة، والزهرة، وثمرات الفنون، والمقطم، والأهرام، والمؤيد، والهلال، وغيرها...

وللشيخ المكي كثير من القصائد الرائعة والأشعار الغزيرة يصل عدد أبياتها إلى بضعة آلاف، وقد جمع بعضها في ديوان، ونكتفي بإيراد اثنتين منها. الأولى

ذكرهاالشيخ محمد الصغير الجلالي في كتابه "تعطير الأكوان"، وفيها وصف لمقامات النفس السبعة التي يقطعها السالك في الطريقة الخلوتية، ونصها:

النفس أنفس من تلفيه يحميك — أولى وأوفى وأصفى من يصافيك
ومن كنفسك لو أبقيت فطرتها — فأنت صيرتها أعدى أعاديك
حكمت فيك عدواً ليس يرحمها — وترتجي ودها فالرشد مخطيك
وافتك زاهرة في المجد رافلة — للخل تألف تؤويها وتاويك
للعهد حافظة بالنور مشرقة — للفضل قابلة طوع أياديك
هوّدتها بصفات الخبث مفتخراً — بما عن الحضرة العلياء يقصيك
نصّرتها فهي للصلبان ساجدة — صلبان شهواتك سمّا تغذيك
مجّستها فغدت للنار عابدة — نار الهوى فهي بالنيران تصليك
أعميتها بالخطايا ثم تعتبها — من ذا يقول لأعمى افتح مئاقيك
شوهتها بطباع لو تُخير ما — تختار ذاك في إحدى مواشيك
عفنتها فاغتدت ذات العقارب مع — سود الأفاعي وما بالحي راقيك
وليس في عدم الإحسان متكل — فعند كشف الغطا حقا تلاقيك
أسقمتها بالجذام المعنوي لذا — تُعدي القرين وفاز من يجافيك
تستطعم العذب من نصاحها صبرا — وداء يعقب ان لم يوس تهليك
فافزع إلى عارف بالطب ذي قدم — في الفن راسخة قصدا لينجيك
وكل فن له أرباب صنعته — وليس إلا أخو الإمداد يكفيك
فارحل إليه بلغت القصد مدرعاً — صبراً ولا تبتئس في بذل غاليك
وماهر القوم في ذا العصر سيدنا — أيقبل المحرز التحقيق تشكيك
ابن أبي القاسم المعطيه بارؤه — في بيضة الكون تصريفا وتمليكا
له اجتماع بطه جده يقظاً — فهو الطبيب الذي باللحظ يشفيك
لا جس نبض ولا تجريع مختلط — ولا ابن سينا ولا داوود يهديك
ولا أرسطو ولا بقراط فاعله — ولا حكيم بحكم الشق يشقيك
وإنما هو صدق منك في أدب — وذكرك الله بالتلقين يوليك
الزم حماه وكن كالميت بين يدي — مغسل كيف شا ولو يواريك
ترى لنفسك أطوارا تشاهدها — تشفي وتكفي وتمسي التاج عاليك
هذا هو السفر المحمود عاقبة — تسيره باطناً والشيخ هاديك

اما مقاماتها سبع ستسمعها حلاً ومرتحلاً بدءا وتسليك
سكت عن ما لديها من عجائب ما يراه ذو السير والعنوان ينبيك
سبعون ألف حجاب بعضها ظلم وبعضها بعظيم النور يغشيك
والكل تخرقها سيرا ييسرها هدى الإمام ولطف الله كاليك
الان أمارة بالسوء نفسك ذي أما المقام فبالأغيار يصميك
يعطيك هيللة تجلي لظلمتها فمن سواطعها ضاءت لياليك
زال الصدا عن فؤاد صار متقداً مصباحه ملكوتي يوافيك
تنظر عيوبك كالمحسوس تبصرها تلك البصيرة نارت عن مساويك
أصبحت نفسك باللوامة اتسمت مقامها بسنا الأنوار يعطيك
هنا الرياء الخفي وحب شهرتها لكن دليلك ليث ليس يخليك
يعطيك ذكر الإله بالجلالة كي تنجو من العيب بالأنفاس ينقيك
ترى عجائب بيت الله قلبك من صنع البديع الذي قد انطوى فيك
أصبحت والآن منك النفس ملهمة مقامها بشذا الأسرار يحييك
هنا تروحنت النفس العزيزة إذ تجملت بصفات من مساعيك
والقبض والبسط والتلوين شيمتها خوف رجا وهيام الشوق يسبيك
خافت منزلة الأبرار خالفة أنت المقرب فاز من يحاذيك
والآن يمنحك أسما وهو (هو) فترى ذي الدار شوهاء بالتلبيس ترديك
ولست بالحق محجوبا عن الجلسا ولا البرايا عن الرحمن تلهيك
بالمطمئنة تسمى والمقام لها هو الكمال وذو التكميل ياتيك
حصلت منزلة التمكين فانفجرت عين الشريعة وانهلت بواديك
منك الكلام لذيذ لا يمل بما تفوه بالفتح إكراما لناديك
لا تركنن لكرامات وكن غرقاً في ذكر وفضل الله لاقيك
أمست بعون الإله النفس راضية لها مقام الوصال جل معطيك
هذا مقام الفنا بالذوق تدركه وذكرك اليوم (حي) وهو محييك
بذكره ترتقي عن الفناء إلى عز البقا فامتنان الله مبقيك
فنفسك انقلبت مرضية أبدا عند الأنام وعند الله مرضيك
اما المقام لها يا سعد بالغه تجليات فتفنيك وتغنيك
يعطيك (قيوم) ذكراً بالدوام وقد أمنت من غفلة كانت تدانيك

لبست خلعة (كنت سمعه) جذلاً بالاقتراب ودوم النفل يدنيك
تفض عليك علوم من مواهبه بلا كتاب ولا شيخ فيقريك
فترتقي نفسك الغراء كاملة وذكرها اسم (قهار) ليعليك
مقامها ذو تجليات وهي هنا أسنى وصولاً به زفت تهانيك
صرت الولي من الهادين تربية وذاكراً ربه من هو راءيك
تَنَعَّم اليوم بالعرفان مبتهجا ما في العبادات من شيء يعنيك
مهما دعوت استجاب الله كل دعا بالقلب أحرى اذا أبرزت من فيك
والكل من نفحات القاسمي لمن لها تعرض فاقصدها تلا فيك
حقا يلقب شمس الدين ديدنه إنارة الدين تسكينا وتحريكا
وإن أتاك بوسواس أخو كسل فافهمه لصا عن الفردوس ينئيك
ولا ترج مسيرا في السلوك بلا أب وذا الأب أولى من يربيك
هذا الوسيلة جلاء الكروب لدى أقصى القرى ناده فالنصر آتيك
هذا الولي محاط علمه بتقى مؤيد بكرامات وناهيك
أمثل ذا الفرد في ذا الزمان ترى تفريط خدمته يا عون قاليك
ان لم تزره ولم تعبأ بحضرته فاعرف بوارك ولتندب بواكيك
إليك نصح محب ناشد لهدى إن كنت ذا همة ما قلت يكفيك

والقصيدة الثانية في شيخه من كتاب "الزهر الباسم":

رفاقي أحقا ذالكم طود عمران وفيه ثوى من للورى طود عمران
محمد ابن الفاضل الصالح الرضى ابي القاسم الراقي لصفوة عدنان
ترى الهامل السيال في الناس نفعه علوماً وأسراراً وخيرا بأمزان
تشرفت يا عمران بالهامل الذي به حضرة الأستاذ فخراً ببرهان
فلا تخضعن إلا لأطواد مكة وطيبة او شام كطور ابن عم، ران
فنورك للسبع السماوات خارق بشيخ له التصريف في الانس والجان
به الغيث يستسقى به يجلب الشفا به تدفع الأعدا بسر وإعلان
به تنخلي النفس من خبث وصفها به تتحلى من جواهر تيجان
به ينجلي كرب الذي باسمه دعا به صحف الآثام تمحى بغفران
فكم من علوم بثها من شريعة وجمع فنون منه حيزت لركبان
وكم رد ذا ذنب الى عز توبة وقد كان قبل في مذلة عصيان

رحيم لـدى توبيخ مـن كـان مذنبا فـيجذبه رفقـاً كـأم لـلولدان
ولـي فقـيه الـنفس دون تكلـف درايـة نـور لا تـشاب بظلمـان
يراعي اقتضاء الحال من زمن ومن مكـان ومـن شـخص مـراعاة اتقـان
ويرضـي الـورى كـلا بمـا هـو لائـق ببـشر وتـسليم وقـرب وإحـسان
فـلا خلـل فـي سـنة نـبوية ولا فـي معالـي همـة شـوب نقـصان
وذاك الولـي الكامـل الـذي مـروءته والـدين فـيه وفـيان
دلـيل إلـى المولـى ومـونس وحـشة وقـبلة أذكـاري ومنـبع عـرفان
طبـيب فـؤادي نافـع فـي علاجـه ورب طبـيب ضـر فانـضم سـقمان
ولـم أتخـذه سـيدا لـي مقلـدا ولكـن لـه أذعـنت مـن بعـد ميـزان
بـتقوى وعلـم ظاهـر ثـم بـاطن تلـتها كـرامات علـت فـوق حـسبان
وكـم قائـل مـا ذا الوفـود إلـى أبـي سـعادة مـن شـرق الـبلاد علـى شـان
فقلـت مـرادي الهامـل المجتبـى أبـو سـعادة مـن يحلـل يـسعد برضـوان
فـؤادي تطهـر بالـذي أنـت زائـر ألـم يـان أن يـصفو المتاب ألـم يـان
أتيـتك يـا قطـب الأنـام تعرضـا إلـى نفحـات الله عرضـة إيقـان
وأنـت مربـي إننـي طالـب الرضـى ولا غيـره ارضـى فانـي إذاً جـان
وتهـدى لكـم منـي تحـية مغـرم قرائـي دعـا فهـو روحـي وريحانـي
وتدعو بحفظ النجل والفتح والهدى لـه ولمـن أوصـى وصـادق خلانـي

عندما توفي الشيخ محمد المكي بالأستانة سنة 1334 هـ (1916م) رثاه العديد من الشعراء والعلماء، من بينهم رائد الإصلاح في الجزائر الشيخ الطيب العقبي، رثاه بقصيدة منها قوله:

حنانـيك إنـا للمنـية عرضـة وكـل ابـن أنثـى فهـو للمـوت مـسلم
وكـل بلـيغ مـصقع فهـو عـندها إذا طـرقت يـوما مـن الدهـر مفحـم
ومـا المكـث فـي دار الغـرور لعـالم حقيقـتها الإعـاف وعلقـم
أمـات ابـن عـزوز وأودت علـوم أم الـركن ركـن الـدين يهـدم
بلـى إنهـا الأقـدار وافـت بـرزئه ومـا كـان ظنـي أن يـدكّ يلملـم
فدمعـي حـلال سـكبه بعـد فقـده وصـبري عـنه مـا حيـيت محـرّم

ورثاه ابن أخته العلامة شيخ الأزهر محمد الخضر حسين بعد أن عاد من ألمانيا سنة 1334هـ إلى الأستانة، وكان الشيخ محمد المكي قد توفي بها قبل وصول محمد

الخضر إليها بنحو شهرين فزار قبره قائلا:

رب شـــمس طلعــت فــي مغــرب وتــوارى فــي ثــرى الــشرق ســناها

هاهـــنا شـــمس علـــوم غـــربت بعـــد أن أبلـــت بترشـــيش ضـــحاها

بفـــؤادي لـــوعة مـــن فقـــدها كلمـــا أذكـــره اشـــتدّ لظاهـــا

فقفـــا لمحـــة طـــرف نقتنـــي عبـــراً مـــن ســـيرة طـــاب شـــذاها

أيهـــا الـــراحل قـــد روعتـــنا بفـــراق حـــرّم العـــين كـــراها

وختمها بقوله:

طـب مقامـاً يـا ابـن عـزوز فقـد كـنت تعطـي دعـوة الحـق مـناها.

وللتعرف أكثر عن الشيخ محمد المكي وآثاره يمكن الرجوع إلى الكتابين اللذين ألفهما الاستاذ علي الرضا الحسيني وعنوانهما: (محمد المكي بنعزوز، حياته وآثاره) و(محمد المكي بنعزوز، حياته وشعره). ومصادر ترجمته متعددة، منها ما هو في:

- مقدمة رسالته "عقيدة الإسلام " المطبوعة بتونس عام 1947/1366 كتبها تلميذه يحيى بن زكريا.

- مقدمة رسالته " السيف الرباني في الدفاع عن الشيخ عبد القادر الجيلاني " المطبوعة بتونس بالمطبعة الرسمية عام 1310هـ.

- " عنوان الأريب عما نشأ بالبلاد التونسية من عالم أديب " للشيخ محمد النيفر، تذييل واستدراك لابن المؤلف الشيخ علي النيفر، 2: 1127- 1135.

- "شجرة النور الزكية في طبقات المالكية" لابن مخلوف، ص: 423.

- " تراجم الأعلام " للشيخ الفاضل بن عاشور: 187-193.

- " تراجم المؤلفين التونسيين " لمحمد محفوظ، 3: 282-390.

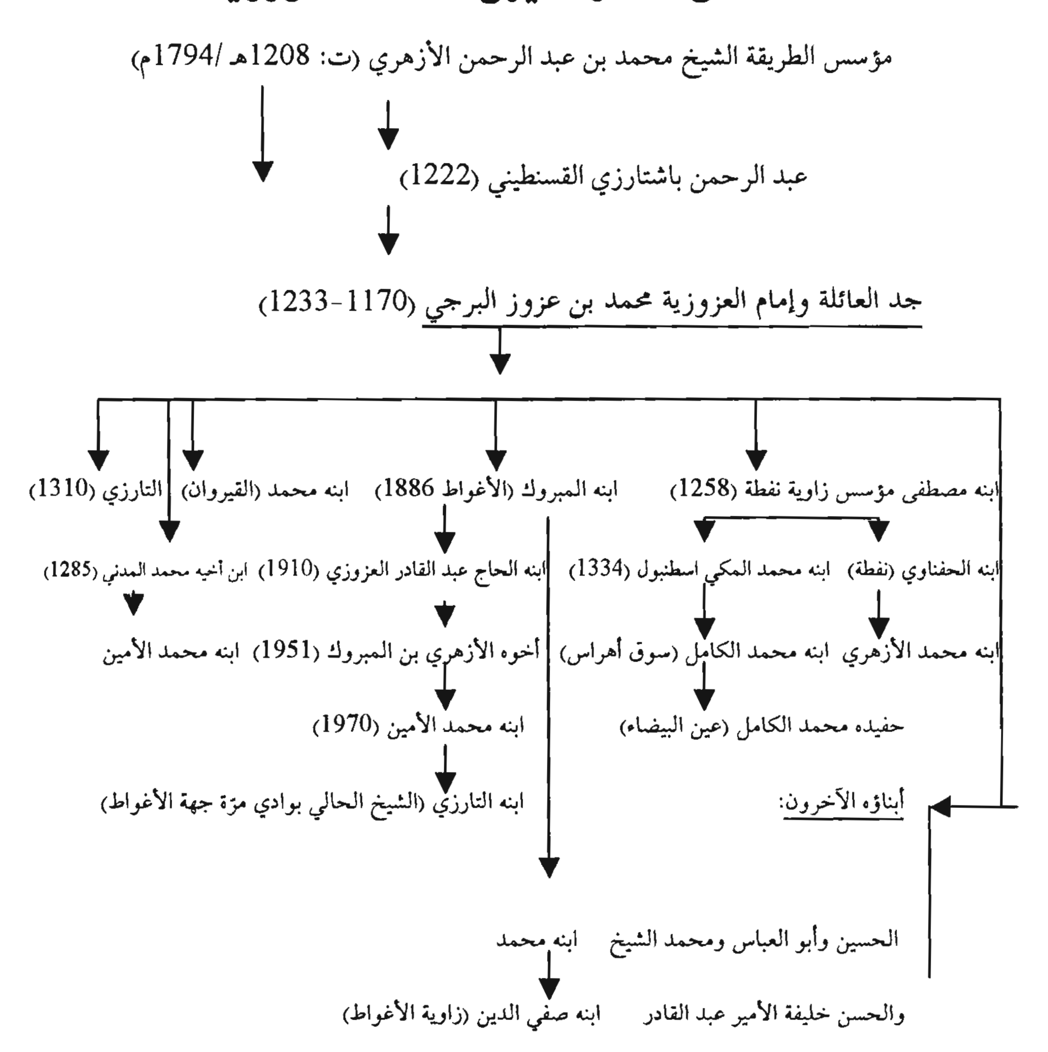
- " معجم المؤلفين"، 12: 49-50.

- " الأعلام " للزركلي، 7: 109.

الشيخ محمد الكامل بن محمد المكي

كان الشيخ المكي قد تزوج من نواحي بوسعادة وأنجب ولده الكامل في برج طولقة الجزائر التي كان يتردد عليها من تونس. وعلّمه والده إلى أن تخرج مثله من جامع الزيتونة، ولكنه لم يهاجر معه إلى المشرق ولا إلى تركيا، ولكن رجع الكامل إلى الجزائر ونشر الطريقة الرحمانية في الشمال الشرقي للقطر الجزائري. سكن العين البيضاء وحصل على أرض هناك بالكراء حوالي سنة 1905 حيث بدأ نشاطه الديني والتربوي، وضايقته سلطة الاحتلال فذهب إلى العاصمة، ثم رخصت له بالذهاب إلى سوق أهراس حيث كان جده من جهة الأم يشتغل بالقضاء في ناحية مجردة. واشترى الشيخ الكامل مزرعة هناك حولها إلى زاوية وتجرد إلى الدعوة إلى الله، وكثر مقدموه وأتباعه نظراً لسمعة جده مصطفى وكذلك سمعة والده (المكي).

سلاسل أشهر شيوخ العائلة العزوزية



أشهر خلفاء الشيخ محمد بن عزوز من غير أبنائه

- الشيخ علي بنعمر مؤسس زاوية طولقة (1842/1258)
  ← الشيخ سيدي سالم بن محمد مؤسس زاوية وادي سوف (1277)
- الشيخ عبد الحفيظ بن محمد مؤسس زاوية خنقة سيدي ناجي (1850/1266)
  ← ابناؤه محمود (زاوية تونس) والحفناوي (زاوية تمغزة) ومحمد الأزهري (زاوية الخيران)
- الشيخ المختار بن عبد الرحمن الخالدي مؤسس زاوية أولاد جلال (1276)
  ← الشيخ محمد بن أبي القاسم مؤسس زاوية الهامل (بو سعادة)
- الشيخ الصادق بلحاج مؤسس زاوية تبرماسين- باتنة- (1278هـ/1862م)
  ← أبناؤه الطاهر والبشير.
- الشيخ محمد الصادق بن رمضان ببسكرة (1282هـ/1864م).
- الشيوخ المدني التواتي، أمبارك بن خويدم، رويبح البوزيدي، أبو ستة الدراجي، علي الجروني الخالدي.

الزاوية العزوزية الرحمانية للشيخ علي بنعمر بطولقة

هذه الزاوية هي أمّ جل الزوايا العزوزية الرحمانية في الشرق الجزائري وجنوبه ووسطه وفي الجنوب التونسي، ولا تزال إلى اليوم من أشهر معاقل الطريقة الرحمانية ومن قلاع تعليم القرآن. خصّص لها الأستاذ علي الرضا الحسيني الدمشقي – وهو ابن حفيد مؤسسها – كتاباً طبعه عام 1423هـ (2002م) بالدار الحسينية للكتاب بدمشق – واستهله بالأبيات التالية تحت عنوان (تحية الشيخ علي بنعمر):

مآثـــرك الكـــبار ســـمت شـــعارا ... وأحـــيت المكـــارم والفخـــارا
وألبـــست الليالـــي ثـــوب عـــز ... وعمـــرت المـــدائن والقفـــارا
زرعـــت الخيـــر إيمانـــاً وعلمـــاً ... بـــزاوية قلـــيلاً أن تجـــارى
تشعـــشع مـــن هـــدى القـــرآن نـــوراً ... يعـــم ضـــياؤها داراً فـــدارا
أقمـــت شـــعائر الإســـلام فـــيها ... وآويـــت اليتامـــى والحـــيارى
وطـــلاب العلـــوم أتـــوا صـــغاراً ... وعـــادوا مـــن معـــارفهم كـــبارا

دعوت إلى الجهاد على الأعادي لتحمي الدين حقاً والذمارا

أضأت من الهداية كل قلب (طولقة) واتخذت بها مزارا

يؤمّك في مقام الطهر قوم سعوا لتبرّك ليلاً نهارا

سلام الله يا جداً جليلاً غدا في المغرب الغالي منارا

وفيما يلي نلخص ماكتبه علي الرضا الحسيني:

« طولقة » واحة من الواحات الجميلة الرائعة التي حباها الله سبحانه وتعالى بالثمار الطيبة في نخيلها الباسق وواحاتها الخيرة، وتعدّ تمورها من أفضل أنواع التمور في العالم. وشهرة (طولقة) لا تتأتى من هذا العطاء الغذائي المبارك الذي يعتبر معاش أهلها ومورد رزقهم، وإنما هذه المزية هي إحدى صفات البلد ترافقها مزايا عديدة، ولعلنا لا نبالغ في الحديث ولا نطلق للقلم العنان ليكتب عن عاطفة، فالحقيقة تنطق عن نفسها، والواقع يدل على صدق الحال، والتاريخ يشهد بذلك، لمن أراد أن يستفتي التاريخ.

نقول: إن (زاوية علي بن عمر) في مدينة (طولقة) هي منارها ورايتها، وبها عرفت واشتهرت في كافة أنحاء القطر الجزائري وخارجه، والزاوية منذ تأسيسها وحتى يومنا هذا الذي نحياه، محجة ومقصد للمريدين والمحبين والزوار من رجال العلم والثقافة والبحث، ومنذ مطلع تأسيسها بنفحات شيخها وطهارته على النية الصادقة والإخلاص في العمل، انتشر اسمها وعمّ، وعرفت ببركاته وصلاحه وتقواه، وبالغايات السامية التي يعمل لها من نشر العلم وتحفيظ القرآن الكريم ومساعدة الفقراء واليتامى وأبناء السبيل وإيواء المساكين والمحتاجين، إلى جانب رسالتها في المحافظة على الإسلام والصدّ عن دين الله تعالى بكل ما أوتيت من قوة بما في ذلك مدافعة الأجنبي والجهاد في سبيل الله بالقول والعمل، كما يشهد لها تاريخها الصادق.

تعتبر مدينة (طولقة) عاصمة الزاب الغربي، وعلى الطريق المظلل بالنخيل الممتد على جانبي الطريق الموصل إلى بلدة (برج ابن عزوز) القريبة تأسست الزاوية عام 1780 م على يد صاحبها سيدي علي بن عمر. وتبعد (طولقة) عن مدينة (بسكرة) عاصمة الزاب الشرقي والغربي ما يقارب 40 كلم من جهة الغرب.

في المواسم الدينية لزيارة مقام الشيخ علي بن عمر، ولا سيما في الربيع والخريف وفي الأعياد الإسلامية، تكتسي طولقة حلة قشيبة من الفرح والسعادة، ويؤمها الناس من كل حدب وصوب من أرجاء القطر الجزائري والأماكن الأخرى، وتحتفل المدينة بعلمائها وشيوخها ورجالها ونسائها وأطفالها احتفالاً ينتظرونه من السنة إلى

السنة، ويعيشون أياماً سعيدة من بركة الشيخ والوفود القادمة للزيارة. وتقام الأذكار وتتعالى الأدعية والدعوات، وتنال المدينة حظاً وافراً من الخيرات.

ولئن خفت هذه المظاهر اليوم مقارنة بما كانت عليه الزاوية في عهد شيخها الجليل علي بنعمر، فإن الزاوية اليوم ما زالت مشرقة بنور الشيخ وصلاحه وتقواه، ويفد عليها الزائرون، ويلقون الترحاب والسعة، ويقضون ساعات من الخشوع والعبادة.

وحق لمدينة طولقة أن تبتهج بوجود مقام الشيخ فيها، فهو مصدر البركة والخير والأمن والأمان.

الشيخ علي بن عمر (1166 هـ - 1258 هـ الموافق 1842م)

الولي الصالح الشيخ علي بنعمر المشهود له بالزهد والصلاح والتقوى والنسب الشريف. ولد في بلدة (طولقة) سنة 1166 هـ على وجه التقريب. وتوفي شهيدا يوم الخميس في 3 ربيع الأول سنة 1258 هـ. ودفن في زاويته.

انصرف إلى العبادة منذ مطلع حياته، واتخذ مكانا يسمى (الشّهب) في جبل قريب من (طولقة) بنحو 14 كلم. يقضي فيه أوقاته بالصلاة والذكر وطاعة الله تعالى لعدة سنوات بعيدا عن الناس والدنيا، لا يشغله شاغل عن خلوته الصادقة، حتى وصل إلى مرتبة عالية من الكمال والنسك، وكان له ابن عم يدعى علي من تلاميذ الشيخ محمد بن عزوز، في بلدة (البرج)، وعرض عليه ابن عمه أن يأخذ الطريقة على الشيخ ابن عزوز، وبعد أن كرر عليه هذا المطلب، اصطحبه إلى الشيخ ابن عزوز، ودخلا عليه وطلب أخذ الطريقة فأجابه الشيخ: لا يأخذ الطريقة مني إلا إذا كان متوضئاً صائماً، فقال الشيخ علي بن عمر: إني متوضئ صائم، فقال الشيخ ابن عزوز: ما اسمه؟ قال: علي بن عمر. فقال له: تقدم أنت صاحبها.

اثنان وتسعون سنة عاشها الشيخ علي بن عمر من حياته المباركة، قضاها – ما عدا سنوات الطفولة - في الوعظ والإرشاد والدعوة إلى طريق الإسلام الصحيح، واتخذ الطريقة الخلوتية رحاباً لا حدّ له في الهداية والرعاية، ودخل في الطريقة أتباع كثروا في عهده، وانتشرت في سائر أنحاء القطر الجزائري، وتجاوزت إلى البلاد المجاورة كتونس والمغرب، وتعددت زواياها التابعة للزاوية الأم، والتي كانت تستقي من نبعها الفياض، وما زالت إن شاء الله، وستظل إلى ما شاء الله سبحانه وتعالى.

أما عن سبب استشهاده رضي الله عنه. فيروي المؤرخون: أن حاكم بلدة (سيدي عقبة) الشيخ محمد الصغير بن عبد الرحمان بن أحمد بن الحاج، وكان نائبا للأمير عبد القادر في منطقة الزيبان، جهز جيشا واتجه به إلى بلدة (طولقة) لملاحقة جماعات مجهولة هاجمت بلدة سيدي عقبة ونهبت الابل والأموال، وألحقت الأذى بالأهالي،

وقيل إن هذه الجماعات فرّت هاربة إلى (طولقة). ونزل الشيخ محمد الصغير قرب البلدة، وسادت أجواء من الترقب والحذر بين القوات الغازية وأهالي البلدة الذين نفوا وجود غرباء بينهم ممن اتهموا بالغزو.. وكادت الفتنة أن يشتعل ظرامها مما يؤدي إلى عواقب وخيمة. إن الشيخ علي بن عمر من دعاة الإصلاح، والشيخ الذي تطمئن إليه البلدة، في دينها ودنياها. فقد ركب حصانه مع ثلة من جماعته وقصدوا طرف المدينة التي يقع فيها معسكر محمد الصغير. ولما اقترب الشيخ من المعسكر، صاح رجل بأن الشيخ أتى، فظن أحد من عساكر محمد الصغير، واسمه فرحات العمري، أن القادم هو شيخ بلدة طولقة فأطلق عليه النار من بندقيته، وسقط الشيخ شهيدا لإصلاح ذات البين على الارض ونقل إلى زاويته ودفن بها.

أداؤه فريضة الحج: حجّ إلى بيت الله الحرام وزيارة المصطفى صلى الله عليه وسلم عام 1232 مع أستاذه وشيخه محمد بن عزوز. وفي مدينة (جدّة) أصيب شيخه بعارض صحي في بطنه، وكان في موكب الحج رجل من عائلة سلاطين (فاس) بالمغرب، أعطى دواء للشيخ فزال عنه الألم. فقال سيدي علي بن عمر للرجل: ماذا تطلب من أجر؟ فأجابه: أطلب سلطنة (فاس) وبيني وبينها سبعة، أي سبعة قبله هم أحق بالسلطنة. فقال له سيدي علي بن عمر: ستنالها بعد ذهابك من الحج إن شاء الله. ولما رجع من الحج إلى مدينة فاس بعد فترة من الزمن وجد السبعة قد توفوا بمرض، والناس ينتظرون قدومه من الحجاز. وهذا الرجل هو السلطان عبد الرحمان بن هشام وقد كتب للشيخ علي بن عمر بعد توليه السلطنة كتابا قال فيه:

« الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم.

محبنا في الله ومن أجله، أخونا أبو الحسن سيدي علي بن عمر أدام الله مجدكم وعلاكم آمين.

سلام عليكم ورحمة الله تعالى. وبعد وصلنا كتابكم واستفدنا منه، وإننا منكم على بال من الدعاء لنا بما فيه رضا الله ورسوله. فإنا لا زلنا نستمطر منكم صالح أدعيتكم في خلواتكم وجلواتكم وبالإعانة ووسع الطاقة على ما كلفناه مما سلف به وعدكم وإشارتكم الصحيحة الأثرية، فقد صدقكم الله فيما رأيتم من وعدكم لنا بخلف عرش آبائنا. وقد شاهدنا منكم مدة سفرنا معكم كرامات عديدة. فالحمد لله الذي جعلنا لكم رفقاء في الدنيا ويكون ذلك في الآخرة إن شاء الله. ونحن معكم على محبة الله ورسوله: وما أهملت ذكرى إنجاز الوعد لكم مما تشيدونه وتجعلونه ضريحاً لكم وزاوية ومقاماً ومأوى للفقراء والمساكين وإخوان الطريق، فإنه نصب عيني في كل يوم. وقد صيرنا لكم مرتبا سنويا قدره عشرون ألف ريال لتستعينوا بها على عمارة ذلك

المقام مرتباً مؤبداً ولدا عن والد ما تناسلت وامتدت فروعنا وفروعكم مع زيادة أخرى حسب الوقت والإمكان. وأعرفكم بما عرفنا به بعض الأفاضل هنا من أن لجدكم الأعلى زاوية في بلادنا، فالمرغوب منكم إرسال أحد من أنجالكم ليعمرها بأمرنا وعلى نفقتنا إن شاء الله. وما طلبتم من الإعلام لكم بورود الركب النبوي في هذه السنة فهو وارد عليكم لا محالة، ففي جمادى الثانية يخرج من هنا وإني آمر شيخ الركب النبوي سي الحاج الطيب جلوة أن يتحفظ عليك غاية التحفظ في ذهابك وإيابك كالسنين الماضية. وما يصلك من عندنا على يده فتلك نفقة بناء مقامكم، فاقبله منا ولكم الفضل، وأما طلبكم معرفة الجد الذي يجمع بيننا فلم يتيسر لنا ذلك إلا بالاجتماع بحضرتكم السامية، فبقدومك لنا حيثما وعدت إن شاء الله مصحوبا بالشجرة التي هي لديكم نتفاهم في ذلك بمقابلة الشجرات وتتبع الأنساب فيما لدينا من الشجرات يظهر لنا في أي جد يتلاقى نسبنا نحن وأنتم إن شاء الله بعد رجوعكم من الحج الشريف. والمؤكد به عليك هو أنك مهما مررت بمشاهد مكة والمدينة والبقيع وعرفة ومزدلفة فادع الله لنا لصالح الدارين لا سيما تجاه القبر النبوي على صاحبه أفضل الصلاة وأزكى السلام، وبالإعانة والنظر إلى وجهه الكريم وبغنى الدّارين، كما تدعو لنا تجاه قبر شيخك سيدي ابن عزوز. والناجي يأخذ بيد صاحبه. كتب مستعجلاً على وجه السفر خارج المحل في رجب الفرد سنة 1238".

من أقوال الشيخ علي بن عمر:

كتب الشيخ مصطفى بن عزوز: "سئل شيخنا (علي بن عمر) عن المريد الصادق فقال: علامته خمسة أشياء: - جسم طاهر من معاصي الله. لسان رطب بذكر الله. فكر دائم في ملك الله. روح هائم في جلال الله. قلب ساطع بأنوار الله.

ومن كلامه رضي الله عنه: القلوب أجنّة، والأذكار أشجار، وتصريف معاني الأسماء ماء، ومشاهدة الجمال والجلال والكمال ثمار، وسماع الحديث ثمار في ثمار،

ومن أقواله: الذكر محتاج إلى القلب، والقلب محتاج إلى الذكر، لا يستغني أحدهما عن الآخر، فإذا اجتمع الذكر مع القلب تمت الحكمة، ولا يصفو الذكر إلا بعد صفاء القلب، ولا يصفو القلب إلا بعد المعرفة، ولا تصفو المعرفة إلا بعد صفاء التوحيد، ولا يصفو التوحيد إلا بعد الخروج من التقليد، والعارف دون التوحيد لا يقتدى به في هذه الطريقة، لأنه أرق من الشعرة وأحد من السيف.

ومن أقواله: الشيخ الواصل حبل الله في أرضه، فمن تعلق به وصل.

وقال أيضا: مخالطة العموم تذهب بنور القلب وهيبة الرب، ومن مات على

مخالطة العموم جاء يوم القيامة كالقمر المخسوف لا نور له، فليجتهد العاقل في مخالطة الخصوص، ففي مخالطتهم ثلاث خصال: اكتساب العلم، وصفاء القلب، وسلامة الصدر.

ومن كلام الشيخ مصطفى بن عزوز في مناقب شيخه الشيخ علي بنعمر في رسالة بعثها إلى مريديه ما خلاصته:

« ومن فضائل شيخنا رضي الله عنه نفعه لأمة النبي صلى الله عليه وسلم، والتحذير من أهل البدع، وكل فعل يبلغه عن بعض الناس وخصوصاً المنتسبين إلى الله تعالى، فيسأل العلماء مع علمه: فهل بلغكم عن النبي صلى الله عليه وسلم فعل هذا أو أمر به؟ فإن أجابوه أنه صدر منه صلى الله عليه وسلم فيعجبه ويسلم، وإلا فيهتم شفقة عليه ويدعو الله له.

ثم من بركاته ما زجر أحدا إلا تاب، وكان رضي الله عنه ينهى عن حب الدنيا كثيراً، ويأتيه الذهب السلطاني، فيشتري به ويطعم عابري السبيل والزوار من بعد طلوع الشمس إلى الزوال، وبعض الأحيان حتى إلى قرب العصر، ثم إنه رضي الله عنه يطعم الطعام من بعد صلاة المغرب، إلى قرب ثلث الليل الأولى وهو يخرج الأكل بيده مع كبر سنه وضعف قوته، وكان رضي الله عنه إذا أكل شيئا فيه شبهة لا يمكث في بطنه أبدا، فيتقيأه من غير قصد. وكان رضي الله عنه يحصل له التمييز بين الحلال والحرام من غير أن يخبره أحد. وقد يأتيه الإنسان مدمناً على المعاصي، فلا يتجاوز الثلاثة أيام حتى يوصله إلى الله عز وجل. وفضائله كثيرة.

إخواني، إن الوصول لله فرض عين على كل مؤمن، وأول واجب على الإنسان أن يفحص عن الشيخ، فإذا وجده فليشكر الله تعالى ويقتدي به، ثم يخبره: إني أريد الوصول إلى ربي، ويكون مرادك أيها الحبيب بالوصول، امتثال أمر ربك فقط، فمن حينك تشاهد أول النفحات، ثم يحصل لك الترقي إلى خالق السماوات».

شيوخ زاوية علي بن عمر

توالى على زاوية علي بن عمر شيوخ أجلة بعد وفاة شيخها سيدي علي بن عمر، وقاموا على شؤون الزاوية بنيات صادقة، وأعمال مخلصة لله سبحانه وتعالى، وكان لهم الفضل في عمارتها وتطويرها وسعة انتشارها وكثرة أتباعها ومريديها. وساهموا في تعليم القرآن وتحفيظه وبث الأخلاق الإسلامية على أحسن وجه.

الشيخ مصطفى بن عزوز

ولد في بلدة (البرج) في زاوية والده سيدي محمد بن عزوز سنة 1220هـ -

الموافق 1803م، وتولى رئاسة الزاوية مدة ستة أشهر فقط. وكان الشيخ مصطفى بن عزوز قد شرع بتأسيس (زاوية نفطة) بناء على أمر شيخه، وذهب إلى الجنوب التونسي وباشر في تأسيس الزاوية هناك. وعاد إلى (طولقة) لزيارة شيخه ومقام والده في (البرج). وخلال هذه الفترة القصيرة توفي شيخه سيدي علي بن عمر. فتولىّ رئاسة الزاوية لمدة ستة أشهر فقط، ولما آنس في ابن شيخه، الشيخ علي بنعثمان الكفاءة والصلاح والتقوى والقدرة للقيام بأعمال الزاوية، سلّمه المهمّة وعاد إلى (نفطة) وتوفي ودفن بها سنة 1283 هـ الموافق 1866م.

انظر كتابنا (أي كتاب علي الرضا) عنه (زاوية مصطفى بن عزوز- نفطة-تونس) وتضمن الكتاب سيرته ورسائله وبعضاً من آثار وأخبار العلماء العزوزيين ولا سيما الشيخ محمد المدني بن عزوز وابنه الشيخ أحمد الأمين بن عزوز.

الشيخ علي بنعثمان

هو أكبر أبناء الشيخ علي بن عمر، ولد في (طولقة) في شهر صفر سنة 1232هـ وبها نشأ وتعلّم. خدم العلم كما خدم الزاوية بكل إخلاص. له رسائل مخطوطة محفوظة في مكتبة الزاوية منها (النبذة المنيفة في منهج الحقيقة)، وجل رسائله في التربية الروحية والإرشاد والوعظ والنصائح. وللشيخ إبراهيم بن علي بن عمر رسالة في مناقب أخيه الشيخ علي بن عثمان وهي (رسالة إلى كافة الإخوان في مناقب أخيه الشيخ علي بنعثمان)، وللعلامة الكبير الفاضل الشيخ محمد المكي بن مصطفى بن عزوز منظومة عنوانها (وسيلة الأمان في مناقب الشيخ علي بن عثمان) نشرت في كتاب علي الرضا الحسيني الذي عنوانه: "محمد المكي بن عزوز حياته وشعره". مرض الشيخ علي بن عثمان ولزم الفراش لمدّة شهرين، وانتقل إلى الرفيق الأعلى في 8 شعبان 1316 (الموافق شهر ماي، 1898م) ودفن في زاوية والده رحمهما الله تعالى.

وعرفه العلامة الشيخ عبد الرزاق البيطار في كتابه (حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر) - حققه وعلق عليه محمد بهجة البيطار وطبع سنة 1993 بمجمع اللغة العربية بدمشق – فقال:

[علي بنعثمان الطولقي من أعمال الجزائر: الشريف المشهور، ذو العمل المبرور، والسعي المشكور، والأفعال الحسنة، والأحوال المستحسنة، مقدم الطريقة الشريفة الرحمانية، القائم بوظائفها طبق السنّة المحمدية، ومربي المريدين على النهج القويم المتين، مع الأعمال الصالحة والأفعال الناجحة، والأطوار المستقيمة، والأوراد المستديمة، والأذكار المتوالية والرياضات المتتالية، هذا هو الخليفة في الطريق،

والمرشد الكامل على التحقيق. كيف لا وهو العالم العامل المتصف بأعلى الفضائل والشمائل، ولما كان فرد المعقول والمنقول، وأوحد ذوي الفروع والأصول، طلبه أبناء الناحية الشمالية من دائرة بسكرة لأن يكون مفتياً بها لكمال علمه، وإدراكه في فهمه، وسخائه وجوده، وشرف آبائه وجدوده، لأنه من سلالة عائلة فضائلهم لا تحصى، وهم من شرفاء الساقية الحمراء في المغرب الأقصى، وكانت ولادته عام ألف ومائتين واثنين وثلاثين، وأنه من حين تمييزه التفت إلى جهة الكمال، وتأدب بآداب أفراد الرجال، وأخذ عن مشايخ زمانه، إلى أن اشتهر في فضله وشانه، ولم يزل يسمو، وقدره ينمو إلى أن خطفته المنية عام ألف وثلاثمائة وستة عشر عن أربع وثمانين سنة رحمه الله تعالى]

نظمت قصائد كثيرة في مدح الشيخ علي بنعثمان ووالده وذريته. ومما أنشده في مدحهم والثناء عليهم العلامة الفقيه الشيخ محمد الشريف بن الحسين أحد موثقي بلدة توزر بجنوب القطر التونسي:

حب آل البيت فرض مستطر ... في كتاب الله معلوم أغر
فأتل {لا أسئلكم }من بعد {قل} ... وتدبره بفهم معتبر
وتتبع ما أتى في شأنهم ... عن رواة الصدق في علم الأثر
تستفد أن من الدين مودّ ... تهم فالضد من إحدى الكبر
تبّ في الدارين قاليهم له ال ... خزي في الدارين أدهى وأمر
أكرم الأعراق والأحساب وال ... منتهى فيها على خير البشر
كيف لا وهو الذي لولاه ما ... كسرت أرباب عباد الحجر
لا ولا ما ظهر الدين على ... كل دين باعتزاز وانتشر
ولمن ضمهم شمل العبا ... أشمل العز وأسنى المفتخر
هم أولو العلم أهل الحلم وال ... عمل الصالح والقول الأبر
كلهم أقمار هدي نورهم ... من ضيا شمس الهدى خير مضر
وبهم تستوهب الآمال من ... مالك الملك وينزاح الضرر
نعم أفراد لنا من بعدهم ... خلفاء صرفوا عنا الكدر
وأماطوا الجهل عنا فاهتدى ... كل من جدّ ووفّى وصبر
شكروا الله فأغناهم به ... إن رب العرش يجزي من شكر
نبذوا الدنيا كأن قد عاينوا ... كاين الدخر يقيناً بالصبر
كابن عثمان علي الدوسني ... صاحب السر العظيم المشتهر

كم مريد أمه مسترشداً ... قد غدا بالفتح ملحوظاً مسّر
سلم الفضل له في عمره ... في فنون العلم والحق نصر
فإذا أفتى فإن القول ما ... قاله وهو الأصح المنتظر
فإذا استخدم في إفتائه ... ألمعيا عقله فيه انبهر
خصه الله تعالى جده ... بكرامات بها صح الخبر
عن ثقاة مستحيل عادة ... عنهم الزور الدني المحتقر
عد من جملتها سيل إذا ... فاض بالأمواه من صيب المطر
وطغا الماء بواديه وهي ... أهل ذاك القطر بالبأس الأمر
فاشتكوا ما هاله منه له ... فدعا الوادي ارجع فازدجر
فإلى الآن وحتى الآن لم ... يعبر السيل على ذاك الممر
مع ما شاع بعيد الموت من ... خارق أيضا له منها ظهر
فهو في الحالين محفوف بها ... وبعين العز ملحوظ مبر
قدّس الله تعالى سرّه ... إنه كنز جليل مدَّخر
وتولى أصله والخير أص ... حبهم في كل ربع ومدر
وبهم ألحق من وقَّرهم ... وعلى مستحسن الحال استمر
دارهم طولقة الغرا وقد ... سعدت أن جعلوها مستقر
بقيت زائدة العمران في ... عز حفظ تتهادى في الحبر

الشيخ عمر بن علي بن عثمان

هو أكبر أبناء الشيخ علي بن عثمان، ولد في طولقة سنة 1274هـ الموافق سنة 1857 م. قام على شؤون الزاوية وعمره 42 سنة، وسار على طريق والده في خدمة الزاوية ونشر الطريقة وإرشاد الناس والخلق إلى ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة. وشارك في انتفاضة عين التوتة سنة 1916 ضد الإحتلال الفرنسي، توفي في الرابع من شهر رمضان المعظم سنة 1340 هـ الموافق لسنة 1920 م إثر مرض ألزمه الفراش مدة أربعة أيام وكان له من العمر 66 سنة. وقد ساهم كسلفه في زيادة انتشار الطريقة، فتأسست في عهده زوايا أخرى، كزاوية ناحية ورقلة التي أسسها أحد مريديه وهو الشيخ الصالح الحاج عبد العزيز، وقد خلفه عليها بعد وفاته شيخها الحالي الشيخ الحسين.

الشيخ الحاج بن علي بنعثمان

تولى رئاسة الزاوية بكل جد وإخلاص، وله الفضل الأكبر في تزويد مكتبة الزاوية بالكتب المطبوعة والمخطوطات النادرة. وأصبحت لها شهرة واسعة. وبالإضافة إلى اعتنائه بالكتب فقد عمر الزاوية بدروس الوعظ والإرشاد في الليل والنهار.

له منظومة مخطوطة في التصوف من 800 بيت تقريبا ومطلعها:

يقول داعي المنهج العزوزي   الحاج ابن علي غدا للفوز

وكانت له علاقات ومراسلات مع العديد من العلماء والمثقفين داخل الجزائر وخارجها وله رسائل كثيرة في التربية الروحية. وكمثال للرسائل التي كان يتلقاها هذه الرسالة التي بعث بها إليه العلامة الجزائري الشهير الأستاذ محمد راسم، ونصها:

(الحمد لله وحده. سليل الأماجد الكرام وقدوة العلماء الأعلام، الأستاذ سيدي الحاج بن علي بن عثمان الهمام أطال الله بقاءه، وبلغه في الدارين آماله، بعد السلام عليكم ورحمة الله والتحية والاحترام، أقدم لجنابكم عبارات الشكر لما تفضلتم به علينا من الإحسان والإكرام مما لا ننساه مدى الدهر والأيام، لا أعدم الله العصر من وجودكم ودمتم في عز واحترام، والسلام لكم من ابنكم محمد راسم الصنهاجي. ربيع الثاني سنة 1357 الجزائر).

انتقل الشيخ الحاج إلى رحمة الله تعالى عام 1368 هـ - الموافق 1948 م. ورثاه الأديب السيد عثماني عبد القادر بن العربي بقصيدة نشرها في: (جريدة النجاح الجزائرية العدد 1607)، جاء فيها:

لما غدا قرص هذا البدر محتجباً   بكت عيون له من شدّة الحزن

فهل له عودة حتى أخبره   بما جرى بعده من ظلمة المدن

هيهات هيهات يا ذا لا رجوع له   وما لقلبي من حظ سوى المحن

فقلت: يا ذا تملى من محاسنه   فقال: كيف ونار الشوق تظرمني

وكيف للابن ينسى بر والده   يا لهف نفسي فقدنا كوكب الوطن

كل الجوارح قد أضحت مناجية   في يوم أمسى رهين اللحد والكفن

إليك مني وداعا يا همام ويا   ركن متين ومحيي الدين والسنن

فالله يغدق بالرضوان مضجعه   حتى يرى من جوار أحمد المدني

الشيخ عبد الرحمن بن الحاج بن علي بنعثمان

ولد ببلدة (طولقة) سنة 1327 هـ - الموافق 1909م. تولى الإشراف على الزاوية ورئاستها بعد وفاة أبيه شيخها الحاج. وزاد في نشاطها الإسلامي، وجعل منها

خلال ثورة التحرير مركزاً للمجاهدين، وقد آوى إليها عددا من قادة الجهاد مثل الشهيد العقيد سي الحواس قائد الولاية السادسة، والعقيد أحمد بن عبد الرزاق. يقول عن ذلك الأستاذ سليمان الصيد في كتابه: "تاريخ الشيخ علي بنعمر – شيخ زاوية طولقة الرحمانية " – طبع بالجزائر سنة 1995 – عند حديثه على الشيخ عبد الرحمن: (حتى إنه جعل الزاوية في عهده مركزاً للثورة ورجالها. وبسبب هذا تعرض الشيخ عبد الرحمن إلى الإذاية والإهانات والسجن من طرف الاستعمار الفرنسي). كان - رحمه الله - من العلماء الزاهدين العاملين مع إقبال على العبادة والاشتغال بالذكر بعيداً عن الدنيا وزخارفها. من آثاره رسالة قيمة عنوانها: "الدّر المكنوز في حياة سيدي علي بن عمر وسيدي ابن عزوز) طبعت بمطبعة النجاح بقسنطينة. توفي سنة 1386 هـ الموافق لشهر ماي 1966 في بلدته طولقة.

الشيخ عبد القادر بن الحاج بن علي بن عثمان

شيخ الزاوية الحالي ورئيسها اليوم. ولد في (طولقة) سنة 1348 هـ الموافق 1929م. من الشيوخ العالمين العاملين بنية صادقة وإخلاص وتقوى، له اطلاع واسع في العلوم الشرعية، ونشاط في الشؤون الدينية والاجتماعية، ومعرفة ودراية بالأدب والتاريخ والعلم. تولى أمور الزاوية بعد وفاة أخيه الشيخ عبد الرحمن وانصرف إلى خدمة الزاوية، ومن أهم إنجازاته في الزاوية تجديدها وبناؤها على طراز حديث مع توسعة كبرى، أضحت الزاوية معها ذات أبنية متعددة: (المسجد، ومقام الشيخ علي بن عمر، وبناء المكتبة، وبناء من عدّة طبقات للطلاب لدراساتهم وإقامتهم، وقسم لإقامة الباحثين والزوار... الخ).

وفي عهده ذاع صيت الزاوية من جديد، وأمّها الكثير من رجال الفكر والعلم، وعقدت فيها المحاضرات والمؤتمرات الإسلامية، وعادت شهرتها إلى سابق مجدها في زمن مؤسسها الشيخ علي بن عمر، وستؤدي رسالتها إن شاء الله وإلى ما شاء الله.

عمل في مؤسسات التربية في المغرب والجزائر، وتولى مناصب منها عضوية المجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر، وله مساهمة جليلة في وضع الكتب المدرسية في اللغة العربية والتربية الإسلامية، ومحاضرات ومقالات عديدة وفتاوى شرعية.

يقول الشيخ عبد القادر عثماني: "وإبان الثورة اعتقل شيخ الزاوية عبد الرحمن، كما تجند اثنان من إخواني في جيش التحرير الوطني في حين جدّت فرنسا في البحث عني لاعتقالي فانتقلت إلى المغرب منذ ماي 1957 إلى أواخر الثورة. أما عن الزاوية فقد كانت مركزاً للجيش الجزائري بعد أن خلت من طلابها الذين التحقوا بالمجاهدين

في الجبال. ومكث بها القائد البطل سي الحواس حوالي ثلاثة أيام وذلك في ديسمبر 1955 حيث قال لي وقتها: مضت علي سنة وأنا أنام بحذائي وسلاحي، ولكن منذ وجودي بينكم وأنا أبيت كباقي خلق الله".

يقول الشيخ عبد القادر عثماني: «حوالي سنة 1807 م كانت زاويتنا من أغنى الزوايا في تلك المرحلة، حيث كانت تملك غابات الزيتون في منطقة القبائل وغابات النخيل في وادي ريغ وبمنطقة الزاب، ودكاكين وحمامات في كل المناطق من الوطن على وجه الحبوس، إلا أن فرنسا قامت بتأميمها وسلمتها لشذاذ الآفاق من المعمرين وما زلنا نحتفظ برسوم هذه الحبوس إلى اليوم » "جريدة الأوراس"- الجزائر.

وقال الشيخ عبد القادر عثماني: إن أبواب المكتبة مفتوحة أمام كل باحث ومحقق للتجول عبر رفوف هذه المكتبة مع توفير الأكل والإيواء، وتقديم كل المساعدات المتاحة لهم وذلك برحابة صدر، لأن هذا يدخل في صميم الرسالة التي ترغب الزاوية في أدائها. حيث يوجد بها حاليا 82 طالبا يقرؤون القرآن الكريم، وكل المواد المعروفة الأخرى وتقوم الزاوية بإطعامهم وإيوائهم وتقديم المساعدات المادية للفقراء منهم. ومن الذين أخذوا الطريق عن الشيخ عبد القادر الحاج الزهاري بلعباس الذي أسس خلال السنوات الأخيرة في مسقط رأسه مدينة الجلفة زاوية كبرى للتربية والتعليم سنعود لذكرها لاحقا.

مكتبة زاوية علي بن عمر

تعتبر مكتبة (زاوية علي بن عمر) من أهم المعالم الثقافية في الجزائر بما تحويه من مطبوعات ومخطوطات. يقول الدكتور عبد الكريم عوفي من معهد اللغة العربية وآدابها – جامعة باتنة الجزائر - في بحث حول "التعريف بمراكز المخطوطات" وتحت عنوان [مخطوطات زاوية علي بن عمر بطولقة]: أما ما تحتفظ به الزاوية من كتب ومخطوطات فهو كثير جدا. إذ تحتوي على كتب مطبوعة طباعة حجرية نادرة ومخطوطات متنوعة في علوم القرآن حيث يوجد فيها 25 تفسيرا، والفقه والسيرة والتراجم والمعاجم والحديث والآداب، وعلوم الفقه والجغرافيا والعلوم الدقيقة والثقافة العامة... وقد أدرجت هذه الزاوية ضمن اهتمامات مشروع إحياء التراث المشار إليها سابقا لأن مخطوطاتها تحتاج إلى فهرست علمي، ليستفيد مريدوها منها وعلى متطلبات بحوثهم بسرعة، ولأنها ما زالت تؤدي دورها التعليمي والتثقيفي في المنطقة في شتى العلوم والمعارف.

وفي المكتبة من علوم القرآن: كتب التجويد والتفسير والناسخ والمنسوخ

والدراسات القرآنية. وفي علوم الحديث؛ هناك شراح البخاري ومسلم والمسانيد وعلوم الحديث ودراسات عنه. وفي علوم السيرة النبوية: كتب السيرة وتاريخ السيرة النبوية وبحوث ودراسات في السيرة. بالإضافة إلى كتب الفقة وأصوله وتاريخ التشريع، وعلوم اللغة العربية والأدب في النحو والصرف والمعاني والبديع والدواوين الشعرية وكتب الأدب المتنوعة لكبار الكتاب القدماء والمعاصرين، ومعاجم اللغة. وفيها أقسام لكتب التاريخ والفلسفة والعلوم الطبيعية وشتى العلوم الأخرى. إن مكتبة (زاوية علي بن عمر) من الكنوز التي يقل نظيرها. وأول من أسسها وغرس بذورها الأولى الشيخ علي بن عثمان. ثم توالت عليها أيادي شيوخ الزاوية، وكان للشيخ الحاج بن علي بن عثمان أكبر الأثر في نماء المكتبة واتساعها، وصرف الجهد الأكبر لتغذيتها بالكتب النافعة التي كان يجلبها من كافة الأنحاء، وكثيرا ما كان يستصحب النساخ إلى بعض الجهات لينسخوا له الكتب التي لا تتوفر في المكتبة.

فتحت المكتبة صدرها الرحب للباحثين. والمؤلفين والكتاب، وهيأت لهم الإقامة الطيبة المريحة والطعام الجيد والتسهيلات التي يطلبونها كل ذلك مجانا دون مقابل.

ومن بعض المخطوطات المحفوظة فيها:

- تتمة (يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر) لأبي منصور عبد الملك الثعالبي.

- (إرشاد الطالبين إلى مراتب العلماء العاملين) للشيخ عبد الوهاب الشعراني، كتبه بخط يده سنة 933 هـ ويضم 47 صفحة من القطع الكبير.

- (النهجة المرضية في شرح الألفية لابن مالك) لمحمد السيوطي ألفه في 24 رجب 945 هـ. وناسخه أحمد بن يوسف في 18 جمادى الأولى 1280 هـ.

- (الأنوار المضيئة الجامع بين الحقيقة والشريعة) للشيخ عبد الرحمن الثعالبي. ناسخه محمد بن مصطفى بن عمارة في شوال 1245 ويقع في مجلد ضخم.

- (روضة الأنوار ونزهة الأخيار) للشيخ عبد الرحمن الثعالبي انتهى من تأليفه في 15 جمادى الأولى 836. وناسخه مصطفى بن العربي. لم يذكر فيه تاريخ النسخ، والكتاب في ثلاثة مجلدات كبيرة.

- شرح الشيخ محمد بن عزوز البرجي على منظومة (رسالة المريد) كتبها في 10 محرم 1221، وناسخها المسعود بن سعيد البوزيدي في شعبان 1261، وعدد أوراقها 45 ورقة.

- دفاتر الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري) مؤسس الطريقة الرحمانية، والناسخ مجهول وتقع في 43 ورقة.

- (رسالة افتح الباب عني) وتسمى أيضا (علامة فتح البصيرة) للشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري ناسخها أبو العباس بن محمد البوسعادي في 22 ذي القعدة 1208 وعدد أوراقها 100.

- (شرح ألفية ابن معطي) في النحو من تأليف عبد العزيز بن جمعة النحوي الموصلي. ناسخها علي بن عبد الله الأنصاري الشافعي في 28 ربيع الأول 709.

- (الدرة المنتخبة في علم الأدوية المجربة) للشيخ الأكبر ابن عربي الحاتمي. ناسخه محمد الشريف بن محبوبة في صفر 1298 في 40 ورقة.

- (مجموع في الطب) للشيخ محمد بن يوسف السنوسي التلمساني وبآخره كتاب (الجوهر المصون) لمحمد المحروصي يقع في 32 ورقة.

- (الالتقاء في مغازي الرسول ومغازي الثلاثة الخلفاء) للشيخ الإمام أبي الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي – ثلاثة أجزاء.

- (المقتبس) في التاريخ للواقدي نسخ عام 646 هـ.

- (المنهج المسلوك في سياسة الملوك) للشيخ عبد الرحمن بن نصر المتوفى سنة 589 هـ.

- (هداية الحيارى في أمور اليهود والنصارى) للشيخ شمس الدين أبو عبد الله سنة 1038 هـ.

- (اللغة) للملك الناصر صلاح الدين الأيوبي.

- (الأمالي) لأبي علي القالي.

- (الشهوب المحرقة) للشيخ برناز.

- (الدرر على الغرر) في الفقه المالكي.

- (نور الدين في الرد على المبتدعين) لمحمد بن عبد الله الجزري الشافعي المنصوري.

- (شرح النصيحة الزروقية) لمحمد بن عبد الرحمن بن زكي.

والعديد من المخطوطات الأخرى في مختلف العلوم والفنون.

من الباحثين الذين زاروا المكتبة لأيام واستفادوا من موجوداتها ونوادرها، المؤرخ والكاتب الجزائري الدكتور أبو القاسم سعد الله وقد بعث برسالة إلى القائم على الزاوية حاليا الأستاذ عبد القادر عثماني، ومما جاء فيها: ((والحق أقول أني استفدت كثيرا من مكتبتكم الغنية، وهي ولا شك فخر للجزائر التي تبحث الآن عن ماضيها وتراثها الثقافي فبارك الله في الأيدي التي جمعتها والتي تحافظ عليها من التلف والضياع، وإنه لا يسعني وقد عدت منها عامرا إلا أن أبعث إليكم بأحرّ عبارات الشكر

على ما وجدته منكم من حفاوة أخوية وروح علمية قلّما نجدها في غيركم ومن كرم عربي حاتمي. وفقكم الله لأداء رسالة العلم في ربوع الجزائر الناهضة)) والرسالة بتاريخ 1976/2/20.

أعلام في زاوية الشيخ علي بن عمر

لما عرفت به (زاوية علي بن عمر) من مكانة سامية في التربية والتوجيه والسلوك الرصين، ونشر الهداية الإسلامية بالقرآن الكريم والسنة المطهرة، ومن تاريخ حافل بجلائل الأعمال وسمعة عطرة في أوساط كل الفئات على اختلاف مشاربهم، ولما عرف عن رجال (زاوية علي بن عمر) بدءا من مؤسسها المصباح النوراني والنبع الفياض إلى هذا الوقت من صلاح وتقوى وعمل جاد ومخلص في خدمة الإسلام ونشر تعاليمه السمحة بكل صفاء سريرة وبعيدا عن كل ما يخالف الشرع الإسلامي، كانت محط الأنظار ومهوى الأفئدة لطلاب العلم والعلماء ورجالات الإسلام، والزائرين من كبار السادة الشيوخ الأفاضل، ينزلون في ضيافتها بكل ترحيب وإكرام.

وفي هذه الزاوية درس الشيخ أحمد سحنون عضو جمعية علماء المسلمين ورئيس رابطة الدعوة الإسلامية، وكذلك الشيخ عبد اللطيف سلطاني صاحب كتاب (سهام الإسلام)، والمجاهد الإسلامي الشيخ عمر دردور... وغيرهم.

ومن العلماء الأجلاء الذين كثيرا ما ترددوا على الزاوية العلامة الفاضل أحمد الأمين بن محمد المدني بن عزوز الذي ولد في مدينة نفطة بالجنوب التونسي سنة 1860 م وتوفي بالمدينة المنورة سنة 1935. له قصائد في المديح النبوي نشرت في كتاب "منظومات ابن عزوز"، وتنظر ترجمته وبعضا من قصائده في كتاب "زاوية مصطفى بن عزوز" لعلي الرضا الحسيني. وفي إحدى زياراته ودَّع المقام بقوله:

أودعكم بجسمي مع لساني	موادعة اشتياق مع وقار
وللأرواح تأييد اتصال	والاستمداد منكم هو دثاري
وأرجو أن حب الآل وصفي	طبيعي حقيقي شعاري
بهم أرجو أفوز بكل فضل	وفي الدارين إني ذو افتخار
وكل أحبتي وذوي اعتقادي	به اجعله لهم خير ادخار

ومن العلماء والمجاهدين ورجال السياسة الذين وفدوا إلى الزاوية ومنهم من أقام بها أياما: الامام محمد الخضر حسين، والعلامة محمد المكي بن عزوز، والإمام عبد الحميد بن باديس، والشيخ محمد البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والمحدث المغربي عبد الحي الكتاني، والشيخ علي الديلمي،

والشيخ عبد المجيد حبة، والشيخ حمدان الونيسي، والشيخ عبد الرحمن شريح، والشيخ محمد بن عبد الرحمن الديسي، والشيخ محمد بن الخمار، والشيخ أحمد البوعوني، والشيخ الحفناوي بن عروس، والشيخ محمد بن الحاج محمد الهاملي، والعقيد الشهيد سي حواس خلال جهاده في بدايات ثورة التحرير، والعلامة المصري الشهير محمد متولي الشعراوي، والرئيس أحمد بن بله الذي نزل بها لمدة ليلتين عام 1991 م. والعديد من المؤرخين.

وعن علاقة الإمام عبد الحميد بن باديس بالطريقة الرحمانية وبزاوية طولقة يقول الدكتور عبد الله حمادي في كتابه (دراسات في الأدب المغربي القديم) (الطبعة الأولى 1406 هـ - 1986 م نشر دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة – الجزائر.: « ومما تمكنت من استخلاصه من المراسلة الوحيدة التي عثرت عليها والتي وجهها ابن باديس للشيخ الطاهر العبيدي عام 1337 – 1916 أو 1917 تقريبا أن عبد الحميد بن باديس كان في شبابه كثير التردد على أضرحة الأولياء والصالحين وذلك للتبرك بهم. وقد ثبت أن عبد الحميد بن باديس قد زار (طولقة) و (برجها) للتبرك بضريح الشيخين ابن عزوز وعلي بن عمر وربما كان ذلك في حدود 1925 أو 1926 لأننا نجده يشير إلى هذه الزيارة في قصيدته أو منظومته التي نشرها بجريدة (النجاح) عام 1926 والتي نقتطف منها هذه الأبيات التي تعبر عن مستوى عبد الحميد الشعري، وكذلك عن تعلقه بالأولياء والصالحين:

عوجوا نحيّي منازل الأمجاد ... ونؤدي حق زيارة الأسياد

ونحط أرجلنا بدار كرامة ... مبذولة الرّوضات للورّاد

فهي الملاذ لكل جان خائف ... وهي الشفا من وصمة الأنكاد

ما بين (طولقة) (فبرج) حيث ... تبصر نور أهل الله في إصعاد

سلالة الشيخ علي بنعمر:

هذه السلالة ضمت في حلقاتها علماء أعلام ومجاهدين ودعاة أسسوا مساجد وزوايا لبث القرآن والعلوم الإسلامية ومحاربة الجهل وإيواء اليتامى وأبناء السبيل ومساعدة الفقراء والمحتاجين، ولبعضهم مؤلفات ساهمت في إثراء التراث الإسلامي واللغوي. ولنذكر في ما يلي بعضهم.

أنجب الشيخ علي بنعمر عشرة أولاد، أربعة منهم لم يعقبوا وهم محمد والطيب والحسين والشيخ وهو آخر إخوته وفاة وذلك في سنة 1333. والباقون هم:

- الحسن وقد مات صغيرا.

- بلقاسم الذي اشتهر بالتقوى والورع والتواضع والصدقات وهو مدفون بقرب والده وترك ثلاثة أولاد: محمد والطاهر والحاج.

- أحمد بنعمر الذي اشتهر بالعلم واستوطن تونس، ولما جاء لزيارة إخوته وزاوية والده مكث بها نحو اليومين وتوفي ودفن بها. وترك أربعة رجال من أعلام العلماء المدرسين: كبيرهم الأستاذ الشيخ المدني، والاستاذ الشيخ لحسن، والشيخ المكي، وعلي وهو أصغرهم.

- إبراهيم وهو مدفون بالزاوية، وترك ولدين: عبد العالي وعبد المجيد.

- الحفناوي وهو رجل عالم عامل، تخرج على يديه تلاميذ، وحاز شهرة عظيمة، توفي ولم يبلغ الخمسين من عمره، ودفن بالزاوية، وترك ثلاثة رجال: العلامة الاستاذ الشيخ الهاشمي، والشيخ المختار، وكبيرهم العلامة الشيخ المبروك وهو والد العلامة الأديب الشاعر الحاج عبد الله الذي له قصائد عديدة ممتازة منها قصيدته المشهورة في سلسلة رجال الخلوتية، وهي تتألف من 51 بيتا.

- الامام الشيخ المربي الأستاذ علي بنعثمان الذي خلف والده على مشيخة الزاوية. وقد توفي على ثلاثة نسوة وخمسة أولاد، كبيرهم خليفته على الزاوية الشيخ عمر، وخليفته بعده أخوه الشيخ سيدي الحاج، وأخوهما الحسين الذي اشتهر بالكرم والتواضع، وأصغرهم مصطفى الذي استوطن مدينة بو سعادة.

- الحسين الذي تربى عند الشيخ مصطفى بن محمد بنعزوز في زاويته بنفطة، وبعد وفاة الاستاذ المذكور قطن ببلدة تونس إلى أن توفي ودفن بهاسنة 1309. له رسالة مخطوطة عنوانها: (فاكهة الحلقوم في نبذة قليلة من أحوال القوم) – وهي منشورة في كتاب (زاوية مصطفى بنعزوز نفطة تونس) مع ترجمة وافية لحياته، لعلي الرضا الحسيني – وله رسالة لطيفة في الطريقة وله (دقائق النكت). وقد رثاه الشيخ المكي بن مصطفى بنعزوز بأبيات بدأها بقوله:

ما ثم موعظة لكل مشاهد   مثل المنية وهي أرصد راصد

خلف الشيخ الحسين أبناء أشهرهم الشيخ زين العابدين، والشيخ الأكبر إمام الأزهر محمد الخضر، والعلامة اللغوي محمد المكي. ومن أشهر أبناء الشيخ زين العابدين الكاتب الأديب الشاعر الدمشقي علي الرضا الحسيني الذي طبع كافة مؤلفات والده وعمّيه المذكورين، وله دواوين شعر عديدة ومسرحيات ومجموعات قصص وبحوث أخرى، وكتب حول زوايا وعلماء أسرة الشيخ علي بنعمر منها:

- من أوراق ومذكرات الامام محمد الخضر حسين.

- من أقوال محمد الخضر حسين.
- الامام محمد الخضر حسين بأقلام نخبة من أهل الفكر.
- كتابات حول الامام محمد الخضر حسين.
- صفحات من سيرة محمد الخضر حسين وأخويه زين العابدين ومحمد المكي.
- سيدي الوالد زين العابدين بن الحسين التونسي.
- محمد المكي بن الحسين، حياته وشعره.
- محمد المكي بنعزوز حياته وآثاره.
- محمد بنعزوز نور الصحراء.
- زاوية علي بنعمر (طولقة الجزائر).
- زاوية مصطفى بنعزوز (نفطة تونس).
- أعلام المهاجرين التونسيين (محمد بن يوسف الكافي – صالح الشريف).
- أعلام الهداية الإسلامية.
- صالح بن الفضيل التونسي – حياته وآثاره -.
- جبهة الدفاع عن إفريقية الشمالية.
-الطريق إلى القمّة (قصة عن ثورة الجزائر).
- رسائل إلى ولدي ماهر.
- من أسبوع لأسبوع.
- المقدمات.
- كتب تونسية مهداة.
- من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة.

لكن أشهر أعلام علماء سلالة الشيخ علي بنعمر خارج الجزائر هو شيخ الأزهر الخضر بن الحسين الذي نقف عند ترجمته في السطور التالية:

الإمام محمد الخضر حسين الجزائري

من أبناء زاويتي طولقة ونفطة الإمام الأكبر لجامع الأزهر في بداية الخمسينيات من القرن العشرين، العلامة المتبحر الشيخ الخضر بن الحسين. في العدد الرابع من مجلة (منبر الامام مالك بن أنس رضي الله عنه- ربيع الأول 1423 هـ/2002 م - ص: 51.. 55) التي تصدر من الزاوية الحملاوية يوجد مقال للأستاذ أحمد رشيق بكيني حول الشيخ محمد الخضر، نصه في ما يلي:

[الهجرة في سبيل الله متنفس الأحرار وملاذ الثوار الذين حوصروا في آرائهم وعقائدهم، وحرموا من أداء أمانتهم العلمية، وواجباتهم الإسلامية، ومسوا في كرامتهم وحرياتهم، فتراهم يتخذون الهجرة سفنا، شعارهم قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾، وهكذا كان الجزائريون إبان الحقبة الاستعمارية الصليبية الحاقدة، يضربون في الارض مهاجرين، حفاظاً على دينهم، ونشرا لتعاليمه، وإبلاغاً لقضيتهم. ومن بين هؤلاء الجزائريين المهاجرين الشيخ سيدي مصطفى بن عزوز البرجي، جد الشيخ الخضر لأمه، الذي فر إلى نفطة في منطقة الجريد التونسي، وأسس زاويته المشهورة سنة 1837م والتي تنتسب إلى الطريقة الخلوتية الرحمانية. والجدير بالذكر أن أتباعه ومريديه الذين هاجروا معه حملوا معه عبء التأسيس، ومن بين هؤلاء الشيخ الحسين بن علي (بنعمرشيخ زاوية طولقة ومربي الشيخ مصطفى) والد الإمام الخضر، الذي تزوج بنت شيخه مصطفى بن عزوز السيدة حليمة السعدية. وفي هذا الجو العائلي المفعم بالصلاح والعلم والتقوى، ولد الامام الخضر بنفطة سنة 1873م، وقضى طفولته الأولى في زاوية جده الرحمانية حيث حفظ القرآن الكريم وأخذ مبادئ العلوم اللغوية والشرعية على عدد من العلماء والمشائخ من بينهم خاله الشيخ محمد المكي بن عزوز. وفي سنة 1886 م انتقلت عائلة الإمام الخضر من نفطة إلى تونس للإقامة الدائمة، وبعد سنة من استقرارها التحق الإمام الخضر بجامع الزيتونة وهو في الرابعة عشرة من عمره. وفي سنة 1898 م تحصل الإمام الخضر على شهادة التطويع بعد إحدى عشرة سنة قضاها في رياض الزيتونة متقلبا بين علمائها ومشائخها. ولأن أسرته حملت لواء التعليم في منطقة الزاب الجزائري – ولا زالت – والجريد التونسي، فقد فضل أن ينخرط في سلك المدرسين بجامع الزيتونة، وأن يواصل تحصيله بالمطالعة الجادة.

وفي سنة 1904 م أسس مجلة " السعادة العظمى"، وهي أول مجلة عربية تظهر في تونس، وتوقفت عن الصدور بعد سنة من تأسيسها، وبتوقفها سنة 1905 م تولى الإمام الخضر منصب القضاء ببنزرت، ولكنه استقال منه بعد شهور، وعاد إلى التدريس في جامع الزيتونة. وفي سنة 1906 م أسست جمعية تلاميذ جامع الزيتونة، وكان الإمام - رحمه الله - من المؤسسين الأوائل لهذه الجمعية. ولأن الإمام جزائري فقد كان كثيراً ما يتردد على القطر الجزائري لزيارة الأهل والأقارب سواء أثناء إقامته في نفطة أو إقامته في تونس أو غيرها. وفي سنة 1911 م هاجرت والدته مع إخوته إلى دمشق بسورية، وبعد سنة من إقامتهم التحق بهم الإمام الخضر، مقتفيا بذلك سنة أجداده الذين هاجروا من الزاب الجزائري إلى الجريد التونسي، حفاظاً على دينهم ونشراً

لتعاليمه، وإبلاغا لقضيتهم.

وفي سوريا تولى الإمام الخضر التدريس بالمدرسة السلطانية، وإلقاء المحاضرات في الجامع الأموي وغيره من الأماكن المشهورة، كما كان موئلاً للجالية الجزائرية.

وفي سنة 1916 م اتهم الإمام الخضر بتعاطفه مع الوطنيين السوريين الذين قاموا ضد نظام الحكم العثماني، فسجن لمدة ستة أشهر وكاد أن يعدم لولا أن الله سلَّم، وإثر تبرئته التحق للعمل في وزارة الحربية التركية ككاتب عربي بالأستانة، ثم كلفه الباب العالي بمهام سياسية في ألمانيا.

وفي سنة 1920 لاحقته فرنسا الصليبية إثر إحتلالها لسورية، فما كان منه إلا أن يهاجر إلى القاهرة.

وفي القاهرة كان الإمام الخضر يشتعل نشاطاً ويلتهب حيوية. ومن بين النشاطات والأعمال التي قام بها، والمناصب التي شغلها:

- تأسيس جمعية تعاون جاليات شمال إفريقيا.
- التدريس في الجامع الأزهر.
- تأسيس جمعية الهداية الإسلامية.
- ترأس هيئة تحرير مجلة الهداية الإسلامية.
- ترأس تحرير مجلة نور الإسلام الأزهرية.
- تعيينه عضوا في المجمع اللغوي بالقاهرة، كما عين من قبل عضوا عاملا في المجمع العلمي العربي بدمشق.
- تأسيس جبهة الدفاع عن افريقيا الشمالية.
- إنتسابه إلى هيئة كبار العلماء.

وأخيرا توجهت نشاطاته وأعماله باختياره لتولي منصب مشيخة الجامع الأزهر سنة 1952 م، فقبل به بعد إلحاح أصدقائه ووفد الوزراء الذي زاره في منزله.

ولقد كان – رحمه الله – كما حدثني شيخنا العلامة سيدي أحمد إدريس عبده عن شيخه العلامة إبراهيم أبو الخشب: خير رجل تولى مشيخة الأزهر.

وفي سنة 1954م قدم استقالته نظراً لكبر سنه واعتلال صحته وقد جاوز عمر الثمانين.

وفي يوم 02 فيفري 1958 م انتقل الإمام الخضر إلى جوار ربه عن سن يناهز الخامسة والثمانين سنة، وقد دفن بالقاهرة في المقبرة التيمورية بوصية منه، وقد ترك الإمام الخضر آثاراً كثيرة. وقد طبع الأستاذ علي الرضا الحسيني جل تآليفه التي منها

الكتب التالية:

- أسرار التنزيل.
- بلاغة القرآن.
- محمد رسول الله خاتم النبيئين.
- تراجم الرجال.
- الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان.
- دراسات في الشريعة الإسلامية.
- رسائل الإصلاح.
- محاضرات إسلامية.
- الرحلات.
- القاديانية والبهائية.
- الهداية الإسلامية.
- دراسات في العربية وتاريخها.
- دراسات في اللغة.
- الخيال في الشعر العربي ودراسات أدبية.
- نقض كتاب في الشعر.
- نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم.
- نظرات في الإسلام وأصول الحكم.
- القياس في اللغة العربية.
- أحاديث في رحاب الأزهر.
- هدى ونور.

وقد جمع علي الرضا حسيني بحوثا من أعداد مجلة الهداية الإسلامية قال عنها في آخر كتابه (زاوية علي بن عمر بطولقة وشيوخها) المطبوع بالدار الحسينية للكتاب في دمشق سنة 1423هـ (2002 م): [بين يدي وتحت نظري مجلدات (مجلة الهداية الإسلامية) الأربعة والعشرون أصدرها الامام محمد الخضر حسين بالقاهرة بدءا من الجزء الأول الصادر في جمادى الثانية 1347 وحتى الجزء الأخير في ربيع الثاني 1374. عشت معها وراجعتها مدة خمسة وعشرين عاما أقطف ثمارها وأستعين بها على جمع وتحقيق تراث الامام محمد الخضر حسين حتى أديت الرسالة كاملة بحول الله وفضله. وجدت في تلك الموسوعة الإسلامية الكبرى روائع في مختلف العلوم والآداب لكبار العلماء والباحثين... لذا عزمت وتوكلت على الله جل جلاله لإصدارها

بكتب تكون في متناول الراغبين فيها].

من أبناء الحسين بن الشيخ علي بنعمر الطولقي

- شيخ الأزهر بمصر العلامة الشهير: محمد الخضر حسين.

- شيخ زاوية توزر: سيدي البليدي.

- الشيخ محمد المكي.

- العلامة الشيخ علي زين العابدين التونسي والد موسى الكاظم والأستاذ علي الرضا (دمشق سوريا)

سلسلة شيوخ زاوية الشيخ علي بنعمر العزوزية الرحمانية بطولقة

مؤسس الطريقة محمد بن عبد الرحمن الجرجري الأزهري (ت: 1208/1794)

الشيخ عبيد الرحمن باشتارزي مؤسس زاوية قسنطينة (ت: 1222)

الشيخ محمد بن عزوز البرجي (1170-1233/1756-1818)

مؤسس زاوية طولقة الشيخ علي بنعمر (1166-1258/1752-1842)

ابنه الحسين بن علي بنعمر (تونس) | مصطفى بن محمد بن عزوز مؤسس زاوية نفطة

(1220 1282/ 1803-1866)

ابنه علي بنعثمان بن علي بنعمر (1230-1316/1814-1898)

ابنه عميره بن علي بنعثمان (1274-1340/1856-1921) ← الحاج عبد العزيز بن بلخير

(مؤسس زاوية عين البيضاءبورقلة)

أخوه الحاج بن علي بنعثمان (ت: 1368/1948)

ابنه عبد الرحمن بن الحاج (1327-1386/1906-1966) ابنه الشيخ الحالي الحاج الحسين

أخوه الشيخ الحالي عبد القادر بن الحاج (ولد: 1348-1929) ← الحاج لزهاري بلعباس

مؤسس زاوية الجلفة الكبرى

الزاوية الحفيظية الرحمانية بخنقة سيدي ناجي والخيران

مؤسسها من أعظم خلفاء الشيخ محمد بن عزوز البرجي، وهو الذي وصفه مصحح إدارة المطبعة الرسمية بتونس سنة 1316 بقوله: [إمام الطريقة، مظهر السلوك والحقيقة، فيض الامدادات الربانية والأسرار الخلوتية الرحمانية الشيخ سيدي عبد الحفيظ بن محمد بن أحمد الشريف الخنقي رضي الله عنه وأرضاه].

جد العائلة الحافظية هو الولي الصالح الداعي إلى الله العلامة الشيخ سيدي أحمد بن محمد الحافظي الهجرسي الذي يصعد نسبه إلى أحد الأشراف الأدارسة في فاس بالمغرب اسمه سيدي هجرس بن سيدي علي الشريف. كان الشيخ أحمد بن محمد الحافظي يسيح في نواحي الأوراس يعلم الناس الشريعة، وتوقف مدة في الزاب الشرقي، وفي أواخر القرن الحادي عشر الهجري أسس في زريبة الوادي زاوية لتعليم القرآن وعلوم الشرع وغيرها، وقد ذكرها الشيخ الورتلاني في رحلته، حيث وجد فيها كرم الضيافة سنة 1179 هـ (1765م). ثم انتقل الشيخ أحمد إلى جبل ششار قريباً من جلال حيث شجع السكان على زراعة الزيتون. وهناك صحبه قائد قبيلة أولاد سيدي ناجي محمد الطيب بن امحمد الطيب بن أحمد بن مبارك، ودعاه لتدريس العلم والرياضيات والفلك في الخنقة، فلبى الشيخ محمد الدعوة وشيد بها زاوية سرعان ما ذاع صيتها وتوسع اشعاعها، وقد ورد ذكرها في رحلة الورتلاني أيضا. وتوفي الشيخ أحمد في بداية القرن الثاني عشر الهجري ودفن في الخنقة مخلفاً ابنه الشيخ عبد الحفيظ الذي واصل مسيرة سلفه إلى أن توفي، وخلفه ابنه أحمد ثم ابنه محمد ثم ابنه الشيخ عبد الحفيظ بن محمد بن أحمد ين عبد الحفيظ بن أحمد الحافظي الهجرسي رائد الطريقة العزوزية الرحمانية الخلوتية في بلده الخنقة حيث ولد عام 1203 هـ (1789) وتوفي عام 1282 (1865).

في بداية شبابه صحب إمام الرحمانية في تلك النواحي الشيخ محمد بن عزوز وسلك عنده معارج الطريق، ثم أجازه شيخه في الدعوة إلى الله وتربية المريدين، فقام بذلك بكل ما أوتي من جهد، وأصبحت زاويته من أكبر معاقل الطريقة، ومنها امتدت إلى الجنوب التونسي، وتفرعت منها عدة زوايا أخرى في القطرين الجزائري والتونسي، من أهمها زاوية تمغزة وزاوية تونس العاصمة. وبعد وفاة شيخه عام 1233، كثف صِلاته مع زاوية الشيخ مصطفى ابن شيخه بنفطة في تونس، وتعاونوا على نشر الطريق والقرآن والعلم.

وكان الشيخ عبد الحفيظ من الذين شاركوا رغم تقدم سنه وتفرغه للتربية

والتعليم في ثورة الزعاطشة سنة 1849. ودعا إخوانه للجهاد ودخل المعركة شخصياً مع الشيخ الصادق بلحاج شيخ الزاوية الرحمانية والشيخ محمد الصغير بن أحمد بن الحاج خليفة الأمير عبد القادر، والتقى الجمعان بوادي براز وكان النصر حليف المجاهدين حيث تمكنوا من القضاء على عدد كبير من جنود الاحتلال وضباطه وعلى رأسهم قائد الجيش الرائد سان جرمان الذي سقط قتيلاً. ثم انسحب المجاهدون بقيادة الشيخ عبد الحفيظ الخنقي منتصرين. ولكن رغم ذلك شاءت الأقدار أن تسقط الزعاطشة المجاهدة يوم 26 نفمبر 1849 بعد مقاومة باسلة. وتوفي الشيخ عبد الحفيظ عام 1850.

وللشيخ عبد الحفيظ رسائل ومكتوبات وأشعار غزيرة، وهي تشتمل على تحليلات نفيسة للنفس في مدارج السلوك ومقامات الولاية وطبقات أصحابها وأحوالهم وغير ذلك من المسائل العرفانية العالية الدالة على رسوخ الشيخ في علوم التصوف والتربية الروحية. وقد جمع بعضها في كتاب عنوانه "الجواهر المكنونة" طبع بالمطبعة الرسمية بتونس عام 1316 هـ. و"سر التفكر في أهل التذكر" و"غاية البداية في حكم النهاية "و" التعريف بالانسان الكامل". وله أيضا" الحكم الحفيظية"، وقد شرح هذه الحكم الشيخ المكي بن الصديق الذي كان مدرسا ومفتيا بجامع سيدي المبارك بالخنقة.

وللشيخ عبد الحفيظ دعاء مشهور ب "حزب الفلاح" وهو يعتبر من أوراد الطريقة الرحمانية، ونصه موجود في فصل الأوراد من الباب الثامن من هذا الكتاب.

وقد تربى على يديه وتخرج من زاويته رجال من الصالحين والعارفين وحملة القرآن وأهل العلم، من أشهرهم وأجلهم تلميذه ابن شيخه العلامة العارف الصوفي الفقيه الأديب الشيخ التارزي بن محمد بن عزوز، المتوفى بالمدينة المنورة سنة 1310 عن عمر 82 سنة أو 83 سنة. وكذلك تخرج على يديه في الطريقة العلامة الكبير الامام محمد المدني بن عزوز.

خلف الشيخ عبد الحفيظ ثلاثة أبناء:

1-الشيخ الحفناوي الذي كان مشرفاً على زاوية تمغزة بالجنوب التونسي، وتولاها بعده ابنه محمد العزوزي. والشيخ الحفناوي كان من شيوخ التربية والعلماء العاملين، وله رسالة نفيسة في التحذير من دعوى المشيخة ومن دعوى السلوك عند غير المتأهلين الصادقين. وهي توجد في كتاب " تعطير الأكوان " للشيخ محمد الصغير بن المختار الجلالي. وقد خلف الشيخ الحفناوي المذكور ثمانية أبناء أشهرهم الشيخان الطيب وإبراهيم اللذان توليا شؤون زاوية ليانة. وخلف الطيب ما لا يقل عن

تسعة أبناء أكبرهم عبد القادر.

2-الشيخ محمود الذي طور زاوية ليانة وتولى مشيخة زاوية تونس العاصمة، وتوفي بدون عقب.

3-الشيخ امحمَّد الأزهري الذي ترأس زاوية الخنقة، وأنشأ زاوية في الخيران بجبل ششار قرب خنشلة وتوفي سنة 1896 عن عمر 59 سنة بعد حياة تبتل للعبادة والعلم. وتولى بعده اثنان من أبنائه: عبد الحفيظ ومحمد العربي بمساعدة اخوتهم سعد السعود ومحمد البشير ومحمد بنعزوز.

ولنورد هنا نموذجا مختصرا من كلام الشيخ عبد الحفيظ الخنقي في رسائله المكنونة المطبوعة بتونس سنة 1315 هـ:

رسالة في امتزاج النفس بالطبائع وصفاتها وذكر القلب وأحواله

اعلم وفَّقني الله وإياك لصالح القول والعمل أن النفس الشهوانية هي التي قال الله تعالى فيها: ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ﴾ [يوسف: 53] والنفس لها طبائع أربعة خلقت معها في الجسد وهي العناصر الأربعة: النار والتراب والريح والماء. وبيان صفات ابتداء ذلك أن الانسان خلق أولاً من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلَّقة وغير مخلَّقة، كما جاء في صورة الحج. فعند صيرورتها مضغة تعلقت بها الطبائع الأربعة فتخمرت النفس برداءة التراب، والغالب منه امتزج بالنفس الشهوانية، واليسير تعلق بالجسد. وأخذت كل طبيعة من تلك الطبائع الأربعة نصيباً من تلك الخميرة وامتزجت بالنفس، هذا كله والجسد بين يدي المَلَك يصنع فيه ما شاء الله بعد قوله للرب جلّ جلاله: أشقي أم سعيد يا رب؟ أذكر أم أنثى؟ وما رزقه وما أجله؟ فيبقى الانسان ملقىً في الرحم إلى دخول الروح في جسده، فيتحرك الجنين وتتحرك النفس عند ذلك بتحرك الروح، إلى أن يخرج من ضيق الأرحام إلى الدنيا فحينئذ تبقى النفس كامنة تحت طبائعها، وهي جوهر شريف ساكن لا شوب فيه، غير أن غبار التراب الممتزج بها هو الساري في الطبائع السارية في الجسد. ويبقى الإنسان مجوهرا بجوهر الروح مع عدم التكليف إلى أن يبلغ الحلم. وحينئذ تثور عليه دواعي النفس وطبائعها وشيطانها وهواها. فإن سبقت له سوابق الخير أناب وإلاّ خاب. وتتنوع النفس باعتبار صفاتها القرآنية إلى سبع: مبدؤها النفس الأمارة بالسوء ثم اللوامة فالملهمة فالمطمئنة فالراضية فالمرضية فالكاملة. فمن صفت عناصره الأربعة تمّ سلوكه ووصل إلى حضرة ربّه وإلاّ فلا وصول له، بل يبقى مكبلاً بشهواته محبوساً في هياكله.

ومن علامة صفاء طبيعته النارية أن يوقد نور الايمان في قلبه فيتضح له الحق حقاً والباطل باطلاً، وتتبدل نار الطبيعة بالنور فيحرق ما كان في الباطن من الأدناس ويتحلى الإنسان بالأوصاف الكاملة شيئاً فشيئاً حتى تأخذ الطبيعة الثانية في الصفاء وهي الريح. وعلامات صفاء هذه الطبيعة أن تهُب رياح النصر في القلب ويخمد الريح العاصف الذي هدم بنيان القلب وأسواره وكسر أشجاره وأفسد ثماره وأغار مياهه. فتستولي رياح النصر على القلب فتصلح الأشجار وتلقح ثمارها وتفور مياهها وتبتهج أزهارها، وتعمر أركان الجنان بتلك الرياح اللواقح حتى تأخذ الطبيعة الثالثة في الصفاء وهي التراب. فعند ذلك يزول عنها الغبار الرديء الممزوج فيها وتتبدل أوصاف العبد الذميمة بأوصاف مولاه الحميدة فيصلح لحمل الأسرار الإلهية والعلوم الربانية. وتأخذ نفسه في الزكاة وصلاح الحال إلى أن تطمئنّ بالحق وتتمكن منه به فيه. فعند ذلك يصفى عنصره الرابع وهو الماء، فتفور مياه القلب متفجرة بالحكمة في الصدر فيتسع وينشرح، وتنبع تلك الحكمة على ظاهر العبد، فإن نطق نطق بالحكمة، وإن سكت سكت عن حكمة. فيستقيم اعوجاج الباطن بتلك المياه العذبة الباردة المتفجرة. ويعبر عن هذا المقام بالكمال لأن الإنسان إذا وصله كملت نفسه وصلحت للإرشاد، لكن لا يأمن غوائلها ودسائسها حتى يستوفي بقية أنفاسها النورانية ويكملها فتنقطع حينئذ كل العلاقات من قلبه ويبقى بالحق حسّا ومعنى، ويصير يشهد الوحدة في الكثرة والكثرة في الوحدة من غير أن يحجبه أحدهما عن الآخر. وعلامة ذلك أن يفنى في الفناء، ويخرج عن الفناء، ويبقى بعد الفناء بالحق، ثم يشهد الفناء في عين البقاء والبقاء في عين الفناء. وهذه علامة من كملت أحواله، فيجوز له أن يبث علم السر في صدور الإخوان إن صادف محله وإلاّ فالأولى أن يشتغل بنفسه وتخليصها. والأنفاس الثلاثة الراضية والمرضية والكاملة لها ثلاثة عناصر: قمرية وشمسية وعرشية. فالقمرية لمقام الوصال، والشمسية لتجليات الأفعال، والعرشية لتجليات الأسماء والصفات. فالقمرية يسطع نورها في القلب ويستدل به السالك على الوصلة لله إلى أن يتبسم فجر الإنسان بظهور نور الشمس في سر القلب بأن يتجلى الرب جل جلاله بأفعاله على سماء سرّ القلب في وسط شمس معارفه، فيذهل الانسان بهذا التجلي ويغيب بكليته، إلى أن يسطع نور العرش بتجلي الربّ بأسمائه وصفاته على ظاهر الروح، فيشرق نور شمس معارفه على ظاهر الروح ونور سرّ عرشه على باطن الروح، وحينئذ يتجلى الملك الجليل بجلاله وجماله على سر باطن الروح فيبقى الانسان مع ذلك متنعماً بحضرة ربه بقالبه وقلبه وسره وروحه. وأما تجلي الذات فإنه ممتنع ولا يقدر أحد أن يعبر عنه، لكن الصوفية يترجمون عنه بالإشارات، ولا تفي به العبارات لأنه يعطي لناظره ظلمات

كشعاع الشمس... فانهض يا طالب السير والسلوك إلى مالك الملوك وجاهد نفسك بالجوع والسهر والصمت والعزلة، وصحح منك البداية بمخالفتك للنفس تتم لك النهاية. واتصف بالورع لأن من لم يصحبه الورع لم يصف له مقام، وأخل القلب من الأغيار ونظف الصدر لنزول نور الإيمان فيه، وزين السريرة بانتفاء كل عيب وريب لحلول تجليات ربك فيها، والزم باب مولاك بالصبر عن كل قضاء وثق به وتوكل عليه وفوض أمرك إليه، ولا تستعجل من نفسك المقامات ولا تستبطئ فتحك بل أعبد ربك حتى يأتيك اليقين... وحاسب نفسك في كل وقت وحين وأكثر من (لا إله إلاّ الله) لأن الإكثار منها يورث أعلى المقامات وأن تتعلم الأدب فيها لتكون بذلك على بصيرة من نفسك، ومن آكد الآداب أن تخيل شخص شيخك وتجعله نصب عينيك دائما. ولا تلتفت إلى ما يظهر لك من الكرامات وخرق العادات. واعلم أن النفس الناطقة له ا مشاهد أربعة وعوالم أربعة إذا خرج الإنسان عنها سهل عليه السير في الطريق وإلاّ رجع القهقرى: المشهد الأول منها أن تدعي المقامات الحسنة وتركن إليها، الثاني أن تزعم أنها موحدة ومكاشفة ولها فراسة على غيرها، والثالث أن تشهد وتظن الخير في نفسها وتسيء الظن بغيرها، والرابع أن ترى أفعالها كلها حميدة. أما عوالمها: فاتباع الهوى والشحّ المطاع والإعجاب بالرأي وحب الرياسة والشهرة. فمن تخلى عن هذه الثمانية فقد سلك مسلك العارفين، وإلاّ فيا لها من حسرة عليه وندامة. وتخليص هذه النفس الظلمانية لا يكون إلاّ بكثرة الذكر من غير فترة إلى أن يحيى قلبك بالنور وتنشط أعضاؤك للعبادة. وينقلك الذكر إلى عالم الغيب ثم إلى عالم المثال إلى أن تسمع قلبك وجوارحك تذكر معك، ثم تنقل إلى ذكر الكون فيصير يذكر معك، ثم تنقل إلى ذكر العرش ثم ذكر السوى فتصير إذا ذكرت يذكر لذكرك ما سوى الله. ثم تنقل إلى ذكر (الحق والحي والقيوم والقهار) فيتكمن الحق من قلبك وسرك ويحيا قلبك بالحضرة الجبروتية، وتشهد قوام الكل بالله، وتقوم أنت بحقوق ربك وخلقه، وتنقهر منك بقية شوائب النفس وتنقهر أنت لعظمة الجبار، فتلبس خرقة من عالم قدسه عن يد الشيخ والنبي صلى الله عليه وسلم وأهل السلسلة، وتصير حينئذ خليفة الله في أرضه وإماماً وقدوة للخير. وهذا كله من بركة (لا إله إلاّ الله) فكل من اجتهد فيها بصدق نيّة وقصد صحيح يصلح للعرض على مولاه وتهزم أعداؤه بإذن الله. فانهض يا حبيبي منهضهم واسلك مسلكهم تشهد مشاهدهم... والزهد والورع خصلتان محمودتان إن وجدتا في الانسان أجزأتاه عن الغير من أفعال الخير، ومن اتصف بهما نال الولاية العظمى ويرجى له الفوز في الدارين. وبالله التوفيق.

الشاعر عاشور بن محمّد الخنقي

ترجم لنفسه في آخر كتابه «منار الأشراف على فضل عصاة الأشراف ومواليهم من الأطراف" المطبوع بالمطبعة الثعالبية بالجزائر طبعة أولى عام 1332 هـ (1914 م) فقال ما خلاصته:

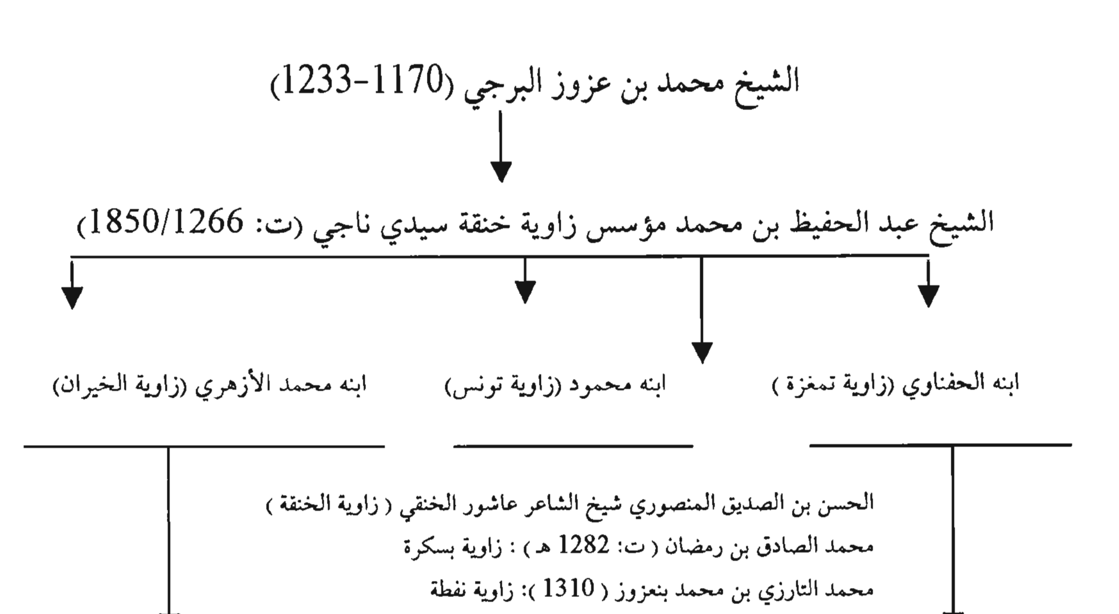
عاشور بن محمد بن عبيد بن العلامة الصالح محمد المسعود بن العلامة الصالح أحمد بن عبد العزيز الهاملي. ولد عام 1264 هـ (1854 م- وتوفي عام 1929 م) بالخنقة من قرى الزاب الشرقي جنوب قسنطينة، وبها تربى وحفظ القرآن وعمره أقل من تسعة أعوام. ثم طلب العلم وصحب الحسن بن الصديق المنصوري الذي هو من تلاميذ الشيخ عبد الحفيظ الخنقي، وأرشده إلى مواصلة طلب العلم في زاوية الشيخ مصطفى بن محمد بن عزوز بنفطة في الجنوب التونسي، فرحل إليها ووجدها زاخرةً بأهل العلم والقرآن والتصوف، وفي مقدمتهم الشيخ مصطفى وصهره ابن عمه الشيخ العلامة محمد المدني بن عزوز، والشيخ محمد الصالح العبيدي الحمادي، والشيخ إبراهيم بن صمادح النفطي. ومكث بها قريبا من عشرة أعوام حصل خلالها على أكثر من عشرين علماً، إلى أن أجازه في نشر العلم شيخه المذكور محمد المدني قبل وفاته عام 1285. فأقام مدة سنة بنفطة مدرِّساً، ثم رجع إلى بلده الخنقة لمدة ستة أشهر، ثم رحل إلى قسنطينة فأقام بها مدة 30 عاما، وتزاحم على دروسه في مساجدها وزواياها الكثير من الطلبة. ثم منعته سلطات الاحتلال من التدريس فأخذ ينتقل من زاوية إلى أخرى فقير الحال كاسف البال لا يجد من القوت إلا ما ينفحه به بعض أهل الاحسان مثل قاضي القل الشيخ عبد القادر بن رزيق. ثم سجن وبقي تحت الإقامة الجبرية مدَّة 17 عاما من حوالي سنة 1896 إلى سنة 1911.

وقد أخذ الشيخ عاشور تربيته الروحية في الطريقة الرحمانية عن ثلاثة من شيوخها، أولهم الحسن بن الصديق الخنقي المذكور سابقاً، وبعد وفاته واصل سلوكه فيها عند إمامها الكبير العارف المجاهد الشيخ محمد بن الحداد صاحب زاوية صدوق والمتوفى في سجن قسنطينة عام 1290 بعد الثورة التي دعا إليها وتزعمها أبناؤه عام 1871م. وبعد وفاته ذهب الشيخ عاشور إلى الشيخ محمد بن أبي القاسم بزاوية الهامل فأكمل سلوكه على يده، ودرس لطلبة الزاوية العروض والقوافي والمنطق، ومدحه بقصائد رائعة يوجد بعضها في كتابه "منار الأشراف" وفي كتاب "الزهر الباسم" للشيخ محمد بن الحاج محمد بن أبي القاسم الهاملي. وواصلت السيدة زينب التي ترأست الزاوية بعد وفاة أبيها الشيخ محمد بن أبي القاسم عام 1319 إكرام الشيخ

عاشور ورعايته. ولما سجنته السلطة الفرنسية في سجن تعظميت سعت زينب في إطلاق سراحه فسرح بعد تسعة أشهر من الاعتقال.

والشيخ عاشور يعتبر بحق من ألمع شعراء الجزائر في وقته. وسخر شعره كله في مدح الأشراف من آل البيت النبوي والأولياء وشيوخ الطريق. وللاطلاع على تحليل لديوانه وبعض جوانب شخصيته يمكن الرجوع إلى كتاب "تاريخ الجزائر الثقافي" لسعد الله بلقاسم.

سلسلة أشهر الشيوخ من ذرية وخلفاء الشيخ عبد الحفيظ مؤسس زاوية خنقة سيدي ناجي



أبناؤه:
العزوزي / الطيب / ابراهيم / البشير (تمغزة)
(ليانة) (عين الزرقاء) (برارشة)

أبناؤه:
عبد الحفيظ/ محمد العربي/ سعد السعود
/بنعزوز/محمد/البشير

الزاوية العزوزية ببسكرة

من كبار خلفاء الشيخ عبد الحفيظ الخنقي العلامة محمد الصادق بن رمضان (1190-1282هـ) مؤسس زاوية أم ازنيش في سيدي بركات ببسكرة. ولهذا الشيخ تآليف منها: -كتاب ذرة الأرزاق – كتاب طريق السلوك إلى مالك الملوك – حزب الاستغفار – دعاء سورة القدر – البحر الكبير – أدعية البحر الصغير. وعنه أخذ خليفته الشيخ موسى العابد (ت: 1285) الذي أخذ عنه وخلفه الشيخ مصطفى بن رمضان (ت: 1323هـ) مؤسس زاوية بالبرانيس عام 1882 (دائرة لوطايا ببسكرة) وضريحه بها يزار، وعنه أخذ خليفته محمد لخضر بن صغيري (ت: 1922 م) وضريحه يزار بزاوية سيدي لخضر ببسكرة، وعنه أخذ خليفته المختار بن رمضان (1870 – 1982) الذي

خلف بدوره خمسة رجال مجازين في التربية والسلوك، منهم خليفته الشيخ الحسن حوحو (1922- 2002).

زاوية سيدي سالم العزوزية الرحمانية
بوادي سوف

تسمّى هذه الزاوية زاوية سيدي سالم نسبة لمؤسسها الأول الولي الصالح الشيخ سيدي سالم بن محمد بن امْحمَّد الذي يصعد نسبه إلى الولي المعروف بسيدي المحجوب دفين القيروان حيث قبره يزار، وهو الذي يصعد نسبه الشريف إلى القطب المغربي الشهير سيدي عبد السلام بن مشيش (ت: 625هـ) إلى أن يصل إلى سيدتنا فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولد سيدي سالم سنة 1186 هـ في وادي سوف، وتربى يتيماً في حجر والدته. ورحل إلى القطر التونسي طلبا للعمل والعلم. وكان منذ صباه منجذباً للاستغراق في ذكر الكلمة الطيبة التي قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أفضل ما قلت أنا والنبييون من قبلي: لا إله إلاَّ الله". ثم رجع إلى الوادي، واجتهد في طلب الشيخ المربي الدال على الله بالحال الذي يعرج به في مدارج السالكين إلى رب العالمين، إلى أن وجده في الطريقة العزوزية الرحمانية. فانخرط فيها بأخذ أورادها عن أحد مقدمي قطبها في ذلك الزمان الشيخ محمد بن عزوز البرجي (ت: 1233هـ/1818م). ثم جدد عهدها بأخذها عن خليفته الأكبر الشيخ علي بنعمر الطولقي، فدخل في حجر تربيته الروحية ولازم الرحلة إليه بزاويته بطولقة، وأدخله الخلوة للتبتل بذكر الأسماء الحسنى السبعة وتوابعها اللازمة لقطع مراحل السلوك وفق المنهاج الخلوتي، إلى أن حصل له الفتح المبين والرسوخ في عين اليقين الذي عبَّر عنه هو بنفسه بقوله: [ليس القصد في الحور والقصور وربات الخدور، وإنما القصد النظر إلى وجه العزيز الغفور] .

ولما تحقق منه أستاذه إخلاص النية وصدق التوجه بالكلية، وشهد فيه الأهلية للمشيخة أوصاه بفتح زاوية بالوادي لتكون عُشًّا للتربية الروحية، ومدرسة للقرآن الكريم والعلوم الشرعية، زيادة على الصلوات وحلق الذكر والتلاوة بكرة وعشية. فامتثل الأمر، وكان ذلك حوالي عام 1220 أو بعدها بقليل، إلى أن أكملها وحقق فيها مقاصدها. ومنذ ذلك الحين، وهي تشعّ أنوار القرآن والأذكار والعلم الشريف إلى اليوم.

ولما توفي الأستاذ سيدي علي بنعمر عام 1258هـ (أي 25 سنة بعد وفاة شيخه محمد بن عزوز) تصدر سيدي سالم للمشيخة ودعوة الخلق إلى الله تعالى، فكان نسخة من شيخه في التواضع وخدمة المسلمين عامة وطلبة العلم والقرآن خاصة وقضاء حوائجهم والإصلاح بين المتخاصمين والتفاني في خدمة الفقراء وطالبي طريق الحق. وكانت بينه وبين شيوخ الطريقة العزوزية الآخرين علاقات ودٌّ وتعاون وتآزر. وكانت بينه وبين الشيخ سيدي عبد الحفيظ الخنقي (ت: 1270) مكاتبات ومراسلات، وهذا الشيخ من أكبر خلفاء الشيخ سيدي محمد بن عزوز، وله مؤلفات نفيسة من النفَس العالي في التصوف. وكان سيدي سالم – بعد وفاة شيخه – يزور أخاه في السلوك ابن شيخ شيخه سيدي مصطفى بن محمد بن عزوز مؤسس زاوية نفطة، فآزره في نشر الطريق بالجنوب التونسي. وقد سأله مرّة سيدي مصطفى: كم تملك من نخلة بالوادي؟ فأجابه سيدي سالم: عندي خمس وخمسون زيارة لشيخنا سيدي علي بنعمر، فعقب عليه سيدي مصطفى بما معناه: سبحان الله! هذا هو حقاً التعلق بالله! وهكذا قضى سيدي سالم حياته في التقوى ونفع العباد، يسوق الأرواح إلى الفلاح. وقد رويت عنه كرامات كثيرة لا داعي للإطناب في سردها « فتلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم». ولكن لا شك أن أعظم كراماته هي هذه الزاوية التي تخرج منها أجيال من آلاف الحفظة للقرآن العظيم، فتحققت فيه وفي خلفه بشرى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه». كما تربى في حماها أجيال من الصالحين الأخيار الذاكرين الله آناء الليل وأطراف النهار...

وبعد وفاته عام 1277 عن عمر يقارب التسعين - أي نحو العشرين سنة بعد وفاة شيخه سيدي علي – خلفه على الزاوية أكبر ولديه الفقيه الورع العفيف المبرز في علم المواريث الشيخ مصباح (المولود عام 1255هـ). أخذ تربيته الصوفية عن والده ثم عن سيدي مصطفى بن محمد بن عزوز بنفطة. عرف الشيخ مصباح باجتهاده في العبادة وقيام الليل وأعمال البر والشفقة على الخلق، وكان غزير الدمعة دائم الفكرة، يحن إلى المعارف ويتواجد عند سماع قصائد العارفين وأناشيد العاشقين، يلبس غليظ الكتان، وينقبض من رؤية الحكام الفرنسيين، وكان ممتازاً في جودة الكتابة والخط، قائما بخدمة الزاوية إلى أن توفي عام 1327 هـ عن عمر 73 سنة بعد أن مكث في المشيخة نحو نصف قرن. وتولى المشيخة بعده أخوه الشيخ المربي الكامل سيدي محمد الصالح المولود عام 1263 الذي تميز منذ صباه بشفافية روحية عالية، فكان في صغره كثير المرائي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولشيوخ الطريق، أخذ تربيته الروحية عن والده سيدي سالم ثم عن الشيخ سيدي مصطفى بنفطة، فكان يتردد على زيارته.

وقد شهد الكثير من العلماء والصلحاء بعلو مقام الشيخ محمد الصالح في تربية المريدين وترقية السالكين، حيث لاحت على العديد منهم أنوار المعارف وشواهد الولاية؛ منهم العلامة الشيخ الطاهر العبيدي وأخوه أحمد، ومنهم الشيخ محمد بن عبد الصادق الذي كان قاطناً بتقرت، وكان صاحب أحوال ربانية صادقة وكرامات متواترة وله تلامذة في تقرت وورقلة والوادي (ت: 1975). وقد ألفت حول سيرة الشيخ محمد الصالح رسائل ونظمت في مدحه قصائد. فمن ذلك الرسالة الموسومة بـ"المنهج الصالح في ذكر بعض مآثر الشيخ محمد الصالح" وهي مخطوطة لمؤلفها ابنه (محمد بنعزوز) وكذلك الرسالة المطبوعة بتونس عام 1323 هـ المسماة "البحر الطافح في بعض فضائل شيخ الطريق سيدي محمد الصالح" تأليف أحد أصحابه العلامة المؤرخ الفقيه الأديب الشاعر الشيخ إبراهيم بن محمد الساسي بن إبراهيم بن محمد بن عامر السوفي (ت: 1934) مؤلف كتاب " الصروف في تاريخ سوف". وفيها يقول عنه مانصه:

[ذو المعارف والسر الوارف، والمقام الأسنى والعز الأقنى، غرَّة الزمان ووحيد العصر والأوان، من تحلت برؤيته الأنظار، وتمتعت بفيوضاته الأبرار، وقويت به الأركان وتشرفت بحلوله البلدان، وأنقذ الله به العبيد من كل كرب ونصب شديد، ذو البحر الزاخر والقدر الفاخر، والاسلوب البديع والمنهج الصالح، شيخ الطريق، سيدي محمد الصالح أدام الله به النفع آمين، نجل الولي الكامل المرحوم العامل، السائر في أوضح طرق القوم، ذي المناقب الحميدة والأفعال الجميلة السديدة، الذي طار صيته في كل قطر وبلاد، وأقرَّ بعلو مقامه ذوو الأتباع والانتقاد، وتواضع له أولو المكانة والاحترام والتعاظم، شيخ الطائفة الأعرج سيدي سالم نفع الله به وبفروعه أبد الآبدين ودهر الداهرين آمين، ابن سيدي محمد بن محمد بن سيدي محمد بن سيدي نصر بن سيدي عطية الشريف من نسل الزائر بن سيدي المحجوب، دفين القيروان، قبره بها يزار إلى الآن ويشهد له كل الناس بالصلاح والكمال والنجاح، رضي الله تعالى عن جميعهم، وعنا بهم وجعلنا من أتباعهم دنيا وأخرى آمين. وأما طريقته فإنه أخذها كأخيه ذي الخير والصلاح الشيخ سيدي مصباح، عن والده سيدي سالم المتقدم ذكره].
ثم ذكر العديد من الكرمات التي شهدها له فقال:

كان الأستاذ الفاضل والجهبذ الكامل جدي الشيخ سيدي محمد بن عامر ذو الكرامات الظاهرة الأسرار الباهرة، يخدم عمدة السالكين وسند الواصلين، الشيخ سيدي سالم الأعرج ذي القدم الراسخ في طريق القوم رضي الله عن الجميع، ونال منه ما يبهر العقول، كما هو متواتر بالمنقول، وكان يوصينا بخدمة أولاد شيخه وأتباعهم

ويحضُّنا على ذلك غايةً، ويقول: إنكم تنالون منهم إن شاء الله حقق الله ذلك آمين، فمنَّ الله عليَّ بامتثال تلك الوصية، وجعلت أتردد عليهم في الزيارة وأنظر في حوائجهم وسيرتهم وخدمتهم مدة طويلة إلى أن تحققت الشيء، وعلمت أن متَّبعهم ينال بلا ريب، وكان سيدي سالم ترك ولدين فاضلين أحدهما الشيخ مصباح وهو الأكبر سنا، والآخر الشيخ سيدي محمد الصالح نفعنا الله بهما آمين، لكن الأول جرى على طريق الأشياخ الذين يكتمون أمورهم، وهو مقام عظيم يفتخر به كل من له أدنى مسكةٍ بأحوال القوم. وقد منّ الله على هذا الشيخ بولد يا له من ولد عفيف نظيف أديب زاهد في الدنيا زهداً تاماً، فقيه دائم الطهارة كثير التجنب من الناس، يحب الخلوة والانفراد، وينقبض من رؤية الناس انقباضاً كلياً، وهو الشيخ سيدي محمد العربي أدام الله سناه وبلغه في الدارين مناه. والثاني جرى على طريق من يذيع ذلك، ولا يخفى أن العاجز مثلي يجذبه الظاهر، فلازمت الشيخ محمد الصالح رضي الله عنه وعنا به آمين، حتى ظهرت لي كراماته الخارقة والمقولات الصادقة، فأردت أن أذكر بعض ما رأيته أو سمعته من ثقة صادق التتبع الشافي والتفحص الوافي، كان الله لنا ولإخواننا معينا آمين.

فمن ذلك أني أتيته يوما في وقت القيلولة مع أستاذي وعمدتي وملاذي الزاهد والحبر العابد شيخي سيدي عبد الرحمن العمودي رضي الله عنه وعنا به ونفعنا ببركاته آمين، فقال لنا الشيخ: إن سيدي علي بن عثمان الطولقي رضي الله عنه قد انتقل إلى عفو الله، رحمه الله الرحمة الواسعة، فسرى في عقولنا أنه أتى أحد من عنده، أو أتى جواب أو نحو ذلك، وغفلنا عن أن الشيخ علم ذلك من طريق الكشف، فلما خرجنا من عنده وقع في قلبي أن الأمر لم يأت به أحد، ولا جاء في جواب، وإنَّما هو من الشيخ رضي الله عنه، فضبطت ذلك اليوم، وبقيت أسأل عن خبر وفاة الشيخ فلم أجد علماً عند أحد، فلما مضت ستة أيام بعد التاريخ أتانا الخبر بأن الشيخ انتقل إلى رحمة الله منذ أيام رضي الله عن الجميع ونفعنا بهم آمين].

قال المؤلف الشيخ إبراهيم بن عامر في آخر هذه الرسالة: [لما انتهيت إلى هذا المحل كلفني من لا يسعني إلا إسعافه أن أذكر بعض الكتب التي منَّ الله تعالى علي بها أي بجمعها وتأليفها فمن ذلك هذه الرسالة المسماة ب "البحر الطافح في بعض فضائل شيخ الطريق سيدي محمد الصالح " ورسالة تسمى " الجواهر الحسان في بعض ما يتعلق بالمعلمين والمتعلمين من حملة القرآن " وحاشية على رسالة الشيخ سيدي محمد البخاري العقبي سميتها" نيل المرام من رسالة كشف اللثام " وحاشية على شرح السنوسي الكبير وحاشية على الشذور وشرح الشيخ ابن عاشر وشرح الأجرومية وشرح رسالة الأخضري في الحساب وشرح رسالة سيدي محمد الرقيق في مبطلات الصلاة

وشرح النظم المسمى ب "التبر الصافي في نظم الكافي في علمي العروض والقوافي " ورسالة منظومة في الفلك فيها قريبا من 500 بيت، ورسالة أخرى في الفلك والجدول والتربيع نثر ورسالة أخرى في الفلك تتعلق بالسنة القمرية فقط، ورسالة في الصرف متن وشرح ورسالة في القضاء نظم ونظم الورقات في الأصول، ونظم" قطر الندا وبل الصدا"، ونظم في الأدب، وتقريرات على حاشية الباجوري على الجوهرة في التوحيد وتقريرات على كتاب" الرحمة في الطب والحكمة"، جعلها الله خالصةً لوجهه الكريم ونافعة لنا لديه في جنان النعيم]، ومن تآليفه أيضا: اختصار الرحبية نظما وشرحه لها ورسالة في البسملة وأحكامها، وشرحه لصلاة الفاتح لما أغلق، وشرحه القصيدة المدنية المسماة "النفحات الربانية وتشطيره لها"، وترجمة النبي خالد بن سنان ورسالة: "بيان الخطأ الواقع من قصور الخطا" حول صلاة آخر أربعاء من صفر، وله كتاب كبير مشهور في التاريخ عنوانه " الصروف في تاريخ سوف" وله فتاوى وأجوبة فقهية كثيرة وتشطير ونظم لكثير من القصائد في مختلف الفنون. وذكر في رسالته المذكورة البحر الطافح بعض القصائد التي مدح بها شيخه سيدي محمد الصالح بن سيدي سالم المذكور، قال: [فمن ذلك ما للأستاذ الحبر الملاذ شيخي العلامة العامل الدراكة الكامل سيدي إبراهيم البختري الجريدي التوزري في شأن مولانا الشيخ سيدي محمد الصالح رضي الله عنه وهي هذه:

يا خالق الخلق يا مولانا يا أزلي — صل على المصطفى المختار في الأزل
والآل والصحب والأتباع كلهم — واغفر لإخواننا ما كان من زلل
واغفر لوالدنا ولـيُّكَ المجتبى — واغفر لأشياخه ساداتنا الأول
يا أكرم الأكرمين من برحمته — نرجو نجاتنا يوم العسر والوحل
وامنن على عبدك المرجو نفعه في — نشر الطريق بعون منك يا أزلي
محمد الصالح الشهم بن سالم من — بث طريقته في السهل والجبل
يا أمة المصطفى يا خير طائفة — وخير من ظفروا بأحسن الملل
خذوا الطريقة عنه فالنجاة بهاً — مثل السفينة تنجي كل ذي دخل
ونبهوا من تراخى من جماعتكم — ولازموا الورد في الأبكار والأصل
إن الدوام عليه نفعكم لكم — في المال والأهل والأغنام والإبل
والزرع والضرع والأبدان فانووا به — تكاثر الخير والأرزاق والحلل
ومن له نية في الذكر صالحةٌ — عادت على الدين بالتوفيق للعمل
وعاونوه بفضل الكسب ينفعه — في طعم طلبته وعابر السبل

فالله في العون ما دمتم في عونه ذا أتى لنا في حديث أكرم الرسل
ولازموا الخير في عون لبعضكم مجانبين لفعل الإثم والكسل
وعجلوا بالمتاب فالشيوخ لنا يرجون منا متاباً ليس بالمهل
فسيدي سالم وشيخه المرتضى علياً بن عمر من شاع في الدول
عن ابن عزوز مع أستاذه ذي الوفا وهو ابن عبد الرحمان فلا تمل
عن شيخه المجتبى الحفناوي وهو على أستاذه مصطفى البكري فيا أملي
حتى إلى المصطفى المختار سيدنا واحشرنا معهم بلا خوف ولا وجل
بذكرهم رحمة الرحمان تشملنا تغشى جميعنا من حاف ومنتعل
فهم ملاذنا يوم الحشر نتبعهم نسير خلفهم في أحسن السبل
بعد الشفاعة للمختار سيدنا في سائر الخلق حتى أمة الرسل
يعطي شفاعته أخيار أمته وأولياءه أهل العلم والعمل
أقطابنا شفعاء في طريقتنا من بعد نبينا أكرم الرسل
بإذنه شفعوا فينا بلا نظر إلى الصحائف من قول ولا عمل
وبادروا الحوض والإخوان صحبتهم ووسعه سير شهر الفارس العجل
وسرنا من مياه الحوض شربته فماؤه شربه أحلى من العسل
والشرب منه دليل عن سعادتنا عند الإله بما قد كان في الأزل
يا سعدنا بسرور كاد يرقصنا ونحن مع جملة الأقطاب في جلل
من الملائك والتبشير يطربنا بجنة الخلد مأوى السادة الأول

ولنا فيه رضي الله عنه وعنا به آمين:

حمدتك يا مستوجب الحمد والشكر ويا واهب الإفضال والمنن الغر
وأهدي صلاة مع سلام لأحمداً شفيع الورى في موقف الهول والحشر
وآله والأصحاب مع كل فاضل من الأولياء ما همى وابل القطر
ومن ذا الذي جاد الإله به ولم يكن له من قرن ظننت في العصر
لما خصَّه المولى الكريم بفضله وأسبل عنه صيب الخير والنصر
وأعني به شيخ الطريق الذي به سما فويق سماء الحزم بالجد للذكر
وذا سيدي محمد الصالح الذي به شرف العمران والموضع القفر
وحق لأهل العصر أن يتحدثوا بما نالهم منه خصوصاً في ذا القطر
به طربت أزماننا وتراقصت عذيبات أشجار من الوجد والبشر

بــه يــرفع الله الــبلاء إذا همــى — وينـزل عفـو السقم والجبـر للكسر
بـه تـضع الأنثـى التي قـد تعسرت — ويطلـق مـسجون ويخلـص ذو الأسـر
ويأتـي غـريب آيـس مـن رجـوعه — ويـنجو غـريق ثـم يوصـل ذو الفقـر
بـه حـن ذو بغـض ويألـف شـارد — ويـرجع للمولـى المعظـم ذو الـوزر
متـى مـا تـناديه أتـاك مـبادرا — فـلا تـسأمن يـا ذا الحـوائج مـن ذكـر
فقـد جـربوه فـي مهمـات أعـضلت — قـضاها بعـون الله فـي أمـد نـزر
وشـاهدت مـن شـؤونه مـا أقـوله — فـوالله لـم أذكـر سـوى قاطـع الأمـر
فمن ذاك مـا قـد قـال لـي مع سيدي — بـأن الإمـام نجـل عـثمان فـي حظـر
وذلــك فــي يــوم الــوفاة بعيــنه — وقـد جاءنـا مـن بعـد صحة ذا الخبـر
ومـن ذاك مـا قـد قـال إنـك قائـلٌ — لـشعر ولـم أطلـع أناسـا علـى الـسر
ولكننــي أضــمرته فــي طويتــي — وناديـته سـراً أجزنـي فـي ذا الـشعر
ومــن ذاك لمــا أدركتنــي ضــيافة — لـشيخي وقـلَّ: اللحـم والبنين والطيـر
توجهت نحـو الـدار والوقت قد مضى — وقلـت: إلهـي جـد علـيَّ بـذا الحبـر
فمـا تـم قولـي اذ بقـصاب قـد أتـى — وقـال: ألحمـاً تـشترون يـا ذا النـشر
فــباع لــنا بمــا أردنــا وكــان مــن — عجائـب ذا ان اخـر الـشيخ في عـذر
وكــنت أتــيت مــرة بجنابتــي — فأخفـى يـداً ولـيس دأبهـا فـي الـستر
وكـم لـه مع غيـري واذكـر بعـض ذا — فمــن ذاك قـصة الـسادة فـي البحـر
وقـصة مـسجون وذي زوجـة عـتت — وقـصة طـوع والـد لـذوي الفخـر
وكـم غيـر ذا ممـا تكـل سـواعد — لـشيب وشـبان وغيـر عـن الحـصر
فـيا لــه مــن شـيخ تـأزر وارتـدى — بـسر عمـيم للوقـيح وذي الخفـر
لــه بـركات نافعـات وصـولة — وفـيض وإمـداد وبحـر بـلا قعـر
ولا يمتـري فـي هـذا إلا معانـد — عقوبـته الحـرمان او درك الدهـر
فمـن لا يـرى لـم يكتـرث لحجابـه — ومـن قـد رأى يـنقاد بالـسمع والبـصر
إذا حفـه الافـضال واللطـف وانتحـى — لـشرب مـدام الـسر فـي علـب الـصبر
وكـيف بـنجل سـالم الأعـرج الـذي — مشى في طريق القوم سير أولي النشر
وأخـلاق ذا بـشر وتـرحيب دائمـاً — وعفـو وإحـسان كـذا سـعة الـصدر
وطهـر وأذكـار خـضوع وخلـوة — وتـشييع مـيت مـع إعـادة ذي الـضر
فـزده علـواً يـا إلـه محمـد — وفـضلاً ونـوراً مابـدا واضـح الفجـر

وآلـــه والأتـــباع والقـــوم كلهـــم ومـــن لجـــناب لاذ مـــستمنح العطـــر
بجـــاه حبـــيب الله صـــفوة خلقـــه وأصـــحابه مـــع آلـــه الأنجـــم الزهـــر]

والشيخ إبراهيم البختري ناظم القصيدة الأولى السابقة عرَّفه الأديب أحمد البختري في كتابه " الجديد في أدب الجريد" فقال عنه ما خلاصته:

[هو شيخ مشائخ الإسلام الأستاذ إبراهيم بن محمد البختري نسبة إلى البخاترة وهي طائفة بتوزر جدهم الولي الصالح صاحب الكرامات عبد الله الرعاش. بعد حفظه للقرآن الكريم ومبادئ العلوم بتوزر واصل إبراهيم البختري دراساته في الأزهر الشريف بمصر حيث كان من أساتذته إبراهيم الدسوقي والشيخ عليش وغيرهما. وقد جمع شهاداته العلمية في 16 فنا من العلوم في كتاب خاص. ثم غادر مصر لأداء فريضة الحج. وبعد أدائه لها طاف بأرض الحجاز من أقصاه إلى أدناه. وتعرف بأهله وتباحث مع علمائه ثم رجع إلى توزر وشرع في التدريس فكان بحراً زاخراً ينبض بالعلم وتولى القضاء فكان خير قاض عادل، وألف الكثير من الكتب منها:

1- اختصار تحفة الحكام في 800 بيت
2- شرح على السمرقندية
3- شرح على الأجرومية
4- شرحان على متن ابن عاشر صغير وكبير
5- شرح الرحبية في علم الفرائض واختصارها وله قصائد وأشعار منها القصيدة التي نظمها بمناسبة المولد النبوي الشريف ومطلعها:

طوالع السعد حلت دارة الحَمل والنصر في بيضة الإسلام لم يزل
وشارق الأنس قد لاحت كواكبه أوج الصعود على الأفلاك في الدول

وختمها بقوله:

يا ربِّ صل على النور الذي ختمت بـــه النـــبوة عـــند الله فـــي الأزل

توفي رحمه الله عام 1317 هـ (1903م)].

ولما توفي الشيخ محمد الصالح عام 1335 عن عمر 72 سنة، تولى مشيخة الزاوية بعده ابن أخيه محمد العربي بن مصباح المولود عام 1294 هـ الذي تربى في حجر والده وعمه وأتقن حفظ القرآن وغيره من العلوم الشرعية، وواصل مسيرة أسلافه في القيام بشؤون الزاوية والتعليم والطريقة مدة 28 سنة إذ توفي عام 1363هـ. وفي عهده وعهد سلفه محمد الصالح انتشرت السالمية الرحمانية بكثرة في سوف ونواحيها، وامتدّت إلى الجنوب التونسي والجنوب الجزائري. وتذكر الإحصاءات الفرنسية التي

وقعت سنة 1900 أن عدد أتباعها بلغ في الوادي نحو عشرين ألفاً بينما بلغ مجموع أتباع الرحمانية في الجنوب 86000. وإثر وفاته خلفه ابن عمه الشيخ بنعزوز بن محمد الصالح بن سيدي سالم المولود عام 1308 هـ، الذي أتقن كسلفه حفظ القرآن وعلوم الشريعة والعربية والتصوف، وله تأليف حول أبناء الأسرة السالمية، وبقي مجتهداً مع أخيه محمد الطاهر في خدمة الزاوية وطلبة العلم والقرآن حوالي ثلاثين سنة قضاها في المشيخة بكل كفاءة وتواضع إلى أن توفي عام 1392 هـ، فخلفه أخوه محمد الطاهر المولود عام 1320 هـ الذي واصل مسيرة أسلافه مع التواضع والزهد وتلقين الأذكار وتعليم القرآن إلى أن توفي عام 1398 هـ، فخلفه ابنه الشيخ الحالي سيدي الحسين المولود عام 1359 هـ. فهو القائم بها الآن منذ ربع قرن، وقد وفقه الله في هذه السنة 1425 هـ للتجديد الكامل لبناء الزاوية، وهو حريص على تعميرها بالقرآن والعلم والذكر. وأنشأ فيها مكتبة ضخمة واسعة جامعة لمختلف العلوم يستفيد منها الطلبة والباحثون. شكر الله مساعيه وزاده في الكمال والتوفيق.

وقد توافد على هذه الزاوية علماء من أقطار المغرب العربي ومصر مثل العلامة الأديب الشاعر الفقيه الشيخ إبراهيم البختري من تونس، والشيخ محمد بن حمد النفطي، والشيخ العروسي بن عزوز، والعلامة الشهير مفتي القطرين الجزائر وتونس الشيخ المكي بن مصطفى بن عزوز، والإمام الأكبر لجامع الأزهر بمصر سليل الأسرة العزوزية الشيخ الخضر بن الحسين، ومن علماء الأزهر المحدث الحافظ الصوفي العلامة الشيخ محمد الحافظ التجاني المصري، والشيخ محمد الصالح بن محمد الصالح الغزال. كما توافد عليها من القطر الجزائري ودرّس بها علماء أعلام كالشيخ الصادق بن الهادي العقبي، والشيخ الهادي بن بلقاسم بن العربي، والشيخ محمد بن جديدي، والشيخ العربي موساوي وابنه الشيخ المدني، والعلامة الفقيه محمد الصالح الحرزولي وابنه الشيخ الزهاري، والفقيه الأديب الشاعر الشيخ أحمد مفتاح بن عبد الباقي القماري، والمقرئ الفقيه الصوفي الشيخ الحبيب حنيش القماري، وغيرهم. لكن أعظمهم شهرة في العلم والتعليم والتربية والصلاح هو الإمام العلامة الشيخ الطاهر العبيدي وأخوه أحمد اللذان أخذا تربيتهما الروحية في الطريقة الرحمانية عن الشيخ محمد الصالح ابن الشيخ سيدي سالم المذكور سابقا.

تخرج من الزاوية السالمية آلاف من حفظة الفرآن، وكان من أشهر مقرئيها الشيخ بكار وابنه محمد العيد الذي مكث في تعليم القرآن بالزاوية أزيد من ستين سنة، وخلفه في ذلك إثر وفاته ابنه محمد بكار والمقرئ علي بوخزّة. ومن الذين تعلموا عنده القرآن التاجر المحسن المشهور بالوادي الحاج سالم الجديدي بن عطا الله

(1907-1991م) الذي عرف بنشاطه في التجارة ونجاحه فيها. وعند اندلاع الثورة التحريرية سنة 1954 شارك الحاج سالم في تدعيم الثورة ماليا وعن طريق جمع التبرعات، واعتقل في شهر رمضان سنة 1957 وأدخل السجن. وفي سنة 1955 ذهب لأداء فريضة الحج، وكانت تلك حجته الأولى. وكان قد تزوج سنة 1930 السيدة آمنة بنت مصطفى العبيدي شقيق العلامة الشيخ الطاهر العبيدي، وأنجبت منه أولاده كلهم. ومن ألمع أبنائه السيد البشير جديدي الذي هو اليوم - ومنذ سنوات - من أشهر الشخصيات الجزائرية في ميدان الاقتصاد والسياسة. وهو كوالده من السباقين في مجالات الأعمال الخيرية، والمساهمة في المشاريع الاجتماعية، ومن أكبر المحسنين في منطقة سوف.

الشيخ الطاهر العبيدي وأخوه أحمد

هو الطاهر بن العبيدي بن علي بن بلقاسم بن اعمارة بن بلقاسم بن سليمان بن عبد الملك بن الهادي بن أحمد خذير بن عبد العزيز بن سليمان بن سالم بن إبراهيم بن عبد الحليم بن عبد الكريم بن عيسى بن موسى بن عبد السلام بن محمد بن جابر بن جعفر بن محمد بن محمد بن عبد الله ابن مولانا إدريس الأصغر ابن مولانا إدريس الأكبر ابن عبد الله الكامل ابن الحسين المثنى ابن علي ابن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. »

ولد عام 1304 هـ الموافق 1885 م تقريبا، وذلك بمدينة الوادي، وتعلم بكتاتيبها القرآن الكريم، وظهرت عليه بوادر النجابة والذكاء في سن مبكرة، حيث حفظ القرآن في سن التاسعة من العمر. وأخذ عن مشائخها بعض العلوم الدينية الأخرى وممن تعلم عنهم العلامتان الشيخ ابن عبد الرحمن العمودي والشيخ محمد العربي بن موسى. كما استجاز الشيخ العلامة المحدث محمد المكي بن مصطفى بن محمد بن عزوز فأجازه وهو إذ ذاك بالأستانة في تركيا، ثم انتقل إلى تونس في سبيل العلم فأكمل تعليمه بالزيتونة وارتوى من مناهله وأخذ منه الحظ الوافر مدة ثلاث سنوات، هذه المدة كانت كافية مع تكوينه الأول وحفظه للقرآن ونبوغه لأن يكون صاحب مدرسة – بعد عودته – وطلبة يستفيدون من فيض علمه وإرشاد تربيته.

ولما رجع الشيخ الطاهر لم يستقر في مسقط رأسه بل ذهب إلى مدينة تقرت واستقر بالجامع الكبير الأعظم سكناً وعملاً. وكان ينتقل هنا وهناك بين الحين والآخر داعياً وواعظاً ومرشداً ومعلماً في زوايا ومساجد وادي ريغ ووادي سوف وطولقة والجلفة وزاوية الهامل القاسمية الرحمانية وغيرها. ولقد كان لأهل الوادي الفضل

الكبير في استقبالهم له كل صيف، حيث كان مدة بقائه بينهم يقوم مفسراً للقرآن ومعلما للغة والحديث ومدرسا للفقه وأصوله. ولم يكن له من ينافسه في تلك الفترة لما عرف به من تبحر في أصول الفقه وأصول الدين والحديث والعربية وغيرها. قضى حياته على جانب عظيم من الزهد والتعفف والقناعة والصيانة والورع مع دين متين وسيرة العلماء العاملين الصالحين.

وكانت وفاته يوم 28 فيفري 1968 الموافق ل 1387 هـ بمدينة تقرت ودفن فيها، بعد أن أنجب ثلاثة من الأبناء المكي والأمين وإسماعيل. وللشيخ العبيدي تآليف في موضوعات مختلفة بلغت أزيد من خمسة وعشرين تأليفا منها:

1- رسالة في كيفية العبادة، في نحو عشر صفحات طوال.

2- رسالة تنزيل الصلاة في تطويل الصلاة.

3- رفع الإبهام عن مسائل الصيام، في نحو ثماني عشرة صفحة.

4- رسالة انكفاف الدمعة لانكشاف مسألة الجمعة.

5- رفع اللهو في كشف مسائل السهو، في نحو ثلاث عشر صفحة.

6- رسالة في الرد على الطبيعيين وهي منظومة في التوحيد.

7- منظومة: بغية الآمل في نظم رسالة العوامل وهي في النحو.

8- رسالة تلخيص الأجرومية.

وله في التصوف مكتوبات وأشعار عديدة منها:

9 - رسالة التخويف والتخوف على ايمان منكر الصوفية والتصوف، في نحو ثماني صفحات طوال.

10-منظومة النصيحة العزوزية في 66 بيتاً (ينظر نصها في آخر الكتاب) قرضها العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس، وعبد ربه ابن سليمان من شيوخ الأزهر بمصر، وهي في الحث على سلوك طريق الصوفية الصادقين والرد على المنكرين عليهم.

11- منظومة جريان المدد في الاعتصام برجال السند في 856 بيتا جمع فيها أسماء شيوخ وأعلام الطريقة الخلوتية وفرعها الرحماني، استخرجهم من نحو ثلاثين كتابا.

12- منظومة نصيحة الشباب المزيحة للسحُب والضباب في 176 بيتاً أشرف على طبعها مع النصيحة العزوزية في مصر أحد تلاميذه وهو الطويل مسعود محمد.

13- رسالة النصوص الصريحة في رد شبه غير صحيحة.

14- نظم إجازة على سبيل الوجازة.

15- رسالة مناسك الحج والعمرة وبيان كيفيتهما الشرعية.

16- رسالة الحيض والنفاس وأحكامهما.

17- رسالة التيمم: ويعالج فيها التيمم ومسائله وكيفية اجرائه وأسبابه حيث يقول في مطلعها:

حمداً لمن قد شرع التيمما ... مثل الوضوء للذي يعدم ما
وهو تعميمك وجها ويدين ... بالمسح مع نية أولى الضربتين
لكنما أسبابه كثيره ... جمعتها في جمل يسيرة
فقدانك الماء بالأسفار يبيح ... تيمماً كذاك حاضر صحيح

18- رسالة في الجبر والاختيار: يبين فيها هل الانسان مجبر أم مختار في أفعاله وتصرفاته قال فيها:

الحمد لله الذي قد أوضحا ... بالآلاء نهج الحق حتى اتضحا
تتم صلاة الله تترى دائما ... للمصطفى الهادي رسولا دائما

19- نظم فيه رسالة البيان للدردير تكلم فيها عن التشبيه والمجاز والكنايات: ويبين بأن هذه الرسالة أراد من ورائها اختصار ما أتى به الدردير حتى يسهل على القارئ حفظها وجمعها وتذكر ما فيها، قال في أولها:

قال الفقير الطاهر العبيدي ... المرتجي نيل المنى والأيدي
ناظم نثر الجهبذ الدردير في ... فن البيان، رزق اللطف الخفي
وهذه رسالة لطيفة ... فائقة أترابها منيفة
موضوعها التشبيه والمجاز ... ثم الكنايات بها تمتاز
وهي على سبيل الاختصارِ ... والاقتصار تحفة للقاري

20- رسالة نفيسة جدا في أحكام العدة، يبين فيها أنواع العدة من حيث الأقراء والأشهر، ومن حيث الطلاق والوفاة، ومن حيث الصغر والكبر، قال في مطلعها:

الحمد لله بغير عدة ... وبعد فاسمع ما أتى في العدة
فمن تحض خمس سنين أو أقل ... تعتد بالأقرا إذ الطلاق حل
كمرضع بعد انفطام ينتظر ... أو مستحاضة تمييز ما انحدر

21- رسالة في الميراث.

22- رسالة في النصيحة.

23- رسالة نفيسة مشحونة بالفوائد في ستر العورة وهي مطبوعة وعليها شرح نفيس وقد قرضها العلامة محمد بن عبد الرحمن الديسي من علماء زاوية الهامل كما قرضها الشيخ ابن باديس (1889 – 1940) بأبيات سنة 1337.

24- منظومة: "نظم قطر الندى وبل الصَّدى" قرضها أيضا الشيخ ابن باديس، وهذا نص تقريظه: "بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. وبعد فإني بعد ما سمعت هذه المنظومة من مؤلفها العالم العلامة الشيخ الطاهر العبيدي قلت هذه الأبيات خدمة للعلم وإشادة بفضل هذا الرجل العظيم ومنظومته المزرية بالدر النظيم على حسب ما سمح به الخاطر الكليل القاصر:

ذي درر حسنة التنضيد سالمة من وصمة التعقيد

جامعة للقصد والمزيد تدني الجنى لكل مستفيد

من نظم زين العلماء العبيدي جازاه رب الناس من مفيد

بالعلم والعمل والتأييد

قاله وكتبه عبد الحميد بن باديس عفا الله عنه يوم الثلاثاء 7 رجب سنة 1337 انتهى.

والجامع للشيخين ابن باديس والعبيدي هو خدمتهما للعلم وانتسابهما للطريقة الرحمانية، يقول عن هذا الانتساب المؤرخ بلقاسم سعد الله في مقال كتبه في المجلة التاريخية المغربية العدد 19 و20 (جويلية 1980): وهناك أوجه شبه واختلاف بين ابن باديس والعبيدي، من ذلك صداقتهما أيام الطلب في تونس، وهو ما يشير إليه ابن باديس في رسالته بعبارة « قديم التذكار » رغم أنها عبارة غير صريحة في هذا المعنى. ومن ذلك أيضا انتماء الرجلين إلى الطرق الصوفية عموماً، ولا سيما الطريقة الرحمانية، ذلك أن كليهما كان رحمانيا خلوتيا، فأما ابن باديس فشيخه في ذلك هو مصطفى باش تارزي القسنطيني الذي أشرنا إليه، وأما العبيدي فشيخه في ذلك هو المكي بن عزوز. وقد كانت الطريقة العزوزية فرعا من فروع الطريقة الرحمانية، وهي منتشرة في طولقة زاوية الشيخ علي بنعمر هناك، وفي وادي سوف وفي الجريد التونسي. ومن جهة أخرى يعود أصل الطاهر العبيدي إلى أولاد عبيد، المنتشرين حول بير العاتر، قبل أن تنزح أسرته إلى وادي سوف. فهناك اذن انتماء جغرافي أيضا بين الرجلين.

قصيدة العبيدي التي أرسلها إلى ابن باديس:

بروحي جليلاً حل تقرتنا النضرا يفوق شذا أخلاقه المسك والعطرا

فأما محياه المحيي فإن من يشبهه بالبدر مرتكب إمرا

أفي البدر من أخلاقه وعلومه؟ وهل فيه تحرير التقارير والإقرا

ولكنه قد ضم مع علمه تقى ويسلك في التعليم منهجه الأحرى

وما كان في الحسبان رؤية مثله بوقت وهت فيه القراءة والقرا

رأيــت لـــه علمـــاً وعقـــلاً مطهـــراً ... وحـسن اعـتقاد للهـدى يـشرح الـصدرا
هنيـئاً لكـــم أهـــل قـــسنطينة الألـــى ... لهـم غيـرة فـي همـة تـزحم الـشعرى
ســتلقون فــي علــم الــشريعة جــدةً ... وتــرقون فــي الأخــلاق مــرتبة كبــرى
فــدونكم عــبد الحمــيد ودونكــم ... مـــآدب آداب تـــنعش الفكـــرا
ولا زلــتم يــا آل بــاديس فــي اعــتلا ... بغيـر اعــتلال لا يــرى عــزكم ضـيرا
وتــبدون فــي كــل الــنوادي نــوادراً ... مـن العلـم يقفـو الـنجل آبـاءه أثـرا
تروضــون مــن عالــي العلــوم عوائـصا ... وترضـــون بالأعمـــال ربكـــم البـــرا
كمــا كنــتم فــي غابــر الدهــر ســادة ... تــسوسون ذاك الغــرب سـيرتكم غـرا
فحاصـــلكم إمـــا ملـــيك مظفـــر ... يهــز لــواء العــدل يبــسطه نــشرا
وامــا علــيم يــبعث الــناس علمــه ... يحــوط مــشيد الــدين مــن شــبه تطـرا
جـزى الله خيـرا ذلـك الـسلف الـذي ... تقلــد سـيف الملــك يحملــه نــصرا
وبــارك فــيكم أيهــا الخلــف الرضــى ... لقـد شـدتم علمـا وسـدتم ولا فخـرا
ســلام علــيكم يــشمل الكــل عــرفه ... مـــن القيـــروان للجزيـــرة الخــضرا
مــن الطاهــر الــود العبــيدي محــتدا ... بتقـــرت والـــوادي مـــناوبة قـــرا
وأســألك اللهـــم تطهيـــر قالبـــي ... وقلبي وطيب العيش والفوز في الأخرى
وصــل علــى خيـر البـرايا الـذي بـرى ... بصمـــصامه أس الـــرذائل والكفـــرا
وأصـــحابه مـــن أكمـــل الله ديـــنهم ... وآلـــه أمـــن الله فـــي هـــذه الغبـــرا

رسالة ابن باديس:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

إلى حضرة علم العلم والفضل، ومعلم الكرم والنبل، التقي الطاهر الاثواب السري البارع الآداب، مستحق الشكر منا بما له علينا من سابق الأيدي، العلامة الشيخ سيدي أبي الطيب الطاهر العبيدي، أدامه الله بدراً طالعاً في هالة درسه، وغيثاً هامعاً يحيي ربع العلم من بعد طمسه، حتى يبدل وحشة قطره بأنسه، ويجني من بساتين تلاميذه ثمرات غرسه، آمين.

وبعد سلام كما تفتحت الأزهار في نسمات الأسحار، وتحية تحيي قديم التذكار، وإن شطت الدار، فإني كتبته إليكم من حضرة قسنطينة يوم قدومي من رحلة كنت اعملتها لناحية الجزائر وتلمسان، لزيارة الأحياء والأموات من العلماء والصلحاء وأعيان الزمان، فتشرفت بسادات كثيرين، من العلماء والصالحين، ومن أعظم الجمع

قدراً، وأشهرهم ذكراً، سيدي أبي مدين الغوث وسيدي محمد السنوسي بتلمسان، وسيدي محمد بن عبد الرحمان وسيدي عبد الرحمان الثعالبي بالجزائر، ودعونا لنا وللمومنين عامة، ولإخواننا أمثالكم خاصة، بما نرجوه من الله تعالى فيه القبول وبلوغ المأمول. وذكرت لكم هذا لما أعلمه فيكم من محبة الصالحين، وإذا مكنتني الفرص إن شاء الله تعالى كاتبتكم عن هذه الرحلة بمزيد تفصيل. ووافى كتابكم في غيابي في هذه الرحلة، فلما قدمت وقبلته، وكان ما داخلني من السرور بمجلو خطابه، مخففاً لما غشيني من الخجل لمر عتابه، ولك العتبى يا سيدي فيما ذكرت، ومنك الفضل فيما به ابتدأت وتفضلت، فقد بلغتني القصيدة الغراء التي راقت ورقت، واستوجبت الحمد واستحقت. نظرت إلى أوصافك الكريمة فحليتني بها، ونسبتني إليها، والله يهدي ببركة محبتك الخالصة ما ظننت، ويجازيك بالخير الجزيل على ما فعلت. هذا وإني ما أخرت الجواب متهاوناً، أستغفر الله، ولا متكاسلاً، ولكنني حسبت أني أجيبكم فيمن أجبت، حتى جاء كتابكم فعلمت أنني غالط فيما ظننت، فبادرت بهذا متحاملاً على فهمك، معتمدا على فضلك، والعفو، يا سيدي، من شيمة أمثالك، لا حرمني الله من إفضالك، وأقول:

إن كنت قصرت في الكتابة — والله ما حلت عن ودادي
وإنما كان ذاك مني — عن غفلة ليس من مرادي
فسامحوا ظاهري بفضل — وحسبكم مسكناً فؤادي

ويعود من العبد وجماعته السلام عليكم، وعلى جماعتكم وأحبابنا كلهم لديكم، وكثير داعياً لكم بالخير، طالبا منكم مثله، أخوكم وشاكر فضلكم ومملوك إحسانكم. في شهر جمادى الثانية عام 1337. عبد الحميد ابن باديس عفي عنه.]

من تلاميذ الشيخ الطاهر العبيدي أخوه العلامة الفقيه الصوفي الأديب الشاعر الشيخ أحمد العبيدي (1307 – 1397 هـ) الذي قضى جل حياته بين وادي سوف ومدينة جامعة بوادي ريغ معلماً ومربياً وواعظاً مرشداً. وله تآليف وأشعار عديدة منها قصيدة نظمها بمناسبة ختم تفسير القرآن الكريم لأخيه الشيخ الطاهر العبيدي رحمهما الله، نصها:

نزل الكتاب المحكم الآيات — يبدي لنا الماضي وما قد ياتي
فتراه يا باغي الديانة والهدى — مستجمع الأحكام والرغبات
ما دامت الآمال عالقة به — فالناس لا تخشى أليم شتات

يا فوز من عانى الكتاب بهمة — وبعزمة مثل الأول الأثبات
فاقدر كتاب الله حق قدره كي — ترقى العلا وتفوز بالدرجات
واعلم بأن خيارنا متعلم — لكتاب رب قامع الشبهات
أو من يعلمه رجاء ثوابه — للناس يخرجهم من الظلمات
فتلاوة القرآن حصن مانع — تنجي من الأهوال والآفات
يكسى بها التالي جمالاً ها هنا — والقبر يحكي أبهج الروضات
وينال ما يرجوه في الأخرى ولا — يلقى وبيل الخوف في العرصات
فكمال أمة أحمد في كتابها ال — هادي الورى للرشد والخيرات
كونوا عليه عاكفين وعلموا — أولادكم كي يظفروا بهبات
وتعلموا تفسيره وبيانه — وعلومه في جملة الأوقات
عن كمل الأشياخ أهل الدين وال — علم الصحيح السادة القادات
فهم الضياء إذ الحوالك غيمت — وهم الشفاء لمعضل الكربات
من أكبر الأشياخ بدر دياركم — الطاهر النحرير ذو النفحات
قد جاء مثل الغيث في تفسيره — لله درك يا أبا البركات
أوضحت من نور البيان كما تشا — للسالك الراقي إلى الحضرات
وكذا الخطيب كشفت غامضه إلى — أن صار في أحواز تقريبات
وثعالبي جزائر بجواهر — زينت جيد دروسك العطرات
والصاوي بدر الدين والجمل الذي — سلمت كتائبه من العثرات
وأبو البقا إعرابه العذب الذي — سلك الصواب وأوضح الآيات
مع ما تزيد من الفوائد دائماً — جمعا لأقوال بتحريرات
كل الفنون حوت دروسك من يرم — نفعا كثيرا عاجلا فليات
عضواً على تحقيقه بنواجذ — وتنافسوا في العلم قبل فوات
بالعلم تنتعش الشعوب وتحتمي — وتعيش في أمن من النكبات
فهو الفريد بعصرنا وبمصرنا — علماً وديناً واقتدا بهداة
حضر الرضى الخضر الحسيني درس ذا — بالوادى في التفسير مذ سنوات
فاهتز من عجب وقال قليلة — أمثال ذا في هذه الآنات
أخذ العلوم على شيوخ جلة — بالوادي والخضراء بيت سراة

وأجــازه أشــياخه فــي كلهــا كــسليل موســى مــرجع الــسادات
مــن كــان طــوداً فــي العلــوم فــربنا يجــري علــيه هــواطل الــرحمات
عمــرت بــه تقــرت وقــتا لــم يطــل والمــوت يذكــي هــادم اللــذات
فأتــى لهــا أســتاذنا مــن بعــده عــوذته مــن حــسد وبغــاة
أنهــى ابــن موســى درســه الغالــي وإن عــزموا الطــلاق وســار للجنــات
فبنــى علــى أسٍ بــنا أســتاذه أدبــاً وعاملــه بحــسن نــيات
لهمــا جــرى مــثل الجلالــين المحــ لــي والــسيوطي طــيب الحــالات
يــا ربــنا احفــظ شــيخنا وتــوله باللطــف فــي الــسكنات والحــركات
وأدم لــنفع المــسلمين بقــاءه يفــري العــويص بحــسن إدراكــات
يهنــيك خــتم جــل مــوقعه وقــد ســبقت بــه تقــرت فــي الحلــبات
مــن ســالف الأعــصار والعلمــاء فــي تقــرت موجــودون أهــل ثــبات
وبــرحلة العياشــي لمــا حلهــا ألفــى بهــا فقهــا ذوي هيــئات
والحمــد لله الكــريم فأنــتم بوجــود هــذا الحبــر فــي مــرقاة
لكــنكم غــادرتم أبــناءكم يــسقون مــر الجهــل فــي دركــات
مــا هكــذا يرضــى الــودود لــنجله تــركوا الــدروس ولازمــوا الحانــات
والمــرء راع فــي بنــيه وأهلــه فعلــيه مــشيهم بطــرق نجــاة
أعطــوا القــراءة حقهــا لا تعرضــوا وتــيقظوا مــن ســكرة الغفــلات
فــي خدمــة العلــم الــشريف نظمــتها أرجــو إلهــي العفــو عــن زلاتــي
جهــد المقــل أتــتك تلــتمس الرضــى بقــبولكم تــسمو علــى الــشرفات
ســقيت غــروس قــريظها مــن بحــركم إذ أنــتم أصــلي وروح حياتــي
وعلــى الرســول وآلــه وأصــحابه أزكــى الــسلام وعاطــر الــصلوات
مــا فــاح مــسك الخــتم فــي نــاد ومــا رفعــت أكــف الخلــق للدعــوات
مــن شــك فــي الغفــران عــند الخــتم لا يعطــى لــه ويحــور بالهفــوات
فادعــوا إلهــاً يــستجيب لمــن دعــا يولــي الجــزيل ويغــسل الحــوبات
وابــن العبــيدي أحمــد يــرجو لــه ولكــم خــتام الخيــر عــند وفــاة

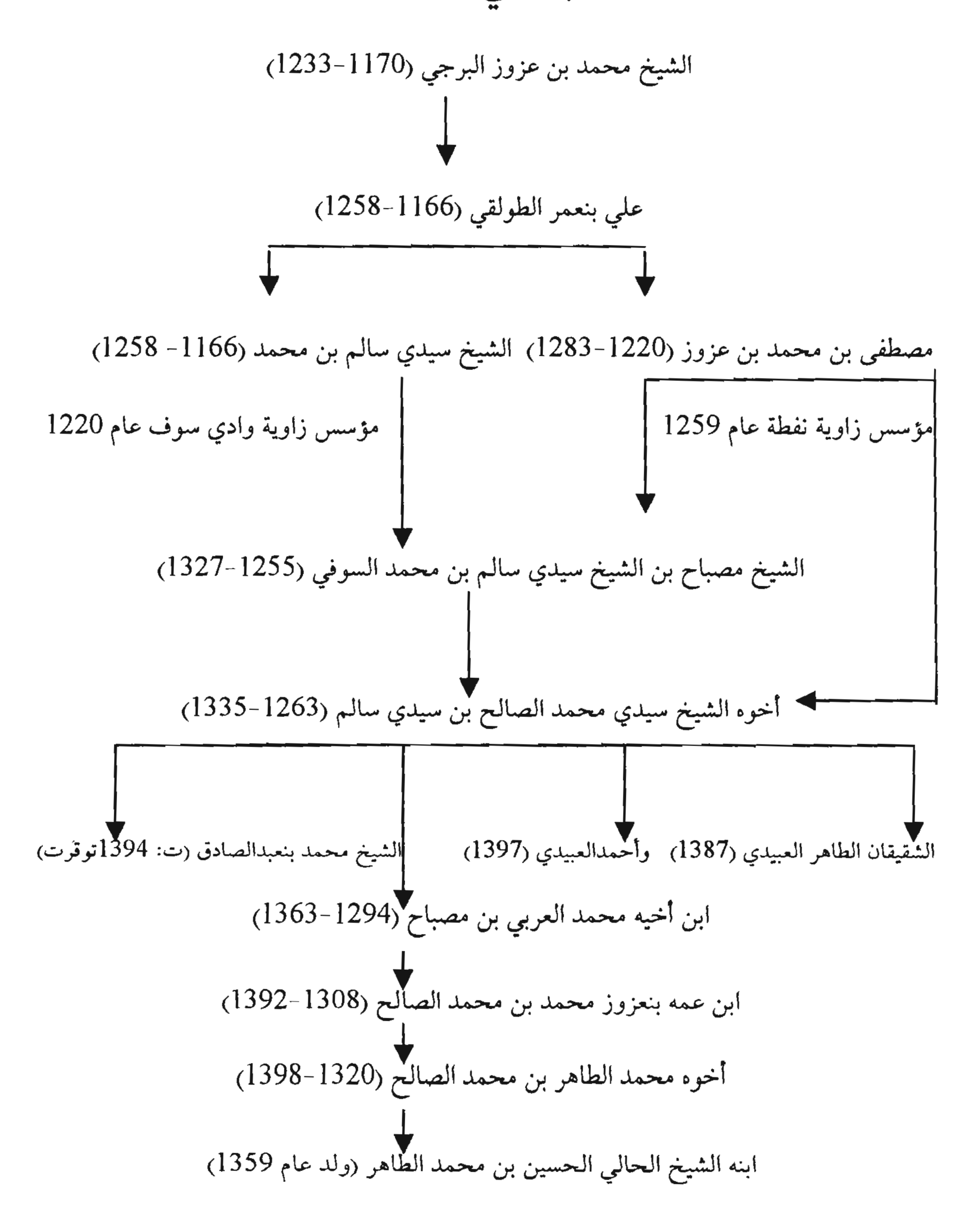
ولقد نظم الشيخ أحمد العبيدي قصيدة رثاء في أخيه الشيخ الطاهر جمع فيها حياته وصور نشاطه، نقتطف منها هذه الأبيات:

عــام دال (*) أي أربــع فــي ســنا	ولــد الــشيخ الطاهــر ذو الثــناء
أي فـي الجـاري مـن قـرننا زاد فخـراً	وكمـــالاً بالطلعـــة الزهـــراء
حـــاز حفــظ القــرآن قــبل بلــوغ	وتلقـــى العلـــوم بالخـــضراء
جــاء تقــرت رمــز بــاء وكــاف (**)	فارتـــوت مـــن علـــومه الـــسحاء
عـــاش فيـــنا ثلاثـــة وثمانـــين	وراح لمنــــزل الـــــسعداء
جـــازه عـــن جهـــاده يـــا الهـــي	وارض وارحـم واحشره في الفضلاء
والعبــيدي أحمــد يطلــب الــصبر	عـــن فقـــده فجـــد بـــدواء

(*) يشير بدال أي أربع – أي سنة 1304 وهو تاريخ مولده.

(**) رمز باء وكاف – وهو (22) أي أنه عاد من تونس إلى تقرت عن عمر يناهز 22 سنة.

سلسلة شيوخ زاوية سيدي سالم العزوزية الرحمانية بوادي سوف



الزاوية المختارية الرحمانية بأولاد جلال

مؤسسها هو الشيخ سيدي المختار بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن الولي المدفون بجوار ضريح سيدي خالد المعروف سيدي يوسف بن عبد الرحمن بن خليفة الفحل الذي يرتفع نسبه إلى إدريس الأكبر سليل سيدنا الحسن السبط رضي الله عنه من طريق قطب المغرب عبد السلام بن مشيش (ت: 625هـ). ولد أول ليلة من القرن الثالث عشر بقرية سيدي خالد، فحفظ القرآن ومهر في مختلف العلوم الشرعية واللغوية، ثم طلب سلوك الطريق من الشيخ محمد بن عزوز البرجي (ت: 1232هـ) وخليفته الشيخ علي بن عمر الطولقي (ت: 1842/1258م). وانتقل إلى قرية بني جلال حيث أسس زاوية أصبح شيخاً لها بإذن من شيوخه وذلك سنة (1230 هـ 1815م) وسرعان ما قصده طلاب الطريق من كل فج في شرقي ووسط وجنوب القطر الجزائري. وبقي قائما بشؤونها إلى أن توفي صبيحة الاربعاء من عام (1276هـ. 1862م) فخلفه ابنه الفقيه العلامة الشيخ محمد الصغير مؤلف كتاب" تعطير الأكوان بنشر شذا نفحات أهل العرفان" الذي طبع بالمطبعة الثعالبية بالجزائر سنة (1334 /1916) وهو من أهم مراجع الطريقة الرحمانية ويحتوي على الكثير من تراجم شيوخها ورسائلهم وقصائدهم. ترجم مؤلف " تعريف الخلف برجال السلف" للشيخ المختار فقال عنه:

(الشيخ المختار الجلالي: صاحب الفتح الطالع والكشف اللامع والبصيرة الخارقة والسريرة المشرقة والكرامات الباهرة والأحوال الفاخرة والمقامات الجليلة والحقائق النفيسة والمعارف السنية والمنازل الرفيعة من مراتب القرب والتصدر المتعالي في مجالس القدس، وهو أحد من أظهره الله تعالى إلى الوجود، وصرفه في أحكام الأحوال، وقلب له الأعيان، وخرق له العادات، وأظهر على يده العجائب. اشتاقت نفسه في حال بدايته إلى شيء من الأكل، فعاقبها بصيام ثلاث عشر سنة بصيام نهارها وقيام ليلها، وكان كثير الإنشاد في مدح شيخ شيخه سيدي محمد بن عزوز، وله كلام في الحقائق والوعظ، وكان يربي بالهمة والحال، جماله أكثر من جلاله، ظريفاً لطيفاً نظيفاً طويل القامة قليل شعر اللحية، وقد أرخ وفاته سيدي محمد المكي بن عزوز أبقاه الله وأعزّه آمين بقوله:

فقدُ الهداة من الورى ليل دجا ... من صدمة الإسلام أصبح مزعجا

لا سيما شيخ جليل باذخ ... بذر الرشاد ومنه شاد الأبرجا

كالسيد المختار منشور الهدى — كم من رجال في الطريقة درَّجا
سعدت بتربته بنو جلال قد — أضحت مناراً في البلاد مزبرجا
أمسى مجاوراً خالد بن سنان ال — عبسي نبي الله مفتاح النجا
نعم الجوار اختار لكن ذاته — حجبت كشمس بعدها ليل دجا
فجعت بذاك أوساط الغرب التي — أحيا بذكر الله فيها المنهجا
لولا خليفته محمد الذي — بعلومه كرب المصيبة فرجا
لكن حضرة ذا الشريف القاسمي — أطفى حريقا في القلوب توهجا
متعت يا مختار في دار البقا — بزيادة الحسنى ونلت المرتجى
يوم الرحيل أتت ملائكة الرضى — تسعى ووجه البشر ثم تبلجا
زفوا بروحك كالعروس عزيزة — لك رافعون على الأكف متوجا
جنات عدن زخرفت وببابها — رضوان مأموراً بها مستبهجا
والحور رافلة صفوفا كالضبى — مقصورة بخيامهن على رجا
ولو أنهن سئلن عن تلك الحلا — لأجبن وهي تؤرخ: المختار جا

عام 1276

وخليفته الآن في زاويته بأولاد جلال الشيخ سيدي محمد الصغير، الرجل الصالح ذو الفيض الطافح بالعوارف والمعارف، أطال الله عمره ونفعنا ببركته آمين). انتهى.

وقد ساهم الشيخ المختار وتلاميذه في الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي، فساند ثورة الزعاطشة سنة 1849، وأرسل النجدة إلى زعيمها الشيخ بوزيان هناك. كما وقف إلى جانب المجاهد بومعزة في ثورته على الاحتلال، فقد ذكر المؤرخ أبو القاسم سعد الله في كتاب " الحركة الوطنية الجزائرية" ما يلي: [وكانت الطرق الصوفية المناضلة تتجاوب مع بعضها تلقائياً، ذلك أن الشيخ المختار بن عبد الرحمن رئيس الزاوية الرحمانية بأولاد جلال قد تبنى قضية الثورة ونسق جهوده مع الشريف بومعزة خلال سنة 1846]. ويؤكد هذا ما ورد في تقرير القائد الأعلى لجيوش الاحتلال (دي تورجيل) بشأن الشيخ المختار. وقد وصفه أحد الفرنسيين قائلا إن نفوذه قد عمَّ أولاد نايل وأولاد علاف والصحاري الذين كانوا يزورون زاويته بأعداد كبيرة، وقد شارك إخوانه بالإضافة إلى الزعاطشة في انتفاضة سنة 1861 في الخنقة المعروفة (بقضية بو شندوقة). وكان باشاغا الجلفة الشريف بن الأحرش متزوجاً من إحدى بنات الشيخ المختار، وأصبح من كبار خلفاء الطريقة الرحمانية. وقد مات ابن الأحرش قتيلاً

سنة (1281/1864هـ) وترجم له في "تعطير الأكوان" بما سنورده في فصل (الرحمانية في نواحي الجلفة).

ومن خلفاء الشيخ المختار الذين أنشأوا زوايا رحمانية أو ساهموا في نشر الطريقة الذين ذكرهم مؤلف " تعطير الأكوان" الشيوخ السادة:

1 –عبد الرحمان بن سليمان النايلي العقوني، مات في حدود العقد الثالث من القرن الرابع عشر ودفن بزاويته بوطنه.

2- أبو القاسم بن مشيه النايلي الغويني، مات في حدود العقد الثاني من الرابع عشر.

3- أبو الأرباح بن المحفوظ النايلي السعداوي، مات في حدود العقد الثالث من الرابع عشر، وزاويته إلى اليوم عامرة بتعليم القرآن والفقه والعلوم الشرعية، وتخرج منها عدد كبير من أهل القرآن والعلم.

4- محمد بن رابح النايلي المحمدي العقوني.

5- يوسف بن محمد النايلي الأعوري.

6- الطيب بن فضل بصحاري أولاد خليف بجبل الناظور جهة تيارت.

7- محمد بن مرزوق الرحماني من نواحي بوغار.

8- أحمد بن معطار وله أشعار غزيرة في مدح أستاذه الشيخ المختار.

9- عبد القادر بن إبراهيم النايلي المحمدي البوذيني.

10- الحاج المختار بن خليفة العيسوي الحدباوي.

11 –الحاج بن رابح العلاني من نواحي بوغار.

12- محمد بخوش الجابري.

13- أحمد بن الحمروش النايلي اليحياوي.

14- الشّيخ العلامة الفقيه الأديب الشاعر عطية بن خليف الفرجاوي الغريبي النايلي، وتوفي خلال حياة أستاذه الشيخ المختار.

بعد وفاة الشيخ المختار عام 1862 تولى أمر الزاوية ابنه الشاب مصطفى الذي توفي وهو في بداية شبابه، فخلفه أخوه العلامة الأديب الفقيه الصوفي الشيخ محمد الصغير الذي عرفت الزاوية في عهده توسعاً في العلم والعمران، وازداد عدد طلبتها حتى قيل إنّ عددهم بلغ نحو 500 طالب. بلغ الشيخ محمد الصغير عمراً طويلاً قضاه في التدريس والتربية إلى أن توفي، فخلفه ابنه الشيخ عبد الحميد الذي واصل مسيرة والده. وبعد وفاته تولى أمر الزاوية ابنه الشيخ خالد، وبعده شيخها الحالي ابن عمه الشيخ عبد الجبار. وقد اشتهر شيوخ العلم فيها بالتمكن في العلوم الشرعية والأدبية مع

التربية الصوفية العالية والورع الشديد، وكان منهم الشيخ العابد السماتي والد المجاهد المصلح محمد بن العابد الجلالي، والشيخ مصطفى بن قويدر مبروكي، والشيخ أبو الأنوار بن محبوب، والشيخ محمد بن زبير السماتي، ومحمد شبيره، وأحمد البوذني. وتخرج من هذه الزاوية المختارية أعلام في الفقه والأدب والإصلاح والوطنية أمثال العلامة نعيم النعيمي، والشيخ محمد بن العابد الجلالي الذي أنجب للجزائر أمثال الزعيم البطل الشهيد العربي بن مهيدي، والشيخ صالح ساكري، والشيخ الصادق رحماني وغيرهم.

وأعظم خلفاء الشيخ المختار وأشهرهم جميعا هو الأستاذ محمد بن أبي القاسم الهاملي مؤسس الزاوية الرحمانية بالهامل في ناحية بو سعادة.

الزاوية القاسمية الرحمانية بالهامل

مؤسس الزاوية الرحمانية في مدينة الهامل بناحية بوسعاده في وسط القطر الجزائري هو العلامة الصوفي المربي الشيخ محمد بن أبي القاسم (1239/1824-1315هـ/1897) الذي أخذ تربيته الصوفية في الطريقة الرحمانية عن شيخها المختار الجلالي الذي كان من أكبر خلفاء الشيخين محمد بن عزوز وخليفته علي بنعمر مؤسس زاوية طولقة. لازم الشيخ محمد شيخه المختار من بداية سنة 1273 هـ إلى سنة 1278 وخلفه على رأس زاويته قريبا من سنة عاد بعدها إلى الهامل. ولقد أجاز الشيخ المختار مريده المترجم له في تربية طالبي السلوك وتعليم القرآن وبث العلم والدعوة إلى الله عندما تيقن فيه الأهلية لذلك. فقام بذلك على أحسن الوجوه إلى أن توفي.

الشيخ الحفناوي مؤلف «تعريف الخلف برجال السلف» عرف مؤسس هذه الزاوية فقال عنه:

[شيخنا الأستاذ محمد بن أبي القاسم الهاملي: سيدنا شيخ الإسلام مقتدى الأولياء العظام، علم الهدى الذي من انتمى إليه كان من السعداء، القطب الرباني، والفرد الجامع الصمداني، العلامة الإمام، والقدوة الهمام، شيخ المالكية شرقاً وغرباً، قدوة السالكين عجماً وعرباً، مربي المريدين، كهف السالكين، سيدي أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم بن ربيح بن الولي العارف بالله سيدي محمد بن عبد الرحيم بن سائب بن منصور الشريف الحسني نسباً، المالكي مذهباً، الأشعري اعتقاداً، الرحماني طريقةً، الهاملي مسكناً، الجزائري إقليماً.

كان رضي الله عنه وأرضاه وأعاد علينا من بركاته وأسراره آمين من أكابر

المشايخ العارفين وأعيان المحققين، وأعلام العلماء الراسخين، صاحب الكرامات الخارقة، والأحوال النفيسة والأنفاس الصادقة، والمعارف السنية، وكان يلقب قدوة الفريقين، بهي السمت ظاهر الوضاءة، فصيح الكلام فيما يشرحه من أحوال القوم، وكان يلبس لباس أعيان العلماء ويركب الفرس، وهو أحد أركان هذا الشأن، وإمام أئمة ساداته وأجلاء القادة إليه، ورئيس الدعاة إلى الله، له القدم الراسخ في التمكين والباع الطويل في أشرف الأخلاق، وانعقد عليه إجماع المشائخ العلماء رضي الله عنهم على اعتقاده بالتعظيم والتبجيل والاحترام، وأوقع الله تعالى محبته في القلوب، وتخرج صحبته غير واحد من أعيان المشائخ في الظاهر، وانتمى إليه من مشائخ الصوفية جمٌّ غفير، واشتهر ذكره في الآفاق، وقصد بالزيارات من كل مكان، وله كلام في الحقائق وتسليك المريدين وآداب الصادقين كثير مشهور، رضي الله عنه. وكانت له الكرامات الظاهرة، والأسرار الباهرة، والأحوال الخارقة، والمقامات السنية، والمكانات العلية، له الباع الطويل في التصريف النافذ، مع اليد المبسوطة في علوم المشاهدات، والقدم الراسخ في التمكين، والطور الأرفع في معالي القدس، وهو أحد من أظهره الله إلى الخلق، ومكنه من أحوال النهاية في إفاضة أسرار الولاية، وخرق له العادات، وأظهر على يديه الأحوال الخارقات، وأجرى على لسانه الحكمة، وملأ القلوب بمحبته والصدور بهيبته، وكان رضي الله عنه ما دعا إلا أجيب، ولا عاد مريضا إلا عوفي إن كانت له بقية من الأجل، ولا نظر بعين الرضى إلى قلب خرب إلا عمر، ولا عكسه إلا خرب، أعاذنا الله من ذلك، وما وقع نظره على عاص إلا أطاع، ولا على ناس إلا استيقظ، ولامر بأرض مجدبة إلا أنبتت، ولا دعا في شيء بالبركة إلا وظهرت شواهد الإجابة، وهو أحد من جمع الله له بين علمي الشريعة والحقيقة، وأفتى بالإقليم الجزائري على مذهب الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه، وقصده طلبة العلم، وأخذوا عنه، وانتفعوا بكلامه، وانتهت إليه الرياسة في العلم، وقفت الناس عند فتاويه. وكان متقشفا في مأكله ومفرشه، وكان خلقه واسعا، إذا تجادل عنده الطلبة والإخوان يشتغل هو بالذكر حتى يفرغ جدالهم، وكان يقضي بعض مصالحه بيده، وكان كثير الأدب والحياء، كريم النفس جميل المعاشرة حلو الكلام، وكان مهاب المنظر عليه خفر العلماء العاملين والأولياء والصالحين، وكان نهاره وليله في الطاعة إما في علم، أو تلاوة قرآن، أوذكر ورد، أو فكرفي مصنوعات الرحمان، أوقضاء حوائج المسلمين. ويقصده الناس من جميع الجهات لتفريج كربهم وقضاء ديونهم، فما يذهبون من عنده إلا بالشيء الكثير فوق مرادهم، والخلق في الإحسان عنده على حد سواء، ويقول: الخلق عيال الله. يراعي حق الكبير والصغير والغني والفقير والقوي والضعيف والوضيع

والشريف حتى الوحوش والطيور، وكل مخلوقات الله يعظم العلماء والصالحين وذريتهم، وأهل الفضل وكل عزيز في قومه، ويواسيهم عموما، وخصوصا ذرية مشايخه أهل الظاهر، وأهل سنده الباطن، له اليد الطولى والنعمة الكاملة عليهم، يعظم مكانهم ويقدمهم على غيرهم من الخاصة والعامة، ولا يملك معهم شيئا من الدنيا مع طيب نفس، بل لو يأخذون جميع ما يملك لكان عنده من أحسن ما يكون وأجل وأفضل ما هو كائن، ويعادي من عاداهم، ويحسن إلى من أحسن إليهم، ويبالغ في الأدب معهم ويحفظ حقوقهم في الغيبة والحضور، ويقيل عثراتهم، ولا يلتفت إلى هفواتهم، ولله درُّ العلامة الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن الديسي (1850-1919) حيث قال في بديعته في مدح الأستاذ:

ما كفه كالغيث حين يهمع	فذاك يمكث وهذا يقلع
لو لم يشابه الغمام كفه	لما استجاد الناس منه وكفه
وفضله في الخافقين قد علم	أشهر من نار على رأس علم
وإن سألت عنه فهو البحر	يخرج منه جوهر ودر
قد شابهت أخلاقه الرياضا	لطافة وكفه الحياضا
والارض لولا غوثنا لدكدكت	لأنها قدما لدينا اشتكت
لكل عصر مفرد إمام	غوث به أحواله تقام

ولد رضي الله عنه وأرضاه بالبادية بمحل يقال له الحامدية ضاية الحرث على جهة جبل تاسطارة، وهي بلاد أولاد الأغويني فريق أولاد سي محمد، في رمضان سنة تسع وثلاثين بعد المائتين والألف، ومن اسم الحامدية المولود فيها أخذ الفال فحمده أهل السماء وأهل الأرض. ولما حفظ القرآن قدم إلى زاوية الولي لله سيدي السعيد بن أبي داود بزواوة، ولازم ابن ابنه بها العلامة الشيخ سيدي أحمد، وجد واجتهد حتى برع في المذهب المالكي، وكان رضي الله عنه شديد الذكاء عجيب الفطرة، مفرط الادراك بعيد الغور، غواصا على المعاني الدقيقة، جبل علم مناظرا محاججا. وفي سنة خمس وستين ومئتين وألف ابتدأ التدريس ببلدة الهامل، فأصبحت به زاهرة يانعة، وانهالت له الخلق من كل جهة لطلب العلم وحصل به النفع الكثير، وكان يحضر درسه في الفقه نحو ثمانين تلميذا أو أكثر، وكانت مؤونة الطلبة في هذه السنوات من عنده، وابتدأ من التفاسير ب " تفسير الواحدي" ومن كتب الحديث بشرح العارف بالله سيدي عبد الله بن أبي جمرة، وتقديمه لهذين الكتابين التماس بركة صاحبيهما، لأن الكتابين كانا من ملك جده الولي المشهور سيدي محمد بن عبد الرحيم. ولسيدي محمد بن عبد الرحمن في

مدحه أيضا:

صل يا رب وسلم أبداً — على خير الخلق عرب وعجم
ما جمال الروض ما ذكر إرم — ما غناء ما عصير من كرم
ما سمو البدر في أفق العلا — كعلا شهم سجاياه الكرم
أمة الأمة في أمتنا — قطب فضل خير أستاذ يؤم
مرشد الخلق إلى سبل الهدى — زاكي الأحوال محمود الشيم
من أعاد الغرب روضا يشتهى — بعد ما كان مواتاً لم يرم
بذر الخير به حتى ازدهى — فلأرض الغرب فخراً قد عظم
جدد الدين وقد كان وهى — نصح الأمة في الوقت الأهم
ولقد أحيا رسوماً درست — بدروس كم لها فضل وكم
حق أن تسعى المطايا نحوه — لوذعي تاج أرباب الهمم
علم الأعلام معلى قدره — إذ تراهم رفعوا الاسم العلم
واسمه الحمد البليغ المرتضى — واشتقاق الاسم من فعل وسم
طابق الاسم فعالاً حسنها — يخجل الدر النفيس المنتظم
ورث السؤدد عن أسلافه — إذ لهم في ذروة المجد قدم
نسب مثل لآلئٍ نسقت — منه حتى المصطفى خير النسم
طاب أصلاً وفروعاً وجنى — منبع الأسرار مصباح الظلم
شمس فضل طلعت في أفقنا — فانجلى عنا بها كل قتم
حجة الله على الخلق فمن — عارض الحجة فهو المنفصم
خادم السنة مخدوم الورى — فاعجبوا من خادم كيف خدم
ظهرت أسراره وانبجست — من طواياه ينابيع الحكم
زاده الله تعالى رفعةً — فلقد أسدى لنا النفع الأعم
حدثوا عنه بما شئتم ولا — حرج عنكم فهذا الحبر يم
قد روى الفضل لنا عن نائل — عن عطاء عن يسار عن كرم
وروى الكل لنا عن جابر — عن سعيد أنه السعد الأتم
صرت يا عيد به عيدا هنا — كيف لا وهو الإمام المحترم
أنت تأتي بسرور ينقضي — وهو سرور للخلق ونعم
ذو مزايا لا يفي المدح بها — كيف يحويها قصوري لا ولم

ومرامـي مـنكم نـيل الرضـى ... إن قلبـي لكبيـر ذو ألـم
فانظـرونا نظـرة تـصلحنا ... واعـتقوا ذا الـرق فالفـضل لكـم
قـد نـزلنا سـاحة اللـيث ومـن ... كـان جـار اللـيث قـط لـم يـضم
وحللـنا حـرماً آمـناً ولا ... أحـد يجنـي علـى مـن بالحـرم
وعلـيكم مـن تحـيات سـمت ... مـا أضـاء البـرق أو سـحت ديـم
وعلـى الإخـوان طـراً سـيما ... مـن أتـى المسجد أو مـن قـد خـدم
وعلـى الأقطـاب أشـياخ لـنا ... ذكـرهم يـشفي عـضالات الـسقم
شـيخنا المخـتار شـيء كاسـمه ... وابـن عـزوز الجـناب المـنفخم
تـارزي باشـا مـن حـاز العـلا ... أزهـري فخـر عـرب وعجـم
جـد لـنا يـا ربـنا مـن فيـضهم ... واصـلحن أحوالـنا يـا ذا الكـرم
صـلوات الله تتـرى للـذي ... قـد هـدانا وبـه الأمـر خـتم
وعلـى آل وصـحب كـرموا ... مـا سـرى الـبدر ومـا خـط القلـم
ضـاع عـرف الـبان إذ أرخـتها ... تاسـع الحجـة يـوم يغتـنم

وله في مدح الاستاذ سنة قدومه للجزائر:

سـلام يفـوق نيـرات الزواهـر ... ويفـضل نـشرا طيـبات الأزاهـر
أخص به قطب الوجود الذي به عنى ... بـصاحبه الأعـزاز أم الجزائـر
فدتـه نفـوس المؤمنـين فإنـه ... إمام الهدى النبراس مجلى الدياجر
مـلاذ الـورى إنـسان عـين زمانـنا ... وهـل تبـصر العيـنان إلا بناظـر
فـيا بهجـة الدنـيا ويـا غايـة المنـى ... ويـا كعـبة الإسـلام أنـس الخواطـر
يحـن إلـيك الـصالحون ويـشتفي ... بطلعـتك الغـراء داء الـسرائر
نـصحت وأرشـدت العـباد لـربهم ... لأنـك تـاج العارفـين الأكابـر
تطـيب بـك الأيـام إذ أنـت نـورها ... وكـيف وأنـت الغـوث كنـز الذخائـر
فيا سعد من أضحى محب جنابكم ... علـى حـبكم لله عقـد الخناصـر
هنيـئا لأرض حـل فـيها ركـابكم ... يحـق لأهلـيها الهـنا بالبـشائر
فـيا أكمـل الـوراث مـن سيد الـورى ... علـيه صـلاة كالـبحار الزواخـر
إلـيك اشـتياقنا طـويل مديـده ... بكامـل وجـد بالمدامـع وافـر
وأبـت بـأمن ظافـراً ومـؤيداً ... فـيا نجـل قاسـم حمـيد المآثـر
علـيك مـن الـرحمان أثـواب عـزه ... وحـسن جـلال الله أقـوى الـستائر

بحـــرمة جـــدك الحبـيب محمـــد وآلــه والأصـحاب أهـل المفاخـر
علـيكم صـلاة الله مـا هـبت الـصبا ومـا دام ذكـرهم بأعلـى المنابـر

توفي رضي الله عنه يوم الاربعاء ثاني محرم سنة 1315 في بويرة السحاري آيبا من حاضرة الجزائر إلى مقامه الشريف، وكنت رأيت في نومي ليلة وصوله إلى الجزائر قمرا منخسفا مطلا عليها من جهة الصحراء في سماء معتكر بالغيوم، وفي الغد سمعت بقدومه فعلمت أن العام سنة، وقد كان ما لاح لي، ولا حول ولا قوة إلا بالله].

والملاحظ أن زاوية الهامل في عهد مؤسسها استقطبت العديد من العلماء الذين أخذوا الطريقة عن شيخها ودرسوا بها مثل العلامة الشيخ محمد المكي بن مصطفى بن محمد بن عزوز، والعلامة الفقيه الشاعر محمد بن عبد الرحمن الديسي (1854 - 1921)، والعلامة الأديب الشاعر عاشور الخنقي مؤلف ديوان "منار الإشراف" وغيرهم. وبذلك ازداد عدد أتباع الرحمانية وتفرعت من الزاوية القاسمية زوايا أخرى عديدة في منطقة القبائل والوسط الجزائري وغربه، حتى أن احصائيات عام 1897 قدَّرت أتباع الزاوية في زواوة والتل والصحراء وتونس ب 43 الفا منهم 164 مقدما يشرفون على 29 زاوية.

وتكلم الاستاذ نسيب في كتابه " زوايا العلم والقرآن في الجزائر" على زاوية الهامل فقال:

[... وافتتحها في غرة المحرم 1280 هـ 1863 م، وأصبحت الزاوية القاسمية منذ ذلك الحين، عامرة بطلبة القرآن والعلم، يقصدونها من كل أنحاء القطر، وبازدهارها ازدهرت النواحي والجهات المجاورة لها، بل وعمَّ إشعاعها الوطن كله، فكانت بحق معهدا علميا يمتد التعليم فيه من المرحلة الابتدائية إلى الدراسات العالية، واشتهرت بتعليم القرآن الكريم وأحكام قراءاته، وتعليم الفقه وبقية العلوم الإسلامية، وتدريس اللغة العربية، والعناية بالتربية الروحية، وقد ذاع صيت زاويته داخل الجزائر وخارجها، فكانت محط رحال العلماء والأدباء، يفدون إليها من كل حدب وصوب، ويقيمون فيها الأسابيع والشهور، وقد تخرج منها عدد كبير من حفظة القرآن الكريم، ومئات العلماء والفقهاء، والدعاة والمربين، الذين انتشروا في أنحاء الجزائر يحاربون الجهل والأمية والفساد، وينشرون كتاب الله، وعلوم العربية، والإسلام، ومنهم من واصل دراسته في جامع الزيتونة بتونس، أو جامع القرويين بالمغرب، أو جامع الأزهر بمصر، ثم عادوا إلى الوطن، بعد إتمام دراستهم، ليخدموه وفاء للعهد، وتولى بعضهم التدريس في إحدى هذه المؤسسات العلمية. لقد كان هؤلاء الطلبة أشبه ما يكونون

بالنحل الذي يغادر الخلية وينتشر في الحقول ليمتصَّ رحيق الازهار، ثم يطير في الجو عائدا إلى الخلية ليصنع العسل، وكذلك كان اولئك المهاجرون في سبيل العلم يعودون بالأجازات العالية فيتوزعون على المعاهد والزوايا العلمية لخدمة اللغة العربية ونشر الثقافة الإسلامية.

ترجم لزاوية الهامل عدد من المؤرخين الجزائريين والاوروبيين، وسجل مناقبها كثير من الأدباء والشعراء في كتاباتهم وقصائدهم. نورد منها أمثلة لثلاثة من أبرز أعلام الجزائر الذين أخذوا من مؤسس الزاوية نفسه. فقد قال فيه الشيخ المكي بن عزوز علامة الجزائر وتونس دفين الاستانة: [تدخل زاويته فتلفيها روضة سر كل خير، فيها ما شئت من تدريس علم ومن رجال أخذوه عنه، فاصغ إلى ما تبرز الأذواق وأين منه النقش والأوراق]. أما الشيخ أبو القاسم الحفناوي، صاحب كتاب "تعريف الخلف برجال السلف"، وتلميذ الشيخ محمد بن أبي القاسم، فيقول: إن زاوية الهامل لا تطأطئ رأسها للزيتونة ولا للقرويين. وحقا، لقد كانت زاوية الهامل مركز إشعاع علمي وثقافي وروحي، وكان دورها عظيما في المحافظة على مقومات أمتنا الاساسية، وإرساخ العقيدة والقيم الروحية، ونشر الثقافة الإسلامية واللغة العربية، وبث الروح الوطنية، وكما كانت مساهمتها كبيرة في النهضة الدينية والعلمية في بلادنا، فقد كانت مشاركتها فعالة في دعم حركات الجهاد والمقاومة ضد المحتل الأجنبي منذ عهد الأمير عبد القادر الذي كانت تربطه بمؤسس الزاوية صلات وثيقة، مرورا بثورة الشيخ ابن الحداد والمقراني، وثورة الزعاطشة إلى ثورة التحرير الكبرى، حيث كانت الزاوية معقلا لها، ومحطة لقادتها وجنودها ومركزا للمجاهدين يمدهم بالمؤونة والمال وبالرجال، واستمر القائمون على الزاوية يؤدون واجبهم الوطني حتى استرجاع الاستقلال والسيادة الوطنية، بعد أن نال شرف الجهاد والاستشهاد عدد من طلبة الزاوية وأبنائها. وبعد استعادة الاستقلال مباشرة، أنشأ رجال الزاوية معهدا دينيا علميا سمي (المعهد القاسمي) للمساهمة في إخراج البلاد من الجهل والتخلف الذي خيم عليها منذ الاحتلال الفرنسي، ودفع عجلة التعريب، وتزويد المدرسة الجزائرية بالمربين المتشبعين بروح الإسلام والوطنية، والتضحية من أجل إحياء التراث وبعث ثقافتها الإسلامية ونشر لغتها الوطنية. شيد المعهد القاسمي بجانب الزاوية، مستقلا عنها، نظاما وأسلوبا ومنهجا، وبقيت الزاوية محافظة على أصالتها ونظامها القديم، مخصصة لتعليم القرآن الكريم، وتحفيظه وتجويده، وتعليم الفقه ومبادئ الدين. وفتح المعهد أبوابه على مصراعيها لاستقبال الشبيبة المحرومة من العلم والمعرفة، وكان أغلبهم من أبناء الشهداء وأبناء المجاهدين، وما كاد ينتشر النبأ حتى عم الفرح وغمر قلوب أولئك

المحرومين الذين اغلقت أبواب التعليم في وجوههم، فهرعوا مسرعين إلى المعهد القاسمي آملين أن يعوضهم ما فاتهم من حظ، ويزيح عن طريقهم الحواجز والسدود. وفعلا زالت العوائق، وذللت العقبات امامهم، ووجدوا كل المساعدة والسهولة في التحاقهم بالمعهد، فلا فقر يمنعهم من طلب العلم، ولا سن تقعدهم عنه، ولا مستوى يصدهم دونه، ما دامت لديهم الارادة والعزيمة، وما دام المعهد يستقبلهم كما يستقبل أبناءه ويحتضنهم كما تحتضن الام ابنها الرضيع لتغذِّيه بحليبها وتشمله برعايتها. ولم تمض إلا فترة وجيزة حتى أصبح عدد طلبته يزيد على 1500 طالب، أما النهج الدراسي الذي اعتمده المعهد فكان يجمع بين برنامج التعليم الأصلي وبرنامج التعليم العام، فكانت تدرس فيه علوم العربية، من نحو وصرف وبلاغة وأدب، والعلوم الدينية من فقه وتفسير وحديث وسيرة فضلا عن العلوم الاجتماعية، والعلوم الرياضية والطبيعية. لقد كانت مساهمة المعهد القاسمي فعالة في حركة التعريب، ومحو الامية، كما ساهم في سد الفراغ الكبير في قطاع التعليم خاصة، وقطاعات النشاط الوطني، بصفة عامة وأينعت ثمار المعهد وأنتجت مئات من الإطارات المؤهلة، هم الآن موزعون على مختلف جهات الوطن، ويساهمون بفعالية، في البناء الوطني.].

زيادة على تعليم العلوم الشرعية والتربية الروحية سخر أيضا الشيخ محمد بن أبي القاسم حياته لإصلاح ذات البين، ونذر نفسه لنصرة المجاهدين من أبناء وطنه، حيث آوى ما يزيد على ثمانين أسرة من عائلة المقراني، إثر فشل ثورة المقراني والحداد عام 1872، ولا يزال بالزاوية حي (أولاد مقران) قائما.

تخرج على يدي الأستاذ الهاملي جمع من العلماء الأجلة منهم: الشيخ محمد بن عبد الرحمن الديسي، والشيخ عبد السلام التازي الأستاذ بجامعة القرويين بفاس، والشيخ محمد العاصمي المفتي الحنفي بالجزائر، والعلامة الشهير الحافظ الشيخ محمد المكي بن مصطفى بن عزوز، والشيخ السلاّمي مؤسس الزاوية السلاّمية بقرب مدينة عين وسارة، والشيخ الحفناوي مؤلف "تعريف الخلف برجال السلف"، وخليفته ابن أخيه الشيخ محمد بن الحاج محمد صاحب " الزهر الباسم"، كما أجاز العديد من أعلام العلماء مثل الشيخ حمدان الونيسي والشيخ عبد الحليم بن اسماية وغيرهما.

والإشعاع الروحي للزاوية لا يزال مستمرا، حيث أن عشرات الآلاف من الزوار يؤمونها سنويا إلى اليوم.

للشيخ محمد بن أبي القاسم رسائل كثيرة منها رسالة في الهجرة، ورسالة في تحريم الدخان، ورسالة في جواز الإفطار للتويزة في رمضان بالشروط المعتبرة، (وكلمة

التويزة تعني القيام بعمل جماعي تطوعا لخدمة مصلحة نافعة معينة) وهي مطبوعة ضمن كتاب (تعطير الأكوان) للشيخ محمد الصغير بن الشيخ المختار الجلالي، ورسالة في مقامات الأنفاس السبعة، ومنظومة الأسماء الحسنى المشهورة عند أتباع طريقته الذين يرددونها في أورادهم، وشرحها للشيخ محمد بن عبد الرحمن مطبوع مع كتاب "الزهر الباسم" للشيخ الحاج محمد القاسمي الهاملي، ونصها في الباب الأخير من هذا الكتاب.

علاقة الشيخ محمد بن أبي القاسم وزاويته بالأمير عبد القادر الجزائري (1222 – 1300):

من 29 يونيو إلى 1 يوليو 1998 تم بالجزائر العاصمة ملتقى بعنوان: (الحياة الروحية للأمير عبد القادر) ألقى فيه الشيخ الحالي للزاوية القاسمية الرحمانية بالهامل الشيخ محمد المأمون القاسمي محاضرة حول الطريقة الرحمانية تعرض فيها لعلاقة الأمير بزاوية الهامل فقال ما يلي:

ترجع صلة الأمير بمنطقة بوسعادة إلى عام 1837. وقد أثارت زيارته لها مشاعر الحماسة في نفس الفتى محمد بن أبي القاسم الذي كان فيمن وفد على الأمير من الرجال، يبايعونه على الطاعة والجهاد، من أجل العقيدة وتحرير البلاد. وشاء الله أن يلتحق ابن أبي القاسم بزاوية ابن أبي داود، ويتلقى دروس العربية عن الشيخ الصالح بن الحبيب، الذي كان على صلة وثيقة بالسيد محمد بن سالم خليفة الأمير.

وكان الشيخ ابن الحبيب لا يفتر عن ذكر الأمير وبطولاته، مما زاد الطالب ابن أبي القاسم حبا له وتعلقا بفكرة الجهاد في صفوفه، وظل يتوق إلى اليوم الذي يلقاه فيه، ويُقبَل جنديا في جيشه. وتحقق له أمل اللقاء بعد فترة من تخرجه، حيث أمَّ معسكر الأمير، في جبل البيضاء، بتراب التيطري قرب البيرين، وأفصح عن نية الجهاد في سبيل الله، لكن الأمير دعاه إلى مهمّة نبيلة، وحمّله مسؤولية عظيمة. لقد علم أن الشيخ كان يضطلع بواجب التربية والتعليم نحو أبناء قريته، فشجعه على مواصلة مهنته العلمية والتربوية، وحثه على توسيع دائرتها. فامتثل الشيخ للأمر الصادر إليه، واستأنف رسالته العلمية. فكانت النواة الأولى لزاويته الحالية: ثمانين طالبا من جهات مختلفة، تولى الشيخ تعليمهم والعناية بشؤونهم، وتكلف بإيوائهم وإطعامهم. ثم أسس زاويته القائمة اليوم، فأمها طلبة العلم من كل حدب وصوب، وأصبح يرتادها أتباع الطريقة الرحمانية، الذين بلغ عددهم في وقت من الأوقات تسعة وأربعين ألفا أو يزيدون.

وفي الوقت الذي اضطلعت فيه الزاوية بمهنة تعبئة الصفوف لدعم جهاد الأمير

والدعوة إلى تأييده ومؤازرته، كانت انتصارات الأمير وبطولاته حديث رجال الزاوية وطلبتها. وفي خضم ذلك وصلت إلى الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم رسالة من الأمير، كتبها بخط يده، هذا نصها: [الحمد لله وحده، من عبد القادر بن محيي الدين، إلى الأخ الأكبر المحب من أجله، السيد محمد بن أبي القاسم. السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته. وبعد، فإننا أُخبِرنا بمحبتك لله فينا، فأحبك الله الذي أحببتنا لأجله، ونحن كذلك نحبكم، فإن الأرواح جنود مجندة. الحديث. ولا تنسونا من دعائكم. والسلام عليكم مكررا ومعادا. من عبد القادر].

إنها رسالة تطفح بمعاني المودة والأخوَّة، وهي على بساطتها، مفعمة بالأخلاق السامية التي عرف بها الأمير. والراجح أنها الرسالة الأولى التي كتبها للشيخ في فترة المقاومة. وما يميزها عن رسائله الأخرى أنها مكتوبة بخط يده الشريفة. ويمكننا حصر أسباب مبادرة الأمير إلى مراسلة الشيخ في احتمالين:

-أن يكون بعض من وفد على الشيخ قد سمع ثناءه على الأمير، ودعوته إلى نصرته في جهاده، وتحفيز الهمم لمؤازرته وإمداده، فنقل الحادثة للأمير كما شهدها.

- أن يكون الشيخ قد شحذ الهمم، وجمع المؤن، وأرسل ما تجمع لديه إلى صندوق الجهاد. فإن يكن الاحتمال الأول، فهذا شأن العلماء العاملين الذين صح منهم العزم، وأشربت قلوبهم حب الوطن وحب من يتصدى للدفاع عن الوطن. وإن يكن الاحتمال الثاني، فليس غريبا عن الشيخ ابن أبي القاسم، الذي موَّن الثورات الجهادية وآزر رجالها. فعل ذلك مع ثورة وادي مجدل، والزعاطشة، والشيخ ابن الحداد والمقراني. ليس غريبا أن يقوم بالعمل نفسه مع الأمير، وهو الأولى والسابق للجميع.

لقد توثقت العلاقة بين الرجلين. ومما يؤكد متانة هذه العلاقة: أن الشيخ محمد بن أبي القاسم، الذي كان يرأس الطريقة الرحمانية، كان يعطي كذلك أوراد الطريقة القادرية، التي أجازه الأمير في سندها.

وقد جاء في رسالة للشيخ الحاج محمد بن القاسمي، خليفة الشيخ من بعده، أجاب فيها طالب علم سأله: كيف جمع الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم بين الطريقتين: الرحمانية والقادرية؟ فجاء في جوابه قوله: ((... والذي يكون في علمك أن الطريقة الخلوتية تسمى الجامعة، وتسمى الأم، وذلك لأن سائر الطرق ممتدة منها ومتفرعة عنها. والكامل المرشد فيها، يرشد في جميع الطرق إن أراد)).

والمعروف في هذا الشأن عن الشيخ محمد بن أبي القاسم ومن كان في مصافه من شيوخ التربية، أنهم لا يعطون أوراد طريقة أخرى، إلا عن طريق السند الموصل إلى صاحبها. فعلى يد الأمير إذن، أجيز الشيخ في الطريقة القادرية، وتوجد إجازته المكتوبة

من الأمير في مكتبة زاوية الهامل، وحفظها عند الشيخ لم يكن من قبيل المصادفة.

كذلك، فإن مما يدل على هذه العلاقة الوثيقة، أن الأمير عبد القادر بعث أسلحة إلى الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم، وقد يكون الشيخ موّن منها مجاهدي الزعاطشة، وموّن ببعضها ثورة الشيخ ابن الحداد والمقراني. ولا يستبعد أن يكون خليفة الشيخ سيدي محمد، قد بعث ببعض منها إلى الأمير علي بن الأمير عبد القادر بالشام، تلبية لطلبه الوارد في رسالته التي نتعرض لها فيما بعد. كما أن السلطات الاستعمارية صادرت قطعا من هذه الأسلحة. وبعد استعادة الاستقلال، أخذت من الزاوية مجموعة من قطع السلاح لتوضع في متحف الجيش. ولم يبق في الزاوية إلا قطعتان وواحد من الصناديق التي كانت وعاء للسلاح.

إن هذه الأسلحة لم يكن ممكنا أن تقطع المسافات التي تفصل زاوية الشيخ محمد بن أبي القاسم عن زمالة الأمير عبد القادر، لولا متانة الصلة الروحية، والجهادية بين الرجلين. وهذه الصلة لم تنقطع بمغادرة الأمير أرض الجزائر، بل كانت رسائله تصل إلى الشيخ من أرض المنفى بالشام.

وقد جاءت الرسالة الأولى تحمل الصبغة الروحية. فيها الدعاء وفيها طلب الدعاء وفيها التذكير بحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم، وفيها الفهم للحديث، وفيها النصيحة الخالصة بين الإخوة المؤمنين. إنها رسالة أحد العارفين... يستمطر الرحمات من الله، ويسأله العون على نفسه ونفس من يكاتبه، وفيما يلي نصها:

[الحمد لله وحده. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. إلى الأخ في الله، المحب فيه، العالم الفاضل الماجد الكامل السيد محمد بن أبي القاسم حفظكم الله ورعاكم، وبلطفه صانكم وسلام عليكم وعلى من يلوذ بكم، ورحمة الله. وبعد السؤال عنكم وعن أحوالكم، أجراها المولى على وفق مرادكم، فإننا والحمد لله بخير، ونرجو الله أن تكونوا أنتم كذلك. هذا وإنه بلغنا كتابكم ففرحنا به، وحمدنا لكم إذ كنتم بخير. والذي أوصي به نفسي وإياك تقوى الله، والصبر على مكاره النفوس، قال صلى الله عليه وسلم: (إن الله لا يمل حتى تملوا)، والناجي منا يأخذ بيد أخيه. ولا تنسونا من صالح دعواتكم في خلواتكم وجلواتكم، كما نحن كذلك. (ادعوني بألسنة لم تعصوني بها). قال بعض العلماء: هي دعاء المؤمن لأخيه عن ظهر غيب. والسلام. حرر في أواخر صفر الخير 1298 هـ. المحب: عبد القادر بن محيي الدين الحسني].

أول ما يلفت النظر في هذه الرسالة التطور الجلي في أسلوب خطاب الأمير للشيخ مقارنة بالرسالة الأولى، ونلمس بوضوح في صدر الكتاب وديباجته، وأيضا في ختامه، ما يشير إلى ارتقاء المراسل في الواصلين، وإن كانت الرسالة الأولى تمتاز عن

هذه بأن خطها الأمير بيده، وهو في حالة حرب. ولهذه الرسالة نفحة خاصة. إنها تنم عن ذوق صوفي رفيع. فيه سلام متميز، وفيه نصائح دقيقة رقيقة واختيار الشاهد في معرض الحديث من المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، على قصر الرسالة.. إنه الإيجاز البلاغي في أبهى صوره. كما نلاحظ الوشيجة الرفيعة التي تربط بين الأحاديث، ولا يتفطن لها إلا ذوّاقة كما يقولون. نبرة المستسلم لأمر الله، المطمئن لقضاء الله، الذي صبر النفس على مكاره الغربة، بعد ما حملها على الصعاب زمانا، صبرها على حرب الأعداء وحملها على مر القضاء. تأهب دائم للرحيل جعله يسأل أخاه دعوة بظهر الغيب، فهي من خير الزاد. ويرجو أن يأخذ الناجي منهما بيد أخيه.

وكما لم تنقطع العلاقة بنفي الأمير، فإنها لم تنته بوفاته. فقد ظل أبناء الأمير على عهده مع الرجل الذي كان يقول في معرض حديثه عن الأمير: (... أنا لن أخلع بيعته من عنقي ما حييت..). فكانوا يجلون الشيخ ويوقرونه، ويعتبرونه أبا بارا... يستشيرونه في أمورهم، ويجدون عنده الرفد والمدد. والمعروف عن الشيخ ومن خلفه على رأس الزاوية أنهم لم يكونوا يتوانون في تقديم ما تطلبه أسرة الأمير الهاشمي، رحمه الله، الذي بقي في الجزائر بعد نفي والده، وعانى الإقامة الجبرية بالجزائر العاصمة، اختار أن يعيش آخر حياته في مدينة بوسعادة، القريبة من زاوية الهامل، فكان المعزز المكرم في مقامه حتى وفاته.

إن هذه العلاقة هي التي جعلت الأمير الهاشمي يختار مدينة بوسعادة للإقامة فيها، حين أبعد من الجزائر العاصمة. ولا يستبعد أن يكون ذلك قد صادف الإقامة الجبرية التي فرضتها السلطات الاستعمارية على الشيخ، في مدينة بوسعادة، قبل أن ترخص له بعودته إلى زاويته. وفيما يلي نورد نص رسالة بعثها الأمير الهاشمي من مقر إقامته بالجزائر العاصمة، يطمئن فيها الشيخ عن حال الشيخ وحال أبنائه، ويسأله الدعاء له ولهم:

[الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. حضرة ذوي الأنوار الربانية، والأسرار المستمدة من الحضرة العلية، درة العصر ونخبة الدهر، حجة الله في أرضه، من ورد الداني والقاصي من حوضه، ومن جعله الله شمسا لقطرنا، عمدتناوقدوتنا سيدي ومولاي محمد ابن المنعم سيدي أبي القاسم حياكم الله وبياكم، وأنالنا رضاكم المقرون برضاه من بعد تمريغ الجبين على ثرى الأقدام، واستجلاب نفحاتكم القلبية على مر الليالي والايام، إن الداعي لتحريره رجائي صالح دعائكم في خلواتكم وجلواتكم لي ولعبديكم قطعتي كبدي: ولديَّ خالد ومصطفى، واستقطابي مراحكم في ملاحظتي بعين عنايتكم، وعدم إخراجي من زوايا شريف قلبكم، وتعدوني

من جملة أولادكم البارين الخاضعين الطائعين، الحائزين على تعطفاتكم. كيف لا ونحن قرعنا باب كريم وسيد معد لكل خطب جسيم، كما أني أطلب من شريف حضرتكم أن تمدوني بمدد من فيوضات أمدادكم، وتسقوني جرعة من بارد زلالكم، والاعتماد على الله وعليكم في الحال والمآل. كما أطلبه جل جلاله، وعم نواله أن يمن عليَّ بلثم أقدامكم، والجلوس مع حضرتكم، كما أرغب من كريم شيمكم أن تشرفوني بتحرير من طرفكم أبقيه ذخيرة لي ولعقبي. والله يعلي همتكم، ويعينكم على خطتكم، ويعيننا بكم ويشملنا برضاكم، بجاه سيد الكونين والثقلين. من عبيدكم الهاشمي بن عبد القادر بن محي الدين. حرر في 29 ذي الحجة الحرام عام 1310هـ ويكون العنوان بالفرنسية هكذا: الأمير الهاشمي بن عبد القادر مصطفى سوبريور الجزائر].

إنها رسالة ابن بر محب فحواها يغني عن كل تعليق، بما حوته من أدب وإجلال، وتوقير وإقرار، وحب وولاء من أمير أدرك قيمة الشيخ فشهد بذلك وأشهد. ولقد قدر الله سبحانه أن يصبح واحد من أبناء الأمير الهاشمي الذي سأل الشيخ أن يدعو له، أن يصبح مع مرور الأيام حامل لواء الحركة الوطنية، ومن المدافعين الأوائل عن مبادئها ومطالبها، إنه الأمير خالد، رحمه الله ووالديه وألحقهم بالصالحين.

وأخيرا هذه رسالة بعث بها الأمير علي ابن الأمير عبد القادر من الشام، إلى الشيخ سيدي محمد خليفة المؤسس، يشكره فيها على الهدايا والتحف التي وصلته منه، ويسأله فيها أن يبعث إليه قطعا من سلاح والده الأمير، يتخذها ذكرى لديه، ويبين له طريقة إرسالها. وقد ارتأينا أن نوردها كسابقاتها، وهذا نصها:

حضرة الفاضل المرشد الكامل، السيد الشيخ محمد بن الحاج محمد حفظه الله. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته تعمكم جميعا، ووفقنا وإياكم لصالح الأعمال وبعد، فإننا بحمد الله بخير وعافية وقد وصلتنا الزربية والوسادة والسماط والتأليف، صحبة ابن عمنا السيد ابن حسن، فشكرنا همتكم. إذا وجدتم سلاحا قديما من سيدي الوالد، مثل مكحلة أو سيف أو خدمي أو بشطولة، أن ترسلوها على يد ابن عمنا المذكور. وهو يرسلها إلى ابن أخينا الأمير خالد، وهو يرسلها لنا إلى الشام. سلموا لنا على كافة الأحباب والإخوان، ولا تنسونا من الدعوات الخيرية، ولا تقطعوا عنا مكاتبتكم وإخباراتكم، كما نحن. والسلام عليكم 29 محرم 1331هـ من أخيكم علي بن الأمير عبد القادر الحسني].

وبعد وفاة الشيخ المؤسس محمد بن أبي القاسم ترأست الزاوية ابنته المغفور لها السيدة زينب مدة ثماني سنوات حيث توفيت سنة 1904، وقد كانت هذه السيدة الفاضلة في مستوى المهمة التي أدتها على أكمل الوجوه بشهادة الكثير من العلماء

وحتى الأجانب الذين كتبوا عنها وفي الجزء الرابع من كتابه "تاريخ الجزائر الثقافي" تكلم سعد الله عن السيدة زينب فقال:

[أعلنت مصادر ذلك الوقت أن الشيخ محمد بن بلقاسم ترك خلافته الروحية لابن أخيه الحاج محمد بن بلقاسم، صاحب كتاب "الروض الباسم " في سيرة ومناقب الشيخ، ولكن لأسباب عائلية لم يتول الحاج محمد شؤون الزاوية مباشرة بعد وفاة عمه، بل تولتها السيدة زينب ابنة الشيخ، وحسب (أشيل روبير) فإنها أدارت شؤون الزاوية بنجاح، ورفضت الزواج، وظلت على رأس الزاوية إلى وفاتها سنة 1904

من المحتمل أن تكون زينب من مواليد الخمسينيات من القرن الماضي، وقد نشأت في حجر والدها، وهي ابنته الوحيدة وعلمها القرآن والعلوم والمحاسبة، وعاشت في مكتبة الزاوية مهتمة بالمخطوطات وكانت هي التي تحفظ سجلات أملاك الزاوية، وعاشت عزبة طول حياتها، وتفرغت للزاوية والحياة الروحية والعبادة، وكانت بناء على وصف من رآها، نحيفة الجسم وعلى وجهها آثار الجدري وآثار الوشم، وفي آخر حياتها كانت ذابلة، وقد ازدادت نحولا وضعفا، وكانت تحضر مع والدها ولائم الزاوية ومآدب الزوار من مسلمين وأوروبيين، وكانت أثناء توليها شؤون الزاوية تستقبل الزوار من شيوخ الرحمانية والمسؤولين الفرنسيين، وكانت تظهر أمام الأتباع، ومن الذين شاهدوها وتحدثوا إليها من الأوروبيين وسجلوا انطباعهم عنها: الفنان قيوميه، والمغامرة الأديبة إيزابيل إيبرهارد، والغريب أن هذه المغامرة قد زارتها عدة مرات وكان الجواسيس الفرنسيون يسجلون حديثهما، وقد توفيتا في وقت واحد: إيزابيل في أكتوبر، وزينب في نوفمبر عام 1904].

أشرف على الزاوية بعدها العلامة الشيخ محمد ابن أخ الشيخ محمد بن أبي القاسم (1277-1331 هـ/ 1824 -1913 م) فسار على الطريق التي سار عليها أسلافه، ونهض بالزاوية نهضة علمية استرعت اهتمام العلماء في المشرق والمغرب فكاتبوه وزاروه، واستجازوه وأجازوه، وكون بذلك علاقات علمية وأدبية في شتى الأقطار الإسلامية ساعدته على اقتناء مجموعة من نفائس المخطوطات. وقد ألف كتاب " الزهر الباسم في ترجمة الشيخ محمد بن أبي القاسم" انتهى من كتابته عام 1307 هـ وهو يشتمل على ذكر سيرة الشيخ المؤسس ومناقبه ومشاهده الروحية ومكاتباته ومراسلاته مع شيخه المختار الجلالي، والقصائد الكثيرة التي مدح بها. وفي ذيله الكتاب الموسوم ب "فوز الغانم في شرح قصيدة الإمام محمد بن أبي القاسم في الأسماء الحسنى" للشيخ محمد بن عبد الرحمن الديسي]. ومن تآليفه أيضا: "المطلب الأسنى " وكتاب " تحفة الأفاضل"، وغير ذلك من الرسائل.

ولما توفي، رحمه الله (سنة 1913) عمرها أخوه الشيخ المختار بن الحاج محمد (ت: 1333هـ/1915) الذي اشتهر بالورع والصلاح، وساعد الشيخ ابن أبي شنب في نشر كتاب البستان. وإثر وفاته تولى مشيخة الزاوية أخوه الشيخ أبو القاسم (ت: 1345هـ/ 1927) الذي اشتهر بالعلم والحزم فازدادت الزاوية في عهده ازدهارا، وساهم في بناء مسجد باريس. وإثر وفاته خلفه أخوه السيد أحمد (ت: 1346/ 1928)، وبعده قام بأمرها ابن أخيه العلامة الكبير الإمام الشيخ مصطفى بن الحاج محمد (1315-1390/1897-1970) فعمرها وعمل على تجديد بنائها وإصلاح برامج تعليمها، فأزداد عدد أتباعها حتى بلغ أكثر من 43000 ألف تابع وتفرع منها 29 زاوية أخرى.

كان الشيخ مصطفى أحد الأعضاء المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين سنة 1931، ثم عضوا مؤسسا لجمعية علماء السنة سنة 1932، زار مصر والحجاز واتصل بعلمائها بدءاً من سنة 1935. ساهم أيضا في تأسيس جامعة زوايا الشمال الافريقي سنة 1948 وعين رئيسا لها. زار المغرب الأقصى واتصل بالملك محمد الخامس، كما التقى مع الملك السنوسي في مؤتمر الزوايا الذي أشرف عليه الشيخ عبد الحي الكتاني. زار ثانية مصر والحجاز والأردن حيث استضافه الملك الحسين، كما زار القدس ودمشق، ووطد علاقات جيدة بعلمائها اقتنى بسببها مجموعة جيدة من المخطوطات، وترك خطبا دينية وفكرية لم تنشر بعد. وكذلك ابن عمه الشيخ عبد القادر بن أبي القاسم بن محمد القاسمي (1318-1373/1900-1954) الذي ولد بالهامل وتعلم بزاويتها، دخل حقل السياسة فكان أحد الأعضاء لجمعية العلماء المسلمين ثم عضوا مؤسسا لجمعية علماء السنة، وأصدر جريدة الرشاد سنة 1938، وانتخب عضوا في البرلمان سنة 1950.

أما ابن عمهما الشيخ محمد بن عزوز بن المختار بن محمد القاسمي (1321-1414 هـ / 1906-1984م) وقد ولد أيضا في الهامل وتفقه على يد الشيخ محمد بن عبد الرحمن الديسي وغيره من علماء الزاوية، التحق بجامع الزيتونة سنة 1926 فأخذ عن شيوخه الذين كان من بينهم الشيخ أحمد الأمين بن عزوز، ثم عاد إلى زاوية الهامل معلما، وقد شارك في مؤتمر الطرق الصوفية في المغرب سنة 1948، وأسس رفقة أخيه الشيخ المكي مسجدا في مدينة حاسي بحبح سنة 1954 وتولى التدريس فيه. ثم استقر في مدينة عين وسارة سنة 1962 معلما وشيخا يقصده الناس للاستفتاء. راسله علماء الوطن والمغرب وتونس ومصر والحجاز ولبنان. ترك عدة تآليف منها: الفتاوي، والعقد الثمين في أسانيد الشيخ أحمد الأمين – وهو شيخه من آل عزوز البرجي –،

وشرح الصدر بإعراب آي القطر، وعدة رسائل. ترك مكتبة ضخمة تشد إليها الرحال، فيها أكثر من 500 مخطوط.

بعد وفاة شيخ الزاوية القاسمية الشيخ مصطفى سنة 1390 هـ (1970) ترأسها أخوه الحسن (ت: 1987)، ثم ابن أخيه العلامة الإمام الشيخ خليل بن مصطفى (1349 – 1424 هـ / 1930 – 1994م) الذي ولد في الهامل وتعلم في زاويتها على أيدي شيوخها منهم والده الشيخ مصطفى، والشيخ محمد بن عزوز القاسمي، والشيخ عبد الحفيظ القاسمي، كما أخذ عن الشيخ الحافظ العلامة عبد الحي الكتاني المغربي، والشيخ الطاهر العبيدي السوفي، والشيخ الحسن العثماني. وقد صحب والده في رحلاته العلمية إلى المشرق والمغرب مما أثرى ثقافته وزاد في معارفه، أجيز للتدريس بالزاوية عام 1948، أسس رفقة مجموعة من الشباب القاسمي جريدة محلية اسمها "الروح " فكرية ثقافية أدبية ما بين 1948 و1949، اعتقل سنة 1956 وأفرج عنه سنة 1958 وبقي تحت الإقامة الجبرية إلى غاية الاستقلال. أسس معهدا حرا للعلوم الإسلامية بالهامل سنة 1962 واستمر في إدارته إلى أن أغلق وأمم سنة 1975. اختير لعضوية المجلس الإسلامي الأعلى سنة 1981. وأوفد إلى فرنسا في مهمة دينية عام 1986 فكان تأثيره فيها على الجالية الإسلامية واسعا عميقا. وفي سنة 1987 تولى مشيخة زاوية الهامل، وانتخب رئيسا للرابطة الوطنية للزوايا العلمية سنة 1989، وانتقل إلى جوار ربه في السابع من رمضان سنة 1414 هـ الموافق ل 17 فيفري 1994. ترك مجموعة من الرسائل والمقالات الدينية والأدبية والفكرية نشر بعضها في جريدة العصر، كما ترك مكتبة ضخمة فيها بعض المخطوطات. وقد عرفت الزاوية في عهد الشيخ خليل القاسمي نشاطا كبيرا، فقد تخرج على يديه العديد من المثقفين. وتخرج منها رجال لهم قصب السبق في العلوم الإسلامية والمواقف الوطنية، وبعضهم تقلد مناصب سامية في الدولة الجزائرية.

وإثر وفاته تولى شؤون الزاوية أخوه شيخها الحالي السيد محمد مأمون القاسمي (المولود سنة 1944) وهو – زيادة على إشرافه على تعليم القرآن في الزاوية – يلقي دروسا في التربية والوعظ والإرشاد، ويؤم صلاة الجمعة بمسجدها، ويلقن الأوراد لطالبيها، وله نشاط ثقافي مكثف إذ يشارك في العديد من الملتقيات العلمية الوطنية والدولية، وهو مع ذلك عضو في المجلس الإسلامي الجزائري الأعلى، ومستشار في هيئات شرعية، وكان مسؤولا ساميا في وزارة الشؤون الدينية، وهو الآن يسعى حثيثا في تجديد وتوسيع مسجد الزاوية وكل مرافقها، وإنشاء معهد إسلامي كبير للدراسات العليا وتكوين أساتذة في الشريعة والدعوة إلى الله تعالى.

وقد كانت زاوية الهامل مقصد الكثير من العلماء أمثال الشيخ البشير الإبراهيمي، ومحمد العابد الجيلالي، ونعيم النعيمي، ومبارك ومن الزعماء مصالي الحاج زعيم حزب الشعب الجزائري المشهور.

تحدث عن الزاوية الهاملية عدد غير قليل من المؤرخين الجزائريين والأجانب فمما قاله عنها الأستاذ أحمد توفيق المدني، رحمه الله: (وعلى بعد 15 كلم من بوسعادة نجد المعهد الإسلامي الأكبر معهد المقدس المبرور سيدي محمد بن بلقاسم الهاملي رضي الله عنه، ولقد أقيمت هناك في وسط القفار زاوية بديعة الصنع حولها الدور ومساكن الطلبة ويجاور بها زمن الشتاء والربيع نحو المائتي طالب يتلقون هناك علوم العربية وفقه مالك ويحفظون القرآن الشريف. والزاوية تقوم لهم بكل شؤون الحياة إلى أن يتموا تعلمهم. وقد تخرج من هذا المعهد رجال لهم قصب السبق في مضمار العلوم الإسلامية، وقد بلغ عدد الطلبة في بداية الثلاثينيات 400 طالب ثم اتسعت مع مرور الزمن دائرة التعليم بها إلى أن بلغ عدد طلبتها 1400 طالب. وقد تخرج الكثير منهم ليحتلوا بعد ذلكم مناصب سامية في أجهزة الدولة المختلفة وليساهموا في بناء وترقية وطنهم).

وقد كتبت جريدة الخبر ليوم 27 رمضان 1424 هـ (22 – 11 - 2003) ص: 21، مقالا تحت عنوان: [زاوية الهامل مركز إشعاع علمي نافس الزيتونة والقرويين] مما جاء فيه:

[كان لزاوية الهامل دور جليل في حركة التنوير الديني والثقافي منذ تأسيسها، كما كان لها دور هام في الحفاظ على ثوابت الأمة الجزائرية التي عمل المستعمر على طمس معالمها العربية الإسلامية بكل ما أوتي من قوة. ولذلك فقد وصفها المؤرخ أحمد توفيق المدني بأنها معقل للعروبة والإسلام. يرأس مشيخة زاوية الهامل في الوقت الحالي الشيخ محمد المأمون القاسمي الحسني، عضو المجلس الإسلامي الأعلى، والشخصية المعروفة بكفاءتها العلمية والمعرفية، وتفتحها على المحيط القريب والبعيد وبمواكبتها للمتغيرات التي أفرزتها العولمة وأطروحاتها الجديدة. ولقد كان لهذه الزاوية فضل تخريج دفعات من العلماء والمثقفين مثل الشيخ محمد بن عبد الرحمن الديسي العالم المعروف صاحب المؤلفات الكثيرة، والشيخ عبد السلام التازي الذي تولى التدريس بجامعة القرويين بالمغرب، والشيخ محمد العاصمي الذي كان مفتي الحنفية بالجزائر العاصمة. أما العلماء الذين أجيزوا بزاوية الهامل فيمكن أن نذكر: الشيخ المكي بن عزوز المدفون بالأستانة بتركيا، والشاعر عاشور الخنقي الذي شهد له ابن باديس بالنبوغ وفضله على محمد العيد آل خليفة في إمارة شعراء الجزائر،

بالإضافة إلى الشيخ عبد الحميد بن سماية، والشيخ حمدان الونيسي استاذ الشيخ ابن باديس، والدكتور محمد العربي الجزائري، والشيخ محمد السنوسي، ومحمد الحجري الذي تولى وزارة المعارف بالمغرب، والشيخ عبد الحي الكتاني، والشيخ عمر بري أديب الحجاز وشاعر المدينة المنورة، والمفكر مالك بن نبي، والوزير المؤرخ أحمد توفيق المدني، والأستاذ محمد علي دبوز، والمستشرق جاك بيرك، والشيخ محمد سعيد رمضان البوطي. ومن الزعماء السياسيين زارها فرحات عباس، ومصالي الحاج، والرئيس الأسبق أحمد بن بلة، وكثير من الأعيان والساسة، كان آخرهم رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بو تفليقة الذي خصها بوقفة خاصة عند زيارته المسيلة.

منذ تأسيسها في المنتصف الأول للقرن الثامن عشر، تحولت زاوية الهامل إلى مركز إشعاع ثقافي وديني وصل تأثيره إلى أبعد الحدود، حتى أصبحت تنافس القرويين والزيتونة. وذلك ماحدا بالمستشرق جاك بيرك إلى القول في إحدى رسائله لشيخ الزاوية عام 1965م: فيما يتعلق بي، فإن تاريخ زاوية الهامل يهم تاريخ المغرب بأسره من حيث المجهود الذي بذلته بكل عزم، حتى في زمن الاستعمار، وذلك باستنهاض القيم الروحية والاجتماعية التي تقوم مقام ملجأ للناس. وقد شهد لهذه الزاوية الكثير من العلماء الأجلاء بدورها الرائد الذي لعبته في نشر العلم النقلي والعقلي وعلوم الدين واللغة التي كانت تدرس لطلبتها الوافدين إليها من جميع الأنحاء.. يقول الأستاذ محمد علي دبوز في كتابه " نهضة الجزائر وثورتها المباركة": وإن في الجزائر زوايا ثبتت على صلاحها القديم، وأخرى نشأت في عهد الاستعمار لأعمال البر والجهاد الوطني في الميدان الثقافي والديني، فقدمت للجزائر خيرا كثيرا وأنشأت لها علماء صالحين كانوا أعمدة النهضة الحديثة، ومن أبطال جمعية العلماء، ومن هذه الزاوية المباركة زاوية الهامل في شمال الصحراء. (...) وفضلا عن كونها مركزا علميا ودينيا فهي كذلك مركز التقاء للأعراش ومكان ايواء للمحتاجين وعابري السبيل.

أما مسجد الشيخ محمد بن أبي القاسم بزاوية الهامل الذي يعرف توسعة من جانبه الغربي، فإنه يعد تحفة معمارية إسلامية الطراز، أسهم في انجازها صناع من المغرب وتونس والشرق بمواد محلية. وينفرد بقبابه وسواريه وخزفه الرائع، وزخارفه البديعة، لا سيما تلك الموجودة في المحراب الذي نمقه فنان المنمنمات الرائد محمد راسم الجزائري، بالإضافة إلى أقسام أخرى تتألف منها الزاوية كبيوت الطلبة، وحوش الكرمة حيث توجد " النوالة" و" العلي" و" الضريح " و" متحف الزاوية " كما تتوفر على مكتبة عامرة بأمهات الكتب ونفائس المخطوطات، يفد عليها الباحثون والطلبة. ويظل الطموح للقائمين على زاوية الهامل هو إنجاز مشروع المعهد الإسلامي للعلوم

الشرعية. يوجد من ضمن مقتنيات الزاوية بندقيتان من ضمن صندوق أسلحة كان الأمير قد أهداه إلى الشيخ محمد بن أبي القاسم. وقد أهديت إحدى البندقيتين إلى السيد رئيس الجمهورية عند زيارته الأخيرة إلى الزاوية) انتهى.

مكتبة الزاوية:

وككل الزوايا المنتشرة في أرجاء الوطن تملك الهاملية مكتبة ضمت حوالي 5000 مجلد مخطوط في كل العلوم والفنون غير أن جزءا كبيرا منها تعرض مع الأسف الشديد للنهب والإتلاف وذلك خلال المداهمات التي كان يقوم بها جنود الاستعمار للزاوية بحثا عن المجاهدين أو عن الوثائق التي تتصل بالثورة، فلم يبق منها سوى 200 مجلد مخطوط بالإضافة إلى بعض المراسلات والوثائق المتعلقة بثورتي الأمير عبد القادر والمقراني وبعض المراسلات التي كانت بين شيوخ الزاوية وعلماء الزيتونة والقرويين والأزهر الشريف.

والملاحظ أن زاوية الهامل هي اليوم أكثر الزوايا الرحمانية أتباعا، ويزورها سنويا حتى اليوم بضعة آلاف من المنتسبين للطريقة والمحبين لها، ولا تخلو يوما واحدا من أفواج من الزوار يؤمونها من الآفاق البعيدة، خصوصا من نواحي القبائل والغرب الجزائري.

بعض المبادئ العامة للزاوية: من المبادئ والأسس التي وضعها مؤسس الزاوية لاحترامها والعمل بها:

- تحفيظ القرآن الكريم للصغار والكبار ونشر علوم العربية والعلوم الإسلامية.
- الاتصال الدائم بالأمير عبد القادر في منفاه وتلقي التوجيهات منه.
- تقديم العون المالي للاجئين من العلماء وطلاب العلم في كل من مصر والشام.
- تمتين روابط الصلة مع المجاهدين داخل الوطن أمثال الشيوخ: بلحداد، المقراني، بوعزيز الماضوي، وغيرهم والتشاور معهم.
- الابتعاد عن الشبهات التي تمس مجد الوطن وكرامة الأمة.
- تبتعد الزاوية كل البعد عن الخرافات والتدجيل والبدع والشعوذة.

هذه بعض المبادئ التي طبقها جل شيوخ الرحمانية في زواياهم.

نختم هذه الجولة في الزاوية القاسمية بتراجم بعض شيوخ العلم الذين تربوا في أحضانها وكان لهم أثر علمي وتربوي مشهور في عصرهم. هذه التراجم منقولة بتصرف من كتاب " تعريف الخلف برجال السلف" للشيخ الحفناوي.

الشيخ محمد بن عبد الباقي

أبو محمد بن الشيخ بن أبي القاسم الديسي

هو الأخ الصالح الألمعي الفقيه الجامع بين حسن الخَلق والخُلق، كان فهّامة نبيلا صموتا مجانبا لأقرانه، متنزها عن الرذائل، شغوفا باكتساب الفضائل، حتى أنه حمله طلب العلم مع ابن عمه محمد الشلالي بن أحمد بن بلقاسم، قرينه المماثل له في السيرة وطيب السريرة وحفظ الكتاب العزيز، على الرحيل إلى زاوية نفطة للتعلم على علمائها عند صهرهما سيدي مصطفى بن عزوز زوج أختيهما، وبعد سنوات جاء إلى والديهما خبر وفاتهما معا رحمهما الله تعالى. وللأخ نثر مستحسن، ونظم جيد منه أبيات جمع فيها شروط الحضانة، وجدتها بخطه أولها:

الحمد لله العزيز العالم ... سبحانه عز وجل الدائم

ثم الصلاة بعدها خير سلام ... على النبي الهاشمي بدر التمام

والآل والصحب ذوي المناقب ... ما طلعت شمس مع الكواكب

وبعد هاك ضابطا يا مبتدي ... فاعمله يا أخي وكن بي مقتدي

أول ما أتانا في المسوغ ... حضانة الذكران للبلوغ

وآخرها:

هذا الذي نظمه محمد ... المرتجي من ربه ما يحمد

نسبته الديسي في البلاد ... من نسل إبراهيم ذي الرشاد

ثم الصلاة والسلام كل حين ... على نبي الله تاج المرسلين

وآله وصحبه ذوي الوفا ... الأولياء الأكرمين الخلفا

ولد رحمه الله في حدود 1255 هـ، وتوفي في حدود سنة 1285.

الشيخ محمد المازري الديسي

العالم العامل الأصولي النحوي الفقيه البياني المنطقي المحدث المفسر المحقق المدقق المفتي الإمام الشيخ سيدي محمد المازري بن محمد بن يطو بن بالقاسم بن محمد بن بلقاسم بن محمد بن مرزوق بن محمد بن إبراهيم الغول. هكذا وجدت نسبة بخط أبيه سيدي محمد بن يطو في آخر ورقة من وصية لم أجد أولها ونصها:

يا بني أقم الصلاة، وأمر بالمعروف، وانه عن المنكر، واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور، ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا، إن الله لا يحب كل مختال فخور، واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات

لصوت الحمير. وإني أوصيكما، واعلما أني لن أغني عنكما من الله شيئا إن الحكم إلاّ لله وعليه فليتوكل المتوكلون وهو حسبنا ونعم الوكيل. كملت الوصية والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما لتاريخ سنة 1208 على يد أحوج عبيده إليه محمد بن يطو الخ.

وللشيخ ابن يطو تقارير ونقول جيدة في الفقه كتبها رضي الله عنه في هوامش كتبه لولده الشيخ المازري. كتابات على محلى "جمع الجوامع" لابن السبكي وقصائد في رثاء ومدح السادة مشايخ زاوية ابن داود لشغفه بهم وتمسكه بأذيالهم واعتقاده أن الخير مقرون برضاهم لأنه تلميذهم، والتلميذ ابن الروح فهو أقرب إليها من ابن الصلب، غير أنه لو نثر قصائده لكان نثرها أحسن من نظمها بكثير لاشتمالها على عبارات عالية وأفكار نبيلة. ولكثرة ولوعه بمختصر الشيخ خليل انحصرت همته النظمية في ترتيب الأبيات على ترتيب أبوابه مشيرا إليها بألفاظها، جازاه الله خيرا على نيته.

وقد رأيت في آخر قصيدة منها ما نصه: وكاتبها عبد الحق بن محمد بن عبد الحق من إملاء قائلها سنة 1281 وعمره أي القائل 85 سنة وزاد من إملائه أيضا: فهذه هدية سقتها أمامي وسأقدم إليكم بعدها لزيارتكم إن يسر الله والتمتع بمقامكم والتفكر في رسوم من مضى من مشائخي رحم الله الجميع والسلام من السيد المازري اهـ.

أقول: وتوفي عام 1286 وعمره نحو 90 سنة عن أخوالي الثلاثة وخالتي الذهبية وأمي خديخة. فالأخوال محمد بن عبد القادر وعبد القادر الجيلاني وأحمد، والثلاثة من حاملي كتاب الله العزيز. أما الأول فمات عن غير عقب، وأما الاثنان بعده فتوفيا عن بنين وبنات، مات بعضهم وبقي بعضهم، رحم الله أمواتهم وأصلح أحياءهم بمنه وكرمه آمين.

الشيخ سيدي محمد الصديق الديسي

محمد الصديق بن أحمد بن سليمان بن أبي العدل.... ابن رحمون بن بلقاسم بن محمد بن إبراهيم الغول، الديسي منشأ ودارا ووفاة. أخذ رحمه الله الفقه على القطب سيدي أحمد بن أبي داود شيخ زاوية تاسلينت في يلولة زواوة بدائرة أقبو، ولازم الشيخ المازري بن يطو بن أبي القاسم جدي للأم، وأخذ عنه النحو بألفية ابن مالك، والأصول بمحلى "جمع الجوامع" لابن السبكي، والحديث بالقسطلاني على البخاري، والفقه بالشبرخيتي على مختصر خليل، والتفسير بالبيضاوي. وكان الشيخ

المازري إمام جامع قرية الديس، ولما عجز لكبر سنه تولى الشيخ محمد الصديق إمامته إلى أن توفي رحمه الله عام 1306 عن ثلاث وستين سنة قضاها في عبادة الله تعالى، وقراءة دلائل الخيرات، ومطالعة البيضاوي والقسطلاني، وأخيرا لازم «الإبريز» في مناقب سيدي عبد العزيز الدباغ رضي الله عنه للقطب سيدي أحمد بن المبارك إمام المعقول والمنقول، نفعنا الله ببركاتهم. حكى لي سيدي محمد الصديق أنه سمع أباه يقول وقد سأله أحد بعد الصلاة: ما يضحكك يا سيدي؟ فأجابه بقوله: إنه لما توفي محمد الصديق الأكبر أتاني آت وقال لي: لا تموت حتى تصلي وراء محمد الصديق، والآن قد صليت وراءه وقرب أجلي، فلم يزد إلاّ قليلا وتوفي رحمه الله. وحكي لي أنه بقي في الإمامة أربعين سنة، لأن سيدي عبد الله بن مرزوق الولي المعروف في الديس أصبح ذات يوم عند الباب متكئا على عكازه، وهو شيخ هرم وخاطب والدي بقوله: يا أحمد بن سليمان البارحة اجتمع أهل الديوان لنصب إمام في الجامع، فاتفقوا على ولدك المرسي (هو حي الآن)، وإذا بأكبرهم منزلة قال لهم: ارفعوا أيديكم وأمنوا على ولاية محمد الصديق إمامة جامع أبي القاسم بن محمد بن إبراهيم فأمنوا وقضي الأمر اهـ. وكان يقول لي: إنني متوسد للموت منذ عامين، ولعلي لا أزيد الثالث، وكان الأمر كذلك. وكنا ذات يوم بخارج الديس مع جماعة فيها المرحوم إبراهيم بن المسعود وأبوه المسعود بن الفضيل في بيت المغوفل بن ابن عمر لحضور وليمة العقيقة، وبعد تناول الطعام خرجنا وذهب بي الشيخ ناحية، ومشينا بعيدا غربي الجبانة الظهراوية، وصلينا المغرب في بقعة بإزائها طيبة، وبعد السلام والدعاء قال لي: ما أحسن هذا المحل للإقبار، فسكت. ولما توفي وكنت في الجزائر دفنوه في ذلك المحل نفسه. برد الله ضريحه وقدس روحه. مات عن زوجة هي أختي فاطمة وبناتها وولدها منه محمد بن الصديق المتوفى في صيف السنة الماضية سنة 1325 في عنفوان شبابه. وقد حرر العلوم العربية على الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمان الديسي، وكان له ذهن وقاد وقريحة في طلب العلم لم تكن لأبناء عصره في بلده. وله أخ من أبيه هو الموجود اليوم إماما في جامع الديس اسمه عبد الله بن الصديق، وهو رجل صالح ذو فقه كاف ومعرفة صالحة أطال الله بقاءه آمين.

الشيخ محمد الطيب بن أبي داود الورزازي

قال ولده سيدي محمد امزيان قيم زاوية النور والبركة الآن خلفا للشيخ سيدي محمد العربي بن القطب سيدي أحمد ابن أبي داود: أن نسب والدي رحمه الله هو محمد الطيب بن عبد الرحمان بن أبي القاسم بن السعيد بن عبد الرحمان بن محمد بن

أحمد بن محمد بن علي بن سليمان بن أبي داود، وكان مولده عام 1248، ووفاته بعد المغرب من يوم الأحد لإحدى عشرة بقيت من جمادى الأولى عام 1309، الموافق لـ8 ديسمبر سنة 1891 م وأخذ عنه خلق كثير وفتح الله على 72 منهم. وهو أخذ عن عمه أبي البركات الذي طار صيته واشتهر علمه في الآفاق الشيخ سيدي أحمد بن أبي القاسم المعروف بسيدي أحمد بن بوداود رضي الله عنه [مولده عام 1235 ووفاته يوم 6 جمادى الأولى عام 1280] وتخرج عنه كثيرون فتح الله على 353 منهم ودرس 25 سنة وتولى التدريس وهو ابن 20 سنة. ومن تلامذته القطب الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم وكفاه فخرا رضي الله عنه وهو عن أبيه سيدي أبي القاسم المتوفى يوم الجمعة 15 جمادى الأولى عام 1255 بعد أن أخذ عنه عدد كثير وفتح الله في العلم الشريف على 59 منهم أشهرهم القطب الشيخ سيدي الشيخ ابن أبي القاسم الديسي، ودرس 9 سنوات أكثرها في حياة أبيه وهو عن أبيه سيدي السعيد ابن أبي داود قطب زمانه المتوفى يوم السبت لعشر بقيت من محرم الحرام عام 1256 وأخذ عنه خلق كثيرون فتح الله على نحو 600 منهم، وبقي في التدريس 50 سنة، وكانت وفاته على ما قيل سنة 1246 وهي سنة 1830 م.

ومن أشهر تلامذته الشيخ سيدي محمد المازري الديسي جدي أبو أمي خديجة رحمها الله تعالى آمين، وهو عن أبيه سيدي عبد الرحمان ذي الكرامات الباهرة والمكرمات الزاهرة، ولم يحضرني الآن تاريخ وفاته ولا عدد من أخذ عنه، ولا من فتح على يده في العلم وغيره، وسيدي السعيد بن أبي داود هو الذي أخذ مختصر الشيخ خليل عن الشيخ ابن اعراب في نحو 8 أيام، فأجازه في تدريسه وأعطاه نسخة من متنه ونسخة من شرحه للعلامة سيدي محمد الخرشي رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم فشرع في تدريسه ببركة شيخه.

أما أبوه سيدي عبد الرحمان بن أبي داود فكان يدرس رسالة ابن أبي زيد القيرواني رضي الله عنه أخذها عن أبيه سيدي محمد، عن أبيه سيدي أحمد عن أبيه إلى مؤلفها لأن أسلافنا كلهم كانوا أهل قدم راسخ في العلم، وقد دعا صاحب الرسالة لمن يتعاطاها ببسطة العلم والجسم والمال فكانت وبقيت دارهم دار علم مشهورة بالنفع أدام الله عمارتها ببركتهم ولم يحضرني الآن سندهم، أما الشيخ سيدي محمد بن أعراب فأخذ المختصر عن سيدي محمد الخرشي، وسيدي الخرشي أخذه بسنده المعلوم. قال الشيخ سيدي محمد أمزيان: ولنرجع إلى الكلام على السيد السعيد ابن ابي داود، فإنه تركه أبوه سيدي عبد الرحمان صغيرا يتيما فقيرا، وبقي يتفقده تلامذة أبيه لعمارة المسجد، وما زالوا يحثونه على التدريس ويرفعون همته إلى أن جذبته عناية

خاتمة المربين، وواسطة عقد العارفين أبي عبد الله سيدي محمد بن عبد الرحمان الخلوتي الزواوي الأزهري فقدم إليه ولما رآه عطف عليه ورضي عنه ومنحه أسرارا ربانية وأمره بالعمارة وضمن له أمورا كثيرة، ومن يومذاك جعل يعمر القلوب بالعلوم وقصده خلق الله من كل جانب وحببه الله للعباد وشاع ذكره، وفاح عطره وظهرت بركة الأستاذ فيه فتنور ونور، وتهذب وهذب ببركة شيخه ودعائه وله قصائد في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم أكثرها بلغة الزواوية، ونظم الأجرومية وشرح النظم إلى باب الجزم وتوفي رحمه الله (وأتمه شيخنا العارف بالله سيدي عبد الرحمان الديسي) مختصر الجزء الأول من كتاب (حياة الحيوان).

قال: ومن مشايخ الزاوية عمنا الشيخ المدرس سيدي ابو القاسم بن أحمد بن أبي داود، ولد ليلة الاثنين 23 شوال عام 1258. درس في حياة أخيه المنعم سيدي محمد الطيب المترجم، وأخذ عن عمه المرحوم سيدي محمد امزيان بن أبي القاسم المولود ليلة السبت 25 ربيع الأنور عام 1247 المتوفى ليلة الخميس لثلاث بقيت من شهر الله المعظم رمضان المبارك عام 1283 (ومن تلامذته الفقيه الصالح سيدي دحمان بن الفضيل الديسي حي الآن) وهو درس بعد شقيقه سيدي أحمد بن أبي داود وفتح الله على 32 من تلامذته جعلنا الله من المقتدين بمآثرهم ولا حرمنا من بركتهم أجمعين ورزقنا الرضى والهداية إلى أقوم طريق آمين اهـ. عبد ربه محمد أمزيان.

أقول كنت: أقرأ القرآن في الزاوية صاعدا مبتدئا وأنا صغير وذلك سنة وفاة سيدي أمزيان الأول وهي سنة 1283 هـ الموافقة لسنة 1866م، وكانت وفاته تلك السنة ليلة الخميس لثلاث بقيت من شهر رمضان ومولده ليلة السبت 25 ربيع الأنور عام 1247 وقد درس وأفاد بعد وفاة شقيقه سيدي أحمد بن أبي داود وفتح الله على 32 من تلامذته ومن أولاد سيدي أحمد بن أبي داود الشيخ سيدي أبي القاسم وخلفه مع سيدي محمد الطيب أخوه سيدي العربي وكان ذا فهم عميق ونظر دقيق وتحصيل كثير في الفنون النقلية والعقلية رحمه الله تعالى مولده ليلة الأحد من ذي الحجة الحرام سنة 1275 ووفاته صباح يوم الأحد لست بقيت من ذي القعدة عام 1320

وخلفه سيدي محمد أمزيان الثاني بن سيدي محمد الطيب المترجم هنا وأخوه سيدي عبد الرحمان وبهما بقيت الزاوية عامرة كعادتها وفوق عادتها نسأل الله لهما ولعائلتهما الشريفة عمرا طويلا وخيرا جزيلا اللهم آمين.

الشيخ محمدبن أبي القاسم الديسي المعروف بابن عروس

هو والدي الشيخ محمد بن أبي القاسم بن الصغير بن محمد المبارك بن

محمد بن أبي القاسم بن محمد بن مرزوق بن سيدي إبراهيم الغول، دفين مدينة أبي سعادة. قال الوالد رحمه الله تعالى: وآبائي هؤلاء كلهم كانوا يحفظون القرآن، ويعرفون من الفقه ما لا بدَّ منه، ولهم خطوط جيدة موجودة بهوامش كتب الفقه، المتوارثة في قرية الديس، ووالدي أبو القاسم أخذ الفقه عن سيدي عبد الباقي الجلالي نسبة إلى مدينة أولاد جلال في الزاب، وهو شيخ له صيت طائر في صحراء بسكرة، وزاويته مشهورة بالعلم. يعرفها العام والخاص، قرأ فيها والدي وإخوتي سيدي التومي بن الصغير، وهو كبيرهم، وسيدي الصحبي، وسيدي الأكحل، وكان صاحب الزاوية متزوجا بعمتهم القدحية بنت محمد المبارك، وسبب تزوجه بها أنه قرأ مع أبيها في زاوية الشيخ ابن أبي داود، على سيدي عبد الرحمان بن داود، وكانا متحابين في الله فخطبها منه، ولما رجع إلى بلده واستراح تأهب للزفاف، وقصد زاوية أولاد سيدي إبراهيم في الديس، فدخلها وقوبل فيها بإكرام وإعظام، وذلك شأن أهل الديس مع كل قادم إليهم على قلة ما في أيديهم، وبعد أيام ذهب الشبخ عبد الباقي بزوجته إلى زاويته. أما زاوية ابن أبي داود فهي أم الزوايا العلمية في القرون الثلاثة الأخيرة، ومنها انتشر الفقه والنحو والفلك والحساب في بلاد زواوة، وما والاها إلى قسنطينة شرقا وإلى الأغواط جنوبا وإلى المدية غربا.

قال الوالد رحمه الله: أخذت الفقه والعربية عن الشيخ سيدي أبي القاسم وهو عن أبيه سيدي السعيد، وهذا عن أبيه سيدي عبد الرحمان ابن أبي داود. قد تواتر أن سيدي السعيد اجتمع بشيخ الطريقة الخلوتية قطب العارفين وسيد العلماء العاملين سيدي محمد بن عبد الرحمان الأزهري، وطلب منه الورد الرحماني، فأشار عليه بالعلم، وتفل في فمه، ودعا له بالسر والبركة، فمن يومئذ جلب الله الخلق إلى الانتفاع بالعلوم، واغترافها من بحر الشريعة والحقيقة في زاوية تاسلنت، أعني زاوية ابن أبي داود. وكنت ممن انخرط في سلك المنتفعين بعلومها وأسرارها، والمنتسبين إلى أهلها، نفعنا الله ببركاتهم، وجمعنا بهم في دار النعيم المقيم، بجاه سيدنا ومولانا محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة والتسليم. ولي إجازة في التدريس بخط سيدي أبي القاسم المذكور، وهي موجودة الآن بيدي، ونلت منها بركة عظيمة، فالحمد لله على حسن النية وعناية المشايخ، وقد أشار لي قبل التعليم في هذه الزاوية شيخ الطريقة وطود الحقيقة الغوث سيدي علي بن عمر، صاحب زاوية طولقة، كنت عنده صغيرا أقرأ القرآن فإنه ضمني لصدره بشفقة ورأفة وحنان ورحمة، وقال لي: أنت عالم زاويتي ومعلم أبنائي، فقلت له يا سيدي: إني صغير لم أبلغ الحلم، ولم أحفظ القرآن فكيف ذلك؟ فقال لي: لا بد من هذا، والسبب في إشارته هذه أن أحد المقاديم نهرني ولامني على التفريط في

تنوير مصابيح الزاوية، وأنا المكلف بها، فسمع الشيخ سيدي علي بن عمر نهره لي وتحامله علي، وأقبل إليَّ وضمني كما ذكرته، والتفت إلى المقدم وقال له: أما تعرف منزلة هذا يا أعمى القلب؟ فوالله لهو ذو سر عظيم في الأرض والسماء، ثم عزله وأخرجه من الزاوية، ولما حفظت القرآن عنده ذهبت إلى جبل زواوة، ويسمى في عرف الأولياء والعلماء جبل النور، ودخلت زاوية شلاطة، وهي زاوية ذات شهرة تغني عن وصفها، وشيخها من أهل الكمال والجلال سيدي ابن علي الشريف رضي الله عنه، وأعاد علينا من بركاته وعنايته. وبقيت في مقام ابن أبي داود إلى أن أجازني الشيخ كما تقدم.

وسمع بي سيدي علي بن عمر، فطلبني لإقراء أولاده، وامتثلت أمره فوجدته سار إلى الدار الآخرة، وقابلني ولده البركة سيدي علي بن عثمان فأحسن نزلي وأكرم مثواي، وقال لي: الشيخ رحمه الله يأمرك بتعليم ولده أخينا الحفناوي، فأجبته بالقبول، وواظبت على تعليمه مدة ستة أعوام، يتعلم الفقه من مختصر الشيخ خليل، والنحو من الأجرومية والأزهرية والقطر، والتوحيد من العقائد السنوسية، والمنطق من سلم سيدي عبد الرحمان الأخضري، ثم من ايساغوجي، والحساب من الدرة البيضاء، ثم من القلصادي الصغير والكبير، والمعاني والبيان من الجوهر المكنون والسمرقندية، ثم من مختصر السعد، والعروض من الخزرجية، وكلها مبادئ وقواعد تمكن منها وارتقى بها إلى ما فوقها بعد أن فارقته. ولم أفارقه حتى جلس في مجلسي بجامع سيدي عبد القادر في الزاوية، بإزاء ضريح أبيه شيخنا سيدي علي بن عمر رضي الله عنه. وشرع في تعليم طلاب العلم من أهل الناحية والغرباء، وكانوا في مُدة تدريسي هناك لا يقلون عن الأربعين أو الخمسين طالبا بقريحة وجد في التحصيل والاستفادة حفظا وفهما، ومن ورائهم جم غفير من المستمعين يضيق عنهم الجامع في بعض الأحيان مع سعته. أما الذين كانوا ملازمين لدرسي فمنهم اخوة سيدي الحفناوي وهم إذ ذاك سيدي أحمد بن عمر، وسيدي بلقاسم، وسيدي الشيخ، وسيدي إبراهيم، ومنهم سيدي المسعود بن عبد الله بن سيدي مازور، وسيدي أحمد بن رحمون، وسيدي علي بن غضاب، وسيدي علي بن بخوش البوشقروني، ورجال من طولقة، ومن المخادمة، وبنطيوس، واوماش، ومن اورلال، وبسكرة، وسيدي عقبة، ومن أولاد سلطان، والقنطرة، والعامري، والبرج، وأولاد جلال، وسيدي خالد، والسحاري، وغمرة، والغمور، وآل بن علي، وليوة، والسحيرة، وأولاد سيدي سليمان، وشرفاء الزاب، وأولاد سيدي زيان، وفرفار، وليشانة، وفوغالة، وأولاد سيدي بوزيد، الرحالة، وأهل مدكال، وأولاد دراج، وأولاد عمر، وأولاد بوخديجة، وخلق كثيرون من تلك القبائل

التلية والصحراوية من قسنطينة إلى سوف، ومن نفطة إلى الأغواط. ولما أجزت الشيخ سيدي الحفناوي وأذنته في نفع الخلق بما علمه الله، طلبت التسريح من الشيخ سيدي علي بن عثمان، ورجعت إلى الديس، وقصدت الجلفة ومسعد، وفيهما التقيت برجال رفعهم العلم ورفعوه، وطوروه ونشروه، كسيدي الشريف بن لحرش، وأخيه سيدي بالقاسم وسيدي محمد بن أحمد السنوسي، وسيدي مصطفى وسيدي الموفق وسيدي البشير، وسيدي عبد القادر، وسيدي محمد بن أبي القاسم. ثم لازمت بيتي في الديس وقلّ سفري وكثر ولدي، واعتمدت على الله في كسب المعاش بأسبابه العادية كالزراعة وتربية الماشية، وتفرغت مع ذلك لنسخ بعض الكتب ومطالعتها، وتعليم أولادي ومن يريد اهـ. كلامه رضي الله عنه ونفعنا ببركاته.

أقول: ومن تلاميذه المنتفعين ببركته الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمان البصير العلامة المؤلف الشهير المقيم بزاوية الشيخ سيدي محمد بن بلقاسم الشريف الهاملي، الطائر صيته في الأقطار، رضي الله عنه ونفعنا به آمين.

توفي الوالد رحمه الله تعالى في الديس عشية يوم الثلاثاء 2 صفر، عام 1311 الموافق ليوم 15 غشت أو أوت سنة 1893، ودفن يوم الأربعاء صباحا بغربي صهره العالم العارف سيدي محمد الصديق بن أحمد بن سليمان بن أبي العدل، رضي الله عنهم، ونفعنا ببركاتهم آمين.

وكان له خط جميل لا نظير له في البر الجزائري، قال: تعلمته في نفطة زمن تعلمي العلم على الشيخ المدني ابن عزوز، وكنت أطالع له لأنه بصير، وعنه أخذت علوم الأدب والدين اهـ. وله وثائق كثيرة بأيدي الناس، ونسخ كتبا جمة بخطه، وكانت له أوراد خاصة يواظب عليها، ولصورته وذاته ووجهه كمال وجمال قلَّ وجودهما في غيره، ومن نظمه هذا التوسل الذي بعثه إليَّ لأحفظه، وذكر لي أنه مضمون الإجابة، ونصه:

أحمد واجب الوجود المطلق	الملك القدوس رب الفلق
مصلياً على الذي تدور	بنوره الشموس والبدور
المصطفى من قبل فتق الرتق	محمد أصل وجود الخلق
وآله وصحبه والأمة	ما أعقب الدعاء كشف الغمة
هذا وقد قال القريب المستجيب:	إذا دعا الداعي فإنني قريب
وفي الحديث النبوي المشتهر	بعد سؤال الدّعا من القدر
فينبغي الإلحاح بالدعاء	لجلب نفع أو لدفع داء

وأفضل الوسائل المبرورة ... وخيرها الأدعية المأثورة
وما أتى به الكتاب المعجز ... المحكم الذكر العزيز الموجز
مع جاه من به التوصل ... لله أولى من به التوسل
وها أنا قدمت للرحمان ... توسلي بسور القرآن
رجاء رضوان ومحو سابقة ... وقصد صفح عن خطايا لاحقة
مستمسكا بالهاشمي المصطفى ... وصحبه والتابعين وكفى
إليك يا رب ولا منعرجا ... عنك بسطت كف خوف ورجا
بسط خضوع وخشوع واعتراف ... بما أتته من خلاف واقتراف
أجب أنيني داعياً بالبسملة ... بعد التعوذ وقبل الحمدلة
وبالثلاث بعد أم الكتاب ... عفو ا من الزلات في يوم الحساب
بأفضل القرآن أعني البقرة ... اجعل أموري كلها ميسرة
بآل عمران وبالنساء ... أسألك الحفظ من البأساء
بسورة المائدة المنزلة ... على ابن مريم رفيع المنزلة
وسورة الأعراف والأنعام ... توفني ربي على الإسلام
بسورة الأنفال ثم التوبة ... أرجو العناية وحسن الأوبة
بيونس الصديق والرعد الخليل ... آنسني اللهم بالوعد الجميل
بالحجر والنحل معا أنادي ... يا رب أنت السؤل في معادي
بسورة الإسراء في الطباق ... بالمصطفى على البراق راقي
مخترق السبعة والأفلاك ... صحبة جبريل والأملاك
من خلف الناموس عند المنتهى ... وزج في الأنوار إذ لا منتهى
حتى دنا من الكريم الواهب ... وخصه بأعظم المواهب
لا سيما تحية الإكرام ... إذ قابلت تحية الإعظام
فجاء بالدين الحنيفي ناسخا ... لكل دين واستمر راسخا
ولا يزال قائماً في الارض ... شمس هدى في طولها والعرض
يا فوز من وفقه الله إلى ... قبوله وبالفروض عملا
فقال: لا إله إلا الله ... محمد أرسله الإله
وقام بالصوم وبالصلاة ... ومستطاع الحج والزكاة
يا ربنا بالعروة الوثقى التي ... بها اعتصامي وازديان حلتي

وباتباعـــي شـــرعنا المحمـــدي إقـبل دعائـي لـصلاح ولـدي
يـا مظهـر الوجـود والحـياة هـون علينـا سكرة الـوفاة
يـا مبدع الكون بلا سبق مثال علـى نظـام متعذر المنال
أدعـوك بالكهـف ومـريم التـي أكـرمتها بهـز جـذع الـنخلة
وأتوسـل إلـيك بالـشفيع محمـد طـه الـشفع الـرفيع
بالأنبـيا والحـج والفـلاح والـنور والمـشكاة والمـصباح
بـسورة الفـرقان أن تغمرنـي بالـرحمتين مـع مـن جاورنـي
وكـل مـن أحبنـي فـي الله لله لا لغـرض أو جـاه
يـا مـن يـرى ولا يـرى يـا أعلـم منا بـنا أنـت الحكيم الأعظـم
اجـزل لـنا مـن جـودك الفياض مـا يبرئ القلب مـن الأمـراض
وجـد علينـا برضـاك الأبـدي وبرضـى نبيـنا محمـد
بالـشعرا والـنمل يـا ذا الخلـق والأمـر بـصرني بعين الحـق
بقـصص النبـي شـعيب والكلـيم موسـى المـؤيد بنـصرك العظـيم
بالعنكبوت الـروم لقمـان الحكـيم الواعظ المعروف ذي النوح الجسيم
بالـسجدة الـست المنجـيات ومـا حـوت مـن باهـر الآيـات
اجعـل لـساني ذاكـراً وقلبـي مـوحداً كـي لا أخـاف سـلبي
ونجنـي مـن فتـنة الـشيطان فـي سكرة الخـوف علـى الإيمـان
وحفنـي بـسر روحـك الأمـين وسـرني بـوجه خيـر العالمـين
وأولنـي مـن نـوره المحمـدي عـند الـسؤال مـا يقـوي عـضدي
يـا ربـنا بـسورة الأحـزاب ومـا حـوت مـن نـصرة الأواب
بالـسورتين سـبإ وفاطـر حـل بينـنا وبـين سـوء الخاطـر
يـا ربـنا بفـضل خمـس كلمـات قلـب الكـتاب فـي روايـة الـثقات
أودعـتها ياسـين مـن سـلام قـولاً إلـى رب رحـيم سـام
إجمـع شـتاتي وأزل خـصاصتي واحـم مقـري واعـف عـن منقـصتي
بالـصاد مـع مـن قبلها والمكيات مـن بعـدها هـون علينـا كـل آت
توسـلي بزمـر وغافـر لـردع كـل حاسـد مكابـر
توسـلي فـي سـجدة فـي فـصلت ثـم بـشورى عـصبة قـد عـسلت
بـسورة الزخـرف والـدخان لحفظـنا مـن فتـنة الـشيطان

بـــسورة الجاثـــية والأحقـــافِ أرجـــو عفافـــي وكـــذا كفافـــي
توسـلي فـي نـيل كـل مقـصدي بـــسورة للمجتبـــى محمـــد
بفـــتح مكـــة بمـــا قـــد فـــازا بـــه الحبـــيب يـــومه وحـــازا
بمـــن علـــى الإيمـــان بالإيمـــان قـــد بايعـــوه بـــيعة الرضـــوان
اســـألك اللهـــم يـــا حـــنان يـــا حـــي يـــا قـــيوم يـــا مـــنان
بالحجـــرات وبقـــاف والـــذاريات صـــيانتي مـــن العـــدا والـــضاريات
بالطـــور ثـــم الـــنجم ثـــم القمـــر أســـبغ علينـــا غـــيث خيـــر القـــدر
بـــسورة الـــرحمان ثـــم الـــواقعة هـــون علينـــا هـــول يـــوم القارعـــة
بالـبأس والـنفع اللذين فـي الحديـد حـــل بينـــنا وبـــين ظـــلام العبـــيد
يـــا ربـــنا يـــا ربـــنا بقـــد ســـمع لا تجعـــل الـــباطن عـــنك مـــنقطع
بـــسورة الحـــشر والامـــتحان لا تخـــزنا فـــي موقـــف الميـــزان
بالـــصف والجمعـــة الفـــضيلة أنعـــم علـــى الرســـول بالوســـيلة
وارزق عبـــيدك اتـــباع أمـــره والانـــتها عمـــا نهـــا بأســـره
وبالمنافقـــــين والـــــتغابن أســـألك الأمـــن مـــن التـــباين
وأتوســـــل بـــــسورة الطـــــلاق إلـــيك فـــي حمايتـــي يـــوم الـــتلاق
بـــسورة التحـــريم فـــي أدواء أغـــنت عـــن الطبـــيب والـــدواء
بـــسورة الملـــك بـــنون والقلـــم أنقذنـــي اللهـــم مـــن كـــل ألـــم
بالحـــق حقـــق يـــا إلهـــي أملـــي وبالمعـــــراج تقـــــبل عملـــــي
بـــنوح والجـــن وبالمدثـــر بعـــد المـــزمل أطـــل لـــي عمـــري
لعلنـــي أفـــوز فـــيما يأتـــي بـــصالح يرضـــيك فـــي حياتـــي
يـــا ربـــنا بـــسورة القـــيامة أســـألك الـــصحة والـــسلامة
بهـــل أتـــى والمرســـلات والنـــبا أعذنـــي اللهـــم مـــن شـــر الـــوبا
يـــا ربـــنا بعـــبس وكـــورت بعـــدهما إذا الـــسماء انفطـــرت
وبالمطففـــــين الانـــــشقاق أفـــض علينـــا وابـــل الأرزاق
بـــسورة البـــروج ثـــم الطـــارق كـــن حـــسبنا فـــي أخـــذ كـــل طـــارق
بـــسبح اســـم ربـــك الأعلـــى إقـــبل عـــبداً أتـــاك بقلـــيل العمـــل
ربـــي بـــسورة حـــديث الغاشـــية صـــير وجوهـــنا وجـــوها راضـــية
بـــسورة الفجـــر ومـــن صـــلاة بالـــبلد البـــيت ومـــن أعـــلاه

بالـشمس والليل والـضحى وبـألم — إلهـي ادفـع كـل داء قـد ألـم
بالتـين والـزيتون ثـم بالعلـق — أول سـورة بهـا النبـي نطـق
بـسورة القـدر بفـضل مـا نـزل — فـيها مـن الوحـي على ختم الرسل
بـسورة البيـنة المعـروفة — بـسورة الزلـزلة الموصـوفة
بالعاديـات المـوريات القارعـة — وسـورة العـصر التكاثـر معـه
بـسورة الـويل لكـل همـزة — وذلـك الأخـنس وهـو اللمـزة
بالفـيل والـرحلة والماعـون — أسـألك النـصر علـى الملعـون
بكوثـر المخـصوص بالـسيادة — أسـألك الحـسنى مـع الـزيادة
لكـي أنـال بعـد ذاك ريـا — مـن حوضـه فـلا أخـاف غـيا
بـسورة النفـي وبالنـصر المـسد — يـا ربـنا وقـل هـو الله أحـد
ثلـث كـتابك الأعـز فـي الأثـر — أي سـنة المحمـود رحمـة البـشر
ربـي توسـلت إلـيك بالفلـق — أن تمـنح الداعـي كـل مـا سبق
وبالـتعوذ بـرب الـناس — مـن شـر نـزع الآيـس الوسـواس
اجعـل إلهـي حـدا للحـسود — وكـيده فـي صـدره الموقـود
واقـرن بـذا التوسـل الإجابـة — يـا مـن إلـيه العـود والإنابـة
والحمـد لله مـصلياً علـى — محمـد وصـحبه ذوي العـلا
مـا أم بـيت الله حـادي العـيس — وروَّح القلـب نـسيم الـديس
ورتلـت ألـسنة الطـلاب — وسـط الليالـي سـور الكـتاب
وارتحلـت للجـدث الأشـباح — وانـتقلت للبـرزخ الأرواح
وفـاز عـندك الـذي قـد نظمـه — بـسؤله وحـاز حـسن الخاتمـه

وإلى الوالد رحمه الله يرجع من جهة الأم نسب الشيخ المكي ابن سيدي المصطفى ابن عزوز دفين نفطة، لأن أمه السيده آمنة بنت المترجم رضي الله عن جميعهم، والشيخ المكي من أبطال العلم وصناديد العمل الصالح، وله شهرة طائرة في البر الجزائري والتونسي، وتآليفه تكتب بماء الذهب، ومحاضراته دروس لا يستغني عنها طالب علم، وهو الآن في الأستانة منذ عشر سنوات، وكان ذهابه ابتداء بقصد الحج ثم بلغه في أثناء الطريق أن السبيل غير مأمونة، ومن طبعه الخوف الشديد والتأثر بكل ما يسمعه، فحمله الحذر على تأخير الحج إلى وقته المأمون، وزاد في السير يزور مدن الشرق إلى أن قر به القرار في الأستانة، وترك ابنيه الكامل ومصطفى، وقد اجتمعت بالأول في الجزائر، وتوسمت فيه أنه نسخة من والده، إلى أن ظهرت فيه

سجية من سجايا خال أبيه، وهي وزن الأقوال والأحوال بميزان الاعتبار، والجواب بكلمة عن كلمات، والتنقيب عن الحقيقة أطال الله عمره، ومتعنا بحياته وحياة أبيه آمين.

كما يتصل به من جهة الأم العلامة الأديب، الشيخ محمد الصديق بن محمد الصديق الديسي، وهو من نوابغ العصر في تحصيل العلوم العربية الدينية والأدبية، أدام الله وجوده ونفع به آمين.

أما أولاده لصلبه فجامع هذا الكتاب، وشقيقه الفقيه النبيه السيد المدني، وأخونا عبد القادر وأحمد، وأخواتنا سبعة ومن أولادهن السيد محمد السعيد ابن محمد أحمد بن أبي القاسم، وأخوه السيد النذير، والسيد محمد أبو العلا وأولاد أولاد المترجم ما ينوف على العشرين نفسا منهم ولدي عبد الرحمان أطال الله عمر الجميع في صحة وعلم وعافية وهناء وغنى، وأماتنا وإياهم على أحسن خاتمة.

العلامة الشاعر محمد بن محمد الديسي

هو محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الديسي. قال عنه الحفناوي في "تعريف الخلف برجال السلف":

من أجل المشائخ المعتبرين، متخلقا بالأخلاق الرائقة والأحوال الفائقة، علما وعملا وزهدا وورعا ومحبة في الله وأهله، ووقوفا مع الكتاب والسنة. يقول كل من عاشره ووزنه بالميزان الشرعي: إن جزءا من أحواله لا يخرج عن الشرع. ولد سنة سبعين ومئتين وألف 1270، وتربى في حجر والدته السيدة خديجة بنت محمد بن الخرشي، وعمته السيدة عائشة، وجدته يتيما حتى حفظ القرآن وأتقن أحكامه بالقراءات السبعة ومخارج الحروف، واشتغل بتعليم العلم. يحفظ من المتون نحو الخمسين متنا وغير ذلك، ومن العلوم الشرعية والفنون الأدبية الصحاح الست، وبعض تفاسير الكتاب العزيز، والقسطلاني ومختصر خليل، وشرحه للدردير، مع استحضار ما في الشروح الأخرى وحواشيها، ونظمه أو كاد، وبرع في الجميع حتى كان أوحد زمانه وفريد عصره وأوانه. وكان يحب الخمول، لين الجانب صبورا غيورا على الدين، صاحب حزم واجتهاد، منذ خلق ما نطق بفحش، ولا ضبطنا عنه ساعة وهو غافل فيها عن دينه، وكان يحفظ في اليوم مائة بيت.

هذا ومن تآليفه شرح منظومة الأستاذ الاسمائية (أي قصيدة التوسل بالأسماء الحسنى للشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي) شرحا عظيما سماه: "فوز الغانم"، وله

منظومة في الجمل سماها " الزهرة المقتطفة" وشرحها بشرح سماه " القهوة المرتشفة " وحشى الشرح بحاشية سماها " الحديقة المزخرفة". وله منظومة في التوحيد وشرحها بشرح سماه " الموجز المفيد"، وله شرح على منظومة الشيرازي سماه " المشرب الراوي"، وله بديعية في الأستاذ (أي الشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي) وشرحها بشرح سماه " تحفة الأخوان"، وله شرح على أرجوزة التوحيد للشيخ شعيب قاضي تلمسان الآن وفقيه الغرب الجزائري.

وصاحب الترجمة جيد النظم سهل العبارة في التعليم والتأليف، ذكي الفهم غواص في المعاني الدقيقة، جبل علم مناظر محاجج، نشأ في بلده وارتحل إلى زاوية الهامل المعمورة لثلاث وثلاثين سنة مضت من عمره، قال الشيخ محمد بن السيد الحاج محمد في ترجمته الأستاذ: وقد علمنا وأفادنا ومالنا مورد سواه في ما تعلمناه. أما نظمه فانظر طرفا منه في ترجمتة شيخنا الأستاذ سيدي محمد بن أبي القاسم وله معنا أدبيات كثيرة.

يقول جامع هذا الكتاب: وأما نثره الكثير، فمنه رسالة أجابني بها عن مسائل كنت محتاجا إليها، بل الجواب عنها مطلوب مني لاحتياج الطالب إليها، وهو العلامة السيد آرنو الترجمان الأكبر بالولاية الجزائرية العامة سابقا في ترجمة كتاب تصوف " سعود المطالع" إلى الفرنسوية، وقد ترجمه وطبعه بالعربية والفرنسوية (....).

ومن إنشائه في رسالة بعثها لي ما نصه: إنكم سألتموني عن وفيات بعض مشاهير ناحيتنا ممن له شيء يذكر به، كتصنيف كتاب أو إنشاء رسالة أو نحوها. فاعلموا أن أهل ناحيتنا من أهل البادية ومن في حكمهم من القرى الصغيرة لهم طلب في الفنون الأدبية، من نحو وبيان ولغة وغيرها مما به الاقتدار على النظم والنثر لتصنيف كتاب أو ابتكار رسالة واتساع في المعارف والعلوم. ولكن لا اعتناء لهم بتقييد المآثر والوفيات كما هو ظاهر لمن استقرأ أحوالهم، بل غاية ما يذكرون به ويمدحون هو العفاف والتقوى والورع والعبادة. وغالب علومهم العلوم الدينية من عقائد وأحكام عبادة ومعاملات، ولهم في التحصيل الكافي للاقتدار على التأليف ما لأهل المدن كالجزائر وقسنطينة وتلمسان وبلاد زواوة، فإنها ملحقة بالمدن مع ما كان عليه الحال قبل هذا العصر من الهرج والفتن وشن الغارات والسلب والنهب، وما يتبع ذلك من مكدرات الراحة العامة، مما تنمو به المعارف وتتسع، حيث توفر العمران ومد رواق العافية وبسط العدل والأمن، إذا تمهد هذا فلنذكر لكم بعضاً على سبيل التمثيل والاختصار، إذ لم نطلع على من له تصانيف في الصحراء الغربية منا إلا الشيخ سيدي عبد الرحمن بن الصغير الأخضري دفين الزاب المتوفى في حدود خمسين وتسع مئة،

وتصانيفه مشهورة منتفع بها منها " الجوهر المكنون " وشرحه، ومنها " الدرة البيضاء " في الحساب والفرائض وشرحها، ومنها " السراج " في علم الفلك، وله غير ذلك، قيل: إن تصانيفه تزيد على العشرين. ومن أهل الصحراء الشيخ خليفة بن حسن القماري السوفي، فقد نظم مختصر خليل نظما عجيبا، وهو مطبوع، وهو من أهل أوائل القرن الثالث عشر الهجري. وأما المشاهير ممن له أو ليس له تأليف فمنهم: الشيخ سيدي محمد بن عزوز شيخ زاوية البرج من قرى الزاب، له أتباع كثيرة ومقاديم، توفي سنة 1233، ومنهم الشيخ سيدي على بنعمر شيخ زاوية طولقة من قرى الزاب أيضا، له أتباع وطلبة ومقاديم، توفي في حدود 1260، ومنهم الشيخ سيدي عبد الحفيظ شيخ زاوية الخنقة له عدة رسائل ومنظومات في علوم الطريقة، وله أتباع وطلبة ومقاديم، توفي في حدود 1270 تقريبا، ومنهم الشيخ سيدي المختار (والقائم الآن في زاويته ولده الشيخ محمد الصغير، عالم صالح توفرت فيه شروط المشيخة الرحمانية) شيخ زاوية أولاد جلال، له أتباع وطلبة ومقاديم، توفي سنة 1276، ومنهم الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم شيخ زاوية الهامل، له عدة رسائل وأجوبة مسائل سئل عنها. درَّس وأفاد، وله أتباع ومقاديم، توفي سنة 1315، ومنهم بدائرة الجلفة سيدي الشريف بن الأحرش (القائم الآن مقامه في الرئاستين ولده الصالح السيد أحمد بن الشريف في عين معبد قريبا من الجلفة، وهو رجل تمكنت محبته في قلوب الخلق لفضله وإحسانه وتقواه.) كان عالما ودرس وأفاد، وله طلبة وأتباع، توفي سنة 1282، ومنهم السيد أحمد بن الأخضر، والسيد الطيب بن الأخضر، والسيد المولود بن الأخضر من شرفاء الهامل (ماتوا شهداء في الوباء قبل وفاة الأستاذ) وتلامذة الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم كل منهم درس وأفاد، وحصل منهم غاية الانتفاع، ووفاتهم سنة 1311، ومنهم السيد محمد الصديق بن أحمد بن سليمان الديسي، درَّس وأفاد، وتوفي سنة 1306، ومنهم سيدي الشيخ ابن أبي القاسم بن الصغير الديسي، درَّس وأفاد، وتوفي سنة 1311، وكلاهما من أولاد سيدي إبراهيم الغول، ومنهم السيد محمد بن علي بن شبيرة، كل منهما درَّس وأفاد، وتوفيا في حدود سنة 1270، ومنهم السيد محمد بن عبد القادر من شرفاء أبي سعادة، درس وأفاد، وتوفي سنة 1300، ومنهم السيد الطيب بن محمد من شرفائها أيضا، درس وأفاد، وتوفي سنة 1319].

(وللمترجم له) مقامة في المناظرة بين العلم والجهل كأنها مملاة عليه من فم الحقيقة، أتى فيها على لسان العلم وأهله ولسان العلم وذويه بما لهما وعليهما من الخصال والصفات، وكلها فوائد تاريخية ولطائف علمية وإشارات إلى حوادث عظمى، تتميز بها الممالك والأجيال في الماضي والحال، ومع هذا هي ورقات قليلة يمر عليها

الذكي في ساعة أو أقل، أولها:

بعد حمد ملهم الصواب وكاشف الأوصاب، والصلاة الكاملة المتواصلة الشاملة على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه، والفئة العالمة العاملة، فقد اقتضى الحال أن يقع بين العلم والجهل مناظرة وجدال، فاجتمع قوم، وعينوا لذلك يوم، فقام العلم، وقد شاخ وأسنَّ وأدركه الضعف والوهن، بادي الاعواز، يتوكأ على عكاز، في رثة حال وأطمار وأسمال، فبسمل وحمدل وحسبل وحوقل وصلى وسلم على خير من علم فعلم، وقال: يا جهل! ما أنت لخطابي بأهل. إلى أن قال بعد صفحات على لسان الجهل يخاطب العلم: يا قليل الجدوى، يا داعية الكبر والدعوى، أتفخر ببنيك الشعث الغبر، الذين ليس لهم عند أهل الدنيا اعتبار ولا قدر، إن خطبوا ردوا، وإن عدَّ الناس فما عدوا، وإن غابوا فما فقدوا، وإن حضروا كأنهم ما وجدوا، ما لهم شارة، ولا إليهم إشارة الخ.

وقد طبعت هذه المقالة في تونس بمطبعة بيكار وشركائه في نهج الجزيرة، طبعا يحتاج إلى تصحيح كثير.

ولما بعثت له الجزء الأول من هذا التعريف قرضه بقوله:

نحمدك اللهم يا من جعلت العلم حلية الأبرار، وقنية المهتدين الأخيار، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد الرحمة المهداة، وعلى آله وأصحابه الأئمة الهداة، أما بعد: فإن العلم من أفضل الذخائر، وأشرف ما يتنافس في خدمته أفاضل الأوائل والأواخر، وهو لعمري من أسنى المواهب، وأعلى المفاخر والمناقب، فالعلماء وأعيانهم مفقودة، وآثارهم على صفحات الدهر موجودة، وإن من أظرف فنونه، وألطف أغراضه وعيونه، فن التاريخ الجليل، المعظم في كل أمة وقبيل، الذي لولاه ما عرفت سير الملوك والعظماء ولا حفظت تراجم العلماء والحكماء، وإن من أبدع مصنفاته وأحسنها، وأجل مؤلفاته وأتقنها، السفر المسمى " بتعريف الخلف برجال السلف" الذي حرره العلامة المحقق بلا مدافع والجهبذ المدقق بلا منازع، فريد عصره السيد الحفناوي ابن الشيخ حفظه الله تعالى وأسعد أحواله، وأنجح فيما يرجوه في الدارين آماله، فإنه كتاب جليل الموضوع أحيا به مجد علماء القطر، وأبان عن مآثرهم ومالهم من جميل الذكر، وقد قلت أبياتا في مدح المؤلف وتأليفه، متضمنة لتاريخه حسب الاستطاعة، فإن الانفاق بمقدار البضاعة:

حـــبذا عقـــد جمـــان ودرر صـــاغه الحبـــر الجلـــيل المعتبـــر
مفـــرد العـــصر الهمـــام المرتـــضى ماجـــد الآبـــاء محمـــود الـــسير

إن وشى طرساً فحدث ما تشا — عن بيان ومعان كالغرر
لوذعي ذو مزايا جمة — فارس التحرير غواص الفكر
ذلك الحفني نبراس الدجا — في علاه صدق الخبر الخبر
وكفانا شاهداً إبرازه — تحفة في العصر تسبي من نظر
ضمنها تعريفه بالعلما — من رجال ذكرهم يجلي الكدر
جملوا الغرب وأعلوا قدره — وهو للغرب نعم المفتخر
خدموا العلم فما أسعدهم — ظفروا بالفوز في أعلى مقر
زينت أسماؤهم مدرسة — بجوار الثعلبي القطب الأبر
روضة العلم ومغنى الفضلا — سوف يحي في حماها ما اندثر
يا له سفر غدا تاريخه — جل للتعريف معنى قد بهر

وقد ألف حول سيرة الشيخ محمد الديسي الأستاذ عمر بن قينة كتابا عنوانه: "الديسي حياته وآثاره وأدبه " طبع بالجزائر سنة 1977. وذكر فيه أن المترجم له فقد بصره في سن مبكرة وتعلم في زاوية ابن بو داود بجبل زواوة، وأخذ عن حمدان الونيسي بقسنطينة، ثم انتقل إلى زاوية الهامل مدرسا لمختلف العلوم. ولما توفي مؤسسها محمد بن أبي القاسم عام 1315 هـ خلفه الشيخ محمد الديسي في الإشراف على التدريس. وكانت له علاقات ودية مع الكثير من علماء عصره، وكان ابن باديس يثق في رأيه ويستفتيه. قضى حياته في التدريس والتأليف إلى أن توفي فجر يوم 22 من ذي الحجة سنة 1339 (27 أوت 1927) وترك آثارات وأشعارا طبع القليل جدا منها. ثم فصّل مؤلف الكتاب مواضيع 24 تأليفا من مكتوبات الشيخ محمد الديسي جلها في مسائل العقائد والفقه والسيرة النبوية ومفاهيم صوفية وشروح لأحاديث نبوية زيادة على رسائل أدبية ومنظومات وأشعار كثيرة منها ديوانه " منة الحنان " وهو يشتمل على 200 قصيدة ومقطوعة جمعها ابنه أحمد بوداود بعد وفاة والده الشيخ محمد الديسي.

الشيخ أبو القاسم الحفناوي

هو الشيخ أبو القاسم الحفناوي ابن الشيخ محمد بن بلقاسم بن الصغير الديسي. ولد ببلدة الديس التي تبعد بحوالي 20 كيلومتر عن بوسعادة حوالي سنة 1850م، وقيل سنة 1852. ينتسب هو وأسرته إلى الطريقة الرحمانية، تعلم في زواياها وأخذ عن شيوخها. كان والده محمد (ت: 1893/1311) قد أخذ العلم في زاوية أبي داود الشهيره في كل الشرق الجزائري ووسطه، ثم درس في زاوية طولقة الرحمانية مدة ست

سنوات، حيث كان من تلاميذه ابن مؤسس الزاوية والذي أصبح شيخا لها: الحفناوي بن علي بنعمر. ومن تلاميذ والده أيضا محمد بن عبد الرحمان الديسي عالم المنطق بدون منازع في أواخر القرن التاسع عشر. أما أبو القاسم الحفناوي فقد درس بزاوية الهامل، ثم انتقل إلى زاوية تاسيلانت بمدينة أقبو بمنطقة القبائل ذات الشهرة الذائعة لياخذ العلم عن شيخها بن بو داود، ومنها سافر إلى نفطة بتونس ليتم دراسته بها في زاوية الشيخ مصطفى بن محمد بن عزوز التي كانت حينذاك مركزا علميا لامعا، وقلعة للطريقة الرحمانية، فأخذ عن شيوخها خصوصا الشيخ علي بن الشيخ المكي بن عزوز. وبعد تمكنه في العلوم الشرعية والأدبية باللغتين العربية والفرنسية. انتقل عام 1883 إلى الجزائر العاصمة حيث عمل كاتبا في جريدة «المبشر»، التي كانت تصدر باللغتين العربية والفرنسية، وذلك لمدة 42 سنة، من سنة 1884 إلى 1926، وكان ينشر بها مقالات في شتى المواضيع. ويذكر مؤلف كتاب "أعيان المغاربة" أن الحفناوي سافر إلى فرنسا عدة مرات فأضاف إلى ثقافته اللغوية ثقافة في العلوم الطبيعية مكنته من القيام بأبحاث اقتبسها وترجم بعضها من الكتب الفرنسية في مادتي الفلك والكيمياء والفيزياء والطب وفي الاقتصاد والاجتماع وغيرها. وقد نشر هذه الأبحاث بجريدة "المبشر" منها مثلا: صلاحية عدة نباتات قوتا للإنسان – تركيب الهواء - تركيب الماء - المغناطيس وخواصه – الكهرباء وأسرارها. وكان بمثل هذه الأبحاث يهدف إلى الدعوة إلى ضرورة الاهتمام بالعلوم المادية والطبيعية. ومن المقالات الهامة التي نشرها سنة 1887 بنفس الجريدة مقال بعنوان: إرشاد المتعلم، يصور فيه حالة اللغة العربية بالجزائر، ولعل في ذلك إشعار بالخطر الفرنسي الذي كان يهددها. ثم في سنة 1897 أصبح مدرسا في الجامع الكبير. وفي سنة 1903 رافق الإمام محمد عبده من مرسيليا إلى الجزائر على ظهر باخرة، وحضر المحاضرات التي ألقاها ودارت بينهما مناقشات خصوصا أثناء تفسير سورة العصر. ساهم الحفناوي في النهضة الجزائرية في بداية القرن العشرين، وكان من مظاهرها انتشار الصحافة، وتأسيس الجمعيات والنوادي الثقافية ومن بينها الجمعية الراشدية التي كان الحفناوي مشاركا فيها بإلقاء محاضرات سنة 1907. ومن أهداف هذه الجمعية التعليم وتطوير المجتمع الجزائري من مجتمع تقليدي مغلق إلى مجتمع متنور متقدم. فالأصالة الدينية العميقة للشيخ الحفناوي وتغلغله في الأذواق الصوفية لم يمنعه من الاهتمام الشديد بالثقافة العلمية العصرية، فاقتبس وترجم كتبا علمية من الفرنسية هي:

1 - الخير المنتشر في صحة البشر الذي ألفه الطبيب العسكري دركل، وعربه ميرانت والحفناوي، ونشرته مطبعة فونتانه سنة 1908، وموضوعه كيفية أخذ

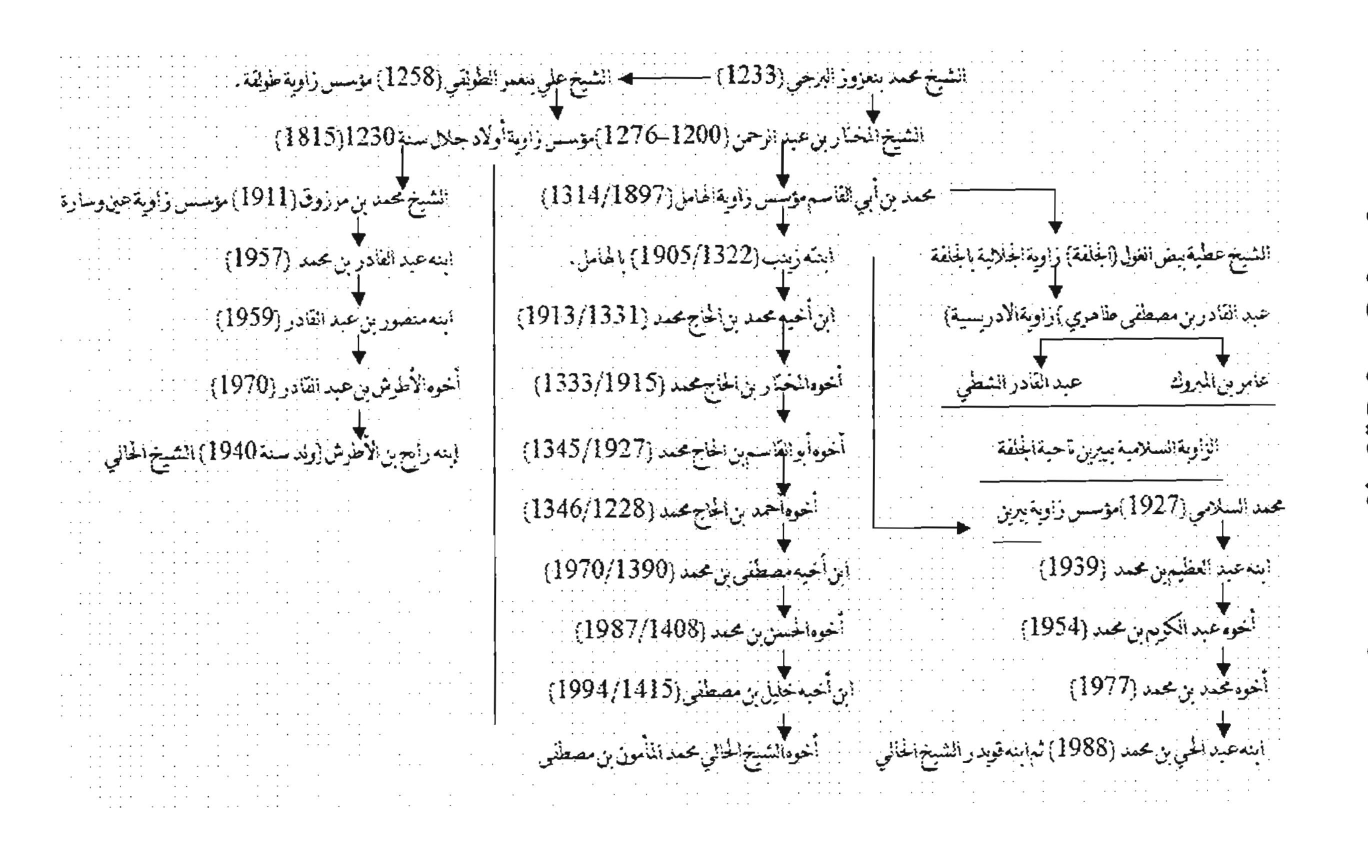
الإنسان احتياطه من بعض الأمراض.

2 - القول الصحيح في منافع التلقيح.

3 - رفع المحل في تربية النحل.

وله مؤلفات في الجغرافيا والتاريخ وعلم المعاني ككتابه "المستطاب في أقسام الخطاب"، وله رجز بعنوان "غواص الفكر في حروف المعاني" وشرحه في "صوغ الدرر على غواص الفكر". وأهم تآليفه وأشهرها: (تعريف الخلف برجال السلف) الذي ترجم فيه الكثير من علماء وصلحاء القطر الجزائري، ومنهم العديد من شيوخ وعلماء الطريقة الرحمانية الخلوتية. ولرسوخ الحفناوي في العلوم الشرعية وتمكنه في العلوم الحديثة وخبرته بشؤون المجتمع عين سنة 1936 في منصب الإفتاء المالكي. وبعد تقاعده عاد إلى مسقط رأسه الديس حيث توفي عام 1942.

شيوخ الزوايا العزوزية الرحمانية بأولاد جلال والهامل والجلفة وبيرين وعين وسارة



الزاوية المصمودية للشيخ الصادق بلحاج المصمودي:

تم تأسيس هذه الزاوية التي تعد بحق قلعة من قلاع العلم والجهاد من طرف العالم الصالح المجاهد الشيخ الصادق بلحاج (المولود سنة 1790م) الذي يعتبر واحد من أبطال المقاومة ضد الغزو الفرنسي للجزائر ومن الصناديد الذين أنجبهم الأوراس الأشم. وقد أسست هذه الزاوية في قرية لقصر بجبل (احمر خدو). بعد أن أكمل الشيخ دراسته بالزاوية الرحمانية ببرج طولقة لصاحبها العالم الرباني الشيخ محمد بن عزوز الذي أخذ عنه الطريقة الرحمانية وعينه مقدما لها بناحية لقصر، ولعله قد حج معه سنة 1232 هـ.

ولم يمض من الوقت إلا قليل حتى تناقل الناس خبر الزاوية، وذاع في الآفاق اسمها، فأمها الطلاب من كل صوب لينهلوا من ينابيعها العذبة على نخبة من حفظة القرآن وشيوخ العلم أمثال: الشيخ إبراهيم ابن الصادق بلحاج، والشيخ الجموعي خريج الجامع الأزهر الشريف. وكانت الزاوية تتكفل بإيواء الطلبة وإطعامهم إلى غاية إكمال دراستهم بها وعودتهم إلى أهلهم وذويهم بالعلم النافع والعمل الصالح.

والزاوية، بالإضافة إلى مهمتها التعليمية عرفت بما قامت من الدفاع عن الوطن ومقاومة الغزاة المحتلين. فقد كانت قلعة حصينة من قلاع الجهاد والمقاومة الوطنية من أجل حرية البلاد، وحرمة مقدساتها، مما جعلها تتعرض للهدم والتدمير من طرف جيوش الغزو الاستعماري الذين قاموا بتخريب قرية لقصر التي تقع بها الزاوية بعد أن استحوذوا على كل ما كان بها من مؤن، وغنم، وبقر، وخيول بالإضافة إلى ما سلطوه على شيخها الصادق بلحاج وأبنائه وبقية أفراد أسرته من تعذيب وسجن ونفي وتشريد داخل الوطن وخارجه.

خاض الشيخ الصادق معارك مشهورة منها معركة مشونش سنة 1844، ومعركة وادي براز ومعركة مطبق القنطرة سنة 1849، ومعركة لمصارة بنواحي الدروع ومعركة هنقلين سنة 1859.

والشيخ الصادق بلحاج كان من المساندين الرئيسيين لثورة الزعاطشة المشهورة سنة 1849 بقيادة مقدم الطريقة الدرقاوية الشيخ أبي زيان. وبعدها بعشر سنوات - أي بين سنتي 1859/1858-، قام بثورة خاصة به في الأوراس، وطلب من المرابطين والشيوخ الآخرين، أمثال ابن كريبع وابن النجاري، الانضمام إلى الثورة التي شملت المنطقة الواقعة من بلدة سيدي عقبة إلى نواحي منعة. وانتقاما من الشيخ وأتباعه أحرق الجنرال (ديفو) الزاوية عن آخرها. ثم أسر الشيخ مع أبنائه وأزيد من 88 مجاهداً

وأعوانه المقربين. وحكمت عليه المحكمة العسكرية بالنفي والسجن في جزيرة كورسيكا، وعلى الآخرين 10 سنوات. وتوفي سنة 1862 في سجن الحراش، ودفن بتربة أسلافه في قريتهم تبرماسين. أما ابناه الطاهر وإبراهيم فمكثا في السجن إلى حوالي سنة 1872. بعد خروجه من السجن أعاد ابنه الأكبر الطاهر فتح زاويتهم بتبرماسين وجدد نشاطها العلمي والتربوي إلى أن توفي سنة 1878، فخلفه أخوه الشيخ مصطفى الذي واصل جهود أسلافه في التعليم ونشر الطريقة بحيث تخرج منها عدد كبير من رجال القرآن والعلم والتصوف. وللشيخ إبراهيم بن الصادق بن الحاج كتاب في 159 ورقة ترجم فيه لنفسه ووالده ومناقبه عنوانه " حكمة المغانم في جميع النعائم"، ذكره سعد الله بلقاسم في " تاريخ الجزائر الثقافي". وقد ذكرت إحصائيات 1897 أن للزاوية 2476من الأتباع، منهم 708 من النساء، وأن لها ثلاث زوايا وثلاثة عشر مقدما و24 شاوشا.

وكان من مقدمي هذه الزاوية الشيخ أبو عبد الله محمد أمزيان بن محمد الصالح بن عبد الرحمان المدعو (ابن جار الله) المولود بقرية (جار الله) والذي استقر في قرية (الحمام) بدوار أشمول، وقد تولى الإمامة والتدريس في مسجد سيدي عيسى بو قبرين. وفي يوم 30 ماي من سنة 1879 جدد هذا المقدم الدعوة إلى الجهاد وتزعم الثورة على الاحتلال الفرنسي، فلبى نداءه أتباع الطريقة وغيرهم، وامتدت الثورة إلى جنوب جبل ششار ونواحي تيمقاد وبلدة تكوت والعناصر، وانظم إليها أتباع الزاوية الرحمانية التي يترأسها الشيخ المجاهد الهاشمي بن دردور، وأرسل الشيخ محمد أمزيان الرسل إلى جميع الرحمانيين والمتعاطفين معهم في أم البواقي ومسكيانة وسدراتة. وجرت بين أنصاره والأعداء معارك في مطلع شهر جوان سنة 1879. لكن عدم التكافؤ في وسائل الحرب جعل الغلبة في جانب المحتلين، واستشهد في ساحة الجهاد 120 شهيدا. وانتقمت السلطة العسكرية الفرنسية من رجال هذه الثورة ولاحقتهم بالقتل والتنكيل. أما القائد الشيخ فقد تسلل مع أخيه وبقية من المجاهدين إلى تونس حيث أقاموا أقل من شهر بالزاوية الرحمانية في قابس زاوية سيدي إبراهيم ولد الشريف. وهناك لاحقتهم فرنسا فألقت عليهم القبض، ونقلوا إلى سجن قسنطينة حيث حوكموا، فصدرت الأحكام في 26 جوان 1879 بأربعة عشر حكما بالإعدام وستة وعشرين حكما بالأشغال الشاقة وستة عشر حكما بالبراءة. وبعد صدور عفو من رئيس جمهورية فرنسا في 09 نوفمبر سنة 1880 خففت أحكام الإعدام إلى الأشغال الشاقة، فنفي المجاهدون إلى كورسيكا وكايان، ومنها فرّ القائد الشيخ ابن جار الله إلى البقاع المقدّسة حيث توفي بها سنة 1889.

الزاو ية الدردورية

الشيخ الهاشمي بن علي دردور من مواليد مدرونة سنة 1815، نشأ وتربى في الزاوية التي كان يترأسها والده علي (المتوفى سنة 1875) من عرش أولاد عبدي. ثم طلب العلم في زاوية الشيخ بن عزوز بالبرج قريبا من طولقة زاوية بو حجر نواحي قالمة ثم في زاوية خنقة سيدي ناجي الرحمانية حيث سلك الطريقة عند شيوخها إلى أن أصبح أحد مقدّميها في مدرونة ونواحيها. وبوصية من شيخه ابن عزوز واصل دراسته بجامع الأزهر في القاهرة ثم درّس في الاسكندرية إلى سنة 1870 سنة عودته للوطن. ثم رجع إلى زاوية أسلافه ليتولى تسيير شؤونها بعد وفاة والده، وكان يدرس بها العلوم الدينية واللغوية بالإضافة إلى قيامه بمهمة الوعظ والإرشاد والإفتاء والإصلاح بين الناس.

ولما اندلعت ثورة ابن جار الله سنة 1879 نجد طلبة الزاوية وشيوخها ينضمون إليها بدعوة من شيخها العالم المجاهد الهاشمي دردور الذي عرض بسبب ذلك للسجن، ونفي من طرف سلطات الاحتلال مع ستة من مقدمي طريقته إلى جزيرة كورسيكا سنة 1880حيث أقاموا بها عشر سنوات، منهم عمر بن يوسف من عرش حيدوسة، وكان مقدما للشيخ الهاشمي، ومحمد أمزيان بن نادرة من عرش حالوحة وهو مقدم آخر للهاشمي، وأبو بكر بن خالد مقدم ثالث.

وفي سنة 1890 يعود الشيخ الهاشمي إلى الوطن بعد الإفراج عنه ويستأنف نشاطه بالزاوية إلى أن وافاه الأجل سنة 1899 عن عمر يناهز الخامسة والثمانين.
وحسب إحصائيات 1897 فقد كان لهذه الزاوية ألف من الأتباع منهم 250 امرأة.

ومن الشيوخ الذين علموا بالزاوية بالإضافة إلى الشيخ الهاشمي يذكر الشيخ عمر دردور بن علي وبلقاسم دردور ومحمد الهاشمي بن عبد الله دردور.

الزاوية الحافظية بليانة

زاوية ليانة بالزاب الشرقي أسسها الشيخ حافظي الطيب الحفناوي المولود بتمغزة في سنة 1872 والمتوفى في مارس 1941. وترأس الزاوية بعد وفاته خليفته الأمين مؤسس (جمعية القرآن) في بسكرة، وهي الجمعية التي أنشأت خمسين مدرسة قرآنية في نواحي بسكرة وخنشلة وبريكة، كما أنشأت في سنة 1948 أقساما لتعليم القرآن مرفقة بمطاعم للطلبة بلغ عددها 25. وفي سنة 1950 أسس المدرسة المحمدية ببسكرة التي انضمّ إليها نحو 400 طالب وقد كان له في الطريقة الرحمانية نحو 10000 تابع.

زوايا رحمانية أخرى في الأوراس والحضنة

في كتابه (الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر) لصلاح مؤيد العقبي ذكر عدة زوايا رحمانية أخرى في منطقة الأوراس زيادة على التي سبق الكلام حولها. من أشهرها في العهود السابقة:

1- زاوية الشيخ الجروني في بلدة سيدي خالد، دائرة أولاد جلال بولاية بسكرة، أسسها الشيخ الجروني تلميذ الشيخ محمد بن عزوز البرجي. وقد تخرج منها حفاظ للقرآن الكريم.

2- زاوية أولاد سيدي يحيى بن زروق التي كانت تقع بوادي بني فضالة قريبا من قرية بني معافة. وآخر شيوخها في العهد العثماني الشيخ أحمد الزروق مقدم الرحمانية بالجهات الوسطى من الأوراس، وكان لها نفوذ عميق واسع في المنطقة.

3- زاوية سيدي أحمد بن بوزيد الذي يطل عليها جبل شلعلع الذي خلده شعراء ثورة التحرير لما وقع فيه من معارك. وبها ضريح شيخها المذكور الذي كانت له زاوية أخرى بناحية القرقور، كان آخر شيوخها قبل الاحتلال سيدي محمد بن بلقاسم مقدم الرحمانية بنواحي بلزمة بالأوراس.

4- زوايا الشوافع بمنطقة الحضنة؛ الشوافع هم من نسل الشريف الإدريسي الحسني العلامة الشيخ أبو القاسم بن شافع الذي انتقل من الصحراء إلى نقاوس ثم إلى الرحبات قرب رأس العيون حيث ابتنى زاوية للتعليم تولاها بعد وفاته أبناؤه ثم أحفاده الذين منهم علي بن محمد المبارك بن أبي القاسم بن شافع (ت: 1180هـ). وقد بنى أحفاده زوايا أخرى، انخرط شيوخها في الطريقة الرحمانية، من بينها زاوية المقدم الرحماني سيدي الصدّيق، التي تفرعت منها زوايا أخرى بناها أحفاده، وأكبرها زاوية الشيخ عبد الرحمان بالمسرة نواحي الرحبات، وزاوية الشرقي، وزوايا أخرى كثيرة...

دور الرحمانيين في ثورات الأوراس

ذكرنا فيما سبق المساهمات المستمرة التي بذلها الرحمانيون في كل أنحاء القطر الجزائري في الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي، بتحالفهم الوثيق مع الأمير عبد القادر طيلة أزيد من خمس عشرة سنة ثم في ثوراتهم المتواصلة في مناطق جرجرة والوسط والشرق الجزائري من حوالي سنة 1850 إلى ما بعد 1871، وفي انتفاضاتهم المتكررة في الأوراس كثورة واحة الزعاطشة بقيادة الشيخ بوزيان الدرقاوي سنة 1849 وسانده فيها شيوخ الرحمانية من أمثال عبد الحفيظ الخنقي والمختار الجلالي. وكثورة الشيخ

الصادق بلحاج شيخ الزاوية الرحمانية بتيرماسين سنة 1856، وثورة الشيخ محمد أمزيان من قرية جار الله سنة 1879 وهو أيضا من إخوان زاوية تيرماسين، وثورة الشيخ الهاشمي بن دردور شيخ زاوية بوزينة الرحمانية التي ساند بها ثورة ابن جار الله وكذلك ثورة العمري التي أعلنها وقادها الشيخ ابن يعيش بمشاركة شيوخ واتباع الرحمانية في نواحي طولقة، وانضم إليها المجاهدون من الأوراس وأولاد زيان والصحاري. وكانت المعركة الأولى بقيادة الشيخ محمد بن يحيى والجنرال كارثوري واستشهد فيها الشيخ محمد بن يحيى. وبعد معارك جرح خلالها الزعيم الشيخ ابن يعيش ألقي عليه القبض وأعدم بالرصاص سنة 1876.

ورغم الإرهاب الوحشي الشرس للاحتلال الفرنسي في قمع الثورات التي قام بها الرحمانيون وغيرهم في القرن التاسع عشر، لم تنكسر روح المقاومة عند جل شيوخ الرحمانية وأتباعهم، فنجدهم يسارعون للمساهمة في كل انتفاضة ضد المحتل. مثال ذلك ما نقرؤه في كتاب: (ثورة الأوراس 1335 هـ - 1916 م) من انتاج جمعية أول نوفمبر بباتنة – طبع سنة 1416 هـ - 1996 بباتنة. (ص: 9/ 10 /177/ 315 / 578/562..):

[... واستمرت التمردات أو العصيان أو الانتفاضات في شكل أفراد أو مجموعات نتمثلها في طموح رجال الزوايا من خلال مذكراتهم، أو مراسلاتهم. وذلك في ما كتبه محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد: "الرحلة الوطنية والاخبار الحديثة"، وما أشار إليه الشيخ ميلود بوزيد في ما رواه من المخطوطات والمراسلات الصحفية لزاوية سريانة، وما تعرض له (وادفل عبد الله) في الرواية التي سمعها من أبيه. وهي كلها تعبر عن الظروف والنتائج التي تمخضت عنها ثورة الأوراس في 1916 (...) إن الغليان في الأوراس قد بدأ تقريبا قبل النداء العثماني للجهاد، لأن المحافظين الجزائريين الذين من ضمنهم رجال الزوايا والمقدمون الرحمانيون الموجودون في كل قرية تقريبا، كانوا قد أعلنوا رفضهم للتجنيد منذ 1907، خاصة وأن الثورة في الأوراس كانت في معظمها تقاد من قبل رجال الرحمانيين. وهو ما جعل السلطات الاستعمارية تتهم المرابطين، والجمعيات الدينية، بأنهم هم العدو الأول للاستعمار الفرنسي، لأنهم قادوا الفلاحين من ورائهم لإبطال مفعول التجنيد الذي عارضوه بشدّة. ويتهمون شيخ زاوية طولقة بكونه لم يساند فرنسا في قرارها والتزم جانب الصمت، ثم إنه دافع عن المقدمين الرحمانيين المتهمين في حوادث الأوراس مثل شيخ سقانة المقدم بلوذيني محمدي محمد الذي ألقي عليه القبض وسجن بقسنطينة ونفي إلى سعيدة، وكانت له مدرسة قرآنية علم فيها علماء من المغرب وتخرج فيها بيطام محمّد بن الطيب

البيطامي، وعمر بن العربي بن سفيان وجاب الله بن إبراهيم من بلدية تيلاطو، والمقدم محمد السعيد رحماني من سكان مشتة الخنزارية مركز الثورة، والمقدم محمد بوراضي من دوار "تاكسلانت"، والمقدم الرحماني صحراوي محمد بن عمر عقوني من مروانة الذي كان يتمتع بسمعة فائقة في عين التوتة وبريكة وقد ألقي عليه القبض وحكم عليه بالإعدام فقتل شهيدا من طرف فرنسا سنة 1916، وغيرهم (...) وحيث أن سكان بلزمة والأوراس كانوا أساسا من أتباع الرحمانية،

وبمشاركة واسعة من هذه الطريقة المتمركزة منذ أمد بعيد (نحو 6000 من الإخوان من بين 60 ألف ساكن في بلدية خنشلة الممتزجة حسب ما يراه الكولونيل ديلارتيق في سنة 1904، ولكنهم 12334 من الإخوان في سنة 1916 حسب الحاكم) ذهب كثير من الناس إلى الاعتقاد بأنها هي السبب في قيام الثورة]

الباب الخامس
الطريقة الرحمانية
في نواحي الجلفة
ووسط القطر الجزائري

الروّاد الأوائل للرحمانية في وسط القطر وعند أولاد نايل

خلال حياة مؤسس الطريقة الشيخ محمد بن عبد الرحمن وخلفائه الأوائل انتشرت الرحمانية في وسط القطر الجزائري انتشارا واسعا بحيث أصبحت هي أشهر الطرق وأكثرها أتباعا في تلك النواحي. وأسس روادها هناك العديد من الزوايا لا يزال بعضها إلى اليوم باقيا يواصل رسالة التعليم القرآني والديني والتربية الروحية. وجل السابقين الأولين من أولئك الرواد كانوا من أعيان وقادة وشيوخ قبائل أولاد نايل. فبعضهم أخذ الطريقة مباشرة من مؤسسها الأول، وآخرون أخذوها عن شيوخ زوايا طولقة وأولاد جلال والهامل.

يرتفع نسب جدهم سيدي محمد بن عبد الله نايل إلى الشريف الإدريسي سيدي عبد السلام بن مشيش (ت: 625 هـ) أستاذ إمام الطريقة الشاذلية الشيخ أبي الحسن علي الشاذلي (ت: 656هـ). ولد بأوداغير بناحية فيجيج في بداية القرن العاشر الهجري. نشأ في طلب العلم وصحب سلطان المغرب مولاي حسن الذي عينه حاكما في إقليم الساقية الحمراء. وفي أثناء المد والجزر الذي عرفته منطقة المغرب العربي بين كل من المرينيين والزيانيين والحفصيين، خصوصا في عهد انسحاب العرب من الأندلس بعد نكبة بني الأحمر، توالت الهجرات الداخلية بين مختلف المناطق. وفي معركة بين الزيانيين والحفصيين كان سيدي نائل قائدا لأحد الفيالق الزيانية ضد الاقليم الحفصي التونسي، وانهزم فيها جيشه، فجمع بقية أصحابه وتوجه بهم نحو المنطقة المعروفة بقراص في أعماق المغرب الأوسط، والتحق به جماعات من أسر أقاربه وأصدقائه وأتباعه. ثم انتقل سيدي نايل ومن معه في مناطق مختلفة بين صحراء سيدي

عيسى وزاغز والمحاقن وما والاها إلى أن استقر بمنطقة حمادة سيدي نايل التي بها مدفنه، وهي قريبة من وادي اللحم غربيه وهي الآن تابعة لدائرة سيدي عيسى ولاية المسيلة، تبعد بنحو 11 كلم جنوب عين حجيلة. أخذ سيدي نايل الطريقة الشاذلية عن قطبها الأكبر في عصره الشيخ سيدي أحمد بن يوسف الراشدي دفين مليانة المتوفى سنة 931 هـ (1525م)، وفي رواية 946 هـ. وبعد وفاة شيخه تحول إلى وانشريس ونزل مكرما عند سيدي شعيب بن سيدي بوزيد، وأصهر له في ابنته. وطلب منه أن يعلم القرآن والفقه، فتصدر لذلك 20 سنة وانتفع به خلق كثير. وبعد وفاة صهره انتقل إلى مناطق أخرى فانبسط جاهه وقصده الأعلام والأعيان من جهات شتى. وبارك الله له في ذريته حتى صاروا شعوبا وقبائل يقطنون ما بين أصقاع سيدي عيسى والحضنة وبو سعادة شمالا، وحدود بسكرة وخط الجريد شرقا، وغرداية والأغواط جنوبا، وجبال العمور والشلالة غربا، وعين وسارة والبيرين في الشمال الغربي.

جهاد أولاد نايل بقيادة شيوخ الرحمانية ضد الاحتلال الفرنسي

منذ أن وطئت أقدام الاحتلال الفرنسي أرض الجزائر والثورات ضدّه تتوالى. وفي طليعة الثائرين أولاد نايل بقيادة شيوخ ومقدمي الطريقة الرحمانية. ففي سنة 1836 تحالف أولاد نايل مع الأمير عبد القادر فنصب على رأس كل قبيلة شيخا ووضع هؤلاء المشائخ تحت إمرة القائد الشيخ عبد السلام بن القندوز ابن الأحرش زعيم أولاد نايل.

وفي سنة 1838 أصبح مقدم الرحمانيين الشيخ الشريف بن الأحرش – ابن أخ الشيخ عبد السلام - خليفة للحاج عيسى الذي استشهد بالأغواط. وبعد أن تم التحاق جل قبائل أولاد نائل بجيش الامير عبد القادر بدأوا في تأسيس جيش مصغر يتكون من الفرسان وعدد كبير من المشاة على أن يكون فيلقا لجيش الأمير بالمنطقة. وأصبحت دولة الأمير تبسط نفوذها في تلك المناطق. ومن المعارك التي خاضها أولاد نايل تحت لواء الأمير عبد القادر معركة العين الكحلة ناحية جبل بوكحيل المطل على الجهة الشمالية الشرقية على مدينة مسعد وذلك بتاريخ 08 ماي 1845 ضد الجنرال المشهور يوسيف. وانتصر فيها أهالي المنطقة وقتل عدد كبير من العدو وأسر فيها أحد الفرنسيين الذي بقي يعيش بين الأهالي حتى مطلع القرن العشرين.

ثم معركة الخرزة بناحية زاغر الغربي في أواخر سنة 1845 والتي تعد المعركة

الحاسمة والأخيرة التي قادها أولاد نايل تحت لواء الأمير بقيادة الشيخ الشريف ابن لحرش، واستمروا معلنين ولاءهم للأمير حتى بعد انتهاء جهاده سنة 1847، وبعد انتهاء مقاومة الأمير لم تبق فيالق أولاد نايل بعيدة عن مواصلة المقاومة العارمة في انتفاضات متكررة، منها انتفاضة الزعيم التلي بن الأكحل التي كانت في شهر أكتوبر سنة 1845 والتي تعتبر امتدادا لثورة الزيبان المشهورة، ثم انتفاضة أولاد سعد بن سالم في شهر سبتمبر 1851 سببها أن فرنسا منعت قوافل القبيلة من المرور فثارت عليها واقتحمت مقرها المؤقت في المنطقة، ثم انتفاضة أولاد طعبة في ديسمبر سنة 1853 في جنوب شرقي الجلفة ودامت عدّة أسابيع. ثم انتفاضة أولاد أم الإخوة بمنطقة عين الناقة (المجبارة) وكانت في حدود سنة 1857. ثم انتفاضة الطيب بوشنافة بمنطقة المويلح سنة 1861 وهي الأطول زمنا إذ دامت قرابة السنة ولم تتوقف فيها المناوشات والتحرشات. وفي سنة 1914 أصدر الشيخ عبد الرحمن طاهري فتوى بالعصيان وعدم الخضوع لأوامر الاستعمار الآمر بالتجنيد في صفوفه، وكوّن جيشا من الفرسان قوامه 400 فارس، فألقي عليه القبض ونفي إلى قبيلة (حميان) ثم أفرج عنه، وبعد رجوعه أقام مؤتمرا للعلماء والشيوخ والأعيان بهدف توحيد صفوف الجزائريين ولمّ شملهم ودعا لانتفاضة عارمة يقودها المغاربة والجزائريون والليبيون ضد الاستعمارين الفرنسي والإيطالي، وبعث سفيرا وهو الشيخ المبروك الأخضري للزعيمين الليبيين الشيخ السنوسي وعمر المختار، ودعاهم للتعبئة العامة، ولاحقه الاستعمار بمضايقته بعد أن علم أنه جند على استعجال 85 فارسا للمواجهة في حدود مدينة تقرت، فالتقى جنده بقوات الاستعمار واستشهد العديد من الشهداء وألقي القبض عليه وزج به في سجن خير الدين بربروس وحوكم محاكمة صورية وأعدم في 1931/07/14.

رواد الرحمانية في نواحي الجلفة

من رواد الطريقة الرحمانية في قبائل أولاد نايل القائد أحمد بن عمر سليل بني الضيف من أولاد نايل في بو سعادة. أخذها عن مؤسسها الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن الجرجري حوالي سنة 1196 هـ. وابنه الأكبر محمد الأصلع (المولود بأولاد خالد حوالي سنة 1188 هـ وتوفي سنة 1270) تعلم في زاوية طولقة، وأخذ الطريقة عن شيخها سيدي علي بنعمر ورجع مقدما في زاوية بوفرجون ومعلما للقرآن والعلوم الشرعية بها، وكذلك حفيده محمد المقراني (ولد عام 1850 م) تعلم بزاوية طولقة وأخذ الطريقة عن شيخها في وقته سيدي علي بنعثمان، وقد تولى قيادة قبيلته عام 1874 وتوفي عام 1914. ومن مشاهير شيوخ الرحمانية من أولاد نايل الشيخ

الشريف بن محمد الأحرش الثاني الذي كان متجردا للعلم والتربية والتعبد وجاهد مع الأمير عبد القادر فكان من أخلص أعوانه والتجأ معه إلى المغرب. وإثر نهاية المقاومة فرضت عليه وعلى أخيه بلقاسم الإقامة الجبرية في المدية طوال سنة 1846، ثم رجع إلى قبيلته قائدا لأولاد نايل، إلى أن توفي مقتولا عام 1864، فخلفه أخوه بلقاسم على قيادة القبيلة. تكلم عنه الشيخ محمد الصغير بن الشيخ المختار الجلالي في كتابه "تعطير الأكوان" عند ذكره لمشاهير خلفاء الشيخ المختار الذين أسسوا زوايا، ومنهم من أولاد نايل: عبد الرحمن بن سليمان، وأبو القاسم بن مشية الغويني، وأبو الأرباح بن محفوظ، ومحمد بن رابح العقوني، ويوسف بن محمد، وعبد القادر بن إبراهيم، وأحمد بن الحمروش. وقال عن الشريف بن محمد الأحرش ما ملخصه:

[ولد الشريف بن الأحرش بن القندوز في ربيع الأول سنة 1218 (جوان 1803) في قبيلة من أولاد نايل بزاغر الغربي (دائرة حاسي بحبح). ولما بلغ من العمر 18 سنة قصد الشيخ المختار في بلدة سيدي خالد وأولاد جلال. وأحكم دراسة العلوم الشرعية عن الشيخ محمد الزين بن بركات والشيخ محمد ابن السعيد بن بركات، وكان من كبار علماء أولاد جلال. وأخذ تربيته الروحية عن شيخه المختار الذي لقنه الأسماء وجعله في الخلوة خمسين يوما حصل له خلالها الفتح المبين، فكان واسع الباع في فتح الأسرار والرموز وتعبير المنام. وأقام عند شيخه ثمانية عشر سنة جادا في العلم والعبادة والعمل إلى أن أجازه شيخه في نشر الطريقة والعلم فارتحل إلى بلده في سنة 1254 واتخذ زاوية بها في ناحية الجلفة فأدخل بها من طلبة العلم والقرآن أكثر من خمسمائة طالب. وطار ذكره في الآفاق وكانت له كرامات كثيرة، مجاب الدعوة، لا يفتر عن إطعام الطعام والإحسان إلى المساكين والمحتاجين وطلبة العلم بحيث تخرج من زاويته ما ينوف على ثلاثمائة من أهل العلم، وله خطب ورسائل وأشعار منها ما ردَّ به على من أنكر عليه توليه وظيفة باش آغا على أولاد نايل سنة 1266 (1849) وتوفي شهيدا يوم الاربعاء 12 جمادى الاولى سنة 1281 هـ الموافق ل 9 أكتوبر سنة 1864 م، ودفن بداخل داره على طرف الجلفة وقبره مشهور].

وشقيقه الشيخ أبو القاسم أخذ هو أيضا الطريقة عن الشيخ المختار الجلالي، وكان عارفا عالما عاملا شهما شجاعا حميد السيرة، ذكره صاحب كتاب أعلام الجزائر ونسب إليه تأليفا في التصوف، وتوفي سنة 1310 هـ (1892).

وحفيده الشيخ المختار بن أحمد بن الشريف بن الأحرش كان عالما أديبا وشاعرا نجيبا، أخذ العلم في المدينة المنورة وتتلمذ للشيخ أحمد الامين العزوزي. إذ تولى خطة القضاء مدّة سنتين ثم تخلى عنها وآثر العزلة حتى توفي سنة 1953 ودفن

مع عائلته في مقبرة عين معبد. ومن نظمه أبيات يشكر فيها ابن معطار حينما شيّد مسجدا في مدينة الجلفة يقول فيها:

بشرى بني نائل زادكم شرفاً ... نجل تطاول في إحياء آثار
فشاد فخرا إلى الإسلام ناصره ... بمسجد وتلاوة وأذكار
فللصلاة محل شامخ سعة ... وللقراءة بيت خصّ بالقار
وللطهارة والغسل النظيف أي ... مرافقاً وبيوتاً ماؤها جاري
زادت به بلدة الجلفاء مفتخراً ... واستكملت كل ما يعلي لأقدار
لها مساجد صارت غير كافية ... فزاد ذا جالبا حسنا لأنظار
مبرة لم ينلها غير من سبقت ... له العناية من خلاقنا الباري
يا حسني الآن قد حزت المكارم إذ ... فعلت فعلا جميلا يا ابن معطار

ويمضي ويقول في الخاتمة مشيرا لتاريخ بناء المسجد بحساب الجمل:

يا مثبتا سنة تمّ البناء بها ... أرخ: بهاء بدا حيناً لمختار

1368 هـ

وقد أعجب بهذه الأبيات الشيخ عطية فخاطب الناظم منوها بعلمه بقوله:

أشدت من ذكر من لربنا شادوا ... بيوت دين بها وعظ وإرشاد
وآيات الله تتلى والحديث بها ... يروى يقويه تصحيح وإسناد
بها الدروس العوالي من أصول ومن ... فقه بتقريره قد قام نقاد
ومن آداب وأخلاق مطهرة ... تزكو بها النفس والإيمان يزداد
قد شيدوها وأعلوا من منائرها ... فللأذان بها دوي وترداد
وأسعفوا الناسكين بالمياضي بها ... نال النشاط على الطاعات عباد

ويمضي يقول:

نالوا الثنا واشتروا بالخلد منزلة ... تعلو وتلك مواهب وإسعاد

يقول منوِّها والد الناظم السيد أحمد بن الشريف حيث كان أول من بنى مسجدا في مدينة الجلفة:

أبوك من قبل حاز المدح منفردا ... إذ قام بالأمر والأقوام رقاد
وكل من لطريق الخير قد سبقا ... له على لاحق خير وإمداد
لأن مثل ثواب المقتدين به ... يعطاه فضلا وإن ساووه أو زادوا
حسب ابن معطار يا مختار مدحكم ... والمدح من مثلكم معناه إخلاد

ومما عثرت عليه من منظوماته تقريظه كتاب سلسلة الأصول في شجرة أبناء

الرسول. لمؤلفه الشيخ القاضي حشلاف وهو آنذاك قاضي بمحكمة الجلفة فقال مخاطبا وشاكرا له:

أقاضِ لقد ألّفت سفرا مرونقاً ... كبدر بدا في ظلمة الليل مشرقا
جمعت به الأنساب ما كان شارداً ... وقيدت ما في غيره قد تفرقا
وأفلحت إذ بيّنت ما كان غابراً ... به الحاجة القصوى إلى كل منتقى
لمعرفة الأشراف من آل أحمد ... فقد كنت في هذا إلى المجد أسبقا
وذا عمل صعب على كل جهبذ ... إذا قدّر الوقت الذي فيه أنفقا
على كثرة الأشغال والوقت ضيق ... قد أصبحت في الأعمال شهماً موفقا

ومن أنجب تلاميذ الشيخ المختار الأوائل العلامة العارف الشيخ عطية بن خليف الفرجاوي الغريبي النايلي، وقد ترجم له مؤلف "تعطير الأكوان " وأورد جملة من قصائده البديعة، حيث أن له منظومات عديدة في مواضيع التربية والسلوك كالرجز الذي سماه " السندية " نظم فيه شيوخ سلسلة الطريقة الرحمانية الخلوتية. وله نظم آخر طويل في آداب الطريقة ومراحل السلوك يضاهي المنظومة الرحمانية للشيخ عبد الرحمن باشتارزي. وله أيضا قصائد في مدح شيخه ورجال الطريقة.

ومن رواد الرحمانية في نواحي الجلفة، أحد أشهر خلفاء الأستاذ محمد بن أبي القاسم الهاملي خليفة الشيخ المختار، الإمام المربي العلامة أبو أحمد عطية بن أحمد بن عطية الملقب ب (بيض الغول) نسبة إلى عائلته التي عرفت بهذا اللقب. ولد ببادية (الصدارة) وفيها تعلم القرآن على يد أبيه، ثم انتقل إلى زاوية الهامل وهناك أخذ عن شيخها المذكور العلوم الشرعية والطريقة الصوفية إلى أن أجازه بإنشاء زاوية للتعليم والتربية، فأنشأها أولا بمكان قرب بلدية عين معبد يسمى (طكوكة) ولم يمكث فيها طويلا حتى حولها بأمر من شيخه إلى موضعها المعروف الآن بالجلالية جنوب عين معبد، وكان ذلك سنة 1870 م، فأمّها الطلبة من كل فجّ حتى بلغ عددهم أكثر من 700 طالب، وتخرج منها عدد كثير من العلماء والحفاظ، وتوفي سنة 1917 ودفن بزاويته بجوار مسجده.

ومن أنجب تلاميذ الشيخ أحمد عطية وارث حاله وأمين سره خليفته في الطريقة الرحمانية الإمام العارف المربي الشيخ عبد القادر بن مصطفى طاهيري. ولد في مدينة زنينة سابقا، الإدريسية حاليا سنة 1291 هـ (1873م)، تعلم القرآن وتمكن في العلوم الشرعية على يد علماء جهته كالشيخ الفقيه سيدي بن سعد حرفوش، والقاضي سيدي المختار بن علي حسني من عرش أولاد سي أحمد وغيرهما كما أتقن اللغتين العربية والفرنسية وأخذ تربيته الروحية عن الشيخ أحمد عطية إلى أن نال الاجازة في الطريقة

الرحمانية سنة 1327 هـ (1907م). يقول عنه تلميذه الإمام الشيخ عبد القادر البشطي في كتابه: "حقيقة السلفية الوفية مذهب أهل الحق الصوفية " – المطبوع سنة 1423 هـ ص 367 -: [كان مثالا في الأخلاق المرضية، متحليا بالشمائل المحمدية، لا يخاف في قول كلمة الحق لومة لائم، قائما بكثير من الوظائف الدينية والخدمات الاجتماعية، كان هو الإمام والمعلم والمدرس والخطيب والمؤذن، كان يتولى بنفسه خدمة زائريه وضيوفه وإخوانه، يباشر بنفسه تغسيل أموات المسلمين في بلده، وتكفينهم والصلاة عليهم ودفنهم، يحب طلبته، ويشفق على الضعفاء واليتامى والمساكين يطعمهم ويكسوهم ويترفّق بهم، كان صارما في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، زاهدا في حطام الدنيا ينفق كل ما لديه، صابرا محتسبا، لم تهن يوما عزيمته ولم تفتر ساعة مجاهدته، انتفع به جمّ غفير، وتخرج من زاويته عدد كثير من حفاظ القرآن الكريم والفقهاء والصالحين، وانتقل إلى الرفيق الأعلى ليلة الاثنين 6 صفر سنة 1387 هـ الموافق 15 ماي 1967 عن عمر يناهز 95 عام].

للشيخ عبد القادر طاهيري مكتوبات وأشعار منها منظومة نفيسة تشتمل على سلسلة رجال السند الخلوتي، وعلى آداب أهل الطريقة ومراحل سير المريد وما يستحب له وما يحرم وما يكره وما يجب عليه إلى غير ذلك وله قصيدة طويلة في مدح شيخه عطية عنوانها: "الدرة الثمينة في مؤسس زاوية زنينة". من أشهر تلاميذه وخلفائه العلامة الوقور الشيخ محمد بن علي بن النعيم الذي أجازه شيخه المذكور سنة 1360 وأذن له في تأسيس زاوية لتعليم القرآن والعلوم الشرعية وتلقين الأوراد والأذكار، بالإضافة إلى أعمال أخرى تربوية ودينية واجتماعية، فأسس زاوية عامرة بمكان يسمى (القيشة) غرب مدينة الجلفة في أرض عرش أولاد سيد أحمد. أما تلميذه الأكبر وخليفته الأشهر فهو العلامة الفقيه الشاعر الصوفي الشيخ المربي أبو يحيى عطية بن مصطفى مسعودي الإدريسي الحسني. ولد في زاوية الجلالية على مشارف مدينة الجلفة سنة 1900 م، وحفظ القرآن وعمره لا يتجاوز تسع سنوات على يد أخيه الأكبر العلامة الشيخ الهادي، ثم انتقل إلى زاوية الشيخ عبد القادر طاهري بمدينة الإدريسية ودرس عنده علوم الشريعة واللغة، ثم اتصل بالعلامة الفقيه الأديب الشيخ نعيم النعيمي ولزمه سبع سنوات كانت كلها دراسة في علوم الشريعة الإسلامية. ثم واصل دراساته في زوايا منطقة القبائل، كما درس عند العلامة الشيخ عبد الحليم بن اسماية في الجزائر العاصمة خلال العشرينيات، ومكث أكثر من سبع سنوات عند عائلة سيدي محيي الدين أولاد الباي، وانتقل إلى زاوية الشيخ عبد القادر الحمامي ودرس بها، وحضر دروس الشيخ محمد بن جلول بالبليدة. ثم كرّس حياته للتعليم والتربية، فعمل

مدرِّسا في مدرسة لجمعية العلماء المسلمين، وحضر بعض دروسه الشيخ عبد الحميد بن باديس وأعجب بذكائه حيث أثنى عليه وشجعه. ثم تولى الخطابة والامامة بالمسجد الكبير بالجلفة. وخلال الثورة التحريرية أسند له بعض المجاهدين الإفتاء والقضاء فقام بذلك حتى الاستقلال. كانت له اتصالات ومراسلات مستمرة بالعلماء وشيوخ الزوايا داخل الوطن وخارجه. تخرج عنه مئات الطلبة، فكان منهم أئمة وشيوخ زوايا وأساتذة جامعيين وإطارات في الدولة. توفي رحمه الله يوم الاربعاء 27 صفر 1410 هـ (27 سبتمبر 1989 م) وخلف مكتبته الخاصة التي تحتوي على أكثر من ألف عنوان، كما خلف مؤلفات منها " فتاوى شرعية في فقه المالكية"، وله منظومات كثيرة وأشعار غزيرة طبع بعضها ابنه العلامة الأديب اللغوي يحيى مسعودي في كتاب عنوانه: "آداب وسلوك للشيخ سي عطية مسعودي " طبع بالجلفة سنة 2000.
فمن نظمه هذه القصيدة التي أثنى فيها على الأستاذ الشيخ الطاهر بن العبيدي وطلابه بعد أن أعجب ببعض إجاباته الفقهية:

صاح بلغ ذوي المكارم عني	ساكني تقرت الكرام سلاما
وارثي الأنبياء علماً وإرشا	داً فكم بينوا لنا أحكاما
من لنا بوجودهم أي فخر	إذ بهم شرعنا الشريف استقاما
حتى أستاذهم حميد الخلال "الطاهر	القدوة" العبيدي الإماما
والفتى " ابن محمد أحمد " الحر	حباه المهيمن الإعظاما
وابن قدور البشير المربي	كامل العهد قدر رعى الذماما
حيهم ثم حي جميعهم السا	لم والمحبين والأرحاما
ثم عفر بترب أعتابهم خدي	إنك تعطى المنى وتسمو مقاما
قل لهم في تأدب واحتشام	ووقار مراعيا احتراما
سادتي أنتم المصابيح فينا	من على ضوئكم سرى لن يضاما
قد أتانا كتابكم بهدايا	فاخرات به حبيت المراما
كم أجدتم بما أفدتم علوماً	قد أزاحت عن الفؤاد قتاما
أحمد الله إذ هداني فوفقت	لما قد رأيتموه تماما
غير مسألة قد أفتيت فيها	بسوى قولكم ولست ملاما
وهي أني اعتبرت في ثمن الفطرة	تسعير من تولى النظاما
فاهماً ذلك من كلام إمام	دوخ الغرب صيته والشاما
شارح الترمذي إذ قال فيه	جائز أن يحدد الأسواما

فاعتمدت بذا وقلت به لكن رجعت لقولكم إسلاما
رضي الله والنبي وأهل الدين عنكم ودمتمو أعلاما
ما رجا منكم عطية إلاّ دعوة تحسن المتاب ختاما

ولما أرسل الشيخ الطاهر بن العبيدي رحمه الله إلى الشيخ عطية مؤلفا للشيخ عاشور يؤيد فيه السدل في الصلاة على القبض، وقد قال له مازحا: إنه يعجبك ويصادف هوى في نفسك، لأن الشيخ عطية كان يتحمس للسدل فأجابه بهذه الأبيات:

أجل أيها الشيخ المصيب فراسته لقد راق لي شرح وراقت دراسته
وما ذاك مني يا إمام تعصّب لمذهب أهل السدل دامت حراسته
ولكن في رفع الخلاف سقوط من روى السدل عن حبر تجلت قداسته
وفي رد بعض القول رد لكله وذا القول لا يرضاه للعلم ساسته
وحسبي تقليد الامام ابن قاسم إذا فاتني علم النبا ودرايته
فما مثله في أهل مذهبنا لذا تقدم عنهم في الكتاب روايته
ومالي لا أرضى بما قد رضي به خليل ومن في النقل صحت امامته
وللطاهر الأرضى العبيدي تحية وحفته من رب الأنام عنايته

وفي أواسط القرن الرابع عشر الهجري اشتهر في نواحي الجلفة مقدمون آخرون منهم:

- نعاس محمد شيخ زاوية دار الشيوخ. وعندما توفي يوم 17 أكتوبر سنة 1945 خلفه ابنه نعاس الشريف. ويتبع الزاوية مسجد ومدرسة قرآنية.
- الحاج أحمد القيزي شيخ زاوية عين سلطان حيث قبيلة أولاد سي أحمد وخلفه ابنه عبد الرحمن.
- سي علي المسعدي شيخ زاوية مسعد وخلفه ابنه سي رميلة.
- سي المختار بن سي يوسف شيخ زاوية قصر الهانية حيث قبيلة أولاد لعور.
- ابن مشيش نادر بن سي سعيد مقدم أولاد لغويني.
- محمد بن سي مصطفى مقدم أولاد غنادسة.

ومن نجباء تلاميذ الشيخ عطية بن مصطفى مسعودي الشيخ الموقر عامر بن المبروك محفوظي المولود خلال سنة 1930 في مسعد ولاية الجلفة. بعد حفظه القرآن عن والده والتحاقه بزاوية الهامل درس العلوم عن شيخه مصطفى، وتمكن في العلوم الشرعية واللغوية، ثم أصبح مدرِّسا ومفتيا وتولى منصب ناظر الشؤون الدينية

لولاية الجلفة مدّة ثلاث سنين، ولا يزال إلى اليوم واعظا مرشدا، حفظه الله.

ومن تلاميذ الشيخ عطية أيضا الشيخ عبد القادر الشطّي المولود سنة 1936 بالجلفة. تعلم القرآن على الشيخ عبد الرحمن بن عطية خالدي إمام مسجد ابن معطار في الجلفة. ثم أخذ العلم عن الشيخ مصطفى فلزمه وانتفع به. وخلال ثورة التحرير انضم إلى المسبلين في المنظمة المدنية وسجن مرّتين في سنة 1955 وما بين سنتي 1957 و1958. وإثر الاستقلال كلّفه شيخه بتكوين الطلبة، فمكث سنين يعلم القرآن والعلوم الشرعية، ثم أخذه صحبته إلى شيخه المربي عبد القادر بن مصطفى طاهيري شيخ زاوية الإدريسية فأخذ عنه الطريقة الرحمانية. وفي سنة 1975 توظف إماما في المسجد الكبير بالجلفة حيث يواصل مهامه الدينية والتربوية إلى اليوم، حفظه الله. وفي كتابه: "حقيقة السلفية الوفية مذهب أهل الحق الصوفية " ترجم لشيخه عطية ثم ذكر وصيته له فقال:

[فقد اختصر لي الوصية اختصارا وحصرها في كلمات معدودة كما يلي:

1- أنت في حاجة إلى العلم الذي يصحح عبادتك، ويحصل سعادتك.

2- كن جنديا لله ينصرك، ويكن معك أين ما حللت وارتحلت.

3- لا بد من الجد في العمل، والاستعانة بالله في بلوغ الأمل.

4- لا قيمة للحياة إلاّ بركوب الصعاب، والصبر والثبات.

5- كن ابن يومك، وواصل عملك، ولا تلتفت لمن يريد أن يخذلك.

6- لن تكون في الحياة شيئا ذا بال، إلا إذا سبقت الرجال في المجال.

7- باب المجد مفتوح، لا يدخله إلا من بذل في طلبه الروح.

8- لازم الاستقامة، في الظعن والإقامة.

9- لا تبارح مسجد بن معطار الذي هو مسجد شيخك وابنه.

10- واظب على حفظ دروسك، وتزود من الأحاديث النبوية ما استطعت.

وسيأتيك – إن شاء الله – الإذن مني في التعليم ليكون لك شهادة. والله الفتاح، فاحفظ وصيتي وراعها حق رعايتها، تبلغ – إن شاء الله – من رتب المجد غايتها، والسلام.]

الزاوية الرحمانية بعين أغلال

أسسها حوالي سنة 1225هـ (1811 م) الشريف العلوي الشيخ بلقاسم بن جلول الذي أخذ الطريقة عن مؤسسها الشيخ محمد بن عبد الرحمن الجرجري (ت: 1208هـ). كانت مركزا للتربية الروحية وتعليم القرآن والعلوم الشرعية، وواصلت مهامها طيلة القرنين السابقين حيث لا تزال إلى اليوم قائمة برسالتها الربانية. بعد وفاة

مؤسسها الأول، تولى مشيختها سلسلة من أفاضل العلماء العاملين الصالحين هم على التتالي: الشيخ سيدي خليفة ثم الحاج المختار الذي كان من أعلام العلماء ودرس في الأزهر بالقاهرة والبصرة في العراق وفي مكة المكرمة والمدينة المنورة. وتولى الزاوية بعده أخوه الشيخ بنعزوز (توفي سنة 1901) ثم الشيخ محمد. وفي عهد هذين الأخيرين بلغ عدد الطلبة المقيمين بها حوالي 500 مائة طالب، يدرسون كل العلوم الشرعية واللغوية. وبعدهما ترأس الزاوية الشيخ المختار بنعزوز ثم الشيخ محمد الصغير الذي كان من كبار العلماء المتخرجين من جامع الزيتونة بتونس، وبعده أخوه الشيخ مصطفى بن محمد، وبعده شيخها الحالي الشيخ عبد الرحمن خليفة أبو الأنوار. في الزاوية مكتبة هامة تحتوي على أزيد من 160 من المخطوطات النفيسة يرجع تاريخ بعضها إلى ما بين أحد عشر قرنا وثلاثة قرون. وقد تخرج منها كثير من حملة القرآن ومن العلماء، ومن المجاهدين ومن الرجال الذين تولوا مسؤوليات كبرى في الدولة الجزائرية وقد أمّها الكثير من العلماء الأعلام مثل الشيخ عبد الحي الكتاني والشيخ أحمد الأمين العزوزي، والشيخ البشير الإبراهيمي الذي درس بالزاوية ومكث بها عدّة شهور.

في كتابه: "تحفة السائل بباقة من تاريخ سيدي نايل" المطبوع بالجزائر سنة 2002 تكلم مؤلفه الشيخ عامر بن المبروك محفوظي عن أشهر الزوايا الرحمانية في نواحي الجلفة فذكر منها 13 زاوية. وفيما يلي تفصيل ما كتب عنها بتصرف قليل:

نبذة عن بعض شيوخ الزوايا وشيوخ العلم الذين علموا وجدوا، وبعض ما وجدته من مآثر الذين قيدوا.

زاوية الشيخ بن عرعار

زاوية الشيخ بن عرعار، ولعلها أقدم زاوية في بني نائل، أسسها الجد الأعلى الشيخ عطية المشهور بلقبه بيض الغول، الذي أخذ الطريقة الرحمانية عن شيخ مشائخها سيد محمد بن عبد الرحمن الزواوي صاحب جرجرة في منطقة القبائل المعروف بالأزهري نسبة إلى الجامع الأزهر الشريف سنة 1780، وذلك في عهد الأتراك قبل مجيء الاستعمار الفرنسي بفترة طويلة. وكانت على غرار جل الزوايا المنتشرة عبر التراب الوطني هدفها ترسيخ العقيدة الإسلامية وتحفيظ القرآن الكريم والثبات على الهوية الوطنية، وبعد وفاته خلفه نجله سيدي أحمد، وبقي محافظا على ما أسند إليه من مهام الزاوية حتى توفي سنة 1850 ثم خلفه ابنه سيدي البشير وسار بسيرة أبيه في تعليم القرآن وإحياء معالم الدين والإصلاح بين المسلمين وإعانة

المعوزين من الفقراء والمساكين، وبعد وفاته تولى خدمتها والمحافظة عليها ابنه الشيخ بن عرعار الذي سميت باسمه، وازداد نشاطها في تعليم وتحفيظ القرآن الكريم لأبناء المسلمين وازدهرت بالمعارف وتخرج منها حفاظ وفقهاء بدءاً من سنة 1909 إلى غاية 1954 سنة وفاته، ثم خلفه نجله الشيخ محمد وبقي على سيرة سلفه متمسكا بالدين وساعيا في إصلاح ذات البين حتى توفي سنة 1973، فخلفه نجله الشيخ الأخضر الشاب الناشط الأديب المهذب فبعث روحا وثابة في الطلبة بتحفيظ القرآن والفقه والسيرة والحديث الشريف، فكانوا يتسابقون ويسارعون باعتناء وجدّ، بالرغم من الظروف المحيطة.

الزاوية الطاهرية

تأسست الزاوية الطاهرية بمدينة مسعد وسميت باسم مؤسسها الشيخ الطاهر بن محمد سنة 1837، تقريبا بعد تلقيه العلم وأصول الدين والفقه والحديث في الزاوية العثمانية بطولقة والزاوية المختارية بأولاد جلال، وأذن مشيخة الزاويتين له، فركزها على تعليم القرآن والمحافظة على الأخلاق والتفقه في الدين، وواصل سيره في طريق السنّة، واستمر داعيا الجمع الغفير للتعليم حتى توفي سنة 1819 م، ثم خلفه عليها أخوه الشيخ سيدي يوسف فازدهرت بحفاظ القرآن وتخرج منها جماعات واهتدى بهديه خلق كثير، وواصل المسيرة، وكانت الزاوية آنذاك لها مقران صيفا وشتاء حسب الظروف المواتية، وكانت مأوى للمستضعفين واليتامى والأرامل والعجزة والمساكين، ولا يدخر شيئا يضن به عن المحتاجين من هدايا وهبات وتبرعات المحسنين، وكل ذلك ينفق على الطلبة والقاصدين والمقيمين، ولم يأل جهدا في النصح والصلح بين المسلمين، واستمر في جهاده حتى أتاه اليقين سنة 1917 م. وتولى شؤون الزاوية بعده خلفه الأكبر من الأولاد وهو الشيخ المختار الذي عرف بالكرم والزهد والبذل والقيام بما كان سلفه به قائم، وعاش في زمن قاس وأزمة حادة وسنين طويلة عجاف، ومع ذلك لم توهن عزيمته في الخير ولا استكانت لضرر وضير، ولا اشتكى أو وهنت همّته للغير، وتخرّج من عنده حفظة القرآن، وكان يكرمهم ويحثهم على الطاعة والاستقامة حتى توفي سنة 1951 م، فخلفه على الزاوية الشيخ محمد الطيب الذي كان فقيها حليما وزاهدا حكيما وسار على نهج سلفه حتى توفي سنة 1969م، فجاء بعده أخوه الشيخ سيدي بلخير بمساعدة أخيه وقرينه الشيخ بلقاسم فعاشا متعاونين متصادقين على الاستقامة والمحافظة على تراث الأب والعم فقاما أحسن قيام حتى توفي الشيخ بلقاسم سنة 1975 م، وبقي الشيخ بلخير مسؤولا على الزاوية والقيام بطلبتها وشؤونها

وضيوفها والقاصدين لها حتى توفي سنة 1982 م، فخلفه ابنه الشاب سي المختار بمؤازرة ابن عمه سي عبد العزيز، كما كان أبواهما متآزرين متعاونين، ويساعدهما على الطلبة سي عبد الرحمن أخو سي المختار. وتلقتهم متاعب ومصاعب واستهدفوا في حياتهم كم من مرّة، ولكن رعاية الله أحاطت بهم وحفتهم عنايته، ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم، وصدق الشاعر:

إذا كان عون الله للمرء خادما تهيا له من كل صعب مراده

فهم سائرون وبحفظ الله محاطون معافون.

زاوية الشيخ بولرباح

ابن سي محفوظ سي علي بن سي محمد

أسسها سنة 1830 الشيخ بولرباح بن محفوظ المولود في سنة 1790 م، وكانت خيامها متنقلة صيفا وشتاء، وبالرغم من صعوبة الانتقال لعبت دورا هاما في تعليم القرآن، ونشطت في تربية الطلبة ومساعدة المحتاجين والصلح بين المتخاصمين، واشتهرت بحفظة القرآن من أقارب وأباعد، وكان رئيسها المصلح المرشد مثابرا ومصابرا في جهاد مستمر وعمل بناء للمجتمع وواقفا صامدا في وجه المحتلين الغاصبين ومحذرا ناصحا للمسلمين حتى توفي سنة 1885 م. ثم خلفه ابنه الشيخ محمد فقام على ساق الجد واحتضن الزاوية وبقي سائرا على نهج سلفه باذلا مجهودات جبارة محافظا على تراث زاويته قائما بما وكل عليه حتى لقي الله، فخلفه نجله الشيخ علي الذي اقتدى بسلفه في نشاط متواصل وبنى مساكن للطلبة والضيوف والقاصدين، وتطورت الزاوية في تحسن مستمر من تعليم قرآن وفقه ودروس علمية مفيدة، وفي سنة 1889 توفي، فخلفه نجله الكهل الشيخ مصطفى وزادت الزاوية في عهده نشاطا ملحوظا تمثل في تحسين بناءاتها وإنارتها وإدخال المياه الصالحة للشرب فيها وتعبيد الطرق إليها، وازدهرت ببناء مسجد للمصلين ومياضي للمتطهرين، ويعينه على ذلك الساعد الأيمن أخوه الشيخ بن خليفة في تحفيظ القرآن وتجويده مما رفع من مستوى الطلبة الذين أهلتهم ثقافتهم للتعليم القرآني كموظفين وأئمة مساجد. ولا ننسى ذكر الشاب الأستاذ أحمد نجل الشيخ مصطفى الذي نهل من زاوية الشيخ محمد بلكبير بأدرار وتزود من معلوماته وقام بتنشيط الزاوية وتعليم طلبتها في العلوم الشرعية من فقه ونحو وسيرة وأحاديث نبوية، وهذا بالرغم من الظروف التي مرت بها المنطقة من فتن ومحن، وعناية الله ترعى كل مؤمن توكل عليه سبحانه وتعالى.

زاوية الشيخ محمد بن مرزوق بعين وسارة

ولد الشيخ محمد بن مرزوق سنة 1801 بمحل يقال له الضاية تابع لولاية غرداية، وتنقل طالبا للعلم متصيدا للمعرفة الصحيحة، وانتهى به المطاف إلى الشيخ الكامل والمربي الفاضل الشيخ المختار بن عبد الرحمن شيخ الطريقة الرحمانية مؤسس زاوية أولاد جلال فقرأ علم التوحيد والفقه وتزود بالمعارف وتهيأ لأن يقوم بما يكلف به، عند ذلك أذن له شيخه بإنشاء الزاوية. وفي سنة 1825 أسس زاويته الحالية الواقعة قرب بنهار دائرة البيرين وقصدها الطلاب ونشطت في تحفيظ القرآن الكريم لأبناء المسلمين بإشراف المؤسس وبتوجيهاته الحكيمة وإرشاداته المتواصلة ويقظته لما يدور في الساحة آنذاك في وقت تعرضت فيه الجزائر للاحتلال. فقام الشيخ على قدم وساق بالتوعية والحذر من العدو وتسليح المواطنين بالعلم والمعرفة. وكان على صلة وطيدة مع الأمير عبد القادر وسانده بشتى الإعانات خلال جهاده الطويل. وبقي في اجتهاد مستمر طيلة 86 سنة حتى توفي سنة 1911 فخلفه على الزاوية ابنه الشيخ عبد القادر المولود سنة 1876 وسار على نهج أبيه وشابهه في نشاطه واعتنائه بالتعليم القرآني والفقه، وانتفع به الكثير وانضم إلى الزاوية الكثير من المعوزين والفقراء والمساكين، فتكفلت بالقيام بشؤونهم وأطعمتهم من جوع. وأعقبت ذلك سنون عجاف لجأ خلالها الكثير من الناس إلى هذه الزاوية، فآوتهم وساعدتهم طوال خمسة عقود أو أزيد حتى توفي الشيخ سنة 1957 فخلفه نجله الشيخ منصور المولود سنة 1905 فاقتدى بسلفه واتبع آباءه في القيام بالزاوية والحفاظ على مقوماتها من تعليم قرآن وتهذيب أخلاق وتقديم إحسان وتوجيه باعتناء تام محافظا على تعليم القرآن الكريم. غير أن ولايته لم تطل فتوفي في سنة 1959. فخلفه أخوه الشيخ الأطرش وعمل كسابقه في تشجيع القرآن الكريم والفقه الإسلامي والإحسان للفقراء والقاصدين وتزويدهم بالنصائح والمحافظة على الدين حتى توفي في سنة 1970م فخلفه ابنه الشاب الشيخ رابح المولود في سنة 1940، حيث قام بإصلاحات وتوسيعات ومبان للطلبة والضيوف وجدد ما كان باليا وشجع طلبة القرآن بالمسابقات والجوائز لتشجيعهم على حفظ القرآن الكريم والفقه الإسلامي. ومنذ تأسيسها تخرج من هذه الزاوية طلبة وحفظة للقرآن الكريم لا يحصون كثرة، ولا زالت ثابتة في الميدان بتشجيع المشرف عليها الآن رغم تعرضها لهزات مناوئة ممن لا يدركون مواقفها ومنافعها وقيامها بالفروض الكفائية من تحفيظ القرآن الكريم وإصلاح ذات البين والدعوة إلى الحق وإلى الصراط المستقيم.

زاوية الشيخ بولرباح بن محفوظ

(سي أحمد المغربي)

ولد الشيخ بولرباح بن محفوظ سنة 1790 وأسس زاويته سنة 1830 م، وهي تقع حاليا جنوب قرية الدويس في الفضاء الطلق بعيدة عن كل الملاهي والفتن، وكانت متنقلة محافظة على الطابع العربي الأصيل. تخرج منها حفظة القرآن الكريم الواردون من داخل الولاية وخارجها بإشراف مؤسسها الشهم الغيور المأذون من مشائخ عظام وأساتذة كرام عاشوا على الجهاد وإحياء السنّة وتربية المسلمين بالنصح والإرشاد والصلح بين المتنازعين والتحذير من الأعداء الذين دخلوا غازين ومستعمرين، وبقي الشيخ سائرا على النهج الأمثل مدّة 55 سنة حتى توفي في سنة 1885 م، ثم خلفه ابنه الشيخ مصطفى المولود في 1853 م وقام أحسن قيام بشؤون الزاوية وتشجيع تعليم القرآن بشيوخ أكفاء في الحفظ والرواية والتفقه في الدين ومساعدة المحرومين حتى توفي سنة 1942، ثم خلفه أخوه الشيخ بولنوار المولود سنة 1887 م وتابع سلفه في المسيرة ولم تطل خلافته فتوفي سنة 1947، ثم خلفه ابن أخيه الشيخ أحمد المعروف بالمغربي المولود سنة 1918 فتولى رئاسة الزاوية سنة 1948 فاجتهد أكثر وبذل المجهود الأكبر في تحفيظ القرآن وتخرج من زاويته حفظة للقرآن فسدوا فراغا في التعليم وتوظفوا في المساجد كمعلمين وأئمة مرشدين، وبنى للطلبة حجرات وازدهرت الزاوية به وبقي مدّة 40 عاما حتى توفي سنة 1989، ثم خلفه حفيده – ابن ابنه – الشيخ بلقاسم بن مصطفى الشاب النشط فحافظ على السير متبعا جده بمساعدة جدته التقية ذات الرأي السديد المعينة فيما يفيد الزاوية من كل أمر رشيد، وازداد في عهد الشاب عدد المساكن والحجرات، ومسجد بصومعته واستنارت الزاوية في وقته بدخول الكهرباء ومجاري المياه والمياضي للمتطهرين والطريق المعبد للزائرين، ولا زالت الزاوية ثابتة في الميدان وفية لمبادئها رغم حوادث الزمان وتغير بني الإنسان من فتن ومحن تجاوزت تصورات الأذهان، نسأل الله اللطف والسلامة في الدنيا ويوم القيامة آمين.

زاوية الشيخ الولي الصالح عبد الرحمن النعاس

أسس زاويته التي كانت تعرف بحوش النعاس لأنها كانت الوحيدة في تلك الجهة والتي توسعت البناءات حولها وازدادت بكثرة فصارت تعرف بدار الشيوخ، وعمرها بتعليم القرآن الكريم وتحفيظه لأبناء المسلمين، واشتهر الشيخ مؤسسها

الأستاذ سيدي عبد الرحمن بن سليمان بالإرشاد والإصلاح والمواعظ الشافية والكرامات الوافية وانتفع به خلق كثير وتخرج من زاويته حفظة للقرآن وفقهاء نزهاء يعلمون ويرشدون، وبقي داعيا إلى الخير ساعيا حتى توفي سنة 1327 هـ الموافق ل 1907م، ثم خلفه ابنه الأستاذ الفقيه الوجيه الشيخ محمد الذي عرف بالعلم والشجاعة والفصاحة والأدب والنصح والتوجيه بالفكر الصائب والذهن الثاقب مقتبسا من أسرار والده ومصيبا في معرفته واجتهاده فعمر الزاوية ونشطت في خلافته وبقي جادا وصابرا مرابطا في جهاده مدّة أربعين سنة إلى أن توفي سنة 1366 هـ، الموافق ل 1946، ثم خلفه عليها نجله العفيف الشيخ السيد الشريف فبقي سائرا على نهج سلفه بالرغم من مستجدات الوقت من كثرة الأشرار وارتكاب ما يوجب المقت والعار، ومع ذلك لم يتأثر بما حدث ولا وهنت له عزيمة حتى توفي سنة 1969، ثم خلفه ابنه الشاب الشيخ محمد الذي ظهرت في خلافته أمور تذوب منها القلوب وتخر لها الجبال وتغيرت فيها الطباع وانقلبت فيها الأوضاع وتنكر فيها الكثير وشاب منها الصغير والتبس الحق بالباطل وتصدر فيها كل جاهل وعاطل. نسأل الله اللطف فيما جرت به المقادير إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم.

زاوية الشيخ سيدي عطية الجلالية

ولد سيدي عطية بن أحمد بيض الغول في سنة 1832 م، وأسس زاويته سنة 1870 م بالمكان المسمى طكوكة شمال شرق قرية عين معبد، ثم أمره شيخه سيدي محمد بن بلقاسم مؤسس زاوية الهامل بنقلها إلى الجلالية جنوب عين معبد، وعمرها بالعلم والقرآن وغمرها بالجود والإحسان، واشتهرت وازدهرت بدروس العلم المتنوعة، وتخرج منها فقهاء وعلماء وحفظة للقرآن الكريم وهم لا يحصون عددا ولا يمكن أن نذكرهم فردا فردا، ولو لم يكن فيهم إلاّ تلميذه الأكبر الذي أذن له في تعليم العلوم على اختلافها الشيخ الهادي بن مصطفى مسعودي وأخوه الشيخ عطية الذي تولى الإمامة والخطابة في الجامع الكبير بالجلفة مدّة أربعين عاما، ومنهم الشيخ قدور بن هدية حمر العين، والشيخ موسى بن بلخير، والشيخ عمر الدمدي وغيرهم كثير ممن لا يمكن حصرهم، وفي شهر أوت سنة 1917 م توفي الشيخ عطية وولي ابنه الشيخ سي أحمد ولم تطل خلافته فتوفي سنة 1921 م، ثم خلفه ابنه الشيخ بن عرعار ونشطت في خلافته نشاطا فائقا بتدريس الفقه واللغة وتحفيظ القرآن، وكان من مشايخ التعليم السادة الشيخ نعيم النعيمي والشيخ عطية مسعودي والشيخ بوزيان الرحالة الفرندي. ومن أهم ما قام به وكيل الزاوية تخليص الديون التي أثقلت كاهلها بسبب

المجاعة التي نزلت في تلك السنين العجاف والخصاصة التي حلّت بالأمّة. حتى سنة 1965م خلفه ابن أخيه الشيخ سي البشير بن أحمد وبقي يكابد رغم الاحتياج وقلة الموارد وفقد جل المحسنين حتى سنة 1992 حيث خلفه ابنه الأكبر سمي جدّه سي أحمد الشيخ القائم اليوم على هذه الزاوية.

زاوية الشيخ عبد الرحمن بن الطاهر طاهري بمسعد

ولد الشيخ عبد الرحمن بن أحمد طاهري سنة 1882 بمسعد ونسبته إلى الطاهر عرفية لأنه عمّه ومربيه وبه عرف في الوسط الشعبي. وبنى زاويته بقرب دمد في الموضع المسمى لمكيمنْ ورتب فيها طلبة القرآن الكريم وزودها بمعلمين أكفاء ورفعها بتعليم الفقه واللغة العربية. وكان من جملة المشائخ الأستاذ محمد الطاهر من تقرت. وتخرج منها فقهاء ذوو كفاءة في اللغة منهم الشيخ محمد بن ربيح الإمام في تاريخ 1938 في الجامع الكبير بالجلفة، والشيخان أبو القاسم وأبو الخير ابنا عمه الشيخ سيدي يوسف وولده الشيخ عمر طاهري خليفته في الزاوية وله نبوغ في الأدب والشعر والفقه المالكي، وغيرهم كثير ممن لم تسجل أسماؤهم للظروف المحيطة بهم آنذاك لأن الزاوية كان ينظر إليها بعين الريبة من طرف الاستعمار الفرنسي، حيث أصدر قانونا في سنة 1914 للتجنيد الإجباري فخالفه في ذلك الشيخ وحذر كل من له غيرة على وطنه ودينه أن يقع في أحبولة الاستعمار ويصبح في جيش الكفار، وبذلك وقعت للشيخ مشاكل متنوعة ومحزنة يطول سردها من سجن ونفي طوال خمس عشرة سنة أدت في النهاية إلى قتله مسموما وذلك في شهر جويلية سنة 1931. وكان رحمه الله شجاعا مهابا حليما كريما عليما زعيما، وراسل الشيخ السنوسي وعمر المختار الزعيمين الليبيين وبعث إليهما الشيخ المبروك بن هبال الأخضري، في إطار مقاومة الاستعمار الإيطالي والفرنسي. وبعد وفاته خلفه ابنه وارث خصاله الشيخ عمر طاهري الذي قام بشؤون الزاوية وطلبتها والقاصدين لها، واستمر في أعماله حتى توفي سنة 1960 وخلفه ابنه الشيخ محمد طاهري الذي سمّاه باسم شيخه في العلم، واستمر كذلك غير أن الظروف التي عاش فيها تغيرت وظهرت مستجدات لم تكن في الحسبان ولله في خلقه شأن.

زاوية الشيخ السلامي قرب عين وسارة

ولد الشيخ السلامي خلال سنة 1840م بالأغواط. وتنقل والده الحاج سالم بن نعيمة لعدّة جهات وانتهى به المطاف ونزل واستقر عند أولاد سلامة فرع من قبيلة رحمن حيث كان معلما ومرشدا وموجها لهم. رباه والده على الأخلاق الطيبة وتعلم

وتفقه في زاوية الهامل برعاية مؤسسها الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم الذي كان ينظر إليه نظرة خاصة ويتوسم فيه الصلاح، فأرشده إلى بناء هذه الزاوية فأسسها سنة 1896 م وبرز بخصاله الحميدة وتوجيهاته المفيدة وازدهرت زاويته بتعليم القرآن وحفظه وتخرج منها جماعة يحملون أمانة الدين وتعليم الكتاب لأبناء المسلمين، وبقي مجاهدا صامدا حتى توفي في 10 أكتوبر 1927م ثم خلفه ابنه الشيخ عبد العظيم وتولى شؤون الزاوية وسار على نهج أبيه وبذل مجهودات في توسيع الزاوية ومساكنها، وكان عضوا في جمعية علماء السنّة، ولم يأل جهدا في النصح والصلح والنفع بالعلم حتى توفي سنة 1939 م، ثم تولى بعده أخوه الشيخ محمد بن الشيخ السلامي، وقام كسلفه في العمل الإصلاحي، وحين تولى أصيب بمرض ألزمه الفراش فكلف ابنه الوحيد الشيخ عبد الحي بالقيام بإدارة أمور الزاوية، وعاش 89 سنة وتوفي سنة 1977، ونصب ابن الشيخ عبد الحي رئيسا على الزاوية بواسطة الشيخ ابن مصطفى شيخ زاوية الهامل حسب التقاليد الجارية عند المشائخ، وكان كريما حليما ذا مهابة ووقار يحترم الكبار ويرحم الصغار مواظبا على الإرشاد ونفع البلاد ومحاربة الفساد، وبقي كذلك حتى توفي في شهر فبراير سنة 1988 م، ثم تولى الزاوية خليفته وابنه الشيخ قويدر بن عبد الحي السلامي. وقد أحاطت بالزاوية ظروف لا تحسد عليها وتغيرت من الناس الطباع وانقلبت الأوضاع وصار الآمر بالمعروف لا يطاع والمنكر فاش منتشر في كثير من الأصقاع. نسأل الله اللطف فيما جرت به المقادير كما نسأله التوفيق إنّه على كل شيء قدير.

زاوية زنينة (الإدريسية حاليا)

أسسها سنة 1907 العارف الرباني ذو الفيض الرحماني الأستاذ سيدي عبد القادر بن مصطفى طاهري بإذن واعتماد من شيخه عطية بن أحمد بيض الغول مؤسس زاوية الجلالية المتوفى سنة 1917، وأمره بتلقين الأوراد وتعليم العلم وتحفيظ القرآن وخدمة المجتمع ونصح المسلمين وبذل كل مجهود في إصلاح ذات البين وإعانة المعوزين وإطعام الفقراء والمساكين، كما هو الشأن في شيوخ الطريقة الرحمانية وسلسلة رجالها الذهبية، فقام بجد واجتهاد فخدم الطريقة على أكمل وأجمل ما يرام، فخدم العلم والعلماء وعلم الطلبة وأكرم الضيوف وبذل كل المجهودات في نفع المخلوقات وتلقى تلك السنين العجاف بالبذل والنفع والدفع في طهر وعفاف بدءا من الحرب العالمية الأولى إلى انتهاء حرب الجزائر التحريرية التي ضحى فيها بابنه الثاني الشهيد عبد الرحمن، وتخرج من الزاوية حفظة للقرآن الكريم وفقهاء نبهاء سائرون

على النهج القويم، ولو لم يكن فيها إلا الشيخ عطية مسعودي لكفى فخرا عند كل ذي طبع سليم. وأمدّ الله له في العمر فعاش ما يقرب من حوالي 90 عاما أمضاها كلها في عمل صالح جاد ومواظبة على الخير في اجتهاد حتى توفي سنة 1967، فخلفه على الزاوية نجله الأكبر الكريم المحتد السيد أحمد الذي برزت في وقته مشاكل يحتار فيها كل عاقل وتغيرات يندى منها الجبين، وأمراض سلطت على أكبر البنين وأتعاب تسببت له من معتدين، فتحمل ما لا يطاق وتكبد الكثير من المشاق، ولا زال صابرا مرابطا محاولا إزالة الصعاب ليتفرغ لأداء المهمّة الموروثة عن الشيخ الجليل الأب.

زاوية الأستاذ الشيخ الصادق بن الشيخ

أسس الشيخ الصادق الناجوي زاويته بإذن من الأستاذ الشهير شيخ الطريقة الرحمانية معدن الأسرار سيدي المختار بن عبد الرحمن بن خليفة بأولاد جلال. وكانت خيام زاوية الشيخ الصادق متنقلة صيفا وشتاء يغلب عليها الطابع البدوي، ومع قساوة طبيعة البادية وثقل تحملها كانت الزاوية عامرة بحفظة القرآن بجد واجتهاد بفضل وقوف مؤسسها الحازم في مساعدة المحتاجين وإيقاظ الهمم، وتخرج منها حفظة وفقهاء. وفي سنة 1926 توفي رحمه الله وخلفه ابنه الشيخ الحاج المختار ذو السمت الحسن والوقار وسار على نهج أبيه واستمر في نشاطه والإشراف على زاوية أبيه محافظا ومرشدا وناصحا وموجها للطلبة والحرص على التعليم القرآني وحفظه وساعيا في الخير بكل مجهوداته حتى أتاه اليقين فتوفي سنة 1971، فخلفه أخوه الشيخ عبد الجبار في وقت قلّت فيه الأنصار واختفى أهل الخير والرجال الأبرار، وعمّت فيه الفضائح وانتشرت الرذائل والقبائح، وصمت عن الأمر بالمعروف أهله، وصال وتطاول الأشرار، وقضى فيه الشيخ عبد الجبار زمنا فاترا عن التعليم وتوفي سنة 1990 فخلفه ابن أخيه الشيخ الصادق ابن الشيخ محمد الطاهر وورث ثقل ما تركه له عمّه، واجتهد في احياء رسالة الزاوية تعليما وتربية.

زاوية الأستاذ الشيخ بن محمد بن عطية

أسسها الشيخ بن محمد بن عطية بمنطقة القيشة ببلدية الزعفران بإذن من الشيخ عبد القادر طاهري شيخ الطريقة الرحمانية، وبنى فيها مسجدا وبيوتا للطلبة حفظة القرآن وبيوتا للضيوف وذلك بتاريخ أوائل الأربعينيات، وانتقل إليها القاصدون وحفاظ القرآن الكريم وتخرج منها جماعة توظفوا في تعليم القرآن بوزارة الشؤون الدينية. كان مؤسسها رحمه الله تقيا صالحا ذاكرا شاكرا ناصحا للمسلمين شفيقا رحيما بالمؤمنين المستضعفين وبقي صابرا محتسبا يقيم حلقة الذكر صباحا ومساء ينصح ويرشد،

واستمر على ذلك حتى توفي سنة 1989 م ثم خلفه على الزاوية ابنه الشاب التقي المهذب الشيخ عبد القادر، وسار على نهجه واعترضته مشاكل الوقت التي عمت في البلاد وتعرض للأذى ممن لا يخافون الله مما حمله على مغادرة مقر الزاوية منتظرا الفرج بعد الشدّة وزوال تلك المحنة الممتدّة، فجاء الفرج من المولى سبحانه وتعالى وانفرجت الغمّة ورجع إلى مقر الزاوية مواصلا مهمّته في تعليم القرآن وعمارة الزاوية بالطلبة ونصح الإخوان. أدام الله نعمته على الجميع ووفقنا لما فيه رضاه، آمين.

زاوية الشيخ أحمد بن سليمان

بلدية بن يعقوب الإدريسية.

من زوايا المنطقة زاوية الشيخ بن سعد المولود خلال 1844 م. وقد أسست في ظرف صعب كانت تمر به البلاد بسبب الاحتلال الفرنسي. وكانت هذه الزاوية قائمة بتعليم القرآن ومحافظة على التقاليد العربية الإسلامية توجه المواطنين للوقوف مع شعائر الدين وتعين الفقراء والمساكين برئاسة مؤسسها المذكور، حتى خلفه تلميذه الشيخ أحمد بن سليمان سنة 1872 م الذي كان آية في العبادة والزهد والخلق الحسن والمواظبة على فعل الخير وتشجيع طلبة القرآن الكريم بنشاط متواصل حتى توفي سنة 1914 م فخلفه ابنه الشيخ محمد، وسار على نهج سلفه رغم الضروف الصعبة في تلك السنين التي قامت فيها الحرب العالمية الأولى وتبعتها سنون عجاف وخصاصة في المنطقة، ومع هذا وقف وقفة الشجعان وصمد في الميدان حاملا راية القرآن بالمحافظة على الأخلاق وبذل المعروف والاحسان حتى توفي سنة 1957 م، ثم خلفه أخوه الشيخ بلقاسم الذي برز بمعلوماته الفائقة ونشاطاته الرائقة مؤيدا ومجازا من شيخه عبد القادر بن مصطفى طاهري، فبذل مجهودات جبارة وقام بالزاوية أحسن قيام حتى توفي سنة 1961 م، فخلفه أخوه الشيخ يحيى، وسعى مسعاه وتبعه في العناية بالطلبة وحثهم على تعلّم وتعليم القرآن الكريم والتخلق بالآداب الإسلامية.

الزاوية الأزهرية في مدينة الجلفة

هذه الزاوية هي عروس الزوايا الرحمانية من حيث أنها آخرها تأسيسا. مؤسسها هو الحاج الأزهاري بلعباس، النائلي نسبا، وجدّه من أمه الشيخ محمد بن عزوز البرجي. وقد أخذ الطريقة الرحمانية عن شيخ زاوية طولقة العلامة عبد القادر عثماني. بدأ تأسيسها حوالي 1419هـ، وأخذ طلبة القرآن والعلم يقصدونها سنة 1423 هـ. وهي تعتبر بحق، من حيث بناياتها ومرافقها وأقسامها ومسجدها، من أعظم الزوايا في العالم

الإسلامي. ولمؤسسها مشاريع مستقبلية تعليمية وتربوية في غاية الطموح. نسأل الله تعالى أن يوفقه لتحقيق ذلك. وهو مشهور بمساهماته في المشاريع الخيرية الدينية والاجتماعية وبكرمه الواسع. وقد نظمت في مدحه قصائد، كالتي نظمها الأستاذ المرحوم الإمام معمر حاشي، يقول عنه في إحداها:

رب الفتوة والسماحة لم يزل كهفا ومأوى آمل ومجتد

يعطي ويمنح لا يخاف خصاصةً جوداً وبذلاً في السبيل الأرشد

إلى أن يقول في آخرها:

الله أبقاكم وتوّج مجدكم في الأكرمين بتاج عز سرمدي

ويخاطبه في مطلع قصيدة أخرى قائلا:

إلى أخي العلا الكريم المحتد فخر الشباب السيد بن السيد

الأزهري الشهم معدن الأدب ونور جيله كمالا وحسب

الباب السادس
الرحمانية في القطر التونسي

رواد الرحمانية في القطر التونسي وزواياهم

ابتدأ انتشار الرحمانية في تونس خلال أواخر القرن الثاني عشر الهجري. فقد كان فيها لمؤسسها الشيخ محمد بن عبد الرحمن الجرجري (ت: 1208 هـ) ولخلفائه الأوائل مقدمون وزوايا، من أبرزهم الشيخ بلحسن اليوسفي الدهماني. وفي عهد أولئك الخلفاء الأوائل: علي بن عيسى المغربي، ثم بلقاسم بن الحافظ المعانقي، ثم الحاج البشير – حليف الأمير عبد القادر في جهاده – والشيخ المجاهد عمر زعيم ثورة 1857 – الذي هاجر إثر نهاية الثورة لمدينة الكاف وبدأ بتأسيس زاوية بها –، نشأت الزوايا الرحمانية في تونس، فكان منها: زاوية الكاف التي أسسها صالح بن علي بن عيسى، وزاوية سيدي الحاج محمد البشير (ت: 1242 هـ) - وقد ترجم له ابن أبي الضياف في تاريخه، وابن مخلوف في "شجرة النور الزكية". وقد تكلم الشيخ محمد بن الخوجة (1869-1942) في كتابه " تاريخ التوحيد " على المدرسة البشيرية تابعة لهذه الزاوية (دار الغرب الإسلامي – ط 2 – 1985 – ص 325، 326) فقال:

[هذه المدرسة موقعها بزاوية الولي سيدي محمد البشير الزواوي (صاحب الطريقة الرحمانية، توفي بتونس سنة 1826) وهي من الأحباس الخاصة وتصرفها في يد ذرية الشيخ نفع الله به. وكانت في القديم يسكنها طلبة العلم من أبناء شرفاء زواوة، أتباع الطريقة الرحمانية، ومسجدها حافل بالدروس، من ذلك درس في التفسير يقرأه الشيخ بنفسه، وممن تبرك بحضور هذا الدرس المؤرخ الشيخ أحمد بن أبي الضياف، هكذا ذكر في الجزء الرابع من تاريخه بزيادة وأن الشيخ كان يقوم أيضا بدرس في الحديث. وشهرة الشيخ البشير في العلم والصلاح معروفة بين أهل عصره. وهذه الزاوية مع مستتبعاتها، ومنها المدرسة المتحدث عنها، من حسنات المولى حسين باي الثاني، بناها لسكنى الشيخ، وجلها وقفا عليه في حدود سنة 1240 (1824). وهذا الباي كان حجره أبوه في قائم حياته للشيخ رضي الله عنه، فكان شديد الاعتقاد في الشيخ البشير، حتى أنه عند مماته تبرك وآل بيته بحمل نعشه. وبالتالي استمر نظام المدرسة على ما كانت عليه من إسكان الطلبة وإطعامهم في عهد الشيخ العربي البشير

نقيب السادة الأشراف، وعلى منوالهم كان عمل أبنائه من بعده. ولما وقع ترتيب مدارس الطلبة في سنة 1306 (1888) على عهد المولى علي باي الثالث، شمل ذلك الترتيب المدارس التابعة للأوقاف العامة دون مدارس الأحباس الخاصة التي منها المدرسة البشيرية، غير أن ذرية الشيخ ما زالوا مجتهدين بهذا الزمان (1939م) في المحافظة على نظامها القديم من إسكان عدد معلوم من الطلبة بالسبعة بيوت المشتملة عليها المدرسة، وإطعامهم احتسابا لوجه الله تعالى من ريع أوقافها الجارية لهذا العهد، مع مراقبة سلوكهم، وحثهم على القراءة في جامع الزيتونة، حتى إذا تهيأ أحدهم لنيل شهادة التحصيل استرجعوا منه بيته، ومنحوه لغيره من الطلبة المبتدئين، والله يجزي المحسنين).

أما في الجنوب التونسي فقد أسس الشيخ مصطفى بن محمد بن عزوز (ت: 1282 هـ) زاويته الرحمانية الكبرى في نفطة فاستقطبت جل الرحمانيين في القطر التونسي، كما التجأ إليها كثير من المهاجرين الجزائريين، وتولاها بعده ابنه الشيخ الازهري. ولا يزال إلى اليوم بعض أحفاده في القصرين وتونس قائمين بشؤون الطريقة وتبليغ أورادها. وقد ترجم له ابن مخلوف مؤلف " شجرة النور الزكية " فقال عنه:

[أبو النخبة مصطفى بن محمد بن عزوز العالم الولي العارف بالله الفقيه التقي الصوفي مع صلاح ودين متين من بيت علم وصلاح وفضل وزاويتهم بصحراء سوف شهيرة. دخل هذا الولي القطر التونسي وبث الطريقة الرحمانية الخلوتية في العروش، وطريقته لا تشديد فيها إلا من أراد التوغل في السلوك. يأمر الناس بأداء فريضة الصلاة وذكر لا إله إلاّ الله بقدر الإمكان. وطار صيته وظهرت كراماته لا سيما في الجهة الغربية وأحدث زاوية بنفطة وصار له أتباع كثيرون. أخذ عن الشيخ علي بنعمر صاحب زاوية طولقة وهو عن الشيخ محمد بن عزوز وهو عن الشيخ محمد الأزهري الزواوي وهو عن الشيخ محمد الحفني المصري الخلوتي، وأخذ عنه الكثير منهم ابنه الشيخ المكي وانتفع به وورث سرّه وكان المشير أحمد باشا يعتقده ويعظم شأنه. ومنَّ الله به على هذا القطر بإطفاء نار فتنة تأججت بإفريقية تعرف بفتنة علي بن غذاهم الواقعة سنة 1280 لاجل مغرم الاثنين والسبعين وضمن للناس الأمان وطوع العاصي. للشيخ إبراهيم الرياحي فيه مدائح شعرية ونثرية. توفي في ذي الحجة سنة 1282.]

والشيخ إبراهيم الرياحي كان في ذلك العصر رئيس المفتين بتونس وإمامها وخطيبها بالجامع الأعظم وأستاذ أساتذتها الأخيار، ومن أشهر خلفاء الشيخ أحمد التجاني، وهو ناشر طريقته بتونس، مولده سنة 1180 وتوفي في رمضان سنة 1266، وألفت في ترجمته كتب.

وأخو الشيخ مصطفى الشيخ محمد بن محمد بنعزوز أسس زاوية أخرى بالقيروان. كذلك من أبناء الشيخ عبد الحفيظ الخنقي خليفة الشيخ محمد بن عزوز: محمود أسس زاوية في تونس العاصمة، وأخوه الحفناوي أسس زاوية تمغزة بالجنوب الغربي التونسي، وتولاها بعده محمد العزوزي. من هذه الزوايا الاولى تفرعت بسرعة كبيرة زوايا أخرى حتى أصبح عددها قريبا من مائة زاوية، منها بتونس زاوية عين الصابون أسسها الشيخ محمد الصالح العمراني، وزاوية الشيخ القسطلي بباجة، وزاوية ابن عبد الملك بسليانة، وزاوية الحاج امبارك بتالة، وزاوية ابن قضوم بالقصرين، وزاوية مجرطالة، وزاوية سيدي الفوضيل بالكاف وزاوية سيدي إبراهيم بن الحفناوي، وزاوية سيدي عبد المالك بغاردماو.

هذه الشبكة الواسعة من الزوايا الرحمانية في تونس قامت بأدوار هامة في التربية الروحية وتعليم القرآن والعلوم الشرعية والخدمات الاجتماعية والجهادية، وكانت مأوى للمهاجرين الجزائريين، ومراكز اجتماع للمسافرين إلى المشرق والقادمين منه.

وبفعل الانتشار السريع الكبير للرحمانية في القطر التونسي أصبح عدد أتباعها وزواياهم يعادل أو يفوق عدد أتباع أوسع الطرق انتشارا في تونس وهي القادرية المنسوبة للقطب عبد القادر الجيلاني البغدادي (ت: 561 هـ).

عدد أتباع كبرى الطرق في تونس سنة 1925 حسب الأرشيف الوطني – السلسلة 3 ص 97 رقم 3-:

- القادرية: 117681 مريد (109 زاوية)
- الرحمانية: 114761 مريد
- العيساوية: 37534 مريد
- التجانية: 16094مريد (24 زاوية)
- الشاذلية: 12489 مريد

والجنرال أندري مؤلف كتاب " الطرق الدينية الإسلامية " –المطبوع بالجزائر سنة 1955 يقول عند حديثه عن الرحمانية في تونس (ص 148) – نقلا عن – حولية العالم الإسلامي سنة 1951، أنه كان يوجد في الجزائر 156000 من أتباع الرحمانية تجمعهم 177 زاوية، وأما في تونس فكان عدد السكان: 3500000 منهم 2832878 مسلم من بينهم:

- أتباع زاوية نفطة الرحمانية: 16591 لهم 90 زاوية.
- أتباع العزوزية الرحمانية: 835 لهم 8 زوايا.

وبالتالي فالعدد الاجمالي للرحمانيين التونسيين يفوق باقي أعداد أتباع كبرى

الطرق الأخرى مثل:

- أتباع القادرية: 17196 لهم 130 زاوية.
- أتباع العيساوية: 11290 لهم 87 زاوية.
- أتباع السلامية: 4654 لهم 83 زاوية.
- أتباع التجانية: 1800 لهم زاويتان.
- أتباع المدنية الدرقاوية الشاذلية: 1614 لهم 7 زوايا.
- عليوية توزر: 1315 لهم زاوية واحدة.

الباب السابع
إحصاءات
حول الطريقة الرحمانية

مراجع إحصاءات حول الطرق الصوفية في القطر الجزائري

تكلم المؤرخ سعد الله بلقاسم في الجزء الرابع من كتابه (تاريخ الجزائر الثقافي) - ص 29-291... 301 على إحصاءات تتعلق بالطرق الصوفية في الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي. كل تلك الإحصاءات، رغم اختلاف معطياتها أحيانا، تدلّ على أن عدد أتباع الطريقة الرحمانية في الجزائر خلال أواخر القرن التاسع عشر وفي النصف الأول من القرن العشرين، يفوق مجموع أعداد جميع الطرق الأخرى. وهذا يدل على مدى وسع وعمق أثر الطريقة الرحمانية في المجتمع الجزائري. فلنذكر خلاصة ما قاله للمقارنة بين الطريقة الرحمانية وغيرها من الطرق من حيث عدد الأتباع والزوايا.

هناك كتب عديدة تناولت إحصاءات الطرق الصوفية وأتباعها وزواياها ومقدميها وشيوخها، منها:

- كتاب (الطرق الدينية الإسلامية) - الجزائر - 1897 لأكتاف ديبون واكسافييه كوبولاني.
- كتاب (الإخوان) لبروسلار Brosselard, 1859.
- كتاب (المؤسسات الدينية في مدينة الجزائر) الجزائر 1878 لألبير ديفوكس.
- كتاب " مرابطون وإخوان " المنشور سنة 1884 للويس رين الخبير في الشؤون الجزائرية والمؤلف لعدة أعمال حول الجزائر، وقد عمل سنوات مستشارا للحكومة

العامة.

- كتاب (المرابطون) لدوتيه .Doutté

- كتاب (الطرق الإسلامية في الحجاز) 1887 لوشاتليه وهو من ضباط المكاتب العربية في ورقلة ثم أستاذ بكوليج دي فرنسا بباريس ومؤسس « مجلة العالم الإسلامي».

- كتاب (منطقة القبائل والعادات القبائلية) باريس ط. 2: 1893 لهانوتوولوتورنو.

- كتاب (الطرق الصوفية عند مسلمي الجزائر) 1845 وأعيد طبعه سنة 1913. لدي نوفو De Neveu. وكان من كبار المسؤولين في الشؤون الأهلية ومن المنتمين للحركة السانسيمونية.

وهناك إحصاءات وبحوث أخرى كثيرة في الموضوع نشرت في أعداد العديد من المجلات مثل:

- المجلة الإفريقية.

- مجلة (روكاي) 1918ص 1924/282 ص 256- 1857/276- 1856-ص 133

- مجلة (جمعية جغرافية الجزائر وشمال افريقيا S. G. A. A. N). مثل: (هنري قارو: الحركة الإسلامية) 1906ص175.

هنري بارلينتن: مونوغرافية إقليم تيهرت. 1912 ص 337- 338. فلامان

- مجلة (العالم الإسلامي)

- مجلة (العالمين Les deux mondes).

- حولية العالم الإسلامي 1954 باريس 1955 ص 220

- مجلة (إفريقية الفرنسية) مايو 1938، ص 220.

إحصاءات عامة لمختلف الطرق، وللرحمانية خاصة في أواخر القرن التاسع عشر

	إحصاءات لويس رين عالم 1884	إحصاءات ديبون كوبولاني 1897
عدد الطرق	16	23
الزوايا	355	349
الأتباع	169.000	295189
عدد الشيوخ	20	56
عدد السكان	2.842.000	
عدد أتباع الرحمانية	96161	160.000
عدد المقدمين للطريقة الرحمانية	754	
عدد الزوايا الرحمانية	220	

إحصاء فارو للرحمانية سنة (1906)

	عدد الأتباع	عدد الزوايا
وادي العثمانية	40.000 تابع	40 زاوية
الهامل	43.000	29
طولقة	16.000	17
نفطة (تونس)	13.000	15
قسنطينة	10.000	8
آقبو	9000	42
أحمر خدو (الأوراس)	2000	3
المجموع	133500 منهم 13000 نساء	154

لم يذكر فرع سوف (زاوية سيدي سالم) والخنقة والخيران

مقارنات بين أعداد أتباع الرحمانية وأتباع غيرها من الطرق في الجزائر في أواخر القرن التاسع عشر.

إحصاء رين عام 1884 إحصاء ديبون وكوبولاني عام 1897

عدد الزوايا	عدد الأتباع	عدد الأتباع	عدد النساء الأتباع	عدد الشيوخ	عدد الزوايا
الرحمانية	915 .96	أكثر من 165214	13186	أكثر من 22	177
20 الطيبية	16045	22148		8	8
29 القادرية	14842	21056	2695	4	33
17 التجانية	11982	25323			32
32 الدرقاوية الشاذلية	/10252 14574	9567		9	10
5 الحنصالية	3648	4253		1	18
13العيساوية	3116	3580	33	1	10
الكرزازية	2986				
الزيانية	3400				
5 الشيخية	2819	10216			4
المدنية	1601	1673			2
الناصرية	1000				
السنوسية	511				
اليوسفية	413	1446		01	
الدردورية	204				
الشاذلية		14206	652	09	11

إحصاءات لأتباع الطرق الصوفية في الشمال الشرقي للجزائر سنة 1914.

في 1 ديسمبر 1914 أكمل بقسنطينة الاستاذ الفرنسي أ. كور كتابة بحث مطول نشره في المجلة الإفريقية عنوانه: (بحوث حول حالة الطرق الدينية الإسلامية في دوائر

أم البواقي وعين البيضاء وسدراتة وسوق أهراس ومرصد وتبسة ومسكيانة وخنشلة).
هذا البحث منشور في العدد 62 (سنة 1922) من مجلدات المجلة الإفريقية، في الصفحات: من 85 إلى 139، ومن 29 إلى 334.

فبحثه هذا يقتصر على مناطق محدودة من شمال الشرق الجزائري، وهو في غاية الدقة. وقد لخص إحصاءاته في جداول تشمل أسماء مقدّمي كل طريقة في كل مدينة وقرية ودوار، وعدد المزارات والزوايا التي يشرف عليها كل مقدم، وعدد أتباعه داخل قريته أو دواره وخارجهما، واسم الزاوية الأم التي ينتمي إليها، وسنة أخذه الاجازة في طريقته، مع ملاحظات أخرى كنسبة أتباع الطرق بالنسبة لعدد السكان في كل من الدوائر العشرة. وفي جدول آخر فصل بدقة بالغة كل ممتلكات بعض المقدمين في دائرة تبسة سنة 1898 بما في ذلك عدد كل ما يملكه كل منهم من رؤوس أغنام وبعير وماعز وغير ذلك. وفي جداول أخرى فصل أسماء كبار شيوخ الطريقة الرحمانية وفروعها. وفي جدول آخر قارن بين أعداد كل طريقة في كل من الدوائر العشرة المذكورة. وهذه الإحصاءات تبين أن أكثر الطرق انتشارا في تلك الدوائر هي الرحمانية. وفي الجدول التالي خلاصتها:

اسم الطريقة	عدد فروعها	عدد أتباعها	عدد مقدميها
الرحمانية	22	12325	108
التجانية	02	6828	22
القادرية	03	2697	20
الشاذلية	03	847	12
عليوية نفطة	01	500	05
الحنصالية	01	150	02
عمارية	01	150	02
عيساوية	01	125	02
سلامية طرابلس	01	120	02
المجموع		24042	180

كنموذج لتوزيع الاتباع والمقدمين التابعين لبعض الزوايا الرحمانية في الشرق يلخص ما ذكره الباحث المذكورفي الجدول التالي:

اسم الزاوية الأم وموقعها ز-زاوية	سوق أهراس 900 إخوان 32 مقدم	ناحية سدراتة 1400إخوان 22 مقدم	ناحية مرصد 2200 إخوان 8 مقدمين	ناحيةمسكيانة 1600 إخوان 9 مقدمين
زاوية صالح بن علي بن عيسى في الكاف بتونس	11			
ز. شلغوم العيد الحملاوية	4	6		2
ز. عثمان بوغانم – تونس –	3			
ز. الكامل بن المكي بنعزوز- سوق أهراس-	2	4		1
ز. سيدي الفوضيل – الكاف تونس –	2	2		
ز. خاوة صالح بن يوسف – ناحية قسنطينة –	2		1	
ز. خنقة سيدي ناجي للشيخ عبد الحفيظ				2
ز. تراب عبد الرحمن – الحنانشة –	2			
ز. سيدي علي بنعمر – طولقة –	1	4	2	2
ز. لزهاري بن مصطفى بنعزوز -نفطة-	1	3	2	2
ز. توزر			1	
ز. حركتاص	1			
ز. مجرطالة- تونس –	1			
ز. إبراهيم بن الحفناوي			1	
ز. سيدي عبد المالك – غردماو تونس-	1			
ز نبايل – سافية –	1			
ز. ليانة			1	
ز. خيران		1		
ز. أحمد بن موسى - خنشلة –		2		

تطور عدد أتباع مختلف الطرق في الجزائر ما بين أواخر القرن 19 وسنة 1937:

أواخر القرن 19: عدد الأتباع 300.000 كبار شيوخهم 57

سنة 1910: عدد الأتباع: 295.000

سنة 1937: عدد الأتباع: 190.000

إحصاءات حول زوايا وعدد أتباع الطريقة الرحمانية حوالي سنة 1955 م

الجنرال الفرنسي أندري ألف سنة 1955باللغة الفرنسية كتابا عنوانه (الطرق الدينية الإسلامية) يحتوي على بحوث دقيقة تتعلق بالطرق الصوفية المنتشرة في الجزائر، فيها إحصاءات حول الزوايا وعدد أتباع كل زاوية في مختلف المناطق من القطر الجزائري. وفي ما يلي خلاصة لما ذكره حول الطريقة الرحمانية:

يعدّد الزوايا الرحمانية في نواحي تيزي وزو بمنطقة القبائل الكبرى فيقول:

- بدوار بونوح دائرة ذراع الميزان توجد الزاوية الأم لسيدي محمد بن عبد الرحمن الجرجري الازهري.

- في سنة 1945 أنشئت زاوية في آيت سيدي يحي بدائرة أزفون حيث توجد زاوية سيدي منصور المشهورة في إزاراهزان. والقائمون عليها من عائلة سي داوي، ويمتد نفوذهم في العديد من جهات منطقة القبائل، ولها فروع بدوار بني فليك ودوارزكاي

- في دائرة جرجرة يوجد ما لا يقل عن 1300 رحماني خصوصا بدوار واصيف، وهم من أتباع الشيخ أحمد بن بلقاسم ببرج إليل (أكبو).

- بدوار آيت يحي توجد زاوية سيدي علي أوطالب المؤسسة عام 1870، وتؤوي نحو 45 طالبا.

- بدوار مورار توجد زاوية سيدي محاند أو معلم، وزاوية سيدي علي، وزاوية سيدي موسى، وزاوية تيمغاس بدوار اقدال، وزاوية آيت بومهدي بمشراك.

- بدوار بني محمود توجد زاوية سيدي الحاج اوزقان.

- بدوار اومالو توجد زاوية اسحنونن المشهورة والتي تشرف عليها عائلة أمقران.

- بدوار أكفادو توجد زاوية سيدي عمار أولحاج التي أعيد فتحها عام 1949، وتؤوي نحو 100 طالب.

- بدوار ابن بوشايش توجد زاوية الشيخ أمقران المتوفي سنة 1941 وقبره بآيت زلال.

- بدوار بني غبي توجد زاوية سيدي بهلول بقرية الشرفة حول ضريح سيدي بهلول ابن حسن المتوفي في القرن السادس الهجري، ويزورها سنويا أكثر من 15000 زائر.

- بدوار أدجار توجد زاوية سيدي محاند اومالك، ولها نفوذ هام في وادي الصومام.
- بدوار افليسن توجد زاوية تيمليلين، ولها حوالي 500 تابع.
- بدوار زمنزر بدائرة تيزي وزو توجد زاوية أكاندجو، ولها حوالي 150 تابع. وبيالسترو عدّة زوايا.
- بدوار ايلولة اومالو توجد زاوية سيدي عبد الرحن اليلولي المشهورة في كل المنطقة القبائلية بإشعاعها العلمي وتخصصها بتعليم القراءات القرآنية، وتؤوي نحو 130 طالبا، وبقربها زاوية سيدي أحمد اودريس. هاتان الزاويتان لا تعتبران من الزوايا الرحمانية لكن غالب شيوخهما من خريجي الزوايا الرحمانية. وقد تحولت زاوية الشيخ اليلولي بعد الاستقلال - وإلى اليوم – إلى معهد يكون الأئمّة وتشرف عليه وزارة الشؤون الدينية.

وفيما يلي الإحصاءات التي أعطاها المؤلف المذكور لعدد زوايا الرحمانية وعدد أتباعها في ذلك العهد، أي بداية الخمسينيات من القرن العشرين:

الدائرة	عدد الزوايا	عدد الأتباع	المدن
باتنة	3	300	عين عصفور. تلات وأولاد فاضل عين توتة
الأوراس	4	3000 5000 1500 +2000	تبرمسين عين البيضاء. خروب. عين قصر. أم البواقي. عين مليلة. خنشلة مشونش. أولاد الأبيض. أولاد عبدي
بريكه	1	المقدمون: 18	قصبات
خنشلة	5	بضعة آلاف	تمرانت. متوسة. اليوناس. خنقة سيدي ناجي
بجاية	28	بضعة آلاف	أكبو – تازمالت – صدوق – جيجل – طاهير – قفنزات – صومام – وادي مرسى
عنابة	9	بضعة آلاف	عنابة – القالة – إدوغ

ذراع الميزان زارنه بالسترو دواربني زمنرز	أكثر من 10 زوايا ولكل منها فروع 1 بضع 1	 500 150	زاوية محمد بن عبد الرحمن بدوار بونوح – زاوية أولاد بن فوضيل بدوار نزليوة –زاوية سيدي الحاج أوزقان بدوار بني محمود – زاوية آيت سيدي عمار أولحاج بدوار أكفادو (مدرسة 100 طالب) –زاوية يبدي بهلول بقرية الشرفة – زاوية سيدي محاند أومالك بدوار إدجار - زاوية سيدي عبد الرحمن بن يسعد اليعقوب (أسست في 1870): 130 طالب لها إشعاع على كل الشمال الجزائري. - زاوية سيدي أحمد أودريس بقرية آيت علي دوار إيفليسن: زاوية تيمليلين.
الغرب الجزائري		1500	تلمسان – تيارت – عمي موسى – غالبية أتباع جهة وهران وزواياهم تابعون لزاوية الهامل الرحمانية.
العاصمة الهامل مدية عين شحورة بوغاري شلالة مليانة تيزي وزو عزفون جرجرة دوار مرار سيدي موسى تيمغاس	2 29 1 1 1 عدة زوايا 2 1 1 1	16000 45000 1000 1868 6000 4000 450 1300	- الزاوية الأم بالحامة حيث ضريح المؤسس سيدي محمد عبد الرحمن بوقبرين- وزاوية سيدي علي بن بلقاسم محمد مقدم الشيخ الحداد – تكسراين – جرجرة – ذراع الميزان – تيزي وزو - الشرق والوسط والجنوب ومنطقة القبائل. زاوية عين غلال للشيخ عزوز بن الحاج المختار (مدرسة أكثر من 100 طالب) +مكتبة أكثر من 1000 كتاب و160 مخطوطا) دوار بنهار: زاوية محمد بلحاج سالم 1896. تابعون للهامل سرسو. آيت سيدي يحيى (أسست1945) ايزاراهزن (أهم زاوية): زاوية سيدي منصور بني فليك – دوار زكاي: (فروع) دوار واصيف–دوار آيت يحي: زاوية سيدي علي أبو طالب أسست 1870 (45طالبا) زاوية سيدي محاند أومعلم – زاوية سيدي علي. دوار أوقلال- زاوية آيت بومهدي – مشرق – تقونسفت.

ناحية	عدد الزوايا	عدد الأتباع	أهم أماكن الزوايا والأتباع
قسنطينة	2	1000	زاوية باشتارزي نهج أربعين شريف
عين طين	1		زاوية سيدي خليفة
عين عبيد	1	1000	
خروب		1000	
واد زناتي	1		
تبسة	1	200	
فج مزالة	5		اريس، غمريان، منار، تسادان زاويتان
ميلية	1	2000	
مرصط	4		
أم البواقي	5	600	
سدراتة	5		
قالمة	2		واد مشرف- السافية
سكيكدة	1	100	
القل	7		
جمابس	5	5000	زاوية معطا الله 2000 زاوية بن نوارة 1000
برج بوعريريج	1	300	
البيبان	1	2000	زاوية بنكمون عمار
العلمة	5		البيضاء-برج بوزيان-قدجال سكرال (زاويتان مع مدارس قرآن)
ماعديد	4	1000	
ريرحة	1	600	
مسيلة	3	2000	المسيلة-دوار واد منصور-دوار عبدي قبالة

تاكيتونت	2	1000	
الجنوب 86000 تابع منهم في نواحي تقرت 52000			
طولقة	1	5000	زاوية علي بنعمر العثمانية أم زوايا الجنوب والشرق (150 طالبا ومدرستين)
أولاد جلال	3	25000	الزاوية المختارية بأولاد جلال وفروعها في عين فارس وعين سيدي مقوق وعين العلاق (50 طالب)
وادي سوف	1	20000	زاوية سيدي سالم بالوادي (مدرستان الأولى لأبناء المنطقة والأخرى للمامشة)
تمرنة	1	2000	
الجلفة	عدّة زوايا	30000	أغلبهم تابعون لزاوية الهامل
الأغواط	1	1000	
ورقلة	1	2500	
عين صفرة	2		
جريفيل		1000	زاوية أولاد زياد

الباب الثامن
نصوص مختارة في التربية الروحية للطريقة الرحمانية الخلوتية

مدخل

في هذا الفصل نورد نصوصا لبعض شيوخ الطريقة السهروردية والخلوتية والرحمانية، للتعرف على صميم كيفية التربية الروحية في هذه الطريقة. فالتربية التي يتلقاها المريد عن شيخه هي اللباب الأصلي الذي تتمحور حوله كل النشاطات الأخرى للطريقة وزواياها.

وقد كتب شيوخ وعلماء الطريقة الخلوتية السهروردية المئات من المكتوبات والرسائل والدواوين الشعرية في بيان كيفيات التربية الروحية الإسلامية وفي مختلف ميادين المعارف الصوفية، من أشهرها مكتوبات أعلام المدرسة السهروردية والكبروية، وقد ذكرنا أسماء بعضهم في الباب الأول من هذا الكتاب، وكذلك مكتوبات خلفاء الشيوخ: عمر الخلوتي (ت: 730هـ) ويحيى الباكوي (ت: 868هـ) ومحمد دمرداش المصري (ت: 930هـ) وأفندي علي قاره باشا الأنداوي. وقد عرفت التآليف الخلوتية فيضانا غزيرا ممتازا كيفا وكمّا عند المجدد الشهير الشيخ مصطفى البكري (ت: 1162هـ) وكبار خلفائه في مصر والشام وتركيا. وقد ذكرنا عناوين بعضها خلال ذكر مؤلفيها.

أما مكتوبات شيوخ وعلماء الطريقة الرحمانية الخلوتية في الجزائر المتعلقة بالتربية الروحية والعرفان الصوفي فأهمها:

- مكتوبات ورسائل المؤسس الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري (ت: 1208هـ)

- كتب ورسائل خليفته الشيخ عبد الرحمن باشتارزي القسنطيني (ت: 1222هـ) مثل كتاب " غنية المريد في شرح نظم معنى كلمتي التوحيد" المطبوع بتونس عام 1322 هـ، وأشهرها: "المنظومة الرحمانية". ويعتبر شرحها: "المنح الربانية في بيان

المنظومة الرحمانية " لابنه وخليفته الشيخ مصطفى (ت: 1252هـ) أهمّ وأحسن وأوفى مرجع للتربية في الطريقة الرحمانية. وقد طبع عدّة مرات.

- مكتوبات ورسائل شيوخ الأسرة العزوزية مثل الشيخ محمد بن عزوز البرجي (ت: 1233هـ) وابنيه الشيخ مصطفى (ت: 1282هـ) والشيخ التارزي (ت: 1310هـ) والشيخ محمد المدني (ت: 1285هـ)، والعلامة الشهير الشيخ محمد المكي بن الشيخ مصطفى (ت: 1334هـ).

- مكتوبات ورسائل شيوخ زوايا طولقة (خصوصا رسائل الشيخ علي بنعثمان) ووادي سوف (خصوصا منظومات ورسائل الشيخ الطاهر العبيدي) والهامل (الزاوية القاسمية) وزوايا زواوة (خصوصا مكتوبات الشيخ بلحداد والبوجليلي) وزوايا نواحي الجلفة (خصوصا أشعار ومنظومات الشيخ عطية بن أحمد بيض الغول).

- مكتوبات ورسائل وأشعار الشيخ عبد الحفيظ الخنقي (ت: 1266هـ) وبعضها مطبوع تحت عنوان "الرسائل المكنونة"، وهي من أنفس مراجع الطريقة الرحمانية. ولأبنائه أيضا - خصوصا الشيخ الحفناوي - رسائل ومكتوبات هامة في هذا الميدان

- كتاب: "تعطير الأكوان بنشر شذا نفحات أهل العرفان " للشيخ محمد الصغير بن الشيخ المختار مؤسس زاوية أولاد جلال (ت: 1226هـ) وقد طبع بالمطبعة الثعالبية بالجزائر سنة 1334 هـ (1916م)، وهو من أهم المراجع الرحمانية لاحتوائه على الكثير من النصوص والرسائل التي كتبها شيوخ الطريقة.

- كتاب "الزهر الباسم " في ترجمة سيدي محمد بن أبي القاسم مؤسس زاوية الهامل، لمؤلفه محمد بن الحاج محمد بن أبي القاسم. طبع بتونس سنة 1308 هـ.

- كتاب " الطريقة الرحمانية أركانها وأصولها "لماجدة القاسمي الحسني، وهو رسالة ماجستير في العلوم الإسلامية بجامعة الجزائر عام 1421 هـ. 2000م.

أوراد الطريقة الرحمانية

1. الأوراد العامة:

الأوراد العامة للطريقة الرحمانية تتمثل في:

أولا: في الالتزام الكامل بأحكام الشريعة ظاهرا وباطنا، وترويض النفس على دوام الزيادة من النوافل الشرعية صلاة وصوما وتلاوة للقرآن والأذكار النبوية المأثورة، إلى غير ذلك من الأعمال والعبادات والأخلاق المفصلة في كتب الشريعة.

ثانيا: الالتزام بهذا الذكر كل يوم صباحا ومساء:

أ- يقول الذاكر الآية 19 من سورة محمد: "فاعلم أنه لا إله إلا الله" مرة واحدة ثم يذكر "لا إله إلا الله" 300 مرة على الأقل صباحا ومساء من عصر يوم الجمعة إلى عصر يوم الخميس.

ب- ومن عصر يوم الخميس إلى عصر يوم الجمعة يأتي بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مستفتحا بالآية 07 من سورة الأحزاب: "إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما" مرة واحدة ثم يشرع في الرواية المأثورة وهي: "اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليما" يأتي بها على العدد الذي ذكر به "لا إله إلا الله".

ج- قبل قيام الذاكر من مجلس صلاة عصر يوم الجمعة يأتي بصلاة الأمي ثمانين مرة وهي: "اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم".

ثالثا: أذكار أخرى غير لازمة ولكن يستحسن الإتيان بها من أهمها:

المسبعات يأتي بها صباحا ومساء وهي: آية الكرسي إلى قوله تعالى: "خالدون"، وآخر سورة البقرة من "لله ما في السموات والأرض"، ثم: "قل اللهم مالك الملك" إلى "بغير حساب"، وسورة الفاتحة والإخلاص والمعوذتين، كل واحدة من هذه السبعة ثلاث مرات. ثم يختم بالصلاة الكاملة: "اللهم صل على سيدنا محمد وآله صلاة أهل السماوات والأرضين عليه وأجر يارب لطفك الخفي في أموري" ثلاثا. ثم "سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين" مرة واحدة وأفضل أوقات هذا الورد إثر صلاة الصبح وإثر صلاة العصر.

رابعا: من المستحسن قراءة كتاب "دلائل الخيرات" وجله في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وآله، من تأليف الشيخ محمد الجزولي (توفي عام 870 هـ) إمام الطريقة الجزولية الشاذلية، وذلك لورود أحاديث ثابتة تحث على كثرة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم خصوصا ليلة الجمعة ونهارها.

خامسا: من المستحسن أيضا الالتزام اليومي بورد قرآني أقله حزبان، مع الأدعية والأذكار النبوية المبسوطة في كتب السنة ككتاب "الأذكار" للإمام النووي، وبعض أحزاب أخرى كحزب البحر للشاذلي، وبالأخص أحزاب الشيخ مصطفى البكري الصديقي وفي مقدمتها ورد السحر وأوراد الأيام السبعة ولياليها.

سادسا: تختلف أحيانا صيغ الورد اختلافا يسيرا حسب اختيار شيوخ الزوايا الرحمانية ففي بعضها مثلا يضاف قصيدة (بهجة الشائقين) للشيخ مصطفى بن عزوز، وفي بعضها تضاف قصيدة الأسماء الحسنى للشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي، وفي بعضها الآخر يضاف حزب الفلاح للشيخ عبد الحفيظ الحنقي، أو يضاف أحد أحزاب

الشيخ مصطفى البكري، إلى غير ذلك من الإضافات التي لا تغير صلب الورد الأساسي، وكمثال نذكر الورد المعتمد في الزاوية العزوزية الرحمانية بالهامل: يذكر بعد صلاة الفجر:

يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث (40 مرة). ثم: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أستغفر الله (100 مرة).

ثم: الصلاة الكاملة وهي: اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله صلاة أهل السماوات والأرضين عليه وأجر يا رب لطفك الخفي في أموري (3 مرات). ثم: اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ومحمد صلى الله عليه وسلم أجرني من النار (3 مرات).

وبعد معقبات صلاة الصبح يذكر: لا إله إلا الله (300 مرة)، المائة الأولى بالمد والثانية بالتوسط والثالثة بالقصر.

وبعد صلاة العصر كذلك: لا إله إلا الله (300 مرة).

وبعد صلاة عصر يوم الخميس تترك الهيللة وينتقل إلى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بصيغة: اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (300 مرة).

وبعد صلاة الجمعة بهذه الصيغة: اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم 80 مرة ثم المعقبات ثم (لا إله إلا الله) كما هي العادة.

وبعد معقبات كل صلاة: يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم (10 مرات) بالصيغة الآتية: اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وسلم.

2- الأوراد الخاصة:

وأمّا أذكار السلوك في التربية الرحمانية فلا تكون إلا بإشراف وتلقين الشيخ المربي المأذون إذنا كاملا في التربية. وبدايات هذا السلوك تكون في خلوات يقطع فيها المريد سبعة مراحل عبر معارج النفس الأمارة ثم اللوامة ثم المطمئنة ثم الراضية ثم المرضية ثم الملهمة ثم الكاملة، وذلك بالتجرد لذكر الأسماء الحسنى تعلقا وتخلقا وتحققا.

وصنفت الأسماء إلى سبعة أقسام أمهات لكل قسم إمام مناسب لتلك المراحل السلوكية السبعة، وهي بالترتيب التالي: لا إله إلا الله – الله – هو-حي-قيوم-حق-قهار. تحت كل واحد منها عشرة أسماء فروع فمجموعها سبع وسبعون، يأتي السالك الكامل على جميع مراتبها ثم يتممها بالاثنين والعشرين اسما، كل اسم منفرد وحده، مما تبقى من أسماء الإحصاء التسعة والتسعين. وعند إتمام مشاهدها جميعا يطويها في الاسم

الأعظم الذاتي الجامع متحققا بقوله تعالى: "وقل رب زدني علما" إلى آخر نفس من أنفاسه.

وجل مكتوبات شيوخ الطريق تفصل كيفية السير عبر تلك المراحل وما يتعلق بها من مشاهد روحية وأذواق عرفانية.

حزب الفلاح للشيخ عبد الحفيظ الخنقي (ت: 1282هـ)

بسم الله العظيم الأعظم الذي لا إله إلا هو الرحمان الرحيم. الحمد لله رب العالمين. اللهم نوِّر قلوبنا بجلال هيبتك، واشرح صدورنا لسر حكمتك، وطهر أبداننا بالسمع والطاعة لأمرك، ونوِّر أبصارنا بالاعتبار في مصنوعاتك، يا مجيب الدعوات يا مقيل العثرات يا الله، اللهم كما خلقتنا بقدرتك الصالحة ورزقتنا بإرادتك الفالحة وبسطت نعمتك علينا برحمتك المانحة حسِّن خلقنا بحسن اختيار تدبيرك، وأطب مطعمنا بما ترضاه أنت لنا لديك، وأتمم لنا بسط الإنعام بفضلك وجودك يا خالق يا رازق يا باسط، سبحانك اللهم ربِ لا اله إلا أنت أسألك بحق أسمائك الصمدانية وأوصافك الوحدانية وأفعالك الالهية أن تمنَّ علينا بالدخول في حضرتك الجمالية، والتمتع فيها بالغيبة عن الأغيار الكونية، وأن تشهدنا بهاء جمال حضرة الأنس القدسية، المنفردة بوحدانية عظمة الربوبية، الدائمة في وجودك الباقية في ديموميتك الظاهرة في ملكك الباطنة في ملكوتك الأولية في مشيئتك الآخرية في قيوميتك المحتجبة عن خلقك المنكشفة لعزتك المنهلك فيها كل الكل بقهريتك، كل شيء هالك إلا وجهه لا اله إلا هو الحي القيوم عالم الغيب والشهادة لا تأخذه سنة ولا نوم، سبحانه وتعالى عما يصفون مالك الملك والملكوت، أسألك يا مولانا بحق نورك العظيم ونبيك الكريم والقرآن العظيم أن تمنَّ علينا بتوبة نصوح ترضاها منا وتقيمها لديك وتختارها لنا باختيار فضلك وكرمك فضلا عن اختيارنا نحن لنفوسنا، يا تواب يا رحيم ارحمنا برحمتك الواسعة الجلباب، وأقم اعوجاج أحوالنا بفضلك يا تواب، وافتح لنا سرادق رحمتك المكنونة في عز جودك كما فتحتها لأولي الألباب، ولا تكلنا إلى تدبير نفوسنا طرفة عين في كل الأسباب، واجعل أسبابنا مطابقة لرضاك ومفتاحا لخير الأبواب، وأسبل علينا سترك الجميل في الدارين بحق آل عمران وفاتحة الكتاب، وامنحنا برضاك، ووفقنا لطاعتك، واخلص لنا العمل حتى لا نعلم منه معك ما يدخل علينا الخلل فيه ويخرجنا منه يا عليم يا حكيم، نحن العبيد الضعفاء وأنت القوي فإن لم ترحمنا لنكونن من الخاسرين. اللهم اكشف لنا الحجاب وافتح لنا الأسباب ووضح لنا المهاب حتى نشهد منك ما يقربنا إليك يا قريب. اللهم كما كنت أنت لعبادك

المقربين كن لنا لطاعتك ناصرا ومعينا حتى تكون الطاعة شاهدة لنا عندك من غير أن نكون نحن شهداء عليها إليك. اللهم اجعل مشاهدتنا للطاعة غيبة عنها وحضورا بين يديك. اللهم كما أشهدتنا طاعتك ووفقتنا لها وألهمت الجوارح للتحرك لأفعالها وأبصرت العقل سر معقولاتها اجذبها منا إليك واحفظها بسر العناية في برزخ أرواح أوليائك وأثبتها في لوح الكمال بدوام رعايتك حتى لا نبصر منها سرا ولا علانية سوى التوفيق منك إليك يا سميع يا بصير يا الله. اللهم ثبت أقدامنا على الصراط المستقيم واهزم جيش الأعداء عنا لنكون على طاعتك مقيمين وفرج همومنا في الدين والدنيا والآخرة يا كريم بحق يٓس والطواسيم والم. اللهم ثبت سرور عنايتك في قلوبنا واخرق الستور بيننا وبينك في سرنا وأعظم الشهود في مشاهدتك لأرواحنا ما أطيقه في سر التجليات في مناجاتنا. ربنا لا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين. رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين. رب ادخلني مدخل صدق في الربوبية وأخرجني مخرج صدق في العبودية حتى لا نعلم الدخول ولا الخروج إلا منك وإليك يا صادق الوعد يا ناجز القصد يا موفي العهد إنك لا تخلف الميعاد يا الله. اللهم يسر أمورنا واكشف كروبنا واغفر ذنوبنا واجبر أحوالنا يا ميسر الأمور يا جابر المكسور يا كاشف الضر عن المعسور بحولك وقوتك استجب لنا فيما تختاره أنت لنا وترضاه. يا لطيفا بالمؤمنين يا رؤوف يا رحيم الطف بنا وارحمنا حتى نشاهد منك مساعدة الأقدار فينا وقت حلول مصائبك بنا ما دامت الأيام سائرة بنا في فلك الأعمار ونحن فيها لا نعلم الشر من المختار فأنت أعلم منا بأحوالنا والطف بأمورنا وأرحم بنا منا يا أرحم الراحمين يا رب العالمين يا الله، ولو كنا نعرف مصالح نفوسنا لاخترنا مرادك على مرادنا ولكن عمنا حلمك الواسع فأمطرنا بسحائب الإفضال فتعاظمت علينا إحسان الإنعام حتى غبنا فيها عنك يا منعم يا خير المحسنين. ربنا لا تواخذنا بما نسينا ولا ترهقنا من أمرنا عسرا. بسم الله الشافي اللهم يا شافي اشف، بسم الله الكافي اللهم يا كافي اكف، بسم الله العافي اللهم يا معافي اعف، باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم. تحصنت بعزتك يا عزيز في جبروته، واعتصمت بربوبيتك يا رب في ملكوت أحديته، وتوكلت عليك يا حي في قدرة أزليته، اصرف عنا كل بلاء وسوء وشر تكرهه إنك على كل شيء قدير، وقنا شر كل فاجر وعاند وحاسد بحق قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.

بهجة الشائقين للشيخ مصطفى بن محمد بن عزوز (ت: 1283)

هذه القصيدة تقرأ بعد نهاية الأوراد في الكثير من الزوايا الرحمانية بالجزائر وتونس. ولغتها قريبة من اللغة الدارجة وفق ما وردت على لسان ناظمها، فلم يتكلف الفصاحة والنظم فيها حتى يسهل حفظها على العامة من الأتباع. وقد شرحها أحد خلفائه وهو شيخ الزاوية الأخيرية الرحمانية بخنشلة الفقيه الصوفي الشاعر الأديب الشيخ محمد الأخضر بن علي بن محمد خياري الحركاتي (1256 - 1330 هـ)، وعنوان شرحه: (مفيد الراغبين على بهجة الشائقين) فرضه عام 1300 العلامة محمد المكي بن مصطفى بنعزوز والعلامة التونسي محمد الصادق النيفر، وطبع بتونس 1353هـ.

باسم الإله بادي ذا النظام … بالحمد والشكر على الدوام

ثم الصلاة على الماحي للزلل … محمد أزكى رسول في العمل

وآله أهل الوفاء والورع … وكل قطب لمناهجهم تبع

بجاه نور العرش يا مجيد … و اللوح والكرسي يا حميد

بمسجد مكة والبقيع … ادخلنا في حزب النبي الشفيع

إن ذنوبي يا إلهي عظمت … صحيفتي بالسيئات ملئت

وهي في جنب عفوك صغيرة … وعند عبدك المسيء كبيرة

بأسمائك الحسنى ربّ رقّينا … ونوّرن قلوبنا واهدينا

بأن نكون من أهل الطريق … والصدق والاخلاص والتحقيق

بفضل الله المالك الديانِ … وبالقرآن والسبع المثاني

رب بنورك المضي يا والي … ارفع علينا الحجب يا عالي

وثبتن إيماننا واسقينا … من كل علم نافع واكفينا

بكل شيخ صحيح الإسنادِ … من شيخنا إلى الرسول الهادي

يا رب صل عنه بالدوام … وارحم أشياخنا ياذا الاكرام

واغفر لنا الذنوب يا رفيع … فما لنا سواك يا سريع

طهر قلوبنا من الآفاتِ … واسبل علينا الستر فيما ياتي

توسلنا لك بأولي العزم … أهل الوفا والكرم والحلم

بخاتم الرسل الكريم العاقب … و بالخليل وإدريس الثاقب

للسماوات كلها حتى وصل مقامة عالية بها نزل
موسى بن عمران من ناجاه الكريم وعيسى روح الله الزاهد الحكيم
ونوح من له المعالي ثبتت في ساير الكتب يا صاح رسمت
يا الله يا مالك يا قادر كن للقلوب حافظا وناصر
إلهنا يا أحد يا واحد يا جواد يا باسط يا ماجد
ويا وهاب يا ذا الطول يا كريم ويا غني ويا مغني ويا حليم
ويا فاتح يا رزاق يا عليم يا حي يا قيوم رحمان رحيم
ويا بديع السموات كلها و الأرضين أنت الذي دحوتها
يا ذا الجلال والإكرام يا حنان من كل خير سألناك يا منان
اتحفنا يا رب بمقام الرضا وهو سرور القلب في مر القضا
ويا سلام سلم الأنفاسا في الخطرات وانزع الوسواسا
ويا صدوق في الأقوال والأخبار اجعلنا رب صادقين في الأذكار
اجعلنا يا رب في حزب الصديقين وزمرة الأبرار والمقربين
يا باقياً بقاءً لا يزول أبقينا في كمالك نجول
يا دائما دواما لا يفنى ولا يكن سواه أحد إلا بلى
أدم سرورنا بلطفك الخفي بنا في الدارين واكفنا يا كافي
شر العدا وكيد الحاسد الذي في كل نعمة نصيبها يوذي
ويا لطيف الطف بعبدك المسي في كل الأحوال إذ يصبح أو يمسي
في كل لحظة كذاك الحركات والسكنات في المحيا وفي الممات
تجاوز بالحلم على ما صدرا منه مما بطن أو ما ظهرا
اسمع ندا المضطر يا قريب أجب دعاءه فلا يخيب
أبصر أحواله حيث تقلبا واجعله لنواهيك مجتنبا
ارحمنا رب برحمتك التي وسعت الأراضي والسموات
أيدنا بالقدرة يا قدير فلم نجد سواك يا نصير
بسيد الرسل وجمع الأنبيا في جنة عدن اجعل اخوانيا
أحضر لنا يا سيد الأنام في السكرات وعند الختام
يا رب اسبل سترك علينا بفضلك وكل ما لدينا
احفظنا وانصرنا عن كل ظالم بالأسماء العظيمة يا دايم

وبالوصول جد على إخواننا ... وكل من دخل في طريقنا
بشرى الذي دخل في الطريق ... نال الرضا وغاية التحقيق
حاز الضمانة من الرسول ... كذا الشفاعة يوم الرحول
وبالكرام الكاتبين اعف عنا ... والطف بنا لطف الحبيب ربنا
يا سامع الأصوات منا فاقبل ... دعاءنا بهذا النظام الأكمل
واجعله خالصا لوجهك الكريم ... وجد على قاريه بالخير العميم
الحمد لله على التمام ... له الشكر في البدء والختام
اغفر لوالدي والإخوان ... في جنة الفردوس يسكنان
وكل من دخل حزب الوالد ... وأخذ العهد عنه يا ماجد
اجعل مقامه يا ذا الجلال ... في جنة عدن يا متعالي
سميته بهجة الشائقين ... روضة أنوار العارفين
يشوق النفوس للمعالي ... ويرفع الأرواح للكمال
من دام عنه في الصباح والمسا ... يكن له في قبره مؤنّسا
ويبسط الله عليه الرزقا ... ويندفع عنه البلا ويرقى
اغفر إلى من جمع هذا النظام ... ابن عزوز مصطفى على الدوام
ختمت نظمي بالصلاة والسلام ... على النبي الهاشمي بدر التمام
عليه مني أفضل الصلاة ... ما صبت الأمطار في الفلاة

نظم أسماء الله الحسنى للشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي

هذا النظم لبعض الأسماء الحسنى يقرأه بعد تمام الورد الراتب اليومي بعض أتباع الرحمانية، خصوصا المنتسبون لزاوية الهامل. وهو من تأليف الإمام الشيخ محمد بن أبي القاسم (ت: 1315هـ) مؤسس زاوية الهامل رحمه الله تعالى. أسلوب ولغة ووزن هذه المنظومة قريب من اللغة الدارجة. فرغم تمكن الشيخ في اللغة العربية ورسوخه في آدابها حسب ما يظهر من مكتوباته الأخرى، فقد ترك هذه المنظومة وفق ما وردت على قلبه ولسانه ولم يتكلف تحويلها إلى الوزن الكامل والفصاحة التامة، بل حافظ على فطرتها الأصلية، ونصها:

صلاتك ربي والسلام على النبي ... صلاة بها يشفى قليبي من الضر
ويا بارى اتحفني بخفائك الودي ... وأجرني من خناسي ووسواس نفسي

فهـا أنـا عبيدك فـي غاية الفقـر ... ومع اضطرار لحضرتك يا مغني

فيا حي يا عليم اجبرني من كسري ... ويا عادل يا لطيف اتحفني باللطف

ويا هو يا قيوم أمددني بالفضل ... ويا الله يا رحمن ابعدني من مكري

ويا باعث سميع أمددني بالود ... ويا خبير بصير يسر عني عسري

ويا عزيز وهاب وفاتح ذو وهب ... ويا صمد حنان بالمد للكل

ويا بديع وكيلاً بإطعام الخلق ... كبير ومتعال منزه عن الجمع

يا مقتدر معيد قاهر ذو مجد ... ويا عظيم جبار ومخترع الكل

ويا واحد أحد في الصفات وفي الفعل ... فذاتك يا مكين فرداني في الاسم

فأقلني يا رحيم في كل عثرة ... وقدسني يا قدوس من الشك والشرك

واكلأني يا كالئ من كل عدو حسد ... وافتح عني ربي بصيرتي للفكر

وارزقني يا رزاق شراب حب الدن ... وامنن عني يا منان بإلهامك السري

و يا ماحي امح عني وصف كل أسى ... ويا بر في الالطاف ولطيف في القهر

يا جميلاً في الجلال وبالعكس في الضد ... ويا باطن في الظهور والظاهر في الخفي

و يا ولي حميد جواد حليم ... ويا قوي متين معز لذلتي

و يا حسيب رقيب الأول الآخر ... القابض الباسط فابسط نعمتي

و يا فتاح الغيوب افتح أقفالي ... برفعك للستور عن سويداء قلبي

وتعمير القلوب بالعلم اللدني ... وحضرة العمار وسرك المصون

و يا والي المجيب البر التواب ... أقسمت بالجبار وحضرة الوصال

أن تشربني شراب حضرتك يا علي ... بطلعة شموس أنوارك يا هادي

فيا رافع خافض أرفع عني أضراري ... وأمراض قلبي بشهود أقماري

واغفر لي يا غفار خطيئة الفرق ... ومساوي الجمع في خزائن فكري

يا مقيت فقتني بصبابة وجدي ... وجواء كالفيض من كوثر الغيب

و يا جليل كريم رفيقا بالعباد ... ويا واسع حكيم يا ودود ماجد

يا مهيمن سلام المقسط للجمع ... فارزقني بالوقار وتهذيب أخلاقي

واغفر لي يا رؤوف أوزار اللمم ... وحوبة الآثام فاقبل توبتي

و يا حفيظ احفظني من المكر والخدع ... ويا مدبر صبور متكبر ذو حق

و يا مذل شكور مقدم مؤخر ... يا ذا الملك والنور مصور كل الخلق

يا باقي يا وارث يا راشد طر الخلق ... يا منتقم منيع امنعني من بؤسي

يا ذا النفع والضر يا ذا الإكرام الجلي يا مغني كل الخلق اغنني بكل فضل
ويا محيي في الإطلاق ويا محصي الكل فملكني يا ملاك في غاية الحب
و يا مبدئ مميت الواجد القادر المومن الخالق ذو الحكم الغفور
و يا عفو جامع اجمعني بالرسل ويا غني عن كل اغنني بالوصل
لا تحرمنا يا شهيد عن فيضك الجبري واتباع المختار وحبه الودي
فالأسماء الكل وبالمصطفى النبي وبالخفاء الخفي زول عني حجبي
فيا صاحبي لله حب واعتقد وجد في شوق الاذكار وحضورها الفكري
يكن لك اضمحلال وتلاشي بالكل وتلبس خلعة من حضرة الغيب
وتصلي يا مريد صلاتك في الفجر وتنضح برك من فيضه البحري
وتقدم إماما كنت له إماما فهذه صلاة إن كنت عارفا بالغيب
فيرضاك الإله لإرشاد الخلق بسطوة المقادير وجلبة القهر
فيكرمك القهار بخلع العذار وتلاشي الحجاب عن أم الكتاب
فاقرأها بصدق يا حبيبي عقب الذكر تكن لك أنيسا من وحشة القبر
وتطرد كل هم والبؤس مع الفقر وصَولة عدو وحرزاً من الضر
واغفر يا غفار لجامع ذا النظم سليل ذي الأنوار أبي القاسم نسبي
محمد يا حضار ابن أبي القاسم الهامل في الأقطار بلادي ومسكني
واغفر للمختار وابن عزوز البرجي والسند الأخيار وجميع إخواني
وارحم الوالدين طراً يا علي وأسكنهم جنة الفردوس يا ربي
وصل يا جبار على خير الرسل ما قد غنى ورشان في أبراج علي
وآله الأصحاب ثم كل تالي وأهل بيعة الرضوان وشهداء بدر

في شرح رتبة المشيخة للسهروردي البغدادي

(ت: 632هـ) من كتابه: «عوارف المعارف»

ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((والذي نفس محمد بيده لئن شئتم لأقسمن لكم، إن أحب عباد الله تعالى إلى الله الذين يحببون الله إلى عباده، ويحببون عباد الله إلى الله، ويمشون على الأرض بالنصيحة)). وهذا الذي ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم هو رتبة المشيخة والدعوة إلى الله تعالى، لأن الشيخ يحبب الله إلى العباد حقيقة، ويحبب عباد الله إلى الله. ورتبة المشيخة من أعلى الرتب في طريق الصوفية ونيابة النبوة في الدعوة إلى الله. فأما وجه كون الشيخ يحبب الله إلى عباده،

فلأن الشيخ يسلك بالمريد طريق الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن صح اقتداؤه واتباعه أحبه الله تعالى! قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾. ووجه كونه يحبب عباد الله تعالى إليه: أنه يسلك بالمريد طريق التزكية، وإذا تزكت النفس انجلت مرآة القلب، وانعكست فيه أنوار العظمة الإلهية، ولاح فيه جمال التوحيد، وانجذبت أحداق البصيرة إلى مطالعة أنوار جلال القدم ورؤية الكمال الأزلي، فأحب العبد ربه لا محالة، وذلك ميراث التزكية. قال الله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ ﴾، وفلاحها بالظفر بمعرفة الله تعالى. وأيضا مرآة القلب إذا انجلت لاحت فيها الدنيا بقبحها وحقيقتها وماهيتها، ولاحت الآخرة ونفائسها بكنهها وغايتها، فانكشفت للبصيرة حقيقة الدارين وحاصل المنزلين، فيحب العبد الباقي ويزهد في الفاني، فتظهر فائدة التزكية وجدوى المشيخة والتربية. فالشيخ من جنود الله تعالى يرشد به المريدين ويهدي به الطالبين.

أخبرنا ابو زرعة عن أبيه الحافظ المقدسي قال: اخبرنا أبو بكر محمد بن علي بن أحمد الطوسي قال حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، قال: حدثنا أبو عتبة، قال: حدثنا بقية، قال: حدثنا صفوان بن عمرو، قال: حدثني الازهر بن عبد الله، قال: قد سمعت عبد الله بن بشر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كان يقال إذا اجتمع عشرون رجلا أو أكثر، فإن لم يكن فيهم من يهاب الله عز وجل، فقد خطر الأمر. فعلى المشايخ وقار الله وبهم يتأدب المريدون ظاهرا وباطنا، قال الله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ ﴾. فالمشايخ لما اهتدوا أهلوا للاقتداء بهم وجعلوا أئمة المتقين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه: (إذا كان الغالب على عبدي الاشتغال بي جعلت همته ولذته في ذكري، فإذا جعلت همته ولذته في ذكري عشقني وعشقته ورفعت الحجاب فيما بيني وبينه، لا يسهو إذا سها الناس، أولئك كلامهم كلام الأنبياء، أولئك الأبطال حقا، أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبة أو عذابا ذكرتهم فيها فصرفته بهم عنهم).

والسر في وصول السالك إلى رتبة المشيخة أن السالك مأمور بسياسة النفس مبتلى بصفاتها، لا يزال يسلك بصدق المعاملة حتى تطمئن نفسه، وبطمأنينتها تنتزع عنها البرودة واليبوسة التي استصحبتها من أصل خلقتها وبها تستعصي على الطاعة والانقياد للعبودية، فإذا زالت اليبوسة عنها ولانت بحرارة الروح الواصلة إليها – وهذا اللين هو الذي ذكره الله تعالى في قوله ﴿ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ تعالى – تجيب

إلى العبادة وتلين للطاعة عند ذلك. وقلب العبد متوسط بين الروح والنفس، ذو وجهين: أحد وجهيه إلى النفس والوجه الآخر إلى الروح، يستمد من الروح بوجهه الذي يليه، ويمد النفس بوجهه الذي يليها حتى تطمئن النفس، فإذا اطمأنت نفس السالك وفرغ من سياستها انتهى سلوكه وتمكن من سياسة النفس، وانقادت نفسه وفاءت إلى أمر الله. ثم القلب يشرئب إلى السياسة لما فيه من التوجيه إلى النفس، فتقوم نفوس المريدين والطالبين والصادقين عنده مقام نفسه، لوجود الجنسية في عين النفسية من وجه، ولوجود التآلف بين الشيخ والمريد من وجه التآلف الإلهي. قال الله تعالى: ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾، فيسوس نفوس المريدين كما كان يسوس نفسه من قبل، ويكون في الشيخ حينئذ معنى التخلق بأخلاق الله تعالى من معنى قول الله تعالى في الحديث القدسي: (ألا طال شوق الأبرار إلى لقائي، وإني إلى لقائهم لأشد شوقا). وبما هيأ الله تعالى من حسن التآلف بين الصاحب والمصحوب يصير المريد جزء الشيخ، كما أن الولد جزء والده في الولادة الطبيعية، وتصير هذه الولادة المذكورة آنفا ولادة معنوية، كما ورد عن عيسى صلوات الله عليه: (لن يلج ملكوت السماء من لم يولد مرتين).

فبالولادة الأولى يصير له ارتباط بعالم الملك، وبهذه الولادة يصير له ارتباط بالملكوت. قال الله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾. وصرف اليقين على الكمال يحصل في هذه الولادة، وبهذه الولادة يستحق ميراث الأنبياء، ومن لم يصله ميراث الانبياء ما ولد وإن كان على كمال من الفطنة والذكاء، لأن الفطنة والذكاء نتيجة العقل، والعقل إذا كان يابساً من نور الشرع لا يدخل الملكوت، ولا يزال مترددا في الملك، ولهذا وقف على برهان من العلوم الرياضية لأنه تصرف في الملك ولم يرتق إلى الملكوت. والملك: ظاهر الكون، والملكوت: باطن الكون، والعقل: لسان الروح، والبصيرة التي منها تنبعث أشعة الهداية: قلب الروح. اللسان ترجمان القلب، وكل ما ينطق به الترجمان معلوم عند من يترجم عنه، وليس كل ما عند من يترجم عنه يبرز إلى الترجمان، فلهذا المعنى حرم الواقفون مع مجرد العقول العرية عن نور الهداية – الذي هو موهبة الله تعالى عند الأنبياء وأتباعهم – والصواب، وأسبل دونهم الحجاب، لوقوفهم مع الترجمان. وكما أن في الولادة الطبيعية ذرات الأولاد في صلب الأب مودعة، تنتقل إلى أصلاب الأولاد، بعدد كل ولد ذرة، وهي الذرات التي خاطبها الله تعالى يوم الميثاق بـ:

﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ حيث مسح ظهر آدم وهو ملقى ببطن نعمان بين مكة والطائف، فسالت الذرات من مسام جسده كما يسيل العرق، بعدد كل ولد من ولد آدم ذرة، ثم لما خوطبت وأجابت ردت إلى ظهر آدم، فمن الآباء من تنفذ الذرات في صلبه، ومنهم من لم يودع في صلبه شيء فينقطع نسله. وهكذا المشايخ: فمنهم من تكثر أولاده ويأخذون منه العلوم والأحوال ويودعونها غيرهم كما وصلت اليهم من النبي صلى الله عليه وسلم بواسطة الصحبة، ومنهم من تقل أولاده، ومنهم من ينقطع نسله، وهذا النسل هو الذي رد الله على الكفار حيث قالوا: محمد أبتر لا نسل له، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾، وإلا فنسل رسول الله صلى الله عليه وسلم باق إلى أن تقوم الساعة. وبالنسبة المعنوية يصل ميراث العلم إلى أهل العلم.

أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي إملاء، قال: أخبرنا أبو عبد الرحمن الماليني قال: أخبرنا أبو الحسن الداودي، قال: أخبرنا محمد الحموي، قال أخبرنا أبو عمران السمرقندي قال: أخبرنا أبو محمد الدارمي قال: أخبرنا نصر بن علي، قال: حدثنا عبد الله بن داود عن عاصم عن رجاء بن حيوة عن داود بن جميل عن كثير بن قيس قال: كنت جالسا مع أبي الدرداء في مسجد دمشق، فأتاه رجل فقال: يا أبا الدرداء إني أتيتك من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم لحديث بلغني عنك أنك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فما جاء بك تجارة؟ قال: لا، قال: ولا جاء بك غيره؟ قال: لا، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من سلك طريقا يلتمس به علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم، وإن طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض حتى الحيتان في الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم، وإن العلماء هم ورثة الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما أورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظه أو بحظ وافر".

فأول ما اودعت الحكمة والعلم عند آدم أبي البشر عليه السلام، ثم انتقل منه كما انتقل منه النسيان والعصيان وما تدعو إليه النفس والشيطان، كما ورد: إن الله تعالى أمر جبرائيل حتى أخذ قبضة من أجزاء الارض، والله تعالى نظر إلى الأجزاء الارضية التي كونها من الجوهرة التي خلقها أولا فصار من مواقع نظر الله إليها فيها خاصية السماع من الله تعالى والجواب، حيث خاطب السماوات والأراضين بقوله: ﴿ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ فحملت أجزاء الأرض بهذا الخطاب خاصية، ثم انتزعت هذه الخاصية منها بأخذ أجزائها لتركيب صورة آدم فركب جسد آدم من أجزاء

أرضية محتوية من هذه الخاصية. فمن حيث نسبة اجزاء الأرض تركب فيه الهوى، حيث مد يده إلى شجرة الفناء وهي شجرة الحنطة في أكثر الأقاويل، فتطرق لقالبه الفناء. وبإكرام الله إياه بنفخ الروح الذي أخبر عنه بقوله: (فإذ سويته ونفخت فيه من روحي) نال العلم الحكمة. فبالتسوية صار ذا نفس منفوسة وبنفخ الروح صار ذا روح روحاني، وشرح هذا يطول، فصار قلبه معدن الحكمة، وقلبه معدن الهوى، فانتقل منه العلم والهوى وصار ميراثه في ولده. فصار من طريق الولادة أبا بواسطة الطبائع التي هي محتد الهوى، ومن طريق الولادة المعنوية أبا بواسطة العلم، فالولادة الظاهرة تطرَّق إليها الفناء، والولادة المعنوية محمية من الفناء، لأنها وجدت من شجرة وهي شجرة العلم لا شجرة الحنطة التي سماها إبليس شجرة الخلد، فإبليس يرى الشيء بضده. فتبين أن الشيخ هو الأب معنى، وكثيرا ما كان شيخنا شيخ الإسلام أبو النجيب السهروردي رحمه الله يقول: ولدي من سلك طريقي واهتدى بهديي. فالشيخ الذي يكتسب بطريقة الأحوال قد يكون مأخوذا في ابتدائه في طريق المحبين، وقد يكون مأخوذا في طريق المحبوبين، وذلك أن أمر الصالحين والسالكين ينقسم أربعة أقسام: سالك مجرد، ومجذوب مجرد، وسالك متدارك بالجذبة، ومجذوب متدارك بالسلوك. فالسالك المجرد لا يؤهل للمشيخة ولا يبلغها لبقاء صفات نفسه عليه، فيقف عند حظه من رحمة الله تعالى في مقام المعاملة والرياضة، ولا يرتقي إلى حال يرِّوح بها عن وهج المكابدة. والمجذوب المجرد من غير سلوك يبادئه الحق بآيات اليقين، ويرفع عن قلبه شيئا من الحجاب، ولا يؤخذ في طريق المعاملة. والمعاملة أثر تام سوف نشرحه في موضعه إن شاء الله تعالى، وهذا أيضا لا يؤهل للمشيخة ويقف عند حظه من الله مروحا بحاله، غير مأخوذ في طريق أعماله ما عدا الفريضة.

والسالك الذي تدورك بالجذبة هو الذي كانت بدايته بالمجاهدة والمكابدة والمعاملة بالإخلاص والوفاء بالشروط، ثم أخرج من وهج المكابدة إلى روح الحال، فوجد العسل بعد العلقم، وتروح بنسمات الفضل، وبرز من مضيق المكابدة إلى متسع المساهلة، وأونس بنفحات القرب، وفتح له باب من المشاهدة فوجد دواؤه وفاض وعاؤه، وصدرت منه كلمات الحكمة ومالت إليه القلوب، وتوالى عليه فتوح الغيب وصار ظاهره مسددا وباطنه مشاهدا، وصلح للجلوة وصار له في جلوته خلوة، فيغلب ولا يُغلب، ويفترس ولا يُفترس، يؤهل مثل هذا للشيخة، لأنه أخذ في طريق المحبين، ومنح حالا من أحوال المقربين بعد ما دخل من طريق أعمال الأبرار الصالحين، ويكون له أتباع ينتقل منه إليهم علوم، ويظهر بطريقه بركة، ولكن قد يكون محبوسا في حاله محكما حاله فيه لا يطلق من وثاق الحال، ولا يبلغ كمال النوال، يقف عند حظه وهو

حظ وافر سني، والذين أوتو العلم درجات. ولكن المقام الأكمل في المشيخة هو القسم الرابع وهو المجذوب المتدارك بالسلوك: يبادئه الحق بالكشوف وأنوار اليقين ويرفع عن قلبه الحجب، ويستنير بأنوار المشاهدة، وينشرح وينفسح قلبه ويتجافى عن دار الغرور وينيب إلى دار الخلود، ويرتوي من بحر الحال، ويتخلص من الأغلال والأعلال، ويقول معلنا: لا أعبد ربا لم أره، ثم يفيض من باطنه على ظاهره، وتجري عليه صورة المجاهدة والمعاملة من غير مكابدة وعناء، بل بلذاذة وهناء، ويصير قالبه بصفة قلبه، لامتلاء قلبه بحب ربه، ويلين جلده كما لان قلبه، وعلامة لين جلده إجابة قالبه للعمل كإجابة قلبه، فيزيده الله تعالى إرادة خاصة ويرزقه محبة خاصة المحبوبين المرادين، ينقطع فيواصل ويعرض عنه فيراسل، يذهب عنه جمود النفس، ويصطلي بحرارة الروح وتنكمش عن قلبه عروق النفس.

قال الله تعالى ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾ أخبر أن الجلود تلين كما أن القلوب تلين ولا يكون هذا إلا حال المحبوب المراد. وقد روي في الخبر: أن إبليس سأل السبيل إلى القلب، فقيل له: يحرم عليك ولكن السبيل لك في مجاري العروق المشتبكة بالنفس إلى حد القلب، فإذا دخلت العروق عرقت فيها من ضيق مجاريها، وامتزج عرقك بماء الرحمة المترشح من جانب القلب في مجرى واحد، ويصل بذلك سلطانك إلى القلب، ومن جعلته نبيا أو وليا قلعت تلك العروق من باطن قلبه فيصير القلب سليما، فإذا دخلت العروق لم تصل إلى المشتبكة بالقلب فلا يصل إلى القلب سلطانك.

فالمحبوب المراد الذي أهل للمشيخة سلم قلبه وانشرح صدره ولان جلده، فصار قلبه بطبع الروح، ونفسه بطبع القلب، ولانت النفس بعد أن كانت أمارة بالسوء مستعصية، ولان الجلد للين النفس، ورد إلى صورة الأعمال بعد وجدان الحال، ولا يزال روحه ينجذب إلى الحضرة الإلهية فيستتبع الروح القلب وتستتبع القلب النفس ويستتبع النفس القلب، فامتزجت الأعمال القلبية والقالبية وانخرق الظاهر إلى الباطن والباطن إلى الظاهر، والقدرة إلى الحكمة والحكمة إلى القدرة، والدنيا إلى الآخرة والآخرة إلى الدنيا، ويصح له أن يقول: (لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا)، فعند ذلك يطلق من وثاق الحال ويكون مسيطرا على الحال لا الحال مسيطرا عليه، ويصير حرا من كل وجه.

والشيخ الأول الذي أخذ في طريق المحبين حر من رق النفس، ولكن ربما كان

باقيا في رق القلب. وهذا الشيخ في طريق المحبوبين حر من رق القلب كما هو حر من رق النفس، وذلك أن النفس حجاب ظلماني أرضي أعتق منه الأول، والقلب حجاب نوراني سماوي أعتق منه الآخر، فصار لربه لا لقلبه، ولموقته لا لوقته، فعبد الله حقا وآمن به صدقا، ويسجد لله سواده وخياله، ويؤمن به فؤاده، ويقر به لسانه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض سجوده، ولا تتخلف عن العبودية منه شعرة، وتصير عبادته مشاكلة لعبادة الملائكة ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَـٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾. فالقوالب هي الظلال الساجدة، ظلال الأرواح المقربة. في عالم الشهادة: الأصل كثيف والظل لطيف، وفي عالم الغيب: الأصل لطيف والظل كثيف، فيسجد لطيف العبد وكثيفه، وليس هذا لمن أخذ في طريق المحبين لأنه يستتبع صور الأعمال ويمتلئ بما أنيل من وجدان الحال، وذلك قصور في العلم وقلة في الحظ. لو كثر العلم رأى ارتباط الأعمال بالأحوال كارتباط الروح بالجسد، ورأى أن لا غنى عن الأعمال كما لا غنى في عالم الشهادة عن القوالب، فما دامت القوالب باقية فالعمل باق. ومن صح في المقام الذي وصفناه هو الشيخ المطلق والعارف المحقق والمحبوب المعتق، نظره دواء وكلامه شفاء، بالله ينطق وبالله يسكت، كما ورد: (ولا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا، بي ينطق وبي يبصر) الحديث، فالشيخ يعطي بالله ويمنع بالله، فلا رغبة له في عطاء ومنع لعينه، بل هو مع مراد الحق والحق يعرّفه مراده، فيكون في الأشياء بمراد الله تعالى لا بمراد نفسه، فإن علم أن الله تعالى يريد منه الدخول في صورة محمودة دخل فيها لمراد الله تعالى لا لكون الصورة محمودة، بخلاف الخادم القائم بواجب خدمة عباد الله تعالى.

الوصية الجلية للسالكين طريق الخلوتية

للشيخ قطب الدين مصطفى بن كمال الدين البكري الخلوتي (ت: 1162 هـ)

الحمد لله الذي نعمه لا تحصى، وآلاؤه الجميلة لا تستقصى، وصلى الله على سيدنا محمد الذي أسرى به ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، نبي بأنوار

طلعته بارق الدين خصّ[1]، وعلى آله الطاهرين وأزواجه من على فضلهم الحق في كتبه نص[2]، وعلى أصحابه الذين اهتدوا بأنوار شريعته واتبعوه ونالوا القرب بمتابعته، وكل منهم بجميل الثناء على ذاته احتوى، وسلم تسليما، وبعد:

فيقول العبد الفقير، العاجز الحقير، تراب الأقدام وخادم الخدام، مصطفى بن كمال الدين الصديقي نسبا، الخلوتي طريقة، الحنفي مذهبا، لما منّ الله سبحانه وتعالى عليّ بزيارة بيت المقدس الأقدس، المنزه السامي، النفيس الأنفس، ثم منّ عليّ بزيارة كليمه موسى عليه السلام، وبقية الأنبياء الأعلام، ثم بزيارة الأنبياء الذين في جبل نابلس[3]، حين ذهابي لزيارة الشيخ علي بن خليل الغمري، قدس الله سره، ثم بعد ذلك قضى بتوجيهي إلى نحو أراضي دمشق الشام، المحفوفة باللطف والإنعام، كان مدة بقائي في بيت المقدس ستة أشهر وبعض أيام، وذلك لأني خرجت من الشام في تسعة عشر من المحرم الحرام، سنة اثنين وعشرين ومائة وألف، ودخلت بيت المقدس في التاسع والعشرين، في أوائل شعبان المبارك من السنة المذكورة، وكان قد اتصل بطريقتنا الخلوتية[4] جماعة، فلما أردنا التوجه قصدنا أن نتحفهم بوصية مختصرة، جامعة لغالب أركان الطريق، لتكون منبهة لهم فيما يحتاجونه من التخلق بأخلاق أولئك، والله أسأل أن ينتفع بها من طالعه، إنه سبحانه على كل شيء قدير، وبعباده خبير بصير؛ وسميتها: الوصية الجلية للسالكين طريق الخلوتية.

فأقول، ومنه سبحانه أرتجي نيل القبول: اعلموا إخواني، وفقني الله وإياكم لسلوك طريق المقربين الأخيار، وعصمنا من الزيغ[5] عن الشريعة المحمدية والاغترار، أن طريق السادات العارفين من أهل الحق والطريق المبين، رضي الله تعالى عنهم أجمعين، غيب غير محسوس ولا مشهود، وسلوكه بالقلوب لأنه من الغيوب فيجب على المريدين التصديق بآثاره، والإذعان لسطعات[6] أنواره، مع الجد والاجتهاد والتوجه الكلي والاستعداد، لأن سلوكه يصعب على النفوس، لكونه علم ذوق[7] لا

(1) في الأصل: خصصا. ولعل الصواب ما أثبتناه.

(2) في الأصل: نصا...

(3) في فلسطين.

(4) الخلوتية نسبة إلى أبرز شيوخها عمر الخلوتي.

(5) الزيغ، الميل عن الحق.

(6) كذا في الأصل، ولعل الصواب ساطع، أو ساطعات، والسطوع هو انتشار وارتفاع النور.

(7) الذوق: لغة معرفة الأمر شيئا بعد شيء، واصطلاحا هو أول مبادي التجليات الإلهية.

يسطر في السطور. ومثال السالك[1] فيه كمثال السائر في طريق الحج، لا بد له من ترك مألوفاته، وهذا كذلك، ثم يترك الأهل والأوطان، رغبة في رضا الملك الديان، وكذلك هنا، لا بدّ له أن لا يلتفت إلى أهل ولا أوطان ولا أصحاب ولا خلان[2]، بل لا بد له من تغيير الأنفاس والجلوس والجلاس ليصير من الأكياس[3].

ثم لا بد له من زاد، وهو هنا التقوى، لقوله عز من قائل: ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾[4]. ولا بد له من سلاح ليضرب به عدوه، وهو هنا الذكر[5]. ولا بد له من مركوب حتى يهون عليه الطريق، وهنا المقصود منه الهمة[6]. لأن بها يرتقي المريد إلى المقامات[7]. ولا بد له من دليل يسير أمامه، وهو هنا الأستاذ المربي[8]، فإن من سلك الطريق بغير دليل تاه وضل، وربما هلك مع الهالكين. ولقد أشرت إلى ذلك سابقا في رسالتي التي سميتها: النصيحة السنية في معرفة آداب كسوة الخلوتية.[9]

فلا بد من رفقة يستأنس بهم في طريقه ويساعدونه في سحقه[10] وتمزيقه، والمقصود منهم إخوانه الذين طالبوا[11] مطلبه، ثم إذا ساروا وأراد أن يشعل مصباح الحكمة في بيت قلبه المظلم من آثار السوء والهوى، ليرى ما فيه، أي في قلبه، من الرذائل فيطهر منها ويخرج جليلته[12] عنها، فلا بد له من سبعة أشياء، لأن من أراد أن يوقد مصباحا فلا بد له منها، وهي الزناد، والحجر، والحراق، والكبريت، والسرجة، والفتيلة، والدهن. فمن طلب أن يوقد مصباح الحكمة، فلا بد له من زناد الجهد، قال

---

(1) السالك: هو الذي مشى على المقامات بحاله لا بعلمه، فصار العلم له عينا.

(2) الخلان: جمع خليل وهو الصاحب.

(3) الأكياس: جمع كيِس، والكَيس نقيض الحماقة، وفي الحديث " إن أكيس الكَيس التقى ".

(4) سورة البقرة 197.

(5) الذكر: لغة عدم نسيان الشيء، واصطلاحا، ذكر الله في كل حين بالقلب والجوارح.

(6) الهمة: تطلق بإزاء تجريد القلب للمنى، وتطلق بإزاء أول صدق المريد.

(7) المقامات: جمع مقام، وهو المنزلة التي يتوصل إليها المريد بالمجاهدة. وأول المقامات مقام التوبة.

(8) الأستاذ المربي: هو المرشد الذي يدل على الطريق المستقيم.

(9) في الأصل بعد هذه الفقرة شعر، حذفناه لعدم استقامة مبانيه بفعل الناسخ.

(10) السحق: لغة الإبعاد، واصطلاحا، ذهاب تركيب المريد تحت القهر.

(11) كذا في الأصل، ولعل الصواب طلبوا.

(12) كذا في الأصل ولعل المراد إجلاء ما بطن في القلب.

الله العظيم: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾[1]، ولا بدّ له من حجر التضرع، قال تعالى: "﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ ﴾ [2]. ولا بد له من حرَّاق، وهو احتراق النفس بالمخالفة، قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ۝ ﴾[3]، ولا بد له من كبريت وهو الإنابة، قال تعالى: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ ﴾[4]. ولا بدّ له من مسرجة وهو الصبر، قال تعالى: "واصبر"[5] وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[6]. ولا بد له من فتيلة وهي الشكر، قال تعالى: ﴿ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ ﴾[7]. ولا بد له من دهن وهو الرضا بالقضاء، قال تعالى ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ ﴾[8]. فإذا تخلَّق المريد بهذه الأوصاف السبعة فيمكنه أن يشعل مصباح الحكمة في قلبه، وهذه أول كرامة يكرم الله تعالى بها المريد، أن يوقد في قلبه مصباحا ملكوتيا[9]، حتى أنه بعد ذلك إذا دسَّت عليه النفس دسيسة، يطلعه الله عليها، لوجود ذلك النور المنقذف في القلب، فتقل عليه الدسائس النفسانية. وإنما قلنا تقل، لأنها ربما دست دسيسة قبيحة، وزينت للمريد أنها جميلة، فإذا ما نبهه الله تعالى، يخاف أن يقع فيها، وأيضا فقد شبهوا القلب ببيت فيه خمس كوات[10] يدخل منها الهواء[11] إذا فتحت، وإذا غلقت امتنع دخول الريح إلى ذلك البيت، فعند غلقها يقوى نور ذلك المصباح ويشرق البيت به، وإذا فتحت تلك الكوات، أو إحداهن ضعف إشراق ذلك المصباح وربما طفي الوقود من الكوات الخمس الحواس، فإذا أشغل المريد الحواس الخمس، أشغل القلب اشتغالها، وكذلك لبعضها، وإذا منعها من الاشتغال بغير الحق، اشتغل القلب بمراقبة جلال الحق وعظمته وكبريائه، التي هي كناية عن المصباح.

(1) 69 العنكبوت. (2) 55 الأعراف.
(3) 40 - 41 النازعات.
(4) 54 الزمر.
(5) وردت في القرآن الكريم 19 مرة.
(6) 153 البقرة و46 الأنفال.
(7) 7 إبراهيم.
(8) 48 الطور.
(9) ملكوتيا: نسبة إلى الملكوت، وهو عالم الغيب.
(10) الكوات: جمع كوة، وهي الخرق.
(11) كذا في الأصل، وهي تنطبق على القلب، أما البيت فلعل الصواب الهواء.

ومعلوم أن هذه المراقبة هي نور يهدى به أهل الطريق، ويحصل لهم بها[1] كمال التوجه، فإذا غفل المريد عنها فكأنه أطفأ المصباح.

فينبغي للسالكين طريق القوم، رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، أن يفرغوا قلوبهم من كل علة عن كل مقرب فيه استمطار القلوب. والمدد[2] الإلهي لا يقع إلا في قلوب فارغة متعطشة إلى ذلك غالبا، فليجتهد المريدون لنيل هذه الإمدادات الإلهية في التخلية[3]، لينالوا بعدها التحلية[4] فإن من لم يتخل لا يتحلى.

ثم مما يجب على الإخوان، وفقهم الله تعالى إلى اجتناء ثمرات العرفان، أن يعرفوا أولا وقبل كل شيء ما يجب لمولانا جل وعز، وما يستحيل وما يجوز، وكذا في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام.

ثم يعرف المريد ما يحتاج إليه من باب الطهارة والصلاة والصيام والزكاة، إن وجد عنده النصاب، والحج، إن وجب عليه ذلك، بقدر الضرورة، ولا يشتغل في[5] الزائد على ذلك إلا بعد الكمال، فإن أهل الطريق يجب عليهم ألا يخطوا خطوة ينكرها الشرع عليهم، فإن كل من خالف الشريعة المحمدية تاه وضل عن الطريقة المرضية.

والطريقة[6] أصل، والحقيقة[7] فرعها، فكل من لم يحكم الأصل لا ينتفع بالفرع، ولهذا قال سيد رؤساء هذه الطريقة أبو يوسف الداراني[8]، قدس سره: ما حرموا الوصول إلا بتضييعهم الأصول، فشريعة بلا حقيقة عاطلة، وحقيقة بلا شريعة باطلة، ولهذا قال الشيخ محي الدين[9] قدس الله سره:

لا تقتدي بالذي زالت شريعته ... ولو جاء بالإنباء عن الله.

(1) بها، أي بالمراقبة.

(2) في الأصل، والامتداد الإلهي ... ولعل الصواب ما أثبتناه.

(3) التخلية: هي اختيار الخلوة، والإعراض عن كل ما يشغل عن الحق.

(4) التحلية: الاتصاف بالأخلاق الإلهية، وعند ابن عربي، هي الاتصاف بأخلاق العبودية.

(5) في الأصل: ولا يشتغل في القدر الزائد على ذلك ...

(6) الطريقة: هي السيرة المختصة بالسالكين إلى الله تعالى من قطع المنازل والترقي في المقامات.

(7) الحقيقة: قال القشيري هي إنباء عن تصريف الحق، وشهود لما قضى وقدر وأخفى وأظهر، وقال ابن العربي: هي سلب آثار أوصاف السالك عنه بأوصافه تعالى بأنه الفاعل به فيه منه.

(8) هو عبد الرحمن بن أحمد الداراني الدمشقي، من كبار الصوفية، توفي سنة 315 هـ / 830 م.

(9) هو محمد بن علي بن محمد بن العربي أبو بكر محيي الدين الحاتمي الطائي الأندلسي 560 – 638 هـ / 1165 – 1240 م، يلقب بالشيخ الأكبر، من كبار الصوفية، له نحو أربعمائة تأليف.

ومما يجب عليهم: القيام بأوراد[1] الطريق جميعها، من غير إخلال بشيء منها، وأن يوبخوا أنفسهم إذا تخلفوا عن مجلس ذكر أو وعظ أو غير ذلك، فيقول المتخلف في حضرة إخوانه: يا فرحكم حضرتم المجلس، ويا شقاوتي فاتني ذلك. وليحذر المتخلف أن يعتاد ذلك، فيوقعه ذلك في الكسل، ويحرم بركة الاجتماع مع إخوانه في الذكر والأوراد. قال الشيخ: "الذاكر جليس حضرة الله تعالى". وإذا دخل المريد وحده إلى تلك الحضرة، ربما حصل له في تلك الحضرة هيبة تمنعه من الاستحضار والتمادي فيها[2]، وإذا كان مع إخوانه لا يحصل له شيء من ذلك. وأيضا فإنه إذا كان مع إخوانه حكم لنفسه بنيل الخير وحصول الرحمة، وأما إذا كان وحده، فإنه لا يحكم لنفسه بذلك لما يعلم هو من أحوال نفسه، ولعدم رؤية نفسه أنه أهل للرحمة، والذاكرون الله هم قوم لا يشقى جليسهم[3]، إذا جلس معهم من يرى نفسه أنه ليس أهلا للرحمة الخاصة له بهم.

وأيضا فإن المؤمنين كالبنيان يشد بعضهم بعضا[4]، فإذا تخلف واحد من الإخوان وتمادى على ذلك، وكان ذلك لغير عذر ضروري ربما تبعه في ذلك آخر، وآخر، فيتبعه جميع إخوانه، فيكون هو الذي يتحمل وزر هذه السيئة، وتكتب في صحيفته. وكان سيدي إبراهيم الدسوقي[5]، قدس الله سره يقول: "ما قطع مريد ورده يوما إلا قطع الله عنه الإمداد في ذلك اليوم، فإن طريق القوم تحقيق وتصديق، وجهد وعمل، وتنزه وغض بصر، وطهارة يد وفرج ولسان، فمن ترك شيئا من أفعالها رفضته كرها". وكان يقول: "قوة المريد الصادق في بدايته الجوع، وبصره الدموع، وفطره الرجوع، يصوم حتى يرق ويلين قلبه وتدخل الرأفة في قلبه، وأما من شبع ونام، ولغى[6] في الكلام والترخص وقال: ليس على فاعل ذلك ملام، فلا يجيء منه شيء،

---

(1) الأوراد: جمع ورد، وهو ما يرتبه المريد أو السالك أو الشيخ من أذكار يومية.

(2) في الأصل: والتمادي في تلك. أي الحضرة.

(3) إشارة إلى الحديث القدسي الوارد في فضل الذاكرين: "هم القوم لا يشقى بهم جليسهم " رواه البخاري ومسلم والترمذي.

(4) كذا في الأصل، وهو يشير إلى الحديث: "المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضا " رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي والإمام أحمد.

(5) هو إبراهيم بن أبي المجد بن قريش بن محمد الدسوقي الحسيني الشريف: 633 – 676 هـ / 1235 – 1277م من كبار الصوفية، له كتاب الجواهر في التصوف.

(6) كذا في الأصل، ولعل المراد لغا أو لغي، ومعناهما واحد وهو الكلام بغير روية، والهزل،

والسلام". انتهى كلامه.

ومن أوصافهم ألا يقول أحد منهم مالي ولا متاعي ولا كتابي، لأن العبد لا ملك له مع سيده، فلا يمنع أحد من إخوانه كتابه ولا ثوبه ولا حاجة من حوائجه إذا كان أحد إخوانه محتاجا إليها، لأن الإخوان جميع مالهم مشترك بينهم، ليس لأحدهم ملك حاجة دون الآخر، وليس لهم أن يمنعوا بعضهم دون بعض شيئا لا تسمح فيه النفوس عادة، إلا عند الاضطرار الكلي، وإذا طلب أحد منهم حاجة يكون طلبه برفق، ويكون عطاء السائل ببشاشة وفرح، ويرون إن الفضل للآخذ.

ومما يجب عليهم التخلق بالأخلاق الكريمة وتجنب الأوصاف الذميمة، لأن التخلق هو الصفاء والوفاء والتخلق بأخلاق المصطفى، صلى الله عليه وسلم. ولقد ذكرت في الرسالة المتقدم ذكرها تفسير أبي عباس المرسي للصوفي[1].[2] ولا يخفى أن المريد لا بد له من التحلية والتخلق وهما لازمان للتحقق.

ومما يجب: القيام بشروط الطريق الثمانية قياما كليا، وهي:

(**الأول**): الصمت؛ فعلى المبتدى أن يصمت بلسانه عن لغو الحديث، وبقلبه عن جميع الخواطر في شيء من الأشياء، فإن من صمت لسانه وقلبه انكشفت له الأسرار وجليت عليه المعارف والأفكار، فإذا صمت المريد بقلبه ولسانه، انتقل إلى مقام المحادثة السرية، لأن صمت الإنسان في نفسه لا يمكن أصلا، وهذا الصمت يورث معرفة الحق سبحانه وتعالى.

(**الثاني**): الجوع؛ وهو اضطراري واختياري، فجوع أهل الطريق اختياري لا ضروري، ولو لم يكن ذلك لما كان فيه مزيد فائدة، وكذا قال بعضهم: "لو يباع الجوع في الأسواق للزم المريد أن لا يشتري غيره"[3]، ولقد ورد في الحديث "أن الشيطان يجري في بني آدم كمجرى الدم، فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش"[4]. وهو يورث

والسقط.

(1) هو أبوالعباس شهاب الدين أحمد بن عمر المرسي الأندلسي، توفي سنة 686 هـ / 1287 م، ودفن بالأسكندرية، من كبار الصوفية. وهو شيخ ابن عطاء الله السكندري صاحب الحكم العطائية.

(2) في الأصل بعد هذه الفقرة شعر، حذفناه لعدم استقامة مبانيه بفعل الناسخ.

(3) نسب عبد القاهر السهروردي هذه المقولة إلى أبي زكرياء يحي بن معاذ بن جعفر الرازي الواعظ المتوفي سنة 258 هـ / 872 م، من كبار الصوفية.

(4) رواه البخاري وأبو داود وابن ماجة والدارمي وابن حنبل.

معرفة الله. الجوع نور، والشبع نار يتولد منها الاحتراق، وهو-أي الجوع- يورث معرفة الشيطان.

(**الثالث**): السهر؛ وهو على قسمين، سهر العين لتعمير الوقت ودوام الترقي[1] إلى المنازل العالية، لأن بنوم العين يبطل عمل القلب، ففائدة السهر دوام عمل القلب. وأما سهر القلب، فهو تيقظه من نوم الغفلة والبعد، إلى منازل المشاهدة والقرب، والسهر ينشأ من فراغ المعدة من فضلة[2] الطعام والشراب، وهو يورث معرفة النفس.

(**الرابع**): الاعتزال، وهو الانفراد والانقطاع عن الخلق إيثارا لمحبة المولى تبارك وتعالى، ويكون بالأجسام، وهذا حال المريدين، وبالقلوب، وهذا حال مقام العارفين[3]، وهو لا يكفي عن اشتراط الصمت، لأنه وإن حصل به الصمت باللسان، فلا يحصل له الصمت بالقلب، فمن داوم عليه وقف على أسرار الوحدانية، وهو يورث، أي الاعتزال، معرفة الله تعالى سبحانه، والخلطة تورث معرفة أهل الدنيا.

(**الخامس**): الطهارة ظاهرا وباطنا، لأن طهارة الظاهر تورث في الباطن نورا، ولقد ورد في الحديث القدسي: "يا موسى إذا أصابتك مصيبة وأنت على غير طهارة فلا تلومن إلا نفسك". ولقوله عليه الصلاة والسلام: "الدوام على الطهارة يوسع الرزق". والحديث محتمل للرزق الظاهر والباطن، وهي تورث معرفة تطهير القلب وتزكيته.

(**السادس**): مداومة الذكر بالاسم الذي لقن[4] الشيخ المربي به، فإن المريض إذا استعمل الدواء المناسب لمرضه ومزاجه أتى معه ذلك الشفاء بقدرة الله في الحال، والشيخ لا يلقن المريد إلا بما يناسب حاله، فينبغي للمريد ألا يستعمل إلا ذلك، لأنه لا شيء أنفع للقلب من ذكر المحبوب، وهو يورث معرفة المذكور.

(**السابع**): نفي الخواطر[5] عن القلب لئلا يشغل بها عن استحضار معاني الذكر والحضور والخشوع، وينفيها خلوص القلب من الأكدار[6]، وتظهر فيه لمحات الأنوار،

---

(1) الترقي: التنقل في الأحوال والمقامات والمعارف.

(2) في الأصل فضالة، والفضلة البقية من الشيء.

(3) العارف هو من أشهده الرب نفسه، فظهرت عليه الأحوال.

(4) لقن: من التلقين، وهو أخذ الكلام مشافهة، واصطلاحا هو تلقين كلمة التوحيد والأسماء الحسنى والذكر والأوراد عموما، وقد روى الطبراني والبزار أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه وآله لقن أصحابه كلمة التوحيد، راجع الترغيب للمنذري.

(5) الخاطر: هو ما يرد على القلب والضمير من الخطاب، ربانيا كان، أوملكيا، أونفسيا، أوشيطانيا من غير إقامة، وقد يكون كل وارد لا تعمد للمرء فيه.

(6) الأكدار: من الكدر، وهو نقيض الصفاء.

وهو يورث معرفة تخليص التوحيد من الشرك الخفي[1].

(الثامن): ربط قلب المريد بالأستاذ[2]؛ ومعناه أن يدوم المريد على مشاهدة الترقي من مقام إلى آخر، وهذا أوكد الشروط عند القوم.

ومن أوصافهم إن اجتمعوا في حلقة ذكر أن تتوافق أصواتهم، لأن ذلك أبلغ في التأثير، وإن خالف أحدهم، ينبغي أن يرجع إلى موافقتهم، فإن لم يرجع إلى موافقتهم يكون قد أساء الأدب مع إخوانه لأنه لا يحصل لهم الحظ التام إلا إذا توافقت منهم الأصوات وكانت صيغتهم واحدة، وأن يتضاموا، لئلا يدخل الشيطان بينهم، وأن لا يخلوا بأدب من آداب الذكر، وهي عشرون أدبا، خمسة سابقة على الذكر، واثنا عشر في حالة الذكر، وثلاثة بعدها.

فالخمسة التي قبلها، أولها: التوبة، وحقيقتها عند القوم ترك ما لا يعني قولا وفعلا وإرادة، ومعنى ذلك كل شيء لا يرقى المريد في طريقته فليتركه.

ثانيها: الغسل للذكر، ثالثها: السكون والسكوت، ليحصل له بذلك الصدق وجمعية القلب على الحق سبحانه وتعالى، ثم بعد ذلك يشغل قلبه بالذكر، ثم يتبع اللسان القلب. رابعها: أن يستمد بقلبه عند شروعه في الذكر من همة شيخه، هنا يقول دستور[3] ياشيخي! دستور يا أهل السلسلة[4]! دستور يا رسول الله!.

خامسها: أن يرى استمداده من شيخه، هو استمداده حقيقة من النبي صلى الله عليه وسلم وهو الواسطة بينه وبينه.

وأما الاثنا عشر التي في حالة الذكر، الأول: جلوسه في مكان طاهر. الثاني: أن يضع راحتيه على ركبتيه. الثالث: تطييب مجلس الذكر بالرائحة الطيبة، وكذلك ثيابه. الرابع: يلبس اللباس الطيب الحلال، ولو من شراميط الكتان. الخامس: اختيار المكان المظلم إن وجد. السادس: تغميض العينين، لكي تنسد طريق الحواس الظاهرة، وبسدها تفتح حواس القلب. السابع: أن يتخيل شخص شيخه بين عينيه، وهذا آكد الآداب. الثامن: الصدق في الذكر، حتى يستوي عنده السر والعلانية. التاسع: الإخلاص فيه، وهو تصفية العمل من شوب الأكدار. العاشر: أن يختار من صيغ الذكر:

---

(1) الشرك الخفي: الرياء

(2) الأستاذ: كلمة فارسية، تعني المعلم والمدبر والعالم، والمقصود بها هنا الشيخ المربي والمرشد.

(3) الدستور: كلمة فارسية، تعني القاعدة التي يعمل بمقتضاها وتعني هنا طلب الإذن.

(4) أهل السلسلة: هم الرجال الذين أخذ الواحد منهم عن الآخر إلى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه.

"لا إله إلا الله"، فإن لها عند العارفين تأثيرا لا يوجد في غيرها من الأذكار. الحادي عشر: استحضار معنى الذكر بقلبه على اختلاف درجات المشاهدة[1] في الذاكرين، فإن كان الغالب عليه ظهور البشرية والوسواس، فيقول بلسانه: "لا إله إلا الله"، وبقلبه: "لا معبود بالحق إلا الله "؛ وبصفاء القلب وطلب شيء من المعارف والشوق والذوق ونحوذلك يقول بلسانه: "لا إله إلا الله"، وبقلبه: "لا مطلوب إلا الله "؛ وبفناء الخواطر كلها يقول بلسانه: "لا إله إلا الله " وبقلبه: "لا موجود إلا الله"، لمشاهدته أنه به ينطق مع التعظيم بقوة تامة جهرا، ويصعد " لا إله " من فوق السرة من النفس التي بين الجانبين وإيصال " إلا الله " بالقلب اللحمي الكائن بين عظمي الصدر والمعدة مائلا إلى الجانب الأيسر، مع حضور القلب فيه، فإذا قال الكلمة مدها ونظر إلى قدم الحق فأثبته وأبطل ما عداه.

ومن الناس من اختار موالاة الذكر، بحيث تكون الكلمات كالكلمة الواحدة، لا يقع بينها خلل خارجي ولا ذهني، كي لا يأخذ الشيطان منه فإنه في مثل هذا الوضع بالمرصاد، لعلمه بضعف السالك، لا سيما إن كان قريب العهد بالسلوك. قالوا وهو أسرع فتحا للقلب وتقريبا للرب. وقال بعضهم: تطويل المد مستحسن مندوب إليه، لأن الذاكر في زمان المد يستحضر في ذهنه جميع الأضداد والأنداد ثم ينفيها ويعقب ذلك بقوله: "إلا الله " فهو أقرب إلى الإخلاص. وليحذر من اللحن في " لا إله إلا الله"، لأنها آية من القرآن، فيمد على اللام بقدر الحاجة، ولا يطول مدها جدا، ويحقق الهمزة المكسورة بعدها، ولا يمد عليها أصلا، ويفتح هاء " إله " فتحة خفيفة، ولا يفصل بين الهاء ولا بين " إلا الله"، وإياك أن تتهاون في تحقيق همزة " إله " فإنك إن لم تحققها انقلبت ياء، وصار الذكر " لا يله إلا الله " وهذه ليست كلمة التوحيد، فلا ثواب لذكرها، ولا تأثير لها، وكذا يفصح بالهمزة من " إلا "ويشدد اللام بعدها، إذ كثيرا ما يلحن بعض فيردها ياء أيضا، ويخفف اللام ويمد الألف التي قبل الهاء من لفظ الجلالة، وهذا إذا ذكرت الكلمة المشرفة وحدها ولم تصلها بغيرها، فإن وصلتها بغيرها كأن تقول: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له " فلك فيها وجهان، الرفع وهو الراجح، والنصب وهو المرجوح، وانظر توجيههما في فصل الإعراب في شرح صغرى السنوسي له[2]، وينبغي أن ينون الذاكر اسم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ويدغم

(1) المشاهدة: تطلق على رؤية الأشياء بدلائل التوحيد، وتطلق بإزاء رؤية الحق في الأشياء.

(2) السنوسي هو محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب أبوعبد الله السنوسي التلمساني: 832 – 895 هـ / 1428 – 1490 م، من العلماء الأفذاذ، له عدة تآليف، من بينها أم البراهين، في

تنوينه في الراء.

ويجب على المريد أن يعرض على شيخه كل شيء ترقى إليه من الأذواق، ليعلمه كيفية الأدب. الثاني عشر من آداب الذكر: أن ينفي كل موجود حال الذكر من القلب سوى الله سبحانه وتعالى، فإن الله غيور أن يرى في قلب عبده المؤمن غيره، ولولا أن الشيخ له مدخل في تربيته وترقيته ما شرطوا على المريد تخيله في قلبه، وإنما نفوا عن القلب كل شيء سوى الله، ليتمكن لهم تأثير " **لا إله إلا الله** " بالقلب، وليسري إلى جميع الأعضاء، كما قال في الإنشاد:

" أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكنا "

وأجمعوا على أنه ينبغي للمريد إذا ذكر الله تعالى أن يهتز ما فوق رأسه إلى أصابع قدميه، وهي حالة يستدل بها على أنه صاحب همة، فيرجى له الفتح عن قريب.

وأما الثلاثة التي عقب الذكر، فأولها: أن يسكن إذا سكت ويخشع ويحضر مع قلبه مرتقبا لوارد[1] الذكر، فلعله يرد عليه وارد فيعمر وجوده في لحظة واحدة أكثر مما تعمره المجاهدة[2] والرياضة[3] في أكثر من ثلاثين سنة، وذلك أنه إذا كان الوارد وارد زهد، فيجب عليه التمهل فيه حتى يتمكن فيه الزهد، وإذا كان وارد صبر فيجب عليه التمهل فيه حتى يستحكم، ويصير إذا قام الوجود كله عليه، لا تتحرك منه شعرة، كما لا يتحرك الجبل من نفخة ناموسة، وهكذا بخلاف ما إذا لم يترقب، ولم يتمهل لحصول شيء من ذلك، فإنه لا يحصل تحقيق ذلك المقام الذي أتى به الوارد. قال الله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ ﴾[4]. فمهما لم يكن للذاكر اشتياق وطلب شيئا فإنه لا يعطى. ثانيها: أن يزمّ نفسه مرارا، من ثلاثة أنفاس إلى أكثر من ذلك، بحسب قوة عزمه، وهذا كالمجمع على وجوبه، وهي النفس الأمارة[5] والنفس اللوامة[6] والنفس

التوحيد، اشتهرت بصغرى السنوسي، عليها عدة شروح، من بينها شرحه هو لها.

(1) الوارد: هو ما يرد على القلوب من الخواطر المحمودة من غير تعمد.

(2) المجاهدة: حمل النفس على المشاق البدنية ومخالفة الهوى على كل حال.

(3) الرياضة: تهذيب الأخلاق النفسية.

(4) 60 التوبة.

(5) النفس الأمارة: هي التي تميل إلى الطبيعة البدنية، وتأمر باللذات والشهوات الحسية، وتجذب القلب إلى الجهة السفلية، فهي مأوى الشرور ومنبع الأخلاق الذميمة.

(6) النفس اللوامة: هي التي تنورت بنور القلب قدر ما تنبهت به عن سنة الغفلة، كلما صدرت عنها سيئة بحكم جبلتها الظلمانية، أخذت تلوم نفسها وتتوب عنها.

المطمئنة[1]، وهي المراد بثلاثة أنفاس عند القوم، فإنه أسرع في تنوير البصيرة[2] وكشف الحجب[3] وقطع خواطر النفس. ثالثها: منع شراب الماء عقب الذكر، فإن للذكر حرقة وهيجان وشوق إلى المذكور، الذي هو المطلوب الأعظم، من الذاكر، وشرب الماء يطفي تلك الحرارة، فليحرص الذاكر على هذه الثلاثة آداب، فإن نتيجة الذكر إنما تظهر من هذه الآداب. قال الشيخ الشعراني[4] في النفحات القدسية في بيان قواعد الصوفية: "ولقد رأيت مرة الشيخ محمد الجنادي رضي الله عنه في المنام بعد موته، فقال: "أدِّب أصحابك حتى يثمر فيهم الذكر، فإن الذكر إذا لم يكن معه الأدب فهو وذكر الشيطان لله عز وجل سواء، والشيطان لا ترقي له بذلك، لأنه ممن سبقت عليه الشقاوة". انتهى. فينبغي لمن أراد أن تظهر له ثمرة ذكره، أن يقوم ويقعد بهذه الآداب جميعا، ولا يخل بشيء منها، فإن فائدة الذكر لا تظهر بدونها.

ومن أخلاقهم الرقة والرفق واللين وخفض الجناح لإخوانهم، وإذا أراد أحد أن ينصح أخاه، فلينصحه بلطف، لقوله عليه الصلاة والسلام: "**من أمر بمعروف، فليكن أمره بمعروف**". ويحسن خلقه في معاشرة إخوانه، وليكن هيّنا لينا، لقوله صلى الله عليه وسلم: "**والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة إلا حسن الخلق**"[5]. وكان يقول في دعائه: "**اللهم حسن خلقي وخلقي**"[6]. وليكونوا أشفق أحدهم على أخيه من نفسه. وأن يوقظوا بعضهم بعضا في الأسحار وفي أوقات الغنائم والأذكار بلطف. وأن يخصص كل منهم إخوانه بدعاء في أوقات حصول الاستئناس[7]، والبسط[8] لأحدهم في الخلوات[9]، لأن دعاء الأخ للأخ في ظهر الغيب مستجاب لا يرد[10]. وأن لا يسلم كل

---

(1) النفس المطمئنة: هي التي تم تنورها بنور القلب حتى انخلعت عن صفاتها الذميمة، وتخلقت بالأخلاق الحميدة.

(2) البصيرة قوة للقلب المنور بنور القدس، يرى بها حقائق الأشياء وبواطنها.

(3) الحجب: جمع حجاب، وهو انطباع الصور الكونية في القلب، المانعة لقبول تجلي الحق.

(4) هو أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي الشعراني: 898 – 973 هـ / 1493 – 1565 م، من كبار الصوفية، له عدة تآليف منها لواقح الأنوار في طبقات الأخيار، والكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر.

(5) رواه الترمذي في البر، ورواه ابن ماجة في المقدمة بلفظ آخر.

(6) رواه الإمام أحمد.

(7) الاستئناس: من الأنس، وهو أثر مشاهدة جمال الحضرة الإلهية في القلب، وهو جمال الجلال.

(8) البسط: هو حال الرجاء، وقيل هو وارد توجبه إشارة إلى قبول ورحمة وأنس.

(9) الخلوات: جمع خلوة، وهي محادثة السر مع الحق، حيث لا ملك ولا أحد سواه.

(10) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة.

منهم لصاحبه بما لا يقتضيه إلا إذا كان الفاعل لذلك الشيء أعلى من المتعرض[1]. فينبغي له أن يستفهم عن ذلك من الأعلى، ويسلم له فعله إن جاءه بخطة موافقة للطريق. وأن يقدم كل واحد منهم مصالح إخوانه على مصالح نفسه، ويرى الفضل لأخيه حيث أنه تسبب له في نيل الثواب باستقضائه لحاجته. قال عليه الصلاة والسلام: "**إن الله يكون في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه المؤمن**"[2]. وإذا غاب أحد عن الأوراد فليسألوا عنه، فإن غاب لحاجة دعوا له بقضائها، وإن كان مريضا عادوه، وإن احتاج للخدمة جلسوا عنده وطلبوا له الشفاء عقب التهجدات وفواتح الأوراد، ويكونوا كجسد واحد[3].

ومن أوصافهم، إذا وجد في باطنهم ضيق، فإن كان الذي به ذلك عند الشيخ، أخبره به، وإلا فليتوجه بكليته إلى أستاذه، ويسأل رفع ذلك عنه. وإن حرم أحدهم اللذات في مباحثه وطاعته، فليبادر بالتوبة والاستغفار، فإن ذلك من عقوبة ذنب صدر منه. وليحذر المريد من تغير باطن الشيخ[4]، فإن ذلك يؤثر في المريد ولو بعد وفاة الشيخ. وقد قال بعضهم لن يصيب المريد آفة من الآفات ما دام باطن الشيخ متوجها إليه، فإذا طرقته آفة، فليبادر إلى شيخه ويسأله المسامحة إن كان الشيخ عنده، وإلا فليتوجه بقلبه إلى الشيخ ويسأله الصفح عنه. ولهذا قال سيدي أبوالعباس المرسي، قدس الله سره: "كل مريد خائف من الخلق مع وجود أستاذه، فهوكاذب في إرادته وفي استناده إلى شيخه، فإن المريد مع شيخه كولد اللبؤة في حجرها، أفتراها تاركته لمن يريد اغتياله؟ لا والله، لا والله، لا والله".

ومن أخلاقهم الذل والانكسار مع الصغار والكبار، لقوله عليه الصلاة والسلام: "**من تواضع لله رفعه ومن تكبر على الخلق ضيعه الله**"[5]. قال السيد الجليل الأعبد سيدنا ومولانا عبد القادر الجيلاني[6]، رحمه الله تعالى ورضي عنه وأرضاه ونفعنا ببركاته آمين: "ما وصلت إلى الله تعالى بقيام الليل ولا بصيام النهار، ولكن وصلت بالكرم والتواضع وسلامة الصدر". وأن لا يكون عندهم حقد ولا حسد ولا استهزاء

---

(1) كذا في الأصل، ولعل الصواب المعترض.

(2) رواه الإمام أحمد.

(3) رواه البخاري ومسلم وابن ماجة والدارمي.

(4) الشيخ: الأستاذ المربي الذي يتولى الإرشاد.

(5) رواه الإمام مالك ومسلم وابن حنبل والترمذي والدارمي.

(6) هو عبد القادر بن موسى بن عبد الله الحسني الجيلاني: 471 – 561 هـ / 1078 – 1166 م. تنسب إليه الطريقة القادرية، من كبار الزهاد والصوفية، له عدة تآليف، وعليه عدة دراسات.

بأحد من المخلوقين، وأن يبادروا بالأعمال الصالحات، ولا يهملوا وقت عبادة إلى غيره، فما فات لا يعود، وقد قيل: "إن الوقت سيف إن لم تقطعه قطعك"، " والنفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل".

ومن شأنهم دوام المجاهدة وترك الشهوات، فمن وافق شهوته عُدِم صفوته، وأنهم لا يبالون من كلام غير العدل، ومن لم يسلك الطريق ولا ذاق حلاوتها والتمزيق والجمع والتفريق[1]، فلا ينال حلاوتهم.

ومن شأنهم الإقبال على الأستاذ بالكلية، لكي يقبل هو عليهم كذلك، وهذا من العدل. وفي المحبة أن يحبوه أكثر من مالهم وأهليهم وأولادهم وأنفسهم والخلق أجمعين، بعد محبة الله ورسوله، وذلك للأشياخ رضي الله تعالى عنهم، لأنهم هم الأبواب.

ومما يجب عليهم عدم تتبع عورات الخلق، وإذا ظهرت من أحدهم هفوة ستروها، أو زلة تجاوزوا عنها، وإذا كشف لأحدهم عن عورات الناس سأل الله أن يستر عنه ذلك، لأن ذلك كشف شيطاني، لا يُعبأ به، في حديث الطبراني مرفوعا: "من تتبع عورات الناس تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عوراته فضحه ولو في جوف رحله"[2]. وكان الحسن البصري[3] رضي الله عنه يقول: "والله لقد أدركنا أقواما لا عيوب لهم، فتتبعوا عورات الناس فأحدث الله لهم عيوبا". وكان سيدي أحمد الزاهد يقول: "إذا رأيتم أحدا من إخوانكم على معصية فاستروه فإن تجاهر لكم بها فوبخوه بينكم وبينه، فإن لم ينزجر فوبخوه بين الناس مصلحة له لعله يرعب وينزجر[4]، وما دام يعصي في قعر داره ولو بحضرة أطفال داره فهو لم يتجاهر، إلا إذا كان الأطفال من أهل العبارة فإنهم كالرجال". وقال بعضهم في ذلك شعرا:

قبيح على الإنسان ينسى عيوبه ... ويذكر عيباً في أخيه قد اختفى
ولو كان ذا عقل لما عاب غيره ... وفيه عيوب لو رآها بها اكتفى

ومن شأنهم أن ينفقوا على إخوانهم وعلى أنفسهم كل ما فتح الله به عليهم أولا

---

(1) الجمع والتفريق: الفرق ما نسب إليك، والجمع ما سلب عنك، ومن لا تفرقة له لا عبودية له، ومن لا جمع له لا معرفة له، فقول العبد: إياك نعبد، إثبات للتفرقة بإثبات العبودية، وقوله: إياك نستعين، طلب للجمع، فالتفرقة بداية الإرادة، والجمع نهايتها.

(2) رواه الإمام أحمد وابن ماجة.

(3) هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن بن يسار البصري: 21 – 110 هـ / 642 – 728 م. من كبار التابعين.

(4) يرعب وينزجر: يخاف ويرعوي.

فأولا، ولو كان شيئا زهيدا، ولا يعودوا أنفسهم الاختصاص من شيء على إخوانهم أبدا فإن من آثر نفسه على إخوانه في الشهوات لا يفتح عليه أبدا ولا يرتقي المقامات.

ومن شأن المتقدم عليهم في البدء والختام أن لا يعجل عليهم في الختم على الخصوص إذا رأى الذكر قد احتبك[1] والأصوات قد توافقت والأشواق قد تحركت، فليصبر على إخوانه حتى يعلم أنهم قد أخذوا بعض حظهم من الذكر، وبعد ذلك يختم. وأيضا، فينبغي ألا يشدد عليهم إذا رآهم قد ملوا وغلبهم النعاس وفيهم ذو الحاجة، فالرفق بالإخوان محمود، وينبغي لهم أن كل من تقدم عليهم يقدمونه ولا يتنازعون عن المسير، وهذه وصية سيدي أحمد الرفاعي[2] لأصحابه. وينبغي لهم أن لا يتقدموا في بدء الفواتح وختمها على من قدموه أولا، وأن يوافقوه ولا يخالفوه، وليحذر المتقدم من رؤية نفسه، أي الكبر على إخوانه في تقديمهم له، وإياه وحب الرئاسة فإنه سيف قاطع يقطع ظهور المريدين الذين ليسوا بصادقين، فإن الرئاسة لا تحل في قلب أحد إلا هلك.

ومن الواجب عليهم عدم الإنكار على أحد من الخلق، إلا أن يكون فعله يناقض الشريعة مع ثبوت عقله، وأما من زال عقله بعارض كوني أو تجل[3] إلهي، فلا يعترض عليه، فإنه مسلوب الاختيار.[4]

ومن الواجب عليهم إذا لقي أحد منهم أحدهم أن يتصافحوا، ويسلم كل واحد منهم على أخيه، ويسأل الدعاء من أخيه في ظهر الغيب عند المفارقة، وإذا سئل أحد منهم على حال أخيه أثنى عليه غاية الثناء ولا يوافق من يحط على أحد من إخوانه ولو كان ذلك فيه الانحطاط الذي حط به، بل ينهاه عن ذلك ويحذره من مثل هذا، فإذا انتهى، وإلا هجره لينتهي. وإذا نقل له أحد أن بعض إخوانه قذفوه أو سبوه، فليقل للقائل: يا هذا أنا لا أصدق في أخي ما تقول لما أعلم من وده، وإذا وقع من أخي ذلك فلعله مغلوب.

ومن فضائلهم وأوصافهم ترك المجادلة والمباحثة والمماراة[5]، فإن طريق القوم

---

(1) الحبك: الشد، والاحتباك، الاحتزام، وهو هنا الانسجام والتواجد.

(2) هو أبو العباس أحمد بن علي بن يحيى الرفاعي الحسيني: 512-578 هـ / 1118 – 1182 م، من كبار الصوفية، وإليه تنسب الطريقة الرفاعية.

(3) التجلي: ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب، وفيه التجلي الذاتي والتجلي الصفاتي.

(4) المقصود به حال الفناء وهو عدم رؤية العبد لفعله بقيام الله على ذلك، وعرفه ابن القيم بقوله: حقيقة الفناء أن يفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل.

(5) المماراة: من مارى يماري، أي جادل ونازع وغالب قال تعالى: ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ ﴾ (12 -

يبعد عن ذلك. وينبغي إذا سئل أحدهم عن مسألة دفع السائل إلى الشيخ، فإن لم يكن فإلى أحد إخوانه، فإن لم يكن أحد منهم، ولا كان في ذلك المكان من يدفعه إليه، فحينئذ يجيبه المريد، مع رؤية نفسه أنه ليس أهلا لذلك فإن كل من فتح على نفسه من المريدين باب المجادلة فقد فتح على نفسه حب الرئاسة، ومن فتح على نفسه حب الرئاسة لا يفلح أبدا، فيجتهد المريد في شرط الصمت ما أمكن.

ومن شأنهم التباعد من مخالطة الأحداث ومعاشرتهم، فإن معاشرة هؤلاء توقع البدعة والمهالك للمريد، لأن النفس أمارة بالسوء ميالة إلى المعاصي، تلقي صاحبها إلى التهلكة، وتحسِّن له فعلا مثل ذلك، ويساعدها الشيطان والهوى في مرامها[1] حتى يقع المريد في وادي الميل إلى الأحداث[2] والنساء، فيقع بسبب ذلك في الأمور التي لا ترضي، نعوذ بالله من شرور أنفسنا، ونسأله المعونة على دسائسها الخفية، وقد قال القشيري[3] رضي الله عنه: "ومن ابتلاه الله بشيء من ذلك فبإجماع الشيوخ أهانه الله وخذله، بل عن مصالح نفسه شغله، ولو بألف ألف كرامة أهانه". وكان الواسطي رضي الله عنه يقول: "إذا أراد الله هوان عبد ألقاه الله إلى هؤلاء الأنتان المرد[4] الذين تميل إليهم النفوس، والنساء"، فليحذر المريد الصادق من مجالسة الأحداث المرد، إلا في حلقة الذكر والدرس بحضرة الشيخ مع غض البصر عنهم ما أمكن، وكذلك النساء ومؤاخاتهن والاجتماع بهن، كما عليه غالب فقراء هذا الزمان، فإن ذلك لا يجوز. وأما وعظهن والنصيحة لهن فذلك جائز.[5]

وهذا القدر كاف في الإخوان الصادقين والمريدين المتعطشين، فإن الذكي يفهم بالتلويح[6] والإشارة[7]، والغبي لا يفهم ولو بالتصريح، أي تصريح العبارة، ومن عمل بالقليل جرَّه إلى الكثير، ونسأل الله سبحانه أن يوفقنا وإخواننا وأحبابنا إلى ما يرضاه

=

النجم)

(1) المرام: من رام يروم، طلب يطلب، المطلب.

(2) الأحداث: جمع حدث، وهو الشاب الأمرد.

(3) هو أبو قاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابوري القشيري: 376 – 465 هـ / 986 – 1072 م، من كبار الصوفية، ترك عدة تآليف منها: الرسالة القشيرية، ولطائف الإشارات والتيسير في التفسير، وغيرها.

(4) المرد: جمع أمرد، الشاب لم يلتح. قالت الخنساء: وساد عشيرته أمردا، كناية عن صغر سنه.

(5) في الأصل بعد هذه الفقرة شعر، حذفناه لعدم استقامة مبانيه بفعل الناسخ.

(6) التلويح: الإشارة من بعيد مطلقا، أي بأي شيء كان، يقال لوح بسيفه، أي لمع به.

(7) الإشارة: تكون في القرب والبعد، مع حضور القلب.

قولا وفعلا، وأن يختم لنا بالحسنى، عند انتهاء الأجل وأن لا يخلفنا بل يحققنا بالمعارف اللدنية[1] والأسرار الخفية في السر والإعلان، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وهو الذي جميع الخيرات طوع يديه، وصلى الله وسلم على الحبيب الأعظم والسيد الأفخم، الإمام الجليل والحبيب النبيل، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وشيعته وحزبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

كلام الشيخ محمد بن علي السنوسي في بيان التربية الخلوتية

هذه التربية فصلها إمام الطريقة السنوسية العلامة الشيخ محمد بن على السنوسي ت: (1276) في كتابه "المعين في الطرائق الأربعين " قال:

[وأما طريق السادة الخلوتية، وهي الطائفة المنسوبة إلى الخلوة، فمبناه على الذكر بالكلمة الطيبة بهذه الصفة وهي: أن يجلس متربعا ويأخذ (لا اله) من الكتف الأيمن يلاحظ نفي ما سواه تعالى ويضرب ب (إلا الله) في القلب تحت الثدي الأيسر ويداوم على ذلك مدة، ثم يشتغل بذكر الجلالة (الله). ثم يذكر هذه الأسماء العشرة على الترتيب وهي: (هو - حق - حى - قهار - وهاب - فتاح - واحد - أحد - صمد - قيوم). ومن شأنهم أن لا يجاز المريد بالاسم الثاني حتى يفتح الله له في الاسم الأول، وهكذا في سائر الأسماء، وأن يستعمل في كل يوم مع كل ذكر منها سورة الفاتحة مائة مرة، ثم يقول: (اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك وحبيبك ورسولك النبي الأمّي وعلى آله وصحبة وسلم) مائة مرة. ثم إذا حصل للسالك انتهاء في استيفاء مراتب الأسماء، وكان من المفتوح عليهم، يزيد إلى قراءة الفاتحة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بالصيغة المذكورة سورة الكوثر مائة مرة، و(لا اله إلا الله الملك الحق المبين) مائة مرة. ومن شأنهم أنهم يدورون في الجمعية بالهوية. وأن يقدم الذاكر جانبه الأيمن إلى داخل الحلقة والجانب الأيسر إلى الخلف، وأن يفردوا أو يجمعوا ب (هو)، وذلك بأن يقول أحدهم (هو) فيتبعه الباقون في الذكر بها. ولهذه الطائفة والسادة الكبروية (أي أتباع الشيخ نجم الدين كبرى) اعتناء بتعبير الرؤيا، بل قال

---

(1) المعارف اللدنية: قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ 65 الكهف. قال القرطبي: أي علم الغيب، قال ابن عطية: كان علم الخضر علم معرفة بواطن قد أوحيت إليه، لا تعطي ظواهر الأحكام أفعاله بحسبها، وكان علم موسى، علم الأحكام والفتيا بظاهر أقوال الناس وأفعالهم.

بعضهم أن مدار طريقتهم عليه، فلنذكر من ذلك طرفا، ونعقبه ببيان ما يكاشف به السالك في لطائفه الإنسانية المعبر عنها بالأطوار السبعة، فنقول بعون الله تعالى:

إن الرؤيا هو ما يرى في النوم والواقعة ما بين النوم واليقظة، أو في حال الغيبوبة عن الاحساس بالذكر، والكشف مالا يكون فيهما بل في اليقظة وحضور الحواس. والأوّلان قد لا يكونان صادقين أو يكون بعضهما صادقا وبعضها من تلبيس المخيلة، ويكونان قابلين للتعبير بخلاف الكشف. هذا وإن الكلام على التعبير بضابط يعلم منه مقام الرائي ومتعلق همته وجهة تعشقه. وهو أن تعلم أن رؤيته ذات النبي صلى الله عليه وسلم تعبر بمظهر الروح الأعظم، وأبناؤه مظاهرها، والأب مظهر العقل، والشيخ هو العقل الكامل. والنفس هي صورة الدنيا وما يليها ومظهرها الأم والزوجة، والبنت والولد نتيجة القلب، وما يليه من أبنائه جنده. والمأكولات هي مظهر الرزق، فالمستوي منها يعبر بالحلال وما يليه، والنيئ منه يعبر بالشّبه، والميتة وما في معناها من الدم وغيره يعبر عنه بالحرام. والفواكه كالعنب وما والاه يعبر عنها بالأعمال الصالحة.

والدواب غير المأكولة يعبر عنها بمظاهر النفوس على قدر أنواعها. والمشروبات كالخمر واللبن والماء والعسل يعبر عنها بحسب الرائين: فالخمر هو لأهل علم التوحيد المطلق، واللبن هو علم الظاهر، والماء هو شراب النفوس المرضية بمشرب التوحيد، والعسل هو علم الباطن، والخل هو عبارة عما تلبس على النفس من حكم الظاهر والباطن. والثمار كالتمر وغيره والزيتون هي الأعمال الصالحة. وتعبير الصلاة بأنها القربة إلى الله والوصلة لله. والغسل عبارة عن الطهارة من الأدناس والأرجاس. وحلق الذكر ومجالس العلماء هي صورة الجمع الإلهي. والمغاني والملاهي وما في معناها من اللغط وما والاه صورة حضرة الشياطين، فليعمل الرائي نفسه بالطهارة وبحسب ما يأمره به الشيخ. وإذا رأى الشخص حيا ميتا فهو مؤول بعمله الصالح أنه ميت، والعكس بالعكس مؤول بحياة عمله بعد الموت. وإذا رأى الميت قريبا له أو صاحبه فإنه عمله، وإذا رآه أجنبيا فمؤول بحكم الخارج مع علاقة عائدة عليه، فليأخذ حظه منها أمرا ونهيا. وهذا ضابط في كيفية بعض أسرار الرؤيا وما يعرضه الرائي على الشيخ لينظر أين هو.

وأما الكشف فإنه يحصل بالسلوك، وذلك لأن السالك يكشف أولا عن نور الوضوء والصلاة وعن الشيطان والجان. ثم يرى الحق في التجلي الصوري بصورة الجماد ثم بصورة المرجان ثم بصورة النباتات الخضرية التي هي منبع الحياة، والأشجار ثم بصورة النخلة ثم بصورة الحيوان ثم بصورة الفرس ثم بصورة نفسه أو شيخه، وفي هذا التجلي هلك خلق كثير. ثم يكشف للسالك عن تجلي الأنوار وهو

أعظم الحجب وذلك لأن السبعين ألف من حجب النور مفرقة في لطائف الإنسان، فيرى عشرة آلاف منهما مستكنة في اللطيفة القالبية ولونها كدر مطبق بعضه على بعض، ويشاهد في هذه اللطيفة الجن، والعبور عنها سهل، لأن جبلة الإنسان تهرب من الظلمة وتأنس بالنور. ثم يرى بعد صفاء القلب عشرة آلاف نور منها مستكنة في اللطيفة النفسية، ولونه أزرق، إن أفيض عليه الخير نبت منه الخير وإن أفيض عليه الشرّ نبت منه الشر، باعتبار صفاء القلب وكدره، ويشاهد في هذه اللطيفة جهنّم وغيرها. ثم يرى عشرة آلاف نور منها مودعة في اللطيفة القلبية ولونها أحمر مثل لون النار الصافية إن كان طعامه خالصا من شوائب الشهوة والحرص، وإلا فيرى فيه دخانا ويصير لونه متكدرا ويحصل له الوقوف عن السير، وفي هذه اللطيفة يشاهد الجنة وغيرها. وللقلب أيضا سبع لطائف تنكشف لبعض السالكين. ثم يرى عشرة آلاف نور منها- أي من السبعين الألف- مودعة في اللطيفة الروحية ولونها في غاية الاصفرار، وفي هذه اللطيفة يشاهد أرواح الأنبياء والأولياء ويشاهد نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم. ثم يرى عشرة آلاف نور منها في اللطيفة السرية، ولونها في غاية البياض، ويشاهد في هذه اللطيفة الملائكة. ثم يرى السالك عشرة آلاف نور منها في اللطيفة الخفية، ولونها كلون المرآة المصقولة وفي هذا المقام يتصل السالك بلطيفة الأنائية.

ثم يرى عشرة آلاف نور مختفية في اللطيفة الخفية ولونها أخضر. ثم يبصر نورا كلون العقيق. ثم نورا أبيض لا لون له. ثم يبصر نورا بلا لون ولا شكل ولا حين ولا جهة بل محيطا بجميع العوالم، فحينئذ تشرق عليه أنوار تجلي الصفات ويتحقق بما في حديث: «كنت سمعه.» الخ. وقوله: «فبي يسمع وبي يبصر» الخ. ثم يكاشف بالنور المستهلك فيه والظاهر به جميع الأنوار.

فلم يبق إلاّ الحق لم يبق كاين فما ثم موصول وما ثم بائن

وليكن هذا آخر ما أردنا بيانه في شرح حالة السالك وما يكاشف به في الأطوار السبعة على وجه الإيجاز لأن التجليات النورية في السلوك على سبيل التفصيل لا نهاية لها، والله الهادي. وليعلم أن ما يكشف للسالك في اللطيفة القالبية والنفسية لا يكون إلا على خلاف الواقع، وعلى وجه حيلة النفس الأمارة ومكرها. وأن ما يكشف في القلبية والروحية كله معبر الإمكان. وأما كشف الروح المجرد فإنه كله صدق ودراية. وأن الكشف في أي لطيفة قلّ من يصل إليه لعدم الاحتياط في اللقمة، ولذا لم يعتمد المشايخ إلا على كشف الأرواح. وليعلم أن التجليات كلها تحصل بالمجاهدة والرياضة الا التجلي الذاتي فإنه لا يحصل الا بمتابعة النبي صلى الله عليه وسلم، وما

سواه فهو مزلة قدم. فكم هلك قوم في التجلي الصوري ووقعوا في التشبيه، لأن الشيطان في هذا التجلي يظهر للسالك عرشه، كما ورد أن للشيطان عرشا بين السماء والأرض. وبعض السالكين يسمع كلام الحق إلى غير ذلك من الأمور المهلكة. وقد تحجب عن بعض السالكين هذه التجليات لكمال الاستعداد، ولذا لم تنقل عن أحد من الصحابة بل ولا عن التابعين رضوان الله عليهم أجمعين. وقد وصلت هذه الطريقة إلى شيخنا عن جماعة، منهم الشيخ العارف بالله تعالى سيدي محفوظ بن عبد القادر الخلوتي، وهوعن الإمام الفرد الأكمل شيخ زمانه سيدي محمد الدمرداشي، وهو عن والده الشيخ حسن الرومي، وهو عن أستاذه شيخ التحقيق سيدي محمد المعروف بدمرداش، وهو عن سيدي يحيى الباكوي وهو عن الشيخ صدر الدين الخياوي وهو عن الشيخ عز الدين الشرواني وهو عن رئيس الخلوتية إبراهيم الزاهد الكيلاني، وهو من سيد المشايخ جمال الدين التبريزي عرف بابن الصيدلاني، وهو عن الشيخ ابن محمود العتقي، وهو عن الشيخ ركن الدين أبي محمد بن الفضل السنجاني، وهو عن الشيخ قطب الدين محمد بن أحمد الأبهري، وهو عن الشيخ ضياء الدين أبي النجيب عبد القاهر السهروردي، وهو عن الشيخ أحمد الغزالي، وهو عن الشيخ أبي بكر النساجي وهو عن الشيخ أبي القاسم على الكركاني وهو عن الشيخ أبي عثمان المغربي وهو عن الشيخ أبي علي الكاتب وهو عن الشيخ أبي علي الروذباري وهو عن الشيخ سيد الطائفة أبي القاسم الجنيد قدس الله سره بسنده المعروف.

وقد وضع بعضهم جدولا يتضمن الإشارة إلى ما مر، وهو هذا هو الجدول المذكور:

النفس الأمارة	اللوامة	الملهمة	المطمئنة	الراضية	المرضية	النفس الكاملة
السير إلى الله	السير لله	السير على الله	السير مع الله	السير في الله	السير عن الله	السير بالله
عالم الشهادة	عالم البرزخ	عالم الأرواح	عالم التحقيق	عالم الأركان	عالم الغيب	عالم كثرة ووحدة
حالة الميل إلى الشهوات	حالة المحبة	حالة العشق	حالة الوصلة	حالة الفناء في الله	حالة الحيرة	حالة البقاء بالله
محله الصدر	محله القلب	محله الروح	محله السر	محله سر السر	محله الفؤاد	محله مستوى السر
شريعة	طريقة	معرفة	حقيقة	ولاية	ذات الشريعة	ذات الكل
نوره أزرق	نوره أصفر	نوره أحمر	نوره أبيض	نوره أخضر	نوره أسود	نور لا لون له

وصية الشيخ محمد بن عبد الرحمن الجرجري الأزهري مؤسس الطريقة الرحمانية (ت: 1208هـ)

من كتاب " تعريف الخلف برجال السلف" للحفناوي

اسمع مني وصيتي إليك واعمل بها كما ألزمت نفسك عهد الله وميثاقه أن تتقي الله في سائر أحوالك، وتخلص في جميع أعمالك، ولا تلتفت لنظر الخلق لك بل غب عنهم بنظر الله تعالى لك، واطلاعه عليك وعلى سرك وعلانيتك، وعليك باتباع السنة والكتاب، فإنهما الطريق الموصل إلى الله تعالى، واعمل متجردا عن حظوظ نفسك في الدنيا والآخرة، ولا تعمل لملاحظة الكرامات وخوارق العادات، ولا خوفا من عقاب الله ولا طمعا في ثوابه بل لقصد رضى الله عنك ومحبته إليك والقيام بحقوق العبودية لنصرة الدين وعز الإسلام خاصة، والثواب لا شك حاصل، وتحصيل الحاصل عبث، وعليك الإحسان إلى الخلق بتوقير الكبير والرحمة للصغير، وعليك بالزهد في الدنيا إلا ما ستر العورة أو الجثة وسد الجوعة، فإن زدت على ذلك فإياك والغرور، وعليك بالورع عن كل ما فيه شبهة، وعليك بكف الأذى وإن أوذيت، وعليك بالصبر فإنه رأس العبادة، وعليك بالرضى عن الله في كل شيء ورد عليك منه، وعليك بكف لسانك عما لا يعنيك، وعليك بالثقة بالله على كل حال وفي كل حال، والتوكل على الله والشكر له، وعليك بذكر الموت فإنه أساس الزهد، وإياك والمخاصمة والمماراة وإن كنت محقا، والبغي وحب الشهرة بالخير والميل إلى المدح، والتزم الأدب مع كل مخلوق، ولا تيأس من رحمة الله وفرجه وإن ضاقت عليك الأمور، فإن الله يقول: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ ﴾ [الشرح: 5 - 6] ولن يغلب عسر يسرين، ولا تشكو الله إلى أحد من خلقه، فإنه المعافي والمبتلي والقابض والباسط والمضر والنافع، وتكون في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وتنبذ ما في يدك من مكاسب الحرام، وتترك ما يقطعك ويلهيك عن عبادة الله عز وجل، وتلزم قلبك التفكر وتعود عينيك السهر، وتجعل الذكر أنيسك والحزن جليسك، والزهد شعارك والورد دثارك، والصمت قرينك، واقطع نهارك بالجوع والظمأ وليلك بالسهر في البكاء والتفكير في ذنوبك السابقة، ومثل الجنة عن يمينك والنار عن يسارك، والصراط تحت قدميك والميزان بين يديك والرب مطلع عليك، يقول لك: ﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝ ﴾ واستعمل ما هو نافع وهي الطاعة ودع ما هو مضر لك وهي المعصية، واعلم ان الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝ ﴾ وترك

المعصية أولى لك من التوبة من الذنوب، قال بعضهم:

فرض على الناس أن يتوبوا ... لكن ترك الذنوب أوجب
والدهر تصريفه عجيب ... وغفلة الناس عنه أعجب
والصبر في النائبات صعب ... لكن فوت الثواب أصعب
وكل ما يرتجى قريب ... والموت من كل ذاك أقرب

موشح للشيخ عبد الرحمن باشتارزي (ت: 1222هـ)

للشيخ عبد الرحمن تآليف عديدة وأشعار وموشحات منها الموشح التالي:

يا عاشقاً حضرة الملوك ... وشارباً خمرة الرحيق
يا طالب السير والسلوك ... بالله فاقصد هذا الطريق
بيت: طريقة من لفؤادي سلا ... الأزهري الصارم السليل
وشيخه الحفناوي المدلى ... بمصطفى البكري الدليل
طوبى لمن بهم تعلا ... وصار من خمرهم عليل
فاقصد سلوكاً بذا النظام ... تحظى من الله بالمرام
طالع: وقام في حضرة الملوك ... ودار بالكأس الرحيق
وكن مسكيناً كما الغلام ... عساك ترقى إلى المقام
وصر كميت لذا الحمام ... وسلم الأمر للإمام
طالع: وناد يا سيد الملوك ... رقوا لحالي إني عشيق
بيت: طريقة النور والكرامة ... يا قاصد القرب للحمى
تالله خذها بلا ندامة ... تحظى بنيل إلى السما
وخامل الذكر والقيامة ... وابك الدموع كما الدما
طالع: وناد سرا لذا الملوك ... اقبل عبيداً لك حقيق
يا طالب السر والسلوك ... لله فاقصد هذا الطريق
بيت: طريقة السادات الخلوتية ... أتى بها الأزهري النصيح
من مشرق ضاو في البريه ... سما بها غربنا الفسيح
يا سعد من جد في الثنية ... وبات بوادها سبيح
طالع: وانتفى عن قلبه الشكوك ... وأمسى في بحرها غريق
بيت: رجالها كلهم أقطاب ... من أزهري الحامد الحبيب
دعاؤهم فيها مستجاب ... وعداً من الله أن يجيب

	مـن لاذ بهـم فـلا يخـيب	ونـال مـن حظهـم نـصيب
طالع	ونـال عـزاً كمـا الملـوك	وصـار مـن نـورهم شـريق
بيت	بـالله جـد فـيها بالمحـيا	تظفـر بوصـل إلـى الحمـى
	ولازم الـسكر فـي العـشية	فـي حـضرة نـورها سـما
	واشـرب كؤيـسا مـن الحمـيا	عـسى لقلـب مـنه حمـا
طالع	أشـار لـي الـشيخ فـي سـلوكي	كـن أنـت فـي بحـرها غـريق
بيت	يـا قاصـد القـرب والوصـال	وحـضرة القـدس والعـلا
	باكـر غـدواً مـع الآصـال	واذكـره جهـراً لـدى المـلا
	وكـن عبـيداً لـذي المعالـي	وصـن قليـباً فـيه حـلا
طالع	ولازم الذكـر للدلـوك	وفـي جنـيح لـيل غـسيق
بيت	يـا معرضـاً بالـصدود عـنا	بـالله فاكفـف عـنا المـلام
	فـإن شـربنا الخمـير دعـنا	وإن صـحونا فـلا مـلام
	شـربنا خمـر الهـوى فهمـنا	خلعـنا عـذاراً للأنـام
طالع	وفـي الـسماء ذات الحـبوك	شـمس الخميـرة لهـا بـريق
بيت	فاسـقني كـاس الهـوى طبـيب	عـسى فـؤادي مـنه يطـيب
	وقـل لـي فـي حـضرة الحبـيب	اشـرب خميـراً مـن الحبـيب
	ونادنـي جهـراً مـن قـريب	هـا أنـت فـي حـضرة الحبـيب
طالع	علـك ترقـى أعلـى الـسموك	وتعتنـي حقـا بالطـريق
بيت	لازم علـيها بهـا تحـدى	مـن نـورها كـان ذا الطبـيب
	واصـدع قليـباً بهـا تـصدى	علـى صـدها بـه يطـيب
	واصـحب شخيـصاً بهـا تـردى	وصـر لديـه كمـا الكتـيب
طالع	واخـضع فقيـراً لـذي النـسوك	وكـن قليـباً بـه وثـيق
بيت	واجعـل خـيال الخلـيل أنـسا	كـذا شـويخك نعـم الأنـيس
	باكـر بذكـر الحبـيب وأمـسى	وارع شـروطا لـذي الجلـوس
	عـساك تـسقى خندريـسا	خمـر الهـوى نهـرها نفـيس
	عطـب سـهم الهـوى حروكـي	نـدبت شـوقا لـذا الجلـوس

كلام الشيخ مصطفى باشتارزي في المقامات السّبعة للنفس السالكة

من كتابه « المنح الربانية في بيبان المنظومة الرحمانية »

في كتابه هذا شرح الشيخ مصطفى (ت: 1252هـ) منظومة والده الشيخ عبد الرحمن باشتارزي (ت: 1222هـ). ولما تعرض لشرح ما يتحقق به السالك في قطعه لمقامات النفس السبعة قال:

فتجلي الأسماء هو ما ينكشف لقلب السالك من أسمائه تعالى، فإذا تجلى على السالك اسم من أسمائه تعالى اصطلم ذلك السالك تحت أنوار ذلك الاسم.

وتجلي الصفات هو ما ينكشف لقلب السالك من صفاته تعالى، فإذا تجلى على السالك بصفة من صفاته، وذلك بعد فناء صفة السالك، ظهر على السالك بعض آثار تلك الصفة بفضل الله تعالى، مثلا إذا تجلى الحق سبحانه بصفة السمع صار السالك يسمع نطق الجماد وغيره، وقس على ذلك سائر الصفات.

وتجلي الأفعال هو ما ينكشف لقلب السالك من أفعاله تعالى، فإذا تجلى الحق تعالى على السالك بفعل من أفعاله انكشف للسالك جريان قدرة الله تعالى في الأشياء، فيرى أنه تعالى هو المحرك والمسكن، شهودا حاليا لايعرفه إلاّ أهله، ثم إن تجلي الأفعال سابق على تجلي الأسماء والصفات، وتجلي الأفعال مزلة أقدام، يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

واعلم، أن النفس تطلق على البخار اللطيف الحامل للحياة والحس والحركة الإرادية، وهي التي يسميها الحكماء الروح الحيواني، وهو جوهر مشرق، فإن أشرق على ظاهر البدن وباطنه حصلت اليقظة، وإن أشرق على باطن البدن فقط حصل النوم، وإن انقطع إشراقه عن البدن بالكلية حصل الموت، فسبحان الصانع الحكيم، ولا تختص بماهية الإنسان، وتسمى أيضا بالنفس الشهوانية، وإنما المختص به النفس الناطقة، وهي جوهر مجرد عن المادة في ذاته مفارق لها في أفعاله، وهذه النفس هي التي تسمى بالأسماء السبعة المتقدم ذكرها، فكلما اتصفت بصفة سميت لأجل اتصافها بها باسم من هذه الأسماء.

وبيان ذلك أن النفس الناطقة، المعبر عنها بالورقاء، إن وافقت العين اللطيفة المسماة بالنفس الشهوانيه كما مرّ، التي هي معدن الأخلاق الذميمة، وصارت تحت حكمها، وتدنست بالميل إلى الشهوات، وصارت على صورة جهنم مشتملة على سبع دركات، كل دركة منها صفة لها وهي باب من أبواب جهنم يدخل من كل صفة منها

إلى دركة من دركاتها السبع، وهي الكبر والحرص والشهوة والحسد والغضب والبخل والحقد، سميت أمّارة، فمن طهّرها من هذه الصفات فقد عبر عن هذه الدركات السفلية، ووصل إلى درجات الجنان العلوية، ومن لا فلا، قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝ ﴾ [الشمس: 9 - 10].

وإن سكنت تحت الأمر التكليفي وأذعنت لاتباع الحق مع بقاء ميل للشهوات سميت لوامة.

فإن زال هذا الميل وقويت على معارضة النفس الشهوانية وزاد ميلها إلى عالم القدس وتلقت الإلهامات سميت ملهمة.

فإن سكن اضطرابها ولم يبق للنفس الشهوانية حكم، بل نسيته، سميت مطمئنة.

فإن ترقت عن هذا وسقطت المقامات من عينها وفنيت عن جميع مراداتها سميت راضية.

فإن زاد هذا الحال عليها سميت مرضية عند الحق والخلق.

فإن أمرت بالرجوع إلى العباد لإرشادهم وتكميلهم سميت كاملة.

وفي كل طور من هذه السبعة أطوار عشرة آلاف حجاب، كل حجاب أكثف مما بعده، وهكذا إلى آخرها، فأكثفها أولها وألطفها آخرها، فإذا ضربت عشرة آلاف في سبعة كانت سبعين ألفا، وهي المتقدم ذكرها.

واعلم، أن هذا الجوهر المجرد المسمى بالنفس الناطقة له أسماء عديدة منها القلب ومنها: اللطيفة الإنسانية، وحقيقة الإنسان، وهو المدرك العالم المخاطب بالأوامر الشرعية والمطالب بها.

مقامات النفس:

ولما فرغ من الكلام على تقسيم النفوس وعدد الحجب، ذكر ما يتعلق بصفاتها ومقاماتها وعالمها وغير ذلك، فقال:

النفس الأمّارة

(أولها الأمارة، جهادها أكبرا وصفها بلا مرا، حقد بخل وريا)

لا خفاء في أن أدنى درجات السالك الطالب للكمال درجة الإنسان الحيواني، لانخراطه وقتئذ في سلك الحيوان، للاشتراك في الميل إلى الشهوات، ولايتميز عنهم إلا بالصورة، ولا تكون نفسه إذ ذاك إلا أمارة، وهي التي قال صلى الله عليه وسلم فيها: «أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك»، وهي أول النفوس السبعة على سبيل الترقي

كما أفاده قوله: أولها الأمارة.

وأشار بقوله جهادها أكبر إلى قوله صلى الله عليه وسلم حين توجه إلى المدينة المنورة من بعض غزواته: "رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» فسمىّ صلى الله عليه وسلم الضرب بالسيف جهاداً أصغراً وجهاد النفس جهاداً أكبراً، وذلك لأنها في ظلمة الطبيعة، فلا تفرق بين الحق والباطل ولا تميز بين الخير والشر، ولا يقدر الشيطان على الدخول على الإنسان إلا بواسطتها. وقوله أكبرا صفة للمفعول المطلق المحذوف، والتقدير جهادها جهاداً أكبراً. ومن أوصافها ما صرح به المصنف رحمه الله تعالى، وهي الحقد والبخل والرياء وغيرها من الصفات الذميمة المتقدم ذكرها وما يتولد منها مما يعرفه الإنسان من نفسه.

وأشار بقوله: (مقامها يا مختار * في ظلمات الأغيار * عشرة الآف أستار * تقطعها بالكليا) إلى أن مقام النفس الأمارة ظلمات الأغيار.

وأن أصحاب هذا المقام أرباب النفوس الأمارة محجوبون بالأغيار عن مشاهدة الأنوار، وجملة الحجب المحجوبين بها عشرة آلاف حجاب من ظلمة ساترة لهم عن مشاهدة أنوار الحق، ولذلك غرقوا في بحر الباطل والمخالفات، وهذه الحجب أكثف الحجب وأغلظها.

إذا علمت ذلك عرفت أن أول النفوس، كما صرح به المصنف، النفس الأمارة، ومقامها ظلمات الأغيار، ووصفها الصفات المتقدم ذكرها، وحالها الميل إلى الشهوات، وعالمها عالم الشهادة، ومحلها الصدر بين الجنبين كما أخبر بذلك سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم عليهم أجمعين، وواردها الشريعة، ومسيرها إلى الله تعالى، قال تعالى: « إلي مرجعهم جميعا».

قوله: (تقطعها بالتوحيد* كلمة أهل التمجيد* كثر منها يا مريد * سرا وعلانيا)

الضمير في قوله تقطعها عائد على الحجب، يعني أن الحجب المذكورة يمزقها السالك ويقطعها بالرياضة وذكر كلمة التوحيد وهي: لا إله إلا الله، بمد (لا) وتخفيف همزة إله وفتح هائه، وتسكين آخر لفظ الجلالة، وعدم فصل بين الهاء و (إلا الله)، ذكراً كثيراً، سراً وعلانية، بقوة عامة للسر والجهر، وهمة تامة ولا سيما حالة الذكر، قال سيدي مصطفى البكري: (وليكن قولك لا إله إلا الله بقوة وشدة، كأنك تضرب به الجانب الأيسر من صدرك، بحضور وخشوع وقوة، وغمض عينيك، والق سمعك إلى ذكرك، ولازم الطهارة، وجانب أكل الحرام).

قوله (إياك تترك ذكرك*إذا لم يحضر قلبك*داوم وجاهد نفسك*واذكر بالقال يبيا)

نهى عن ترك الذكر لعدم حضور القلب، وهو معنى قول ابن عطاء الله: (لا تترك

الذكر لعدم حضورك مع الله فيه). نبّه بذلك على أنه لا ينبغي أن تهمل الجوارح وإن انفردت، لأن لها نسبة في العبودية وهو الحضور بالصورة، فلا تزهد في الذكر إذا كان بهذه الصفة، ولا تصغر في عينيك فائدته وثمرته، فإن ذلك من تسويل الشيطان لترغب عنه وتتركه وذلك أقصى مراد الشيطان، قال الشيخ زروق: "اذكر مولاك كيف أمكنك وعلى أي وجه تيسر لك لقوله تعالى: ﴿كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾، فإن هذه الآية صريحة في عدم الاشتراط، إذ من الواضح أن ذلك لا يتغير بحضور ولا غيبة"، وقال رجل: (يا رسول الله كثرت علي شعائر الإسلام فأوصني بأمر أدرك به ما فاتني وأوجز) فقال صلى الله عليه وسلم: (لا يزال لسانك رطبا بذكر الله)، فلم يدله إلا على ذكر اللسان، قال الشيخ زروق: (إن تيسر الحضور في الذكر فهو الكمال، وإلا فالاشتغال بمقدور العبد مقدم على ما لا يدخل تحت اختياره).

وأشار بقوله داوم وجاهد.. إلخ إلى أن المطلوب الدوام على ذكر الله، قائما وقاعدا وعلى جنبك كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾، وليكن ذكرك بقلبك وقالبك أي جسمك وهيكلك، فإن التأثير المطلوب من الذكر لا يحصل إلا بالدوام والاستهتار آناء الليل وأطراف النهار، ولاسيما مع الاستحضار، فإن لازمت ذلك ملأ الله تعالى قلبك بالأنوار، وأودع فيه الأسرار، وإلى هذا أشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله:

(يشعل في قلبك مصباح * ملكوتي قد لاح * تنظر عيوبك يا صاح * تشتغل بالتنقيا)

يعني إن دمت على ملازمة الذكر ومجاهدة النفس بالقلب والقالب، أوقد الله تعالى نور بصيرتك التي هي كالمصباح، فتميز حينئذ بين الحق والباطل وبين الخير والشر وتعرف المحمود والمذموم، فتجتهد في التخلي عن الأوصاف الذميمة والتحلي بأضدادها، وتبدل الأخلاق السيئة بالأخلاق الحسنة، مثلا يبدل الله ما فيك من الكذب بالصدق، وما فيك من الكبر بالتواضع، والبغضاء بالمحبة، والرياء بالإخلاص، والشهرة بالخمول، حتى إذا كان لك صيت بين الناس فالبس ثياب الخمول حتى لا يبقى أحد يذكرك بذم أو مدح.

وقوله: ملكوتي، أي من عالم الغيب، قال سيدي مصطفى البكري قدس الله سره: (فالسالك إذا كان في المقام الأول وتلقى الاسم الأول من المسلك، وداوم على تلاوته مع الإكثار آناء الليل وأطراف النهار، جهراً وسراً، قياماً وقعوداً، مراعياً آداب الذكر المتقدم ذكرها، أوقد الله تعالى في باطنه ببركة هذا الاسم مصباحاً ملكوتياً، فيرى بعين قلبه القبائح التي هو منطوٍ عليها، كارهاً لها، مستنكراً اتصافه بها، متحسراً عما فاته من

الأوقات فيما لا يعني بعد ما كان في غفلة لا يعرف القبيح من الحسن إلا باللسان، فيشمر ويسعى حينئذ بالجد والإخلاص لما فيه من القبائح الظاهرة كشرب الخمر والزنا ولبس الحرير وأكل الحرام ونحو ذلك. ويجتهد في إخراج ما فيه من القبائح الباطنة كالكبر والحسد والشحناء وأمثال ذلك. وكلما زاد من الذكر وداوم عليه زادت كراهته لأفعاله القبيحة وزاد سعيه في الخلاص منها)، قال: (وهذا أمر محقق لا ينكره إلا من لم يجربه، وهذه أول كرامة يكرم الله تعالى بها هذا السالك، يستعين على قطع الطريق، وله في كل مقام كرامات. والمصباح المذكور هو أول الجذبة الرحمانية، وكلما دام السالك على الذكر مع المجاهدة قوي الجذب، حتى يصل إلى أعلى درجات الكمال، فيقوى على حمل الأمانة وعلى التجليات، قال ابن الفارض رحمه الله تعالى:

ونهج سبيلي واضح لمن اهتدى ولكنها الأهواء عمّت فأعمت.

وقال سيدي أبو الحسن الشاذلي قدس سره: (لايزال المريد يذكر لا إله إلا الله بلسانه حتى ينتقل معناها إلى جنانه، وتنكشف عن قلبه الحجب الظلمانية الحاصلة من الذنوب الماضية فيشاهد بعين البصيرة عيوب نفسه وقبائحها، شهود ذوق وحال لا شهود اعتقاد)، وقال: (هذا أمر لا يعرفه إلا من ذاقه واشتعل مصباح قلبه، فدم على هذا الذكر ما دام فيك شيء من أوصاف النفس الأمارة حتى تنصقل مرآة قلبك ويزول عنها الريب المانع من إدراك حقائق الاشياء وفهم دقائق العلوم، لأن مرآة القلب إذا علاها صدأ الأخلاق الذميمة وجب الجد والاجتهاد في التخلص منها والسعي في جلائها، فإذا خلصت نفسك بما ذكر من عيوبها المتقدم ذكر بعضها، شاهدت بعض العجائب المكنونة والأسرار المخزونة، وترقيت من مقام النفس الأمارة إلى مقام النفس اللوامة)، ولذلك أشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله.

النفس اللوامة

(ترجع نفسك لوامة * تذهب عنك الغمامة * تخرج من ذي الظلمة * مقامك نورانيا)

يعني إذا مزقت حجب ظلمة الأغيار بالمجاهدة وملازمة الذكر آناء الليل وأطراف النهار انسلخت عنك صفات النفس الأمارة وتخليت منها بأسرها، واتصفت بصفات النفس اللوامة، وعرجت من مقام ظلمات الأغيار إلى مقام حجب الأنوار، فقوله: تخرج من ذي الظلمة أي حجب ظلمة الأغيار، وقوله: تذهب عنك الغمامة أي تضمحل، والغمامة السحابة مطلقا أو السحابة البيضاء، وأراد بها الحجب المذكورة، وقوله مقامك اسم يصير المحذوفة، والتقدير: يصير مقامك نورانيا.

وأشار بذلك رحمه الله تعالى إلى أن النوع الثاني من أنواع النفوس السبعة: النفس اللوامة، ومقامها مقام الأنوار كما صرح به المصنف رحمه الله تعالى، وعالمها البرزخ، ومحلها القلب، وحالها المحبة، ووارده الطريقة، وصفاتها اللوم والفكر والعجب، والاعتراض على الخلق والريا الخفي وحب الشهرة والرياسة، وقد يبقى معها بعض أوصاف الأمارة إلا أنها مع هذه الأوصاف ترى الحق حقا والباطل باطلا، وتعلم أن هذه الصفات مذمومة، ولها رغبة في الطاعة والمجاهدة وموافقة الشرع، وسيرها إلى الله تعالى. ثم إن صاحب هذه النفس يحب أن يطلع الناس على أعماله مع أنه يخفيها ولا يعمل لهم بل عمله لله، إلا أنه يحب أن يثنى عليه ويمدح من جهة أعماله، ومع ذلك يكره تلك الخصلة ولا يمكنه إزالتها ولو أمكنه لكان من المخلصين، والمخلصون على خطر، وفي الحديث: (كل الناس هلكى إلا العاملون، والعاملون هلكى إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم)، وذلك لأن المخلص يحب ان يكون معروفا بالإخلاص وهذا هو الرياء الخفي، فمن كان بهذه الصفة فهو في المقام الثاني، وتسمى نفسه لوامة كما مر.

قوله: (تذكر اسم الجلالة * في الخلا والملا * يشرع في قلبك جلا * لطيفة النفسيا)

(كثّر منه بالكمال * واطلب مقام الرجال* تدخل عالم المثال * لطيفة القلبيا)

يريد رحمه الله تعالى أن صاحب هذا المقام الثاني يجب عليه ملازمة ذكر الجلالة: الله الله، بسكون الهاء آخر كل اسم، مستقبل القبلة إن أمكنه، مغمضا عينيه، بشدة وقوة، على الكيفية المتقدم ذكرها في آداب الذكر، ويحقق همزة: الله، ويمد الألف التي قبل الهاء، وليحذر أن تفضي به العجلة إلا أن يقول: هلا هلا أو إلا إلا، وليس في الاذكار أوسع مددا ولاأقرب تأثيرا منه، فليكثر منه صاحب المقام آناء الليل وأطراف النهار، منفردا في خلوته أو مع جماعة ذاكرين الله تعالى، لأنه الاسم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى؛ وصاحب هذا المقام كثير الخواطر ونار هذا الاسم تحرقها، فكن مكثرا منه ولا تبال، فإذا فعلت ذلك انجلت الحجب النورانية عن نفسك الناطقة المعبر عنها في كلام المصنف باللطيفة النفسية بسرعة.

وقوله: كثر منها بالكمال، أمر بالإكثار من ذكر الجلالة فإنه أجل الأسماء ومحط رحال العلماء، الذي اختاره متأخرو الأولياء، وتحلى به العارفون الأصفياء، طالبا بلوغ مقام رجال الله السالكين، وهذا المقام أوّل مقامات المقربين.

وقوله: تدخل عالم المثال، قال سيدي مصطفى البكري قدس سره: (فجاهد نفسك في هذا المقام واستخرج ما فيك من الكنوز، فالمشاهدة لا تحصل إلا

بالمجاهدة، وامتحن نفسك فإنك إن صدقت في الطلب والمجاهدة انكشفت لك عجائب القلب وأفعاله وأسراره ودخلتَ عالم المثال، وهو عالم غير هذا العالم الذي أنت فيه، ولا يعرفه إلا من كان في مقام القلب، وهو نهاية المقام الثاني من المقامات السبعة التي ليس للأبرار فيها نصيب إلا إذا سلكوا طريق المقربين، فيه يرى السالك الأمور التي لا تدرك بالحواس الخمس، لأن قلب المؤمن عرش الله تعالى وبيته، بمعنى أنه محل لأن توضع فيه أسراره تعالى. فكن تابعا للشريعة وهي أقواله صلى الله عليه وسلم، متخلقا بالطريقة وهي أفعاله صلى الله عليه وسلم من الجوع الكثير والنوم القليل والصمت، كان صلى الله عليه وسلم لايتكلم إلا بما فيه نفع، وكان صلى الله عليه وسلم كثير الصمت، روى الإمام أحمد عن جابر بن سمرة أنه قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم طويل الصمت قليل الضحك) وعن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه: (كان رسول اله صلى الله عليه وسلم لا يتحدث حديثا إلا تبسم)، فتتبع أخلاقه وأحواله واعمل بها، فإن فعلت تفجرت ينابيع الحكمة من قلبك على لسانك وكنت سالكا سبيل المقربين، وبهذا تزيد على الأبرار، ومن هنا تفارقهم إلى حضرة الجبار، فأول منازلك في سفرك هذا عالم المثال، وفيه تجتمع بالأشباح التي هي صور بين كثافة الأجسام ولطافة الأرواح، وترى ما يسرك وما يقوي همتك على السلوك ويزيد شوقك، وتشتعل نار المحبة في قلبك وتنقطع عنك جميع الشهوات النفسانية والأهواء الشيطانية، وإن بقي عليك شهوات روحية فلا تضرك في هذا المقام، لأن المطلوب منك حينئذ قطع الشهوات النفسية التي هي ظلمة بالنسبة إلى ما بعدها).

واعلم، أن الدخول في عالم المثال لا يكون إلا للسالك، وهو حالة متوسطة بين النوم واليقظة، تعرض للسالك وهو جالس غالبا ويسمونها بالواقعة، ويرى فيها ما يرى، بشرط أن يعلم المكان الذي هو فيه والوقت الذي هو فيه أيضا، ويعلم أنه بين النوم واليقظة، فإذا لم يكن كذلك فهو في مقام لا يعتد به ولا يعبر عنه؛ وإنما كانت هذه الحالة بين النوم واليقظة لأن السالك في البداية يغلب عليه جانب النوم على جانب اليقظة، ثم يترقى حتى يصير جانب اليقظة أغلب فيرى حينئذ بعض الروحانيين فيظن أنه رآهم يقظة والحق أنه رآهم في هذه الحالة، إلا ان همته لما كانت عالية كانت هذه الحالة أقرب إلى اليقظة من النوم فظن أنه مستيقظ، وفي هذه الحالة تُرى روحانية النبي صلى الله عليه وسلم فتُسمى مشافهة فيقال أن فلانا رأى النبي صلى الله عليه وسلم مشافهة. ولا بد من ذهول يعتري السالك حتى ينكشف له عن ذلك. قال قدس الله سره:

(وقد اجتمعت مع رجل من السالكين فحلف لي أنه رأى النبي صلى الله عليه

وسلم بعين رأسه ولم يكن نائما أصلا، فقلت: له كيف رأيته، قال: كنت في المكان الفلاني وكان معي أخي فلان فأقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمني وكلمته ورأيته بعين رأسي، فقلت: هل رآه صلى الله عيله وسلم أخوك فلا؟ فقال: لا، فقلت: لو كانت الرؤيا بعين رأسك لرآه كل من في مجلسك، فقال: جزاك الله عني خيرا كنت تائها فدللتني على الطريق، وأوضح لي المسألة، فبينت له الأمر. إذا علمت هذا عرفت أن اليقظة الصرفة لا يرى فيها إلا ما هو في عالم الملك، وأما ما هو في عالم الملكوت، الذي عالم المثال شعبة منه، فلا يرى إلا بعين البصيرة وإن كانت العينان مفتوحتين، وفي هذا العالم تكون الفهوانية، وهي عندهم عبارة عن خطاب الحق بطريق المكافحة في عالم المثال كما قال، وقد يلبس الشيطان على السالك هذا الأمر فيظن أنه رأى الحق والحال أنه رأى الشيطان، ولكن إن أعقبت هذه الرؤيا علوما ومعارف واتباعا للشريعة والطريقة فهي إكرام من الله تعالى لعبده وهي الفهوانية الصحيحة، وإن أعقبت زندقة واتباع هوى فهو شيطان ليقطع السالك عن الطريق. قال النبي صلى الله عليه وسلم: (رأيت ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة، فقال: فيم يختصم الملأ الأعلى يا محمد؟ قلت: أنت أعلم أي رب، مرتين)، قال: (فوضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين ثدييّ، فعلمت ما في السماء وما في الأرض)، ثم قال صلى الله عليه وسلم هذه الآية: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ۝٧٥ ﴾، ثم قال: فيم يختصم الملأ الأعلى يا محمد؟ قلت: في الكفارات، قال: وما هي؟ قلت: المشي على الأقدام إلى الجماعات والجلوس في المساجد خلف الصلوات وإبلاغ الوضوء أماكنه في المكاره، من يفعل ذلك يعش بخير ويمت بخير ويخرج من خطيئته كيوم ولدته أمّه، ومن الدرجات إطعام الطعام وبذل السلام وأن يقوم بالليل والناس نيام، قل: اللهم إني اسألك الطيبات وفعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لي وترحمني وتتوب علي وإذا أردتَ بقوم فتنة فتوفني إليك غير مفتون) انتهى. وقوله: (في أحسن صورة) يحتمل ان يكون بيان حال الرائي وهو النبي صلى الله عليم وسلم، فيكون معناها: أنا في تلك الحال في أحسن صورة ويحتمل أن يكون بيان حال المرئي وهو الرب تعالى، والتحقيق أن صورة الشيء ما يتميز به الشيء عن غيره فتطلق على الذوات والمعاني وغيرهما. فصورته تعالى ذاته المنزهة عن مماثلة ما عداه من الأشياء كما قال تعالى: (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير). قال قدس سره: (فهذه هي الفهوانية الصحيحة لأنها أعقبت هذه العلوم، وأما غيرها فعلوم

شيطانية، وقال صلى الله عليه وسلم: (إذا نزل النور في القلب انفتح وانشرح)، قيل: (يا رسول الله هل لذلك من علامة؟) قال صلى الله عليه وسلم: (نعم، التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله).

واعلم أن القلب له جهة إلى عالم الشهادة وهي الحواس الخمس، وله جهة إلى عالم الغيب وهو عالم الملكوت، فمتى توجه إلى عالم الشهادة بالحواس أعرض عن عالم الغيب، ومتى أعرض عن مدركات الحواس الخمس توجه إلى عالم الغيب، ولا يمكنه التوجه إلى العالمين معا في حال بدايته.

قوله: لطيفة قلبيا، يريد أن محل النفس اللوامة اللطيفة القلبية. واللطيفة عند أهل الله عبارة عن كل إشارة دقيقة المعنى تلوح للفهم، لا تسعها العبارة، كعلوم الاذواق، والمراد بها هنا النفس الإنسانية لا الحيوانية وهي النفس الناطقة ويعبر عنها باعتبار بعض صفاتها بالقلب، وهي في الحقيقة تنزل الروح إلى رتبة قريبة من النفس مناسبة لها بوجه ومناسبة للقلب بوجه، ويسمى الوجه الأول الصدر والثاني القلب، وذلك لأن النفس الناطقة لها أطوار تلقب في كل طور باسم مناسب لحالها ومحلها.

النفس الملهمة

قوله: (ترجع نفسك ملهما * لست من أهل العمى * في الدنيا والقياما *
كما جاء في الآيا).

يعني أنك أيها المريد السالك طريق أهل التجريد إذا كثرت من ذكر الجلالة على حسب ما مر، ومزقت بالرياضة والمجاهدة على القانون الشرعي حجب مقام الأنوار وهي كما مر عشرة آلاف حجاب من نور، صارت نفسك منتظمة في سلك نوع النفوس الملهمة، وهو النوع الثالث من أنواع النفوس، كما أفاده قوله: ترجع نفسك ملهمة، يعني أن النفس حينئذ تسمى ملهمة، ومقامها يسمى بمقام الأسرار، ومحلها الروح، وواردها المعرفة، وحالها العشق، وسيرها إلى الله. بمعنى أن السالك في هذا المقام لا يقع نظر بصيرته إلا على الله تعالى لفناء ما سوى الله في شهوده، وعالمها عالم الأرواح. وإنما كان عالمها عالم الأرواح لتروحن النفس في هذا المقام وتعلقها بالروحانيات للمناسبة المذكورة، وفنائها عن عالم الشهادة، وصفاتها السخاء والقناعة والعلم والتواضع والصبر والتحلم وتحمل الأذى والعفو عن الناس وحملهم على الصلاح وقبول عذرهم، وشهود أن الله تعالى آخذ بناصية كل دابّة فلم يبق له اعتراض على مخلوق، ومن صفاتها الشوق والهيمان والبكاء والقلق والاشتغال بالحق، والتلوين

وتعاقب القبض والبسط والخوف والرجاء، وحب الأصوات الحسنة وزيادة الهيمان عند سماعها، حب الذكر وبشاشة الوجه والفرح بالله والمعارف والمشاهدة. وسميت ملهمة لأن الله تعالى ألهمها فجورها وتقواها.

وقوله: لست من أهل العمى.. إلخ، يعني إذا صارت نفسك ملهمة واضمحلت حجب الأنوار عنها وتمزقت زال عنك العمى، أدركت الأسرار الربانية، وتجلت لك المعارف الالهية، وحصلت لك المشاهدة في العاجلة والآجلة وفزت بها، والألف واللام في الآية للعهد، والمعهود قوله تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ ﴾ قال العلامة البيضاوي: (ومن كان في هذه الدنيا أعمى القلب لا يبصر رشده كان في الآخرة أعمى لا يرى طريق النجاة لزوال الاستعداد وفقدان الآلة).

قوله: (تذكر اسمه (هو) * بالهوينة والقوا * في الجلوة والخلوا * مقامك أسراريا)

(تبد لك الهويا * وحقيقة الإنيا* والأسرار القدسيا * تجفيك عن الدنيا)

يريد رحمه الله تعالى أن صاحب هذ المقام الثالث يتعين عليه ملازمة ذكر اسمه عز وجل: (هو)، بشدة وقوة، على الكيفية السابقة، مستقبل القبلة إن أمكنه، جالسا على ركبتيه أو قائما أو على جنبه، خالي البال، ملقيا سمعه إلى نطقه، مع طهارة الظاهر والباطن، ومداوما على ذلك، ملازما للإكثار آناء الليل وأطراف النهار، لايمل ولا يضجر، متلبسا بالاستقامة، متمسكا بالشريعة والطريقة، وليكن ذكره في بعض الأوقات: (لا هو إلا هو) بدلا من: (هو هو)، وفي حالة الذكر يكون صاحب هذا المقام كأنه يخاطب أعضاءه بأن ليس في الوجود إلا هوية الحق تعالى.

وقوله: بالهوينة، أي بالسكينة والوقار، والقوة الشدة ضد الضعف؛ وقوله: في الجلوة والخلوة، الجلوة خارج الخلوة، والمراد على الدوام على ذكر اسمه عز وجل (هو) في الحالين، في حال خلوتك وحال جلوتك؛ وأشار بقوله: مقامك أسراريا، يعني أن صاحب النفس الملهمة يسمى مقامه بمقام الأسرار كما تقدم.

وقوله: تبد، مجزوم في جواب الأمر، أي أن تذكر اسمه تعالى (هو) على الوجه السابق، وذلك لأن صاحب هذا المقام يتعين عليه في حال ذكره الاسم المذكور أن يخاطب أعضاءه بأن ليس في الوجود إلا هوية الحق تعالى كما مر، وأن كل ما سواه تعالى فهو صفاته عز وجل وأفعاله، وهذا مشهد عظيم، فإن كلّف السالك نفسه بهذا الشهود ولازمه صار ذلك له حالا، وهو الغاية القصوى والأمنية التي ما فوقها ما يتمنى؛ والهوية عند القوم عبارة عن الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق، وألف الهويا بدل من تاء التأنيث والأنيا، قال الراغب

سامحه الله تعالى: (يقال أنية الشيء كما يقال ذاته إشارة إلى وجوده) ثم قال: (وهو لفظ محدث ليس من كلامهم) وألفها في كلام المصنف رحمه الله تعالى بدل من تاء التأنيث أيضا للقافية، وقال الإمام محي الدين بن العربي الحاتمي قدس سره: (الهوية هي الحقيقة في عالم الغيب، والأنية هي الحقيقة بطريق الإضافة). وقوله: والأسرار القدسية عطف على سابقه، وإذا تجلت لك الأسرار القدسية حصل لك التجافي عن الدنيا دار الغرور بفنائك عن مشاهدتها، لإنك حينئذ لا تشهد إلا الحق عز وجل..

قوله: (ترى عين وحدتك * في قالب كثرتك * وكذلك كثرتك * في عين الوحدانيا)

يعني أن صاحب هذا المقام لا يحجب بالخلق عن الحق ولا بالحق عن الخلق، ولا بالكثرة عن الوحدة ولا بالوحدة عن الكثرة، بل يشهد الكثرة في عين الوحدة والوحدة في عين الكثرة، ويشهد الحق تعالى في عين المظاهر، كما قال الإمام ابن عطاء الله: (من رأى الكون ولم يشهده فيه أو عنده أو قبله أو بعده فقد أعوزه وجود الأنوار وحجبت عنه شموس المعارف بسحب الآثار)، قال الشيخ زروق: (من رأى الكون وشهده فيه أو عنده أو قبله أو بعده فقد توفرت أنواره وظهرت معارفه وأسراره) ولله در القائل:

(ألاحظه في كل شيء رأيته ... وأدعوه سرا بالمنى فيجيب
ملأت به قلبي وسمعي وناظري ... وكلي وأجزائي فأين يغيب)

والقالب بفتح اللام كثيرا وقد تكسر، المثال الذي تفرغ في الجواهر، والمراد به هنا أشباح المكونات.

تنبيه: الوحدة والكثرة عند علماء الظاهر اختلف في وجودهما في الأعيان، فأثبته الحكماء وأنكره المتكلمون، قال في المقاصد: (والحق أنهما من الاعتبارات العقلية لا وجود لهما في الأعيان)، وفي شرح المواقف للسيد: (الوحدة كون الشيء بحيث لا ينقسم، والكثرة كونه بحيث ينقسم).

قال سيدي مصطفى البكري قدس سره: (وخاصية الاسم الثالث ظهور المعارف القدسية والهوية المطلقة السارية في جميع الموجودات، وليكن ذكره له أولا بياء النداء ثم بدونها في جميع الأوقات في القيام والقعود والاضطجاع، آناء الليل وأطراف النهار، ليحصل انقطاع التفات النفس إلى المقام الأول، لأن الطبع يغلب التطبع، لأن خواص الاسماء لا تظهر إلا بكثرة الذكر الجلي القوي والخفي مع الدوام. والأدب أن يكون الذاكر مستقبل القبلة، جالسا على ركبتيه أو قائما، خالي البال، ملقيا سمعه إلى نطقه صاغيا لما يقوله، مع نظافة الظاهر والباطن ودوام الطهارة، متمسكا بالشريعة. فإذا

تخلق المريد بذلك وتطبع به صار الاسم الثالث هجيره، ومزق حجب الأسرار، وحصل له الفناء في الحق، فيحتجب بالجمال عن الصور العينية وأحوالها وتعيناتها، لأن الشاهد والمشهود في هذه المرتبة ليس إلا الحق وحده، ويحتجب بالوحدة عن الكثرة فلا يرى إلا الحق متجليا في صور الاكوان كما صرح به الإمام ابن عطاء الله بقوله: من رأى الكون ولم يشهده فيه إلخ، قال شارحه: والتفرقة بين هذه الحقائق على ما هي عليه موكول إلى أربابه، فاعتقد كمال التنزيه وبطلان التشبيه، وتمسك بقوله عزّ وجلّ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: 11]، فها هنا زلت أقدام كثير من الناس ا هـ.

ولقد سعد سعد الدين في مقاصده حيث قال: (وها هنا مذهبان آخران يوهمان الحلول والاتحاد ليسا منه في شيء:

الأول أن السالك إذا انتهى في سلوكه إلى الله وفي الله استغرق في بحر التوحيد والعرفان، بحيث تضمحل ذاته في ذاته تعالى وصفاته في صفاته، ويغيب عن كل ما سواه، ولا يرى في الوجود إلاّ الله تعالى، وهذا الذي يسمونه الفناء في التوحيد وإليه يشير الحديث الإلهي: (أن العبد لا يزال يتقرب إليّ حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الّذي يسمع به وبصره الذي يبصر به)، وحينئذ ربما تصدر منه عبارات تشعر بحسب الظاهر بحلول أو اتحاد، لقصور العبارة عن بيان تلك الحال، وتعذر الكشف عنها بالمقال، ونحن على ساحل التمني نغترف من بحر التوحيد بقدر الإمكان، ونعترف بأن طريق الفناء فيه العيان دون البرهان، والله الموفق.

الثاني: أن الواجب هو الوجود المطلق وهو واحد لا كثرة فيه أصلا، وإنما الكثرة في الإضافات والتعينات التي هي بمنزلة الخيال والسراب، إذ الكل في الحقيقة واحد يتكرر على المظاهر لا بطريقة المخالطة، ويتكرر في النواظر لا بطريق الانقسام، فلا حلول هاهنا ولا اتحاد لعدم الاثنينية والغيرية، وكلامهم في ذلك طويل خارج عن طريق العقل والشرع اهـ كلامه.

ولقد كتب عليه العلامة المحقق إبراهيم الشهرزوري قدس الله سرّه، ولفظه ما ذكره: (من أنهما يوهمان الحلول والاتحاد وليسا منه في شيء هو صحيح، ولكن زعمه أن الثاني خارج من طريق العقل والشرع باطل عن طريق العقل والشرع كما هو باطل عن طريق الكشف، ولو فهم الأول حق الفهم لعلم أن الثاني تحقيقه، ولو فهم الثاني حق الفهم لعلم أن الأول لا يتم إلاّ به، ولو اكتفى فيهما بالاغتراف والاعتراف لكان أسلم وأولى، ولكن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ

إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ [البقرة: 255]، ثم أطال في ذلك وقال: (منشأ جميع الشبهات إنما هو عدم تصور معنى الوجود المطلق على ما يريده المحققون من أهل الله. فإنّ كلامه واضح الدلالة على أنه فهم من المطلق المعنى العام الذي لا يوجد إلاّ في ضمن الخاص، أي الكلي الذي لا يتحقق إلاّ في ضمن جزئياته، وهم لم يريدوا بالمطلق ذلك وحاشاهم، وإنما أرادوا كما صرّحوا به في كتبهم بالوجود المطلق الموصوف المعرّى عن كل قيد زائد على ذاته، القائم بنفسه المتعين بذاته أوسع التعينات، فهو الفرد الواحد الذي لا ثاني له. وما أورده من أن الوجود المطلق مفهوم كلي لا تحقق له في الخارج وله أفراد كثيرة لا تكاد تتناهى، والواجب موجود واحد لا تكثّر فيه غير وارد، لأن الوجود المطلق عند أهل الله ليس مفهوما كليا بل شخص واحد موجود بذاته، إذا تجلى بظاهر اسمه النور فأشرق على حقائق الكائنات ظهرت أحكامها وتحققت تعيناتها، فالوجود المطلق عند القوم هو الشخص الموجود بذاته الذي لولا ظهوره في المكونات ما وقع عليها وجود أبصار، والظهور المشهود في المكونات هو أدلّة الصفات، أعني أدلّة العلم والإرادة والقدرة والوجود والوحدانية والحياة وغيرها، أما الصفات نفسها فلا تحلّ في الأكوان، إذ لا مثل ولا صورة) اهـ كلامه بتصرف فيه، بمزجه بمعنى قول ابن عطاء الله رحمه الله تعالى: (الكون كله ظلمة لثبوت عدميته في الماضي بحقيقته، وفي المستقبل على حكم ذلك، وفي الحال لعدم استقلاله، فهو عدم مظلم، وإنما أناره ظهور الحق فيه، فنورانية الأكوان عارضة لا ذاتية، أوجبها تجلي نور الحق عليها وظهوره فيها، فالكون بالنظر إلى ذاته عدم، وهو معنى ما أدرج في حديث ((كان الله ولا شيء معه)) وهو الآن على ما عليه كان، فمن فني بالحق غاب عن الخلق فلا يشهد إلاّ الواحد الأحد، وهو معنى الوحدة في الكثرة على سبيل التقريب، المشار إليها بقول أرباب هذا المقام: وهو الآن على ما عليه كان. ثم قال قدس الله سره (فكلامه) يعني كلام التفتازاني رحمه الله تعالى منحرف عن صوب الصواب انحرافا تاما، حقيق بقول القائل:

سارت مشرقة وسرت مغربا   شتان بين مشرّق ومغرّب

وسبحان الله، وكيف يتوهم من قول من نصّ أن الواجب شخص واحد، والممكنات لا توجد إلا بإضافتها إليه لإشراق نوره على حقائقها، ولولاه ما وجدت، فتشنيعه مبني على توهم أن الوجود المطلق هو الكلي لا غير، ولهذا قال وإلا فتكثر الموجودات، وكون الوجود المطلق مفهوما كليا لا تحقق له إلا في الذهن ضروري، وهو توهم باطل، إذ تبين عقلا ونقلا أن الوجود المطلق موجود في الخارج شخص

واحد متعين بذاته، فالتكثر إنما هو في الموجودات التي هي محل ظهور إشراق الوجود الحقيقي، أعني الماهيات باعتبار ظهور أحكامها وآثارها في الوجود، ثم قال: والحاصل أنه ليس المراد بالمنطق العام بالمعنى الكلي حتى يرد أنه لا تحقق للعام إلا في ضمن الخاص، بل المراد المعرى عن كل قيد زائد على ذاته المتعين بذاته ولا شكّ أن ما هو كذلك فهو غني عما سواه، وكل قيد فهو محتاج إليه لأنه قيوم المقيدات كلها، فالأمر كما قالوا لا ما توهمه، والذي قالوه أنه شخص واحد موجود بذاته متعين بذاته، دلّ على ذلك العقل والنقل والكشف) اهـ باختصار.

وقد اعتنى بالرد عليه جماعة من المحققين كشمس الدين الفناري في كتابه "مصباح الأنس" وبدر الدين سيدي عبد الرحمن الجامي في كتابه " الدرّة الفاخرة" وعلاء الدين انظر تصحيحه 11 في رسائله. وقد أقاموا براهين عديدة على وجود الوجود المطلق ووجوبه. قال السيد الشريف الجرجاني في " حواشي التجريد": (كل مفهوم مغاير للوجود فهو ممكن، ولا شيء من الممكن بواجب، فلا شيء من المفهومات المغايرة للوجود بواجب، وقد ثبت بالبرهان أن الواجب موجود، فهو لا يكون إلاّ عين الوجود الذي هو موجود بذاته لا بأمر مغاير لذاته، ولما وجب أن يكون الواجب جزئيا حقيقيا قائما بذاته لا بأمر زائد على ذاته، وجب أن يكون الوجود أيضا كذلك إذ هو عينه، فلا يكون الوجود مفهوما كليا يمكن أن تكون له أفراد، بل هو في حدّ ذاته حقيقي ليس فيه إمكان تعدد ولا انقسام، وقائم بذاته منزه عن كونه عارضا لغيره، فيكون الواجب هو الوجود المطلق المعرى عن التقييد بغيره والانضمام إليه، وعلى هذا لا يتصوّر عروض الوجود للماهيات الممكنة، فليس معنى كونها موجودة، إلا أن لها نسبة مخصوصة إلى حضرة الوجود القائم بذاته، وتلك النسبة على وجوه مختلفة وأنحاء شتّى يتعذر الاطلاع على ماهيتها، ولا يعلمه إلا الراسخون).

قال الإمام الغزالي في كتابه "مشكاة الأنوار" ما نصه: [وترقى العارفون من حضيض المجاز إلى روح الحقيقة، واستكملوا معارجهم فرأوا بالمشاهدة والمعاينة أن لا شيء في الوجود إلاّ الله تعالى، وأن كل شيء هالك إلاّ وجهه، لا أنه يصير هالكا في وقت من الأوقات، بل هو هالك أزلا وأبدا، لا يتصوّر إلاّ كذلك، فإن كل شيء سواه إذا اعتبرت ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض، وإن اعتبرت من الوجه الذي يسري إليه الوجود رئي موجودا لا في ذاته بل في الوجه الذي يلي موجده. فلكل شيء وجهان، وجه إلى نفسه ووجه إلى ربه، فهو باعتبار وجه نفسه عدم محض، وباعتبار وجه الله تعالى موجود، فإذا لا موجود إلاّ الله تعالى ووجهه عزّ وجلّ، فإن كل شيء هالك إلاّ وجهه أزلا وأبدا، ولم يفتقر هؤلاء إلى يوم القيامة ليسمعوا نداء المنادي: (لمن الملك

اليوم لله الواحد القهار)، بل هذا النداء لا يفارق سمعهم أبدا، ولم يفهموا من معنى قوله: [الله أكبر] أي أكبر من غيره، حاشا لله إذ ليس في الوجود معه غيره، بل ليس لغيره رتبة المعية، بل ليس لغيره وجود إلا من الوجه الذي يليه، فالموجود وجهه فقط، ومحال أن يقال أنه أكبر من وجهه، بل معناه أكبر ممن يقال له أكبر، بمعنى الإضافة والمقايسة، وأكبر من أن يدرك غيره كنه كبريائه، نبيا كان أو ملكا، بل لا يعرف الله كنه معرفته إلا الله، إذ كل معروف داخل تحت سلطنة العارف واستيلائه دخولا ما، وذلك ينافي الجلال والكبرياء].

وقال السيد الشريف الجرجاني في "حواشي التجريد": (فإن قلت ماذا تقول فيمن يرى أن الوجود مع كونه عين الواجب وغيره قابل للتجزء والانقسام، قد انبسط على هياكل الموجودات وظهر فيها، فلا يخلو عنه شيء من الأشياء بل هو حقيقتها وعينها، وإنما تجزأت وتعددت بتقييدات وتعيينات اعتبارية، ونمثل ذلك بالبحر وظهوره في صور الأمواج المتكثرة مع أنه ليس هناك إلا حقيقة البحر فقط، قلت قد سلف منا الكلام من أن هذا طور وراء طور العقل لا يتوصل إليه إلا بالمشاهدات الكشفية دون المناظرات العقلية، وكل ميسر لما خلق له والله المستعان وعليه التكلان).

وقال الإمام الغزالي في الإحياء: [ومعنى الربوبية التوحد بالكمال والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال، فإن المشاركة في الوجود نقص، فكمال الشمس في أنها موجودة وحدها، فلو كان معها شمس غيرها كان نقصا في حقها، والمنفرد بالوجود هو الله تعالى، إذ ليس معه موجود سواه، فإن ما سواه أثر من آثار قدرته، لا قوام له بذاته بل هو قائم به، فلم يكن موجودا معه لأن المعية توجب المساوات في الرتبة، والمساوات في الرتبة نقصان في الكمال، وكما أن إشراق نور الشمس في أقطار الآفاق ليس نقصانا في الشمس بل هو من جملة كمالها، وإنما نقصانها بوجود شمس أخرى تساويها في الرتبة مع الاستغناء عنها، فكذلك وجود كل ما في العالم يرجع إلى إشراق نور القدرة، فيكون تابعا ولا يكون معا، فإذا معنى الربوبية التفرد بالوجود]، ثم قال بعد ذلك: [فإن أكمل الكمال أن يكون وجود غيرك منك]، وقال في كتاب " الصبر والشكر " من "الإحياء": [النظر بعين التوحيد المحض يعرفك أنه ليس في الوجود غيره تعالى، لأن الغير هو الذي لا يتصور أن يكون له بنفسه وجود، بل هو قائم بغيره فهو موجود بغيره، وإنما الوجود هو القائم بنفسه، فإذا قام به وجود غيره فهو قيوم، ولا قيوم إلا واحد، فإذا ليس في الوجود إلاّ الحي القيوم] انتهى. وحاصله، أن ذلك كله راجع إلى قولهم زيادة على حديث: (كان الله ولا شيء معه): وهوالآن على ما عليه كان، لأن جميع المكونات عدم محض باعتبار ما كانت عليه وما تؤول إليه، وبرهان ذلك قوله

تعالى ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ ﴾ [يوسف: 36]، وقوله تعالى: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ ﴾ [النساء: 2]، فمن لاحظ هذا شاهد الوحدة في عين الكثرة والكثرة في عين الوحدة من غير خروج عن القواعد الشرعية والقوانين العقلية، قال الشيخ محي الدين ابن العربي في الباب الثاني والعشرون وأربعمائة من الفتوحات:

{على السمع عوّلنا فكنا أولي النهى   ولا علم فيما لا يكون عن السمع }

وقال سيدي أحمد بن هلال: [وكشف الغطاء عن رؤية الوحدة عين الكثرة والكثرة عين الوحدة، يكون من تجلي أحدية الجمع، وهو شهود الذات الأحدية متجلية في الصور المختلفة المسماة بهياكل التوحيد، فالكثرة ظاهرة في الشهود، والوحدة باطنة في عين الكثرة والكثرة في الوحدة مع اندراج النسب والتعينات في الذات الأحدية، وشهود الكثرة في الوحدة مع الهوية في الإطلاق والتقييدوالتعينات والمراتب، فيرى الحق في ذلك كله، فلا ينافي حينئذ الاطلاق التقييد ولا الوحدة الكثرة ولا بالعكس. فالهوية في هذه الحضرة الجامعة للتجليات تكون وحدة بالذات وكثرة بالأسماء والتعينات، ففي التعينات تظهر الهوية الخلقية فيكون المشهود هو الخلق والحق باطنا، لاحتجاب مرآة الهوية بالتعينات الظاهرة فيها احتجاب المطلق بالمقيد، ويظهر في هذا المشهود أيضا الحق متجليا ظاهرا مبينا للتعينات بأسرها في مرآة العوالم والحقائق والأعيان، فيكون المشهود هو الحق ليس إلاّ، ويظهر فيه أيضا الحق والخلق في الحق، فلا يحصل الحجاب بأحدهما عن الآخر، بل يرى الهوية حقا من وجه ومرتبة وحضرة، وخلقا من وجه وحضرة ومرتبة، ولا تحجب الكثرة الوحدة ولا العكس، ولا يزاحم شهود كثرة المظاهر أحدية الذات، ولا يزاحم شهود أحدية الذات الكثرة الخلقية، فالحق تعالى باطن من وجه، ظاهر من وجه، قال تعالى ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ ﴾ [الحديد: 3] فلا يقدح ظهوره في بطونه، ولا يقدح بطونه في ظهوره، فهو تعالى باطن من حيث هو ظاهر وظاهر من حيث هو باطن).

قال (انظر تصحيحه 12) في شرح الفصوص: [والعارفون على ثلاثة أقسام، الأول من يرى الوحدة في الكثرة، والثاني عكسه، الثالث من يرى الكثرة في الوحدة عينها ويرى الوحدة في الكثرة عينها شهودا جمعيا أحديا، وذلك لأن الهوية تقبل الأضداد والأمثال، لأنها وسعت كل شيء وأحاطت بالكل وشملت الجميع حاصرة غير محصورة. سئل أبو سعيد الخراز: بم عرفت الله؟ قال: بجمعه بين الأضداد، ألم تر إلى ربك كيف وصف هويته الأحدية الجمعية بالأولية والآخرية والباطنية والظاهرية، مع ما بين هذه النسب من التضاد والتنافي بقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ

وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: 3]، فجعل هويته الأحدية موضوعة، وحمل عليها هذه النسب بلا تقييد، فالموصوف بالظاهرية والباطنية والأولية والآخرية هوية واحدة لا اختلاف فيها ولا تضاد، وهي قابلة لأوصاف متنافية ونعوت وأسماء متباينة ومتشاكلة ومتشابهة، إذا علمت ذلك عرفت أن الوحدة في الحقيقة والكثرة في الظهور والطريقة].

وقال شارح الفصوص: [إذا كانت العين الواحدة ظاهرة بوجود الكثرة مختلفة مفترقة ومؤتلفة متفقة، وحيثيات متعددة متباينة ومتنافية، فلا اختلاف إذا في الحقيقة والعين، بل في الحيثيات التعيينية والاعتبارات التعقلية، فإذا اعتبرنا الحقيقة والعين قلنا بالوحدة الصرفة، وإذا اعتبرنا الكثرة بالفرق والجمع قلنا بالكثرة.].

هذا ما يتعلق بمسألة الفناء في التوحيد الحاصل لأصحاب الاسم الثالث على سبيل الاختصار.

تتمّة: الناس على ثلاثة أقسام، فمنهم من فني في المكون عن الأكوان، وهم أرباب مقام الاحسان، وإلى هذا القسم يشير الامام ابن عطاء الله رحمه الله تعالى بقوله: [من عرف الحق شهده في كل شيء، ومن فني به غاب عن كل شيء، ومن أحبه لم يوثر عليه شيء] وفي ذلك قيل:

مذ عرف الاله لم أر غيرا ... وكذا الغير عندنا ممنوع

ومثله قوله:

فالعارفون فنوا ولما يشهدوا ... شيئا سوى المتكبر المتعالي

ومنهم من عكس ذلك، وهم من حجبتهم الأكوان عن المكون فكان فانيا بها غريقا في بحر الظلال والغفلة، فالفاني عنها عبد بسطوات الشهود ذاهل، والفاني فيها عبد محجوب عن الحق جاهل غافل. ومنهم من يشهد الحق قبلها أو بعدها أو فيها أو عندها وهو عبد مخصص كامل.

وفي هذا القدر كفاية، والله سبحانه ولي التوفيق والهداية.

{النفس المطمئنة}

قوله: (تسترح من التلوين * تدخل مقام التمكين * درجات الكاملين * نفسك اطمئنانيا)

يعني إذا دمت على ذكر اسمه تعالى: (هو) بالاستهتار، آناء الليل وأطراف النهار، على الوجه السابق، ومزقت بالمجاهدة حجب مقام الاسرار وهي عشرة آلاف، استرحت من مقام التلوين، وهو عند القوم مقام الطلب والفحص عن طريق الاستقامة، قال ابن عربي الحاتمي:

[هو تنقل العبد في أطواره، وحال العبد فيه حال: كل يوم هو في شان]؛ ودخلت مقام التمكين، وهو عند أهل الله تعالى مقام الرسوخ والاستقرار على الاستقامة، وهو مرتبة السالكين الكاملين، وصارت نفسك منتظمة في سلك النفوس المطمئنة، وهو النوع الرابع من أنواع النفوس.

فمقام النفس المطمئنة يسمّى بمقام الكمال، لأنها كانت محجوبة عنه بمقام الأسرار، ومحلها السرّ وعالمها الحقيقة المحمدية، وسيرها على الله تعالى، وحالها الطمأنينة الصادقة، وواردها بعض أسرار الشريعة، وصفاتها الجود والتوكل والحلم والعبادة والشكر والرضا والصبر على البلاء، وعلامة الدخول في هذا المقام عدم مفارقة الأمر التكليفي والتلذذ بالتخلق بأخلاق النبي صلى الله علية وسلم والعكوف على اتباع أقواله، لأن هذا المقام مقام التمكين وعين اليقين.

قوله"[تشغل باسمه: حق * بالهوينة والقلق * وأعرض عن نظر الخلق* تبد لك الخفيا]

يعني أن المريد في هذا المقام يشتغل بذكر الاسم الرابع وهو اسمه تعالى: (حق)، مجرداً عن حرف النداء أو مقرونا به، بالسكينة والوقار والقوّة والانزجاع، فأكثر من ذكره ولا تلتفت إلى غيره، فإن السالك في هذا المقام قد يكرمه الله بظهور الكرامات ولا يسوغ له الالتفات إليها، بل يطلب من الحق تعالى أن لا يظهر له ما يكون سببا لانقطاعه عن خدمته وعن الوقوف ببابه، فالكمل إذا أظهر الله تعالى على أيديهم شيئا من الخوارق لا يحسون به ولا يشعرون؛ ولعدم الالتفات إلى غيره أشار بقوله أعرض عن نظر الخلق.

وقوله: تبد لك الخفيا، أي تتجلى لك ثمرة ذكر اسم الحق تعالى، التي منها الميل إلى الأدعية والأوراد، ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم محبة مغايرة للمحبة التي كانت قبل هذا المقام، والتذاذ السامعين بكلامه، حتى لو تكلم طول الدهر لا يمل كلامه، لصيرورة لسانه يترجم عما ألقاه الله في قلبه من حقائق الأشياء وأسرار الشريعة، فلا يتكلم بكلمة إلاّ وهي مطابقة لما قاله الله تعالى أو الرسول صلى الله عليه وسلم، من غير مطالعة كتاب ولا سماع من أحد، لأنه قد يسمع بغير السمع ما ألقاه الله تعالى في روعه، وخلع عليه الوقار والقبول، وينبغي للسالك في هذا المقام الاجتماع مع الخلق في بعض الاوقات ليعرض عليهم مما أنعم الله عليه ويترجم عما في قلبه من الحكم.

وأشار بقوله: [لا تغفل عنه بحال * تبلغ مقام الرجال * وابغ دوام الكمال * في اللطيفة الروحانيا]

إلاّ أنه يتعين على صاحب هذا المقام دوام ذكر هذا الاسم بالقلب إذا كان مع

الخلق، وباللسان والقلب في غير ذلك، ويكون هجيره ذكر الحق تعالى، وبذلك يبلغ مقام الرجال الكاملين ولا يحرم الترقي إلى المقامات الباقية.

وقوله وابغ دوام الكمال إلخ أي اطلب دوام كمال نفسك المطمئنة، التي هو الجوهر النوراني المسمّى بالأسماء المتعددة، المعبر عنه مرّة بالنفس وآونة بالقلب وتارة بالروح وأخرى بالسرّ الخفي، بحسب ظهوراته ومراتبه.

{النفس الراضية}

ثم أشار إلى المقام الخامس الذي تسمّى النفس فيه راضية بقوله:

[إذا اطمئنت نفسك *وما زلّ قدمك * مزج الشرع لحمك * ودمك ونوديا *

بلسان سرّ السرّ * عليك في حال السرّ * ارجعي يا نفس البر * إلى ربك راضيا]

يعني إذا أتممت أيها السالك المقام الرابع، ومزقت حجبه المتقدم ذكرها، واطمئنت نفسك طمأنينة رحمانية أي سكنت بعد اضطراب وانزعاج سكونا رحمانيا، ولم يزل قدمك عن اتباع الكتاب والسنّة ولو قدر شعرة أو شعيرة، وامتزج الاتباع للشريعة والطريقة مع لحمك ودمك، وجذبتك يد الألطاف جذبة الكمال، وهي غير الجذبة الأولى الحاصلة أول السلوك، ونودي بلسان سرّ السرّ عليك أي على نفسك ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الفجر: 27 - 28].

واعلم أن السر عند أهل الله هو لطيفة إنسانية مودعة في القلب، كالروح في البدن، وهو ألطف من الروح، وأصولهم تقتضي أنه محل المشاهدة كما أن الروح محل المحبة، والقلب محل المعرفة. وقالوا: (السر ما لك عليه إشراف، وسر السر ما لا اطلاع عليه لغير الحق عزّ وجل)، وقالوا: (السر ألطف من الروح، والروح أشرف من القلب)، ويقولون: (الأسرار معتقة من رق الأغيار من الأطلال والأثار).

وجواب إذا اطمأنت نفسك قوله رحمه الله تعالى:

{فيعتريك نسيان * فلا تدري ما كان * غبت عنه بالإحسان * جمال جلاليا }

أي يغشاك النسيان أي عدم الحفظ لشيء، فلا تدري ولا تدرك شيئا من أمور الدنيا والآخرة إلاّ إذا كان حاضرا عندك، ومتى غاب عنك غبت عنه بترقيك لمقام الإحسان، المشار له في الحديث الصحيح كما مرّ، وذلك لأن قلبك حينئذ لا يفتر عن مشاهدة جمال الحق وجلاله عز وجل؛ والجلال عندهم عبارة عن نعوت القهر من الحضرة الألهية، وقيل: (هو احتجاب الحق تعالى عنا بعزته من أن نعرفه بحقيقته وهويته كما يعرف هو ذاته، فإن ذاته سبحانه لا يدركها أحد على ما هي عليه إلاّ هو تعالى)، والجمال عبارة عن نعوت الرحمة والألطاف من الحضرة الإلهية، وقيل: (هو

تجليه بوجهه لذاته)، فلجماله المطلق جلال هو قهاريته للكل عند تجليه بوجهه فلم يبق أحد حين يراه وهو على الجمال، وله قرب يدنو به منا وهو ظهوره في الكل، قيل:

{جمالك في كل الحقائق سائر ولیس له إلاّ جلالك ساتر }

قوله: [ترجع نفسك راضية * بالوجود راضيا * فانيا لا باقيا * وصفها وراعيا]

يعني إذا اتصفت نفسك بما مرّ ذكره، ونودي عليها بلسان سر السر كما قرره، صارت نفسك حينئذ منتظمة في نوع النفوس الراضية، وهو النوع الخامس من أنواع النفوس، ومقامها يسمى مقام الوصال لأنها كانت محجوبة بمقام الكمال، وعالمها اللاهوت، وسيرها في الله، ومحلها سر السرّ، وحالها الفناء لكن لا بمعنى ذهول الحواس عن المحسوسات بل بمعنى محو الصفات البشرية والتهيؤ للبقاء من غير أن يعقبه البقاء في الحال، لأن ذلك البقاء هو حق اليقين وهو بعد هذا الفناء ويحصل في المقام السابع الآتي إن شاء الله تعالى. وليس للنفس الراضية وارد، لأن الوارد إنما يكون مع بقاء الأوصاف وقد زالت في هذا المقام، حتى أنه لم يبق لها أثر، ولذلك كان السالك في هذا المقام فانيا لا باقيا بنفسه كما كان قبل هذا المقام، ولا باقيا بالله كما سيكون في المقام السابع، وهذه حالة لا تدرك إلاّ ذوقا.

وصفات هذه النفس الزهد فيما سوى الله تعالى والإخلاص والورع، وهذا معنى قوله فانيا لاباقيا وصفها وراعيا. ومن أوصافها أيضا الرضا بكل ما يقع في الوجود من غير اختلاج قلب ولا توجه لدفع مكروه ولا اعتراض أصلا، وإلى ذلك أشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله: بالوجود راضيا، وإنما اتصفت بذلك لاستغراقها في شهود الجمال المطلق ومع ذلك لا تحجبه هذه الحالة عن الإرشاد والنصيحة للخلق، ولا يسمع أحد كلامه إلا وينتفع منه، كل ذلك وقلبه مشغول بعالم اللاهوت وسرّ السرّ، وصاحب هذا المقام غريق في بحر الأدب، ودعوته لا تردّ، وعلامة الوصول إلى هذا المقام عدم الركون إلى ما سوى الله تعالى، فمتى رأيت نفسك تركن لغيره فاعلم أنك لست من أصحاب هذا المقام، لأن صاحبه أشرف على سلطنة الباطن التي جميع الظواهر تحت قهرها.

تنبيه: يطلق الفناء عندهم على سقوط الأوصاف المذمومة، ويطلق مقابله وهو البقاء على قيام الأوصاف المحمودة، فإذا كان العبد لا يخلو عن أحد هذين القسمين فمن المعلوم أنه إذا لم يكن أحد القسمين كان الآخر، فمن فني عن الأوصاف المذمومة ظهرت عليه الخصال المحمودة، فمن زهد في دنياه بقلبه يقال فني عن رغبته، فإذا فني عن رغبته بقي بصدق إنابته وهكذا، ومن فني عن سيء الأخلاق بقي بحميدها، ومن فني عن توهم الآثار من الخلق بقي بصفات الحق، ومن استولى عليه

سلطان الحقيقة حتى لم يشهد من الأغيار لا عينا ولا أثرا ولا اسما ولا طللا يقال إنه فني عن الخلق وبقي بالحق تعالى، وإذا قيل فني عن نفسه وعن الخلق فنفسه موجودة والخلق موجودون ولكنه غافل عن نفسه وعن الخلق غير محس بهما، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ [يوسف: 31]، أي لم يجدن عند لقاء يوسف عليه السلام على الوهلة ألم قطع الأيدي وهن أضعف الناس، ﴿ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا ﴾ [يوسف: 31] ولقد كان بشرا، وقلن ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [يوسف: 31] ولم يكن ملكا، وهذا تغافل المخلوق عن أحواله عند لقاء مخلوق مثله فما ظنك بمن يكاشف بشهود الحق سبحانه وتعالى: فلو تغافل عن إحساسه بنفسه وبأبناء جنسه فأي أعجوبة فيه، وفي ذلك قيل:

(وقوم تاه في أرض بقفره   وقوم تاه في ميدان حبه
فأفنوا ثم أفنوا ثم أفنوا   وأبقوا بالبقاء بقرب ربه)

فالأول فناء عن نفسه وصفاته ببقائه بصفات الحق، ثم فناؤه عن صفات الحق بشهود الحق، ثم فناؤه عن شهود فنائه باستهلاكه في وجود الحق، قال الإمام القشيري: (فمن فني عن جهله بقي بعلمه، ومن فني عن أمنيته بقي بإرادته، وقس على ذلك سائر الصفات).

ثم أشار إلى بيان الاسم الذي يشتغل بذكره صاحب هذا المقام، فقال:

{ذكرك يا حي بالسرّ * وبالشدّة والجهر * لطيفة سرّ السرّ* مقامك وصاليا }

يعني أن السالك يتعين عليه في هذا المقام ذكر الاسم الخامس وهو اسمه جل وعلا: (حَيّ)، مجردا من حرف النداء أو مقرونا به، بالسرّ وبالقوّة والجهر، كما صرّح به المصنف رحمه الله تعالى.

وأشار بقوله لطيفة سر السر إلى محل النفس الراضية كما مرّ، كما أشار إلى مقامها بقوله مقامك وصاليا، يعني أن مقام النفس الراضية يسمّى مقام الوصال كما سبق.

قوله: { كثر منه بالعنا * يذهب عنك ذا الفنا * يسطع في قلبك سنا * تحيى به باقيا }

{تدخل به على الباب * لمنازل الأحباب * دعاؤك يستجاب * وصفك كماليا }

أي كثر من ذكر اسمه تعالى: (حي)، واستهتر بذكره آناء الليل وأطراف النهار، مستغرقا أوقاتك به، قائما أو قاعدا أو على جنبك، سرا أو جهرا، بالقوّة والمجاهدة والتعب، يحصل الامتزاج ويستغني عن العلاج، ويذهب أي يضمحل ويزول عنك الفناء الحاصل لك في هذا المقام، وإلى هذا أشار بقوله: يذهب عنك ذا الفنا؛ وقوله:

يسطع فى قلبك سنا أي يرتفع في قلبك شعاع أنوار التجليات، ويحصل لك البقاء بالحي والاتصاف بالصفات الجميلة، وتدخل بالاكثار من ذكر اسمه تعالى: (حي) على الباب إلى منازل حضرة الأحباب، وصار دعاؤك مستجابا، قال سيدي مصطفى البكري قدس الله سرّه: وكلما اشتغلت بهذا الاسم زال فناؤك وبقيت بالحي واتصفت بالصفات الكمالية، وهو معنى قوله عزّ وجلّ في الحديث القدسي: { كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به }، المعبر عنه بقرب النوافل، وإليه أشار المؤلف بقوله (وصفك كماليا.)

ثم قال رحمه الله تعالى:

{زد معه أسما الفروع * يسرع قلبك ذا الوقوع * لئلا تكن مرجوع * عن مقام المرضيا}

يعني أن السالك إذا وصل إلى مقام ذكر الاسم الخامس وهو: حي كما مرّ، فلا يقتصر على ذكره فقط كما في غيره من الاسماء السبعة بل يزيد عليه ذكر أسماء أخر من أسماء الله تعالى يقال لها أسماء الفروع، وهي: الوهاب، الفتاح، الواحد، الأحد، الصّمد. فعلى السالك في هذا المقام أن يشتغل باسمه تعالى الفتاح، أو باسمه تعالى الوهاب مع الاسم الخامس وهو الحي عزّ وجل، يسهل عليه الانتقال إلى المقام السادس، وهو مراد الشيخ رحمه الله تعالى بقوله: يسرع فيك ذا الوقوع، وقوله: لئلا تكن مرجوع علّة لزيادة أسماء الفروع مع اسمه تعالى الحق، المرجوع المصروف، وعن مقام المرضية يتعلق به.

{النفس المرضية }

قوله: {ترجع نفسك مرضية * عند الخلق أو حقيا * بالفضائل محضيا * في اللطيفة الخافيا}

يعني إذا اشتغلت بالاسم الخامس مع أسماء الفروع كما مرّ، وزال فناؤك واضمحلت حجب مقام الوصال وحصل لك البقاء، صارت نفسك حينئذ منتظمة في نوع النفوس المرضية وهو النوع السادس من أنواع النفوس، فلقبها حينئذ النفس المرضية أي عند الحق تعالى، وعند الخلق المحظية بالفضائل كما صرح به المصنف رحمه الله تعالى، وسيرها عن الله تعالى، وعالمها عالم الشهادة، وحالها الحيرة، وواردها الشريعة، ومحلها لطيفة الخفاء وإليه أشار المؤلف بقوله في اللطيفة الخفيا.

وصفاتها الصفح عن ذنوب الخلق وحملهم على الصلاح وحبهم وحسن الخلق واللطف بالخلق، كما قال المصنف رحمه الله تعالى:

{ وصفها اللطف بالخلق * وترك ما سوى الحق * تجمع بين حب الخلق * وحب الحق مولايا }

ووجه تلقيبها بالمرضية هو أن الله تعالى رضي عنها، ومعنى كون سيرها عن الله أنها أخذت ما تحتاجه من العلوم من حضرة الله الحي القيوم ورجعت من عالم الغيب إلى عالم الشهادة لتفيد الخلق مما أنعم الله تعالى به عليها؛ والمراد بالحيرة في قولهم محلها الحيرة الحيرة المقبولة، المشار إليها بقوله: {رب زدني فيك تحيرا }، لا الحيرة المذمومة التي تكون في أول السلوك. ومن شأن صاحب هذا المقام الوفاء بالوعد ووضع كل شيء موضعه، فينفق الكثير حتى يظن أنه أسرف، ويبخل بالقليل حتى يظن أنه بخيل أبخل من كل بخيل.

ثم أشار إلى الاسم الذي يشتغل بذكره صاحب هذا المقام، فقال:

{ تذكر اسمه: قيوم * يذهب عن قلبك النوم * تفيض عنك العلوم * علوم إلهيا }

يعني أن السالك يتعين عليه في هذا المقام الاشتغال بذكر الاسم السادس وهو اسمه سبحانه وتعالى: (قيوم)، بالسكينة والوقار، والجهر والإسرار، آناء الليل وأطراف النهار.

قوله: يذهب عن قلبك النوم يريد أنّ صاحب هذا المقام لا يتلبس بالغفلة على الدوام، ويعلمه الله تعالى ما لم يعلم، ويفيض عليه العلوم اللدنية والمعارف الإلهية.

قوله: { وتميل إلى الخلق * لإرشادهم للحق * إلا من فيه سبق * قول الله مولايا }

قال سيدي مصطفى البكري قدّس سرّه: ومن صفات السالك في هذا المقام، يعني مقام النفس المرضية، الميل إلى الخلق لإرشادهم وإخراجهم من ظلمات طبائعهم وأنفسهم إلى أنوار أرواحهم، وفي الحديث: { إن أحب عباد الله إلى الله المحببون عباد الله إلى عباد الله والمحببون الله إلى عباده، الماشون في الأرض بالنصيحة }.

وأشار بقوله: إلاّ من سبق الخ إلى أنّ من صفات صاحب هذا المقام أن لا يرشد أحدا بوعظه ولا يذكره بحديث أو آية من كلام الله تعالى أو حكمة إلا وينتفع بما سمع منه، إلا من حقّ عليه القول وسبق في علمه تعالى شقاؤه فإنه لا ينتفع بإرشاده، وهذا الميل الذي يتصف به صاحب هذا المقام ليس كالميل الذي في النفس الأمارة لأنه مذموم.

قوله: { تتجلى لك الأفعال *مقامات أهل الكمال * تفنى عن سوء الخصال *مقام الخلافيا}

يعني أن صاحب النفس المرضية مقامه مقام تجليات الأفعال وهو مقام أهل

الكمال، وأشار بقوله: تفنى عن سوء الخصال إلى أن صاحب هذا المقام جميع شؤونه في الحالة الوسطى، وهي بين الإفراط والتفريط، فمرجع كل خصلة سيئة إليهما، فالإفراط مذموم والتفريط مثله بدليل قوله صلى الله عليه وسلم: {خير الأمور أوسطها}، فقال سيدي مصطفى البكري: [وهذه الحالة لا يقدر عليها إلا من كان في هذا المقام، وهي خفيفة على اللسان ثقيلة عند الامتحان، وكل أحد يحب هذه الخصلة ويحب أن يتصف بها، إلاّ أنها صعبة لا يقدر عليها كل أحد.]

وقوله مقام الخلافيا يعني أن السالك في أول هذا المقام تلوح له بشائر الخلافة الكبرى، وفي آخره تخلع عليه خلعتها، وهي خلعة: { كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي }، وهذه نتيجة قرب النوافل؛ وتحقيق هذا المقام أن السالك إذا وصل إلى مقام الفناء تنمحي صفاته الذميمة البشرية التي هي محل الانفعال والشقاوة، وذلك بسبب تقربه إلى الله تعالى بالنوافل والرياضات ومجاهدة النفس الجهاد الأكبر، وقد جرت عادة الله تعالى أنه يهبه كرما منه صفات مناقضة لتلك الصفات، وهذا هو حق اليقين، وهذه المعاني لا تدرك إلاّ بتأييد إلهي، لأن الفناء ليس له في الخارج نظير حتى يقاس عليه ويمثل به، وكذلك البقاء بالله، وكذلك قرب النوافل وقرب الفرائض.

{ النفس الكاملة }

قوله: { ترجع نفسك كاملة * للفضائل شاملة * عن سواه خاملة* تطلب رضا مولايا }

يعني إذا اشتغلت بذكر الاسم السادس وهو: قيوم، مستغرقا أوقاتك به، قائما أو قاعدا أو على جنبك، ولازمت تلاوته كما مرّ في ذكر الأسماء السابقة، صارت حسنات الأبرار سيئاتك، فلا تزل مؤدبا بآداب الشريعة والطريقة والحقيقة لا يشغلك بعضها عن بعض إلى أن تنتقل إلى المقام السابع، طالبا التحقق بالصورة الآدمية التي كانت قبلة للملائكة، التي حقيقتها الحقيقة المحمدية، وهي سرّ الله الأعظم، وهذا غاية القرب من حضرة الرب، وانتظمت نفسك في نوع النفوس الكاملة، وهو النوع السابع نهاية أنواع النفوس، وحينئذ يتحقق السالك بالعبودية المحضة والعجز والذل والفناء، ويعرف نفسه بهذا الوصف ويعرف ربه بأوصاف الربوبية، لأنه إذا عرف نفسه بالفقر والذل والفناء عرف ربه بالعز والبقاء والغنى، وذلك بسبب مقابلة مرآة العبودية لمرآة الربوبية، وهو معنى قوله تعالى: { ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن }، ومتى عرف ربه، علم بالعلم الإلهي السر المودع في حقائق الأشياء، المشار إليه بقوله

تعالى ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة: 31].

وقوله للفضائل يتعلق بشاملة بعده، وهو صفة لكاملة، وكذلك ما بعده؛ ولعله أراد بالخمول الذهول، والمعنى صارت نفسك كاملة شاملة للخيرات إذ علت عن المكونات طالبة رضا الله تعالى، ليس لها مطلب سوى رضوان الله سبحانه، حركاته حسنات وأنفاسه قدرة وحكمة وعبادة.

وجملة تطلب رضا مولايا في محل نصب تحتمل الحالية من المفعول والوصفية؛ وإلى بيان اسم هذه النفس أشار بقوله ترجع نفسك كاملة.

وأما سيرها فبالله تعالى، وأما عالمها فكثرة في وحدة ووحدة في كثرة، وأما حالها فهو البقاء، وأما واردها فجميع ما ذكر من واردات النفوس السابقة، وأما صفاتها فجميع ما ذكر من الأوصاف الحسنة للنفوس المتقدمة، وأما مفتاحها فالاسم السابع الذي أشار إليه المصنف رحمه الله تعالى بقوله:

{تذكر اسمه قهار * بالسر وبالإجهار * تفنى عن كل الأغيار * والأكوان الكليا }

يعني أن الاسم الذي يشتغل السالك بتلاوته في هذا المقام هو اسمه عز وجل: (قهار)، وهو الاسم السابع، قال سيدي مصطفى البكري قدس الله سره: [واعلم أن اسمه عز وجل قهار، من أسماء القطب، قال المشائخ: ومنه يمد القطب المريدين الطالبين بالأنوار والهدايات والبشارات، وقالوا إن كل ما يحصل في قلوب المريدين من البسط والفرح والسرور والجذبات الكائنة بغير سبب فهو من مدد القطب عوضا عن أذكارهم وتوجهاتهم لربهم].

وقوله بالسر والإجهار صلة تذكر، ونبه بذلك على أن تلاوة هذا الاسم كتلاوة الأسماء السابقة سواء.

وقوله: تفني كل الأغيار يريد رحمه الله تعالى أن السالك في هذا المقام يستولي عليه سلطان الحقيقة حتى لم يشهد من الأغيار لا ذاتا ولا صفة، بل يفنى عن الخلق ويبقى بالحق، وعطف الأكوان على الأغيار تفسيري، يعني أنه يفنى عن المكونات بأسرها، علويها وسفليّها، جوهرها وعرضها.

قوله: {تتجلى لك الصفات * والأسماء السنيات * تستغرف في العبادات * جوارح وقلبيا }

يريد رحمه الله تعالى أن مقام صاحب النفس الكاملة هو مقام تجليات الأسماء والصفات، وقوله السنيات أصله السنية أي المرتفعة، زاد في الألف للوزن، وهو صفة للأسماء.

وأشعار بقوله تستغرق في العبادات الخ إلى أن صاحب هذا المقام يكون مستغرقا في العبادات لا يفتر عنها بجوارحه الظاهرة، والباطنة، أعني إما بجميع بدنه أو بلسانه أو بيده أو برجله أو بقلبه، ويكون كثير الاستغفار، كثير التواضع، سروره ورضاه في توجه الخلق إلى الحق، وحزنه وغضبه في إدبارهم عن الحق، يحب طالب الحق أكثر من محبة ولده من صلبه، ويكون كثير الأوجاع قليل القوى قليل الحركة، ليس في قلبه كراهة مخلوق من المخلوقات مع أنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويظهر الكراهية لمستحقيها ويظهر المحبة لمن هو أهل لها، لا تأخذه في الله لومة لائم، يرضى في عين الغضب ويغضب في عين الرضا، لكنه يضع كل شيء في محله؛ وقوله: جوارح معمول تستغرق، وقلبيا معطوف عليه، وفي العبادات صلة تستغرق، بمعنى تستغرق في العبادات جوارحك وقلبك يا سالك.

قوله: {تصر محل الشفا * لطيفتك الأخفى * تلبس وصف المصطفى * خلقا وخلقيا }

يعني أن صاحب هذا المقام لما تحقق بالصورة الآدمية، وعلمه الله تعالى السرّ المودع في حقائق الأشياء الكونية التي من جملتها علم أمراض القلوب وأدويتها، صار بذلك أهلا لتبيين أدوية تلك الأمراض والعلل التي بها يحصل الشفاء بإذن الله تعالى وتوفيقه.

وأشار بقوله: لطيفتك الأخفى إلى أن صاحب هذا المقام محل نفسه الكاملة لطيفة الأخفى التي نسبتها إلى الخفا كنسبة الروح إلى الجسد.

وقوله: تلبس وصف المصطفى صل الله عليه وسلم الخ، يعني أن صاحب هذا المقام يحليه الله عزّ وجل بحلية التخلق بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، ويفيض عليه من أنوار خلقه صلى الله عليه وسلم وحسنه بحيث يستحسنه كل من وقع بصره عليه بتحققه بالحقيقة المحمدية. وصاحب هذا المقام يخصه الله تعالى بخواص منها ما مرّ، ومنها ما أفاده قوله:

{سمتك يا أواه * من رآك ذكر الله * مرادك مراد الله * في طي كل الأشياء}

لما كان هذا المقام هو أعظم المقامات، لأنه كملت فيه سلطنة الباطن وتمت به المكابدة والمجاهدة، وسمه الله بسمات حميدة لا توجد في غيره، منها أن كل من رآه من الخلق تلبس بذكر الحق سبحانه وتعالى. قال سيدي مصطفى البكري قدس سرّه: (وكيف لا يكون ذلك وهو ولي الله تعالى، بل كان وليا وهو في المقام الرابع، لأن المقام الرابع مقام الأولياء العوام، والمقام الخامس مقام الأولياء الخواص، والمقام السادس مقام خواص الخواص، فسبحان من لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع) اهـ.

والأواه الرحيم والرقيق.

ومنها ما أشار إليه بقوله: مرادك مراد الله الخ يريد أن صاحب هذا المقام ما وجه همته إلى كون من الأكوان إلا أوجده الله تعالى على وفق مراده، وذلك لأن مراده مراد الله تعالى، فإذا أراد شيئا وطلبه لا يخيبه تعالى غالبا. وقوله: في طيك كل الأشياء يعني أن جميع صفات العالم العلوي والسفلي مودعة فيك، ولذلك يسمى الانسان بالعالم الأصغر لاشتماله على جميع ما أوجده الله في العالم الأكبر.

قوله: { ألبست الخرقة في الحين * عن أيادي الصالحين * صرت من المرشدين * في ديوان الأوليا}

يعني إذا وصلت إلى هذه المرتبة تأهلت للباس الخرقة على يد أستاذك ومرشدك. واعلم أن الأصل في لباس الخرقة ما روي أنه صلى الله عليه وسلم ألبس عليا رضي الله تعالى عنه العمامة وأرخى له طرفها. وهي عند أهل الله تعالى يخلعونها بها على من لبسها بإخلاص وكمال اعتقاد جميع الأخلاق المحمودة حين يلبسها، وينتزعون منه حال أمرهم له بنزع قلنسوته أو ثوبه أو غيره جميع الأخلاق المذمومة. وأما غير العارفين فيستعملونها على سبيل التبرك والتشبه بالقوم وفي الحديث: { يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا ومن تشبه بقوم فهو منهم }.

والمرشدون جمع مرشد وهو الدال على الله تعالى بقوله وفعله وحاله لا بأحدهما. والأولياء جمع ولي وهو من توالت طاعته من غير تخلل عصيان، أو من يتوالى عليه إحسان الله تعالى وأفضاله.

قوله: {دخلت حضرة القدس * بين الهيبة والأنس * فارقت هوى النفس * أنت من الأصفيا}

حضرة القدس عندهم هي دائرة الكمال إذا وصل السالك إليها سمي عارفا واصلا. والهيبة عبارة عن أثر مشاهدة جلال الله تعالى في القلب. والأنس عبارة عن أثر مشاهدة جمال الحضرة الإلهية في القلب، وهو جمال الجلال. والهيبة والأنس حالتان فوق القبض والبسط، كما أن القبض والبسط فوق الخوف والرجاء. فالهيبة مقتضاها الغيبة، والأنس مقتضاه الصحو والإفاقة.

ثم قال: { هذا تدريج الأسماء * ذكره العلماء* أهل الجناب الأحمى* سادتنا الصوفيا}

الصوفية لقب للجماعة التاركين كل حظ للنفس. قال محي الدين ابن العربي: (التصوف الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرا وباطنا).

رسالة المريد في قواطع الطريق وسوالبه وأصوله وأمهاته

للشيخ محمد بن عزوز البرجي (ت: 1233هـ)

الحمد لله الذي ألهمنا ... نظم أصول وقواطع لنا
ثم صلاته على سر الوجود ... محمد أكرم وافٍ بالعهود
وآله والصحب والأتباع ... وكل قطب للرشاد داع
وبعد إنّ المرء ليس يشرف ... إلا بإحكام الذي سيوصف
من التجنب لكل قاطع ... والارتدا لكل أصل جامع
وقد نظمت ما أفاد شيخنا ... من أمهات وسوالب المنى
إذ طالما بالغ في تفصيلها ... فعند ذا شرعت في تحصيلها
سميتها رسالة المريد ... فيها له من كل ما يفيد
فقلت طالبا من الرحمن ... عونا وتبليغا إلى الإحسان
قواطع المريد فاعلم عشرة ... رؤيته أعماله معتبرة
كذا امتداد أمل تحدث ... نفسه أنه ولي وارث
قناعة بوارد الأحلام مع ... ركونه إلى قلوب الخلق دع
تأنس بالورد مع تلذذ ... بوارد سكونه الوعد خذ
والاكتفا بزعمه والغرة ... بالله تمت هذه العشرة
وضف لها خمساً سوالباً أتت ... إرساله جوارحا قد أودعت
لدى معاصي الله والتصنع ... بطاعة الله لخلق يمنع
مثلهما طمعه في الخلق ... وقيعة في عرض أهل الحق
وعدم احترامه للمسلمين ... على الذي أمر رب العالمين
وأمهات العشر قد تقررت ... إن حليت نفس بها تطهرت
لزومك التقوى بفعل ما أمر ... به وترك كل ما عنه زجر
وهكذا العمل بالأسباب ... التي يكمل لذوي الألباب
بها التقى ويستدام واعددا ... تيقظ القلب بما قد وردا
ومثل ذا صحبة من يدلك ... على الإله ويريك عيبك
وجانب الأضداد أهل الغفلة ... والاغترار هم أشد فتنة
كذا التزام أدب بحسب ... صاحب ذي التجريد والتسبب
آداب ذي التجريد قالوا أربعة ... إنصافه من نفسه لمن معه

وعـدم انـصافه لهـا وصـف ... لـذا احتـرام أكبـر منـه عـرف
ورحمـة الأصـغر منـه ثـم زد ... أربعـة للمتـسبب تفـد
وهـي اجتـنابه مـن أهـل الظلـم ... إيـثاره لعامـل بـالعلم
كـذا مواسـاة ذوي المجاعـة ... لـزومه للخمـس فـي الجماعـة
وسـوّ بالتـراب لا تعـبأ بمـن ... عـن هـذه خـلا وللـضد ظعـن
وأعـط للأوقـات حقـاً قـد ورد ... واتـرك تكلفـاً وراقـب الـصمد
وعمـر القلـب بأربـع خـصال ... بذكـر غـربتك فـي دار الـزوال
وذكـر مـصرعك حـال موتـتك ... ووحـشة ووحـدة بحفـرتك
وذكـرك الوقـوف بـادي الـوجل ... بـين يـدي رب خبيـر بالـزلل
وخمـسة هـي الأصـول الوافـية ... وهـي التقـى فـي الـسر والعلانـية
كـذا اتـباع سـنة الرسـول ... فـي القـول والفعـل بـلا عـدول
أعـرض عـن الخلـق سـواء أدبـروا ... أو أقـبلوا فـالله نعـم الناصـر
وارض بقـسمة إلهـك الخبيـر ... فـي كـل مـا أعطـى قلـيلا أو كثيـر
وارجـع لـه فـي كـل حـال قـد أتـت ... سـراء أو ضـراء كـيف مـا وفـت
فـذي ثلاثـون فنـصفها درر ... حـلّ بهـا الـنفس يجانـبك الـضرر
ونـصفها الاوّل كالأفاعـي ... ففـر مـنها لا تجـب لداعـي
فهـي العلـوم كلهـا إذ جمعـت ... لعامـل خيـراً وشـراً أبعـدت
كـذا أفـاد هـا لـنا الأسـتاذ ... نعـم المفـيد ونعـم المـلاذ
والحمـد لله علـى الـتمام ... ونعمـة الإيمـان والإسـلام

وقد شرح هذه المنظومة مؤلفها الشيخ محمد بنعزوز شرحا نفيسا، وهو موجود في كتاب " شيخ العلماء المجاهدين محمد بن عزوز " لعلي الرضا الحسيني المطبوع بدمشق سنة 1422 هـ (من ص 65 إلى ص 109). وقد ختم شرحه ليلة عاشر محرم عام 1221 هـ.

وسيلة المتوسلين بفضل الصلاة على سيد المرسلين للشيخ محمد بنعزوز البرجي

كتاب (وسيلة المتوسلين) يشتمل على مجالس تحث على الإكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وفيها ذكر لبعض معجزاته وهو من تأليف الشيخ بركات بن أحمد العروسي القسنطيني، وطبع لأول مرّة بالقاهرة سنة 1384 هـ. وقد

أضاف الشيخ محمد بن عزوز البرجي إليه مجلسين هما الخامس والعشرون والسادس والعشرون.

المجلس الخامس والعشرون

بسم الله الرحمان الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

صلى عليك الله يا خير الورى ... ما هب عن روض الهداية ناسم
يا أكرم العرب الكرام ومن له ... جاه به لاذ المسيح وآدم
يا منشأ الاكوان يا من نوره ... عن كل نور حادث متقادم
يا صفوة الرحمن يا من حبه ... فرض على أهل الشرائع لازم
يا ظاهر يا باطن يا مفرد ... يا جامع يا فاتح يا خاتم
يا رحمة يا منة يا عصمة ... يا من نداه بالمنى متراكم
إني نظمت حلى جمالك فاجزني ... بأقصى ما به يجازى الناظم
وبما تفي النظام فيك وقد أتى ... بمديحك الذكر الحكيم القائم
لكنني يممت جودك سائلاً ... وعالماً بك بي رؤوف راحم
ولك التجأت وهل يضام من التجا ... بحماية كهف منيع عاصم
وبجاهك استمطرت كيما يولني ... بندى أياديه الكريم الدائم
صلى عليك الله يا علم الهدى ... ما افتر عن ثغر الهداية باسم
وعلى القرابة والصحابة كلهم ... ما هب عن روض الداية ناسم

فصل

في ذكر نبذ من معجزات سيد المرسلين المنبأ وآدم بين الماء والطين صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم، ووالى عليه ذلك وأنعم:

فمن ذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: (انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله فلقتين، فلقة فوق الجبل وفلقة دونه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اشهدوا)

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: (سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر فرقتين حتى رأوا حراء بينهما)

وروى مسروق عن ابن مسعود رضى الله عنه، أن انشقاق القمر كان بمكة، فقال كفار قريش: سحركم محمد، فقال رجل منهم: إن كان محمد سحر القمر فإنه لا يبلغ من سحره الأرض كلها، فاسألوا من يأتيكم من بلد أخرى هل رأوا هذا؟ فأتوا فسألوا،

فأخبروهم أنهم رأوا مثل ذلك.

وحكى السمرقندي عن الضحاك مثله وقال: فقال أبو جهل: هذا سحر، فابعثوا إلى أهل الآفاق أرؤوا ذلك أم لا؟ فأخبر أهل الآفاق أنهم رأوه منشقا، فقالوا: - يعني الكفار - هذا سحر مستمر.

وخرج الطحاوي عن أسماء بنت عميس رضي الله تعالى عنهما من طريقين: (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مريضا ورأسه في حجر علي رضي الله تعالى عنه فلم يصل العصر حتى غربت الشمس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أصليت يا علي؟ فقال: لا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك، فاردد عليه الشمس، قالت أسماء: فرأيتها غربت ثم طلعت ووقفت على الجبال والأرض وكذلك بالصهباء في خيبر) صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم، ووالى عليه ذلك وأنعم:

وقائلة ما بال جسمك شاحبا ... وأهون ما بي أن يكون شحوب
فقلت لها في الصدر مني حرارة ... تقطع أنفاسي بها وتذوب
أرى الشوق يدعوني إلى من أحبه ... وللشوق داع مسمع ومجيب
سقى الله أكناف المدينة إنه ... يحل بها شخصا إليّ حبيب
إني وإن شطت بي الدار عنهم ... إليهم لمشتاق الفؤاد طروب

إخواني: أكثروا من الصلاة والسلام على هذا النبي سيد الأنام، فإنها ترضي الله وترضيه، وداوموا عليها طوال حياتكم، فإنها تثقل بها موازينكم، فمن أراد منكم أن يكتال بالمكيال الأوفى، فليكثر من الصلاة والسلام على النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم، وشرف وكرم، ومجد وعظم ووالى عليه وأنعم.

صلى عليك الله يا خير الورى ... في كل حين وكل وقت يا رحيم
يا هادي الضلال للدين القويم ... بالصارم المسنون والذكر الحكيم
يا مصطفى لم يدر كنه كماله ... إلا الذي سماه بالرؤوف الرحيم

صلوا على الهادي إلى الدين القويم

يا مطلع الأنوار يا قطب البها ... يا مظهر الأسرار يا سر الحكيم
يا نقطة التقسيم يا خط المنى ... يا روضة التنعيم يا عين النعيم

صلوا على الهادي إلى الدين القويم

يا خاتم الأرسال يا مبدأ النهى ... يا كوكب الأشباح في الليل البهيم
يا مرسلا للخلق قاطبة بما ... في الذكر من حاء ومن كاف وميم

صلوا على الهادي إلى الدين القويم

أولستَ من حاز الشفاعة في غد | عند الكريم المقسط الحَكَم الحكيم
أولست من قال الكريم لنوره | كن يا حبيبا فكان محبوبا كريم

صلوا على الهادي إلى الدين القويم

فتولني يا خير من سن الهدى | ودعا الأنام إلى الصراط المستقيم
وقني مصاب الدين والدهر الذي | أضحى بصائب سهمه قلبي سقيم

صلوا على الهادي إلى الدين القويم

أولست من نجّى عليا إذ شكى | من حادث الرمد الملم به الأليم
أولست من أرجعت عين قتادة | من بعد قلع يا شفا الداء العقيم

صلوا على الهادي إلى الدين القويم

إني قصدتك يا حبيبي ومن يلذ | بحماك كيف يخاف عادية الضئيم
وأتيت ملتمسا شفاعتك التي | حكمت بإنقاذ العصاة من الجحيم

صلوا على الهادي إلى الدين القويم

أولست قلت شفاعتي أعددتها | لذوي الكبائر حيث يغدو الخلق هيم
فاشفع بجاهك لي وإن أسرفت في | فعلي القبيح فأنت ذو جاه عظيم

صلوا على الهادي إلى الدين القويم

ولقد أتيت إلى حماك فرقّني | صرح الحمى المحفوف بالكهف الرقيم
وخدمت مدحك فاجزني يا سيدي | فمن المكارم حسن جائزة الخديم

صلوا على الهادي إلى الدين القويم

ومن الموافي بامتداحك الذي | أحياك قد حياك في الذكر الحكيم
أو من يفي بعظيم قدرك بعدما | أثنى عليك الله بالخلق العظيم

صلوا على الهادي إلى الدين القويم

لكنني وأنا المقصر لم أزل | أولى بتطفيلي على باب الكريم
وأهيم في وادي هلاكي وإنه | واد يسفه من يراه ولا يهيم

صلوا على الهادي إلى الدين القويم

بجاه أحمد لا تخيبني وجد | بالعفو والغفران والفضل العظيم
واغفر ذنوبي وأولني ما أرتجي | واستر عيوبي واكفني حر الجحيم

صلوا على الهادي إلى الدين القويم

واغفر عظيم الذنب بالهادي وهل | يعفو على الذنب العظيم سوى العظيم

واغفــر لآبائــي وأشــياخي وجــد للمــسلمين بجــود حلمــك يــا حلــيم

صلوا على الهادي إلى الدين القويم

إنــي ســألتك يــا رحــيم بجاهــه علمــا بأنــك بــي مهــيمن رحــيم

وبــه قــصدتك يــا كــريم وهــل يــرى ذو خيــبة بــين المــشفع والكــريم

صلوا على الهادي إلى الدين القويم

فأجــب دعائــي يــا مجيــب بــسر مــن أنجــى البعيــر وخاطــبه ظبــي صــريم

وأحــسن خــواتم ناظمــيه وكــن لــه فــي يــوم لا يغنــي حمــيم عــن حمــيم

صلوا على الهادي إلى الدين القويم

وأدم صــلاتك والــسلام علــيه مــا دام الــبقاء لــوجهك الباقــي الكــريم

وعلــى القــرابة والــصحابة كلهــم ومــن انتمــى لجــنابك العالــي الفخــيم

صلوا على الهادي إلى الدين القويم

....

صــلاتك رب والــسلام علــى النبــي صــلاة لــيس لهــا انحــصار فــيعلم

تغنــي علــى العــود الطــيور وهيمــنوا فلــذ مقــام فــيه غــنوا وزمــزموا

ونمــنم صــدغ الــروض خــد شــقيقه فــيا حــسن مــا أبــدى الطــراز المنمنم

ونــم بإحــياء الــرياض عبيــره لــذلك قــد جــاء الــصبا يتبــسم

وهــيج شــجوى بلــبل الــروح إذ شــدا فــيا لفــصيح هــاج شــجوه أعجــم

رضــعت لــبان الحــب مــن قــبل نــشأتي ومــن يرتــضع ثــدي الهــدى كــيف يفطــم

وأطعــم طرفــي الــسهد والمهجــة الأســا جمــيعا فمــا استوضــحت مــا أنــا أطعــم

ونعمــت بالــبلوى فــؤادي ولــم أكــن لأعلــم أنــي بالعــذاب أنعــم

أيــا ســيد الــسادات يــا مــن بحــبه وأمداحــه أنجــو وأعطــى وأكــرم

أيحــسب دهــري أننــي خاضــع لــه وأنــت مــلاذي ســاء مــا يــتوهم

وقــد ضــمني ســامي حمــاك وحــبذا مــناخ علــى الإحــسان والبــر يرســم

فــلا تقــصني يــا رب وارحــم تذللــي فإنــك رحمــن توالــي وتــرحم

ولا تخــز وجهــي يــا كــريم وجازنــي ففــضلك أزكــى والمــواهب أكــرم

تحملــت أوزارا ثقــالا حمــولها فأيــسرها الظهــر الممــتن يقــصم

وســودت وجهــي بالذنــوب وكــيف لــي بــذنب وقــد أصــبحت بالــذنب أُنجــم

وإن كــنت قــد جــئت العظــائم كلهــا فعفــوك عــن تلــك العظــائم أعظــم

فيا رب يا إلهي كن لي ولا تكن علي إذا حق القضاء المحتم
فحقق رجاء ناظميه فقلبه سليم وحسن الظن لي فيك اسلم
ويسر لي الذكرى وسهل مذاهبي لخير به عني المكارم تحسم
ونور بنور العلم قلبي وعيشتي بنعماك عني بالنعيم أنعم
وخلص على خير وجد لي بتوبة تحط بها الأوزار عني وتحطم
وسلم ووفِّ الدين عني ونجني من الكيد والأهواء فأنت المسلِّم
وديم على الأشياخ ديموم رحمة تخصص آبائي بها وتعمم
وتكرم أصحابي ونسلي وإخوتي فأنت الكريم المستجار المكرم
وكن بجميع المسلمين وجازهم بعدن وجنبهم لظى تتضرم
وخذ بيدي أخذاً كريماً وحلني بخاتم إحسان به أتختم
وصل وسلم ثم بارك مواصلاً على المصطفى ما عظّم الله مسلم

المجلس السادس والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

يا رب صل وسلم دائماً أبداً على رسولك خير العجم والعرب
صلى الإله على المختار في العرب والمنتقى منهم من جوهر الحسب
والمصطفى برسالة جاءت مكرمة عن الله عن جبريل في الكتب
محمد خير مولود نما شرفا من خير أم زكت طيبا وخير أب
من كلمته ذراع الشاة معلنة لا تأكلنّي فإن السم فيَّ رُبي
وصاحب المعجزات العظمى ما ولدت كمثله أمهات الشهب في الحقب
بوجهه لا تقس شمساً ولا قمراً وقده مائس أربى عن القُضب
وقامة لاعتدال الغصنَ مخجلة كأنه إن مشى ينحط من صبب
محمد سادات المخلوقَ أمته والله عظمه في سائر الكتب
أعلا البرية في قول وفي عمل وأفصح الناس في قول وفي خطب
صلى الإله عليه فهو أفضل من لبَّى وحج وخير العجم والعرب
صلى الإله على خير الأنام ومن ترجى شفاعته في موقف العطب

فصل

في ذكر نبذ من معجزاته وباهر آياته صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم ووالى عليه ذلك وأنعم:

فمن ذلك ما رواه مسلم والبخاري في صحيحيهما عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: (لما حفر الخندق، ورأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم خمصا فانطلقت إلى امرأتي فقلت لها: هل عندك شيء؟ فإني رأيت برسول الله خمصا شديدا. فأخرجت لي جرابا فيه صاع من شعير، ولنا بهيمة داجن، قال: فذبحتها وطحنت الصاع وقطعتها في برمتها، ثم وليت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: لا تفضحني برسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه. قال: فجئته وساررته، فقلت: يا رسول الله صلى الله عليك وسلم، إنا قد ذبحنا بهيمتنا، وطحنا صاعا من شعير كان معنا، فتعال أنت مع نفر من أصحابك، فصاح رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: يا أهل الخندق، إن جابرا صنع لكم سؤرا فحيهل بكم. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تنزلوا برمتكم ولا تخبزوا عجينتكم حتى أجئ، فجئت وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم الناس حتى جئت امرأتي، فقالت: بك وبك، فقلت: قد فعلت الذي قلت لي، فأخرجت عجينا، فبصق به وبارك، ثم عمد إلى برمتنا، وبصق فيها وبارك، وقال: ادعي خبازة فلتخبز معك، واقدحي من برمتكم ولا تهلي، وهم ألف، فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه، وإن برمتنا لتغط وإن عجيننا ليخبز) صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم ووالى عليه ذلك وأنعم:

صلى الإله على المخصوص بالنعم ... وأفضل الناس في عهد وفي كرم

من جاء بالصدق والقرآن شاهده ... وصاحب البيت والركن مع الحرم

كم معجزات له لاحت فضائلها ... كما يلوح هلال التم في الظلم

ناجاه جبريل ثم ازداد منزله ... بسدرة المنتهى أربت على الأمم

صلى الإله عليه فهو أفضل من ... لبى وحج وخير العرب والعجم

إخواني: أكثروا من الصلاة على النبي الكريم الأمين وطيبوا بها مجالسكم فإنكم ترضون بها رب العالمين، فمن أراد منكم في القيامة بهجة الأنوار، فليكثر من الصلاة على هذا النبي المختار، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأخيار، ما أظلم الليل وأشرق النهار صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم ووالى عليه ذلك وأنعم.

صلى عليك الله يا خير الورى ... على النبي المصطفى المزمل

يا من يعظم أحمدا بمديحه ... بين الورى فالهج بذلك وأجمل

والزم مديح جنابه بتوسل ... واقصد موائد فضله بتطفل

صلوا على خير الأنام المرسل

الأشرف الأسنى الأعز المرتجى الأعظم الأسمى النبي المرسل
الأرفع الأزكى المصفى المنتقى الأشفع الأكفى الكفي الأكفل

صلوا على خير الأنام المرسل

الأسعد الأرقى النذير المقتفى الأنجد الأهدى الهمام الأفضل
الأطهر الأسرى الحبيب المصطفى بدر النجوم الزاهي صدر المحفل

صلوا على خير الأنام المرسل

سر الوجود المحض عين الاصطفا الأظهر الأزكى الإمام الأكمل
إكسير كنز المجد شمس ضحا العلا إنسان عين الجود عين المحفل

صلوا على خير الأنام المرسل

كهف الرجاء ووسط عقد الالتجا بحر الندى خصب الزمان الممحل
لولاه ما كان الوجود بأسره كلا ولا علم الخفا ولا انجلي

صلوا على خير الأنام المرسل

لا جود إلا من أنامله نشا لا حسن إلا وهو فيه ينجلي
فهو اللجاء إذا تراكم حادث وهو الشفاء من السقام المعضل

صلوا على خير الأنام المرسل

وهو الكريم على الكريم فلذ به تكف الأذى وتنل خير منزل
ذو المعجز الباقي الذي بهر الورى بمفصَّل من آية وبمجمل

صلوا على خير الأنام المرسل

من سبَّح الصلد الإلهَ بكفه وبكفه قد فاض نبع السلسل
من أشبع الجيش الكثير بصاعه وبمسه أروى عطاش القسطل

صلوا على خير الأنام المرسل

من شد من سغب حشا وطوى له كشحاً لطيفاً تحت صم الجندل
من قام يحيي ليله حتى اشتكت قدماه من ضر القيام الأطول

صلوا على خير الأنام المرسل

من راودته الشم من ذهب فلم يعبأ بزخرف عينها المتحول
والبدر في نصفين شق لأجله في ظلمة الليل البهيم الأليل

صلوا على خير الأنام المرسل

والشاة أنبأه الذراع بسمها والضب خاطبه بأفصح مقول

والغيم ظلله ودان لأمره | وبأمره جاء الحيا للمقول
صلوا على خير الأنام المرسل

والنخل جاءت نحوه تمشي على | ساق بلا قدم بغير تمبل
والجذل جاء مهنداً وبكفه | والجذع حن له حنين المندل
صلوا على خير الأنام المرسل

والذيب أنبأ عنه للراعي كما | شهد الوليد بصدقه في المحفل
والشمس أوقفها وأرجع قرصها | للعير أو لصلاة ذي الهيجا الولي
صلوا على خير الأنام المرسل

وكفى البعير من الأذى لما اشتكى | والفحل ذل له ولم يتعجل
وبلمسه درت عناق لم تلد | أبدا ولم تأنس لفحل منزل
صلوا على خير الأنام المرسل

وصل الصلاة على الرسول المجتبى | والآل والأصحاب ما هبت صبا
ثم السلام بفضل منك طيبا | على النبي المدثر المزمل
صلوا على خير الأنام المرسل

وأعاد عين قتادة من بعد ما | قلعت فكانت خير عين مجتل
ويد ابن عفراء ردها ببصاقه | من بعد ما نصلت كأن لم تنصل
صلوا على خير الأنام المرسل

يا رب يا ذا الفضل والإحسان | جد بالرضا والعفو والغفران
للوالدين ومنشد الألحان | بحق آيات الكتاب المنزل
صلوا على خير الأنام المرسل

....

صل يا رب ثم سلم عليه | وعلى الآل بكرة وأصيلا
يا ضليلا عن الطريق إلى كم | أنت غاد عن الطريق ضليلا
إن كنت قد بؤت بالمآثم خسرا | فابك مثلي وهل تجد لي مثيلا
واهجر النوم سحرة ومقيلا | وارسل الدمع بكرة وأصيلا
والزم الصوم بالنهار ورتل | ذكر مولاك بالدجى ترتيلا
وافن تبق أو مت تعش وتخل | تتحل وغب تجده وصولا
وارق علواً إذا تواضعت سفلاً | واحظ بالعز إن أتيت ذليلا

واطـــرح الـــنفس واتخـــذها عـــدواً والـــزم الـــصدق وارتـــضيه بـــديلا
واجمـــل الظـــن فـــي الجمـــيل تـــوف أجـــر مـــن ظـــن فـــيه ظـــناً جمـــيلا
وأحـــسن المـــدح فـــي الحبـــيب لكـــيما أن تجـــازى بـــه الجـــزاء الجـــزيلا
فهـــو طـــه الفتـــى الكـــريم المفـــدى معجـــز العـــالم الجلـــيل جمـــيلا
مظهـــر المجـــد والكمـــال المرجـــى أحمـــد المرتـــضى الحفـــي الحفـــيلا
أكـــرم العالمـــين روحـــاً وذاتـــاً وصـــفات ومعـــشراً وقبـــيلا
عـــز قـــدراً ومنـــصباً ومقامـــاً يالـــه مـــصطفى نبـــياً رســـولا
أفـــضل الخلـــق صـــورة الحـــق طـــه زاده الله عـــنده تفـــضيلا
صـــاغه الله مـــن بهـــاء ونـــور فلقـــد كـــان كـــاملاً وجلـــيلا
كمـــل الله وصـــفه وحمـــاه وحـــباه بمـــا حـــباه جـــزيلا
واصـــطفاه عـــن الـــسوى واجتـــباه وأراه وجـــه الجمـــال الجمـــيلا
وارتـــضاه مـــشفعاً ووجـــيهاً وإمامـــاً وشـــاهداً ووكـــيلا
رب واصـــل ســـحائبا مـــن صـــلاة تـــشمل الـــسيد الحبـــيب الرســـولا
هـــو غـــوث وحـــبذا هـــو غـــوث هـــو ســـؤلي وحـــبذا هـــو ســـولا
وعلـــى الآل والـــصحابة طـــراً حافظـــي ديـــنه الـــثقاة العـــدولا
مـــا أجـــاب الإلـــه عـــبدا ذلـــيلاً قـــام يدعـــوه بكـــرة وأصـــيلا

وصلى الله على سيدنا محمد كلما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين.

قصيدة للشيخ العبيدي حول الطريقة

هذه النصيحة العزوزية في نصرة الأولياء والصوفية نظم العالم العلامة الأستاذ الشيخ سيدي محمد الطاهر بن العبيدي السوفي (ت: 1387 هـ / 1968 م) عدد ابياتها 66 من البحر الخفيف. وقد طبعت بمصر سنة 1373 هـ مع منظومته الأخرى (أزيد من 150 بيتا) المسماة: نصيحة الشباب في علم الآداب، مع تقديم تلميذه الأزهري الطويل مسعود محمد ونصها.

إن تـــرد عـــزة وفـــضل مـــزيه فـــتلقّ الطـــريق عـــزوزيه
وتلقـــن أورادهـــا وتبـــرك بحماهـــا ففـــي الـــرجال بقـــيه

كم تـوالت لأهلها رحمـات — فهـي حقـا والله رحمانيه
وبهـا جاءنـا ابـن عابد رحما — ن فيا فوزنا بتلك الهديه
جاء من مصر والمسافر يهدي — في قدوم بعض الهدايا الشهيه
وأتى الأزهـري يهـدي علوماً — وهو يهدي إلى الطريق السويه
فهنيئا لآخذيها وطوبى — إن يسيروا بسيرة شرعيه
فاحفظوا عهدها ولا تهملوا — الذكر صباحاً بحلقة وعشيه
ولتراعوا قواعد الشرع دوما — وتحلوا في الأوليا حسن نيه
وأحبوا أهل انتساب فمن — يحب فريقا يلحق بهم في القضيه
واذكروا باللسان والقلب حتى — تذكروه بنهجة صدريه
كزئير الأسود يروى عن المر — سي وقوم من سادة شاذليه
واستمرت عليه أعمال أعلام — كبار للسادة الخلوتيه
إنّ ذكر الإله بالقصد للمعنى — صحيح بلفظة أعجميه
فاذكروا الله لا تميلوا لواش — ذي انتقاد محجر للعطيه
فاذكروني أذكركم آية تتلى — وكم آية لدينا جليه
والأحاديث في مجالس ذكر — في الصحيحين مثل شمس نقيه
أكثروا ذكر الله حتى يقولوا — ذو جنون رواية حنبليه
إن أهل الطريق أعلام علم — سلكوا بالمناهج الشرعيه
مثل أتباع شيخنا القدوة الأر — ضى ابن عزوزنا قويم الثنيه
وابن عبد الرحمن والتارزي طو — د العلوم والسادة الحفنيّه
والتجاني والجيلي البازي جالي — الهم والشاذلي والطيبيه
كلهم روى الطريق الى النو — ر الجنيد طريقة مرضيه
وهو في ثالث القرون وقولا — ت الثناء عليه غير خفيه
مثل ما في جمع الجوامع مع جو — هرة والاضاءة المقريه
أجمع الناس انه مهتد. هاد — إمام له طريق رضيه
هل يكون الأخير أهدى من الأو — ل والسابقون حازوا المزيه
أو يكون الأهل أهل اعتبار — وهو ذو الجهل والخلال البذيه
قد نرى أكثر الأئمة والأمة — والاعتقاد فيهم سجيه
وعلى الأولياء تثنى ألوف الـ — كتب إلا جماعة تيميه

وفتاوي الأشياخ أكثر أن تحصى فطالع للنصرة النبويه
أترى أمة الرسول من الثالث للآن في خطا وخطيه
قد عجبنا من فرقة نفروا في طلب العلم من بلاد قصيه
بعضهم فاء بالحصول على نزر وبعض ما فاز بالأمنيه
ثم آبوا لنا وقد ملئوا كبراً ومن أولياءنا سخريه
فأثاروا في الناس كلّ شقاق وادعوا في العلوم أشيا فريّه
كلهم يدعي اجتهادا ولا ترضيه إلا مجلة شرقيه
ويحطون من خليل وشراح عليه وكتبنا الأوليه
ويرون أن السواد من الأمة في باطل وأدهى بليه
وعجبنا لهم إذا أبصروا قوما على الذكر مع صفاء الطويه
ساءهم ما رأوه من ذكر مولانا تعالى له النعوت السنيه
وإذا أبصروا مجالس لهو باسطوهم ووازروا في الرزيه
إنّ هذا هو النفاق الذي يفضي إلى شقوة بهم سرمديه
ما لهم في العلوم من قدم إلا احتجاجا من صحفنا العصريه
ناظروهم إن شئتم في أصول أو فروع أو جملة نحويه
هذه فرقة اضلت وضلت شقيت من أهواءها النفسيه
قد قضى ربنا فريق سعيد وفريق ذو شقوة أزليه
أيها المؤمنون إنّ فعال القوم تنبي عمّا لهم من دنيه
فانظروهم لدى النوادي حضوراً وبيوت الإله منهم خليه
ويقومون للصلاة كسالى ناشطين لوصل كل فتيه
بعضهم يترك الصلاة وبعض لا يبالي إن أخر الوقتيه
لا ترى عندهم كتاباً ولاسبحة إلا جريدة أو عصيه
مع دروس مشحونة بسباب فتنبه أهل الذكاء للبقيه
ربنا لا تزغ قلبي من بعد هداه إلى حلول المنيه
ثم في الانتقاد من أهله ميز ذوي الصدق والشكوك الرديه
إنّ في الاعتقاد روحاً وريحاناً وفي الانتقاد ناراً قويه
فاشكر الله إن تكن ذا اعتقاد وابك ان كنت من نفوس شقيه
وإلى الآن والطريق طريق لم يضرها من مسها بأذيه

وإذا حـاد سـالكوها عـن الـشرع فهـم وحـدهم جـنوا لا هـيه
فاعـتقد فـي الجمـيع تـسلم ولا تـبغض ولـياً لـربنا أو ولـيه
يخلـق الله مـا يـشاء ويخـتار إلـى قـربه نفوسـاً زكـيه
ثـم إن الجنـيد يـروي إلـى خيـر البـرايا والـصفوة الهاشـميه
أحمـد القاسـم العطايـا مـن الله كمـا قـال قـسمة أعدلـيه
فعلـيك صـلى وسـلم ربـي صـلوات معطـرات شـذيه
وعلـى الآل والـصحابة والإخـوان ثـم الأحـباب والـصوفيه
مـا رجـى الطاهـر العبيدي الـتحاقاً بأهالـي الطـرائق الأقدسـيه

المحاضرة التي ألقاها السيد عبد القادر عثماني شيخ الزاوية العثمانية الرحمانية بطولقة 2003/01/26

ملتقى الاتحاد الوطني للزوايا الجزائرية

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

إن ملتقانا هذا، أيها السادة، هو إشعاع من نور القرآن المجيد المنبثق من الزوايا القرآنية العلمية التي هي موضوع ملتقانا.

زوايا الإيمان والتربية والهداية والإرشاد.

زوايا الطهر والتقوى والصلاح والإصلاح.

زوايا الحماية الخلقية والحصانة الإيمانية.

زوايا الجهادين الأصغر والأكبر.

زوايا النصر والقوة والخير المستمر والمعروف والإحسان والمساواة ومشاركة المواطنين مشاركة وجدانية في كل ما يهمهم ويلم بهم.

زوايا التآخي والمحبة والتعاطف والاستئناس.

زوايا التراث الديني والروحي والفكري والتربوي.

زوايا شفاء القلوب بالقرآن وتطهيرها وإصلاحها وتثبيتها على الحق والهدى.

إن هذه القيم والمعاني السامية والمقدسة هي التي جاءت بنا هنا من مختلف جهات الوطن القريبة والبعيدة وهي التي جمعتنا في هذه البلدة المباركة الطيبة المجاهدة.

إن لفظة الزاوية بالتعريف العرفي أو الاصطلاحي هي عبارة عن مسجد ومدرسة

أو معهد للتعليم القرآني والديني ومأوى لطلبة داخليين يعيشون من تلك الزاوية بلا مقابل. وقد يضاف إلى ذلك ضريح مؤسسها التي تسمى باسمه غالبا، ولها طريقة تنتمي إليها.

وتمويل الزوايا يأتي مما يحبسه عليها المحسنون من أراض زراعية وبساتين وعقارات وغيرها أو مما يقدم لها من تبرعات فردية وجماعية، وبهذا تكون الزوايا هي أول من طبق شعار "من الشعب وللشعب" تطبيقا صحيحا كاملا.

هذا هو التعريف المظهري المادي الهيكلي الخارجي للفظة زاوية، وأن أي مكان آخر أعطى له اسم زاوية وليس به مسجد ولا تعليم ولا مأوى لمن يتعلمون فإنها تسمية مزورة للتغليط والتضليل والتدجيل والابتزاز.

أيها السادة.

إن الزوايا في الجزائر هي التراث والرمز الأعظم الأقدس لهذا الوطن لأنها حفظت طيلة عهد الاحتلال لهذه الأمة المسلمة قرآنها ولغتها ودينها وأخلاقها الإسلامية من طاعةٍ وأدبٍ وغيرةٍ وحياءٍ وتضامنٍ وسخاءٍ وشجاعةٍ وغير ذلك من فضائل الأخلاق، بالإضافة إلى حب الإسلام وبغض الكفر والكافرين، إلى جانب ما قامت به من جهادٍ ودعت إليه وجندت له أتباعها، إذ ما من ثورةٍ أو انتفاضةٍ أو مقاومةٍ أو جهادٍ إلا هو مقرون باسم شيخ زاوية أو زوايا. ويشهد التاريخ النزيه أن شيوخ الزوايا وأبناءهم بالنسب أو الانتساب من تلاميذ ومريدين كانوا أسرع من غيرهم مبادرة لجهاد العدو الإسباني والفرنسي والإيطالي. وعندما اندلعت ثورة التحرير تحولت زوايا كثيرة إلى مراكز للثورة تحت غطاء التعليم أو التعبد أو زيارات التبرك، تعقد فيها الاجتماعات للتنظيم والإعلام والتجنيد والتمويل وجمع السلاح والدواء وغير ذلك مما تتطلبه الثورة. وتكون بكثير من الزوايا محاكم شرعية بأمر الثورة للفصل في قضايا المواطنين بشريعة الله، على الرغم من أن المحكمة في ذلك الوقت كانت تحمل اسم محكمة الشريعة الإسلامية وتحكم بها في الأحوال الشخصية، وكانت مزودة بأمهات كتب الفقه المالكي.

وقد سجن كثير من شيوخ الزوايا وأبنائهم وعذبوا ونفوا واستشهد بعضهم، وأحرقت ودمرت زوايا عديدة في منطقة القبائل وغيرها. ولم يثبت، بل لم يذكر أن أحدا من شيوخ الزوايا تخلف عن المشاركة في ثورة التحرير ومساندتها، ولم يذكر أن أحدا منهم خان، ولو حصل ذلك لذبح كما ذبح الخونة والعملاء وشاع أمره. وكذلك الحال بالنسبة لكل أبناء الزوايا والمنتسبين لها، بل كانت أغلب المسؤوليات والقيادات المحلية لهم. كما لم يشارك أي واحد منهم في عمليات الإرهاب الحالية، على الرغم

من اتساع نطاقها.

هذا وبإمكان الإخوة الحاضرين أن يراجعوا ذاكرتهم ليجدوا بسهولة أن كل واحد من رؤساء هذه الجمهورية له انتساب لزاوية من الزوايا أو له بها علاقة تعليمية أو تربوية أو روحية على الرغم ممن تنكر ولام وأساء وهدد.

وعلاقة الشيخ عبد الحميد بن باديس بالزوايا وبالطريقة الرحمانية على الخصوص علاقة قوية مشهورة معروفة، يزورها ويثني عليها ويمجدها ويتبرك بها، فمن ذلك قوله من قصيدة له عندما زار زاوية طولقة وضريح الشيخ سيدي بن عزوز ببرج طولقة:

قوموا نحيي منازل الأجداد ... ونؤدِّ حق زيارة الأسياد

و نحط أرجلنا بدار كرامة ... مبذولة الروضات للروّاد

فهي الملاذ لكل جان خائف ... وهي الشفاء من وصمة الأنكاد

ما بين طولقة فبرج ... حيث تبصر نور أهل الله في إصعاد

و يقول في رسالة له بعث بها إلى صديقه الحميم العلامة الشيخ الطاهر العبيدي، فبعد الثناء والتحية والسلام يقول: "فإني كتبت إليكم من حضرة قسنطينة يوم قدومي من رحلة كنت أعملتها لناحية الجزائر وتلمسان لزيارة الأحياء والأموات من العلماء والصالحين، ومن أعظم الجميع قدرا وأشهرهم ذكرا سيدي أبي مدين الغوث وسيدي امحمد السنوسي بتلمسان، وسيدي محمد بن عبد الرحمن وسيدي عبد الرحمن الثعالبي بالجزائر، ودعونا لنا وللمؤمنين عامة، وإخواننا أمثالكم خاصة، بما نرجو فيه من الله القبول. (من كتاب دراسات في الأدب المغربي للدكتور عبد الله حمادي طبعة أولى 1986)

إن وضع الزوايا وضع أمره غريب، جد غريب، إنه لا يدخل تحت أي تنظيم أو قانون.

إن هذا الكيان اللغز: الزوايا، كيان غريب في ذاته وسلطته وجاذبيته وبساطته، وغريب في ظهوره وفي خفائه وفي قوته، وغريب في أزليته وفي بقائه وتجدده. وهذا الملتقى مظهر من مظاهر تجدد هذا الكيان، كيان الزوايا.

فهل الزوايا مؤسسات وطنية كمؤسسات الدولة العمومية أو هي مخصوصة، وأي نظام هي تحته؟

إن البرلمان بغرفتيه لم يسبق له أن تكلم عن الزوايا لأنه جهاز تشريعي قانوني والزوايا إما هي فوق القانون أو خارجة عنه أو هي عنده عدم، والقانون لا يطبق

على معدوم.

ووزارة الداخلية لا دخل لها في الترخيص لزاوية بالإنشاء أو العمل أو التجمع بها. فعمل الزوايا مستقل، مفتوح، صامد في صمت وشمم.

ولا دخل لوزارة الصحة والسكان في معاينة مرافق الزاوية السكنية والتعليمية والمطعمية والمياه وصرفها من حيث ملاءمة ما ذكر للشروط الصحية، وكذا مراقبة صحة الطلبة وتطعيمهم وتلقيحهم أسوة ببقية المتمدرسين. كل ذلك لم يكن، إنهم منسيون لدى المصالح الصحية. وحتى مصلحة الإحصاء لم تزرنا أثناء إحصائها السكان الأحياء، وكأن طلبة الزاوية أموات لا يحصون.

ومصالح النقل العمومي الوطني والخاص لا تعترف بطلبة الزوايا كي تخفض لمن يتنقل منهم يوميا تذكرة ركوبه كتلامذة التعليم العام.

ووزارة المالية لا تتدخل فيما للزاوية من أموال وضبط مواردها ومصاريفها، وهل تستحق تدعيما منها أو فرض ضرائب عليها، وهل تسدد لها عجزا إن عجزت أو أفلست، أو تصادر أملاكها، أو تهيكل من جديد، كل ذلك لم يكن.

وحتى وزارة الثقافة لا تتدخل فيما يتعلق بالحفلات الفلكلورية التي تقيمها زوايا العبث، اللهم إلا التقاط صور منها لعرضها في التلفزيون.

وهل لرئيس الجمهورية أو من دونه إلى رئيس البلدية، سلطة ليعين شيخ زاوية أو يعزله، أو يعاقبه إن أساء التصرف في زاويته أو باسم زاويته.

لا أحد يتدخل ولا سلطة تتدخل.

إنه بقدر ما نجد من تقارب واتصال والتحام بين الزوايا وأغلبية الشعب، بقدر ما نجد من تباعد وجفوة وجفاف بين الزوايا وأغلبية رجال السلطة. والمتعاطفون منهم (أي من السلطات) مع الزوايا، يتقربون إلى الزوايا بحذر، لأن من أسلافهم من تروض على الكيد، مثل الوالي الذي هدم جزء من زاوية الهامل، ولولا خوفه من سوء عاقبة عاتية لأزال الأثر، ولكنها بيوت أذن الله أن ترفع ويبقى فيها ذكر الله وكلامه يتلى. وكذلك أريد بشيء مثل هذا بزاوية طولقة في وقت مضى، ولكن الله سلّم ودافع وانتقم.

وإن أغلب السلطات الولائية والبلدية، بما في ذلك نظارات الشؤون الدينية تتعامل مع الزوايا بحذر ونفاق، وليس الكل.

ولو أن السلطات عموما تعاملت مع الزوايا بعشر ما تتعامل مع كرة القدم أو فرق الحفلات لنال طلبة القرآن بالزوايا حظا عظيما.

وإن بعضا من مسؤولي الوزارة (وزارة الشؤون الدينية نفسها) يتعاملون مع الزوايا بالتواء وتلون بلون اتجاه من بها من وزير. وإن أقرب سلطة للزوايا هي وزارة الشؤون

الدينية، ولكنها منها على هامش الهامش، فليس للزوايا مديرية بالوزارة، ولا نيابتها، ولا مصلحة، ولا حتى مكتب يعرف الجمهور بالزوايا وخريطتها في الوطن وإحصائها وأهلها ونشاطها، وصلاحها وفسادها، وتعليمها ونتائج تعليمها، وعملها، ومما للزاوية من أوقاف وما بها من مرافق، وتاريخ تأسيسها والمؤسس لها، ونبذة عمن تخرج منها، والطريقة التي تنتمي إليها، وكيفية تسييرها، ومن يسيرها ومن يخلفه، ومن له صلاحية التعيين، ووضع وتصنيف للزوايا وفرز الفاسد منها لمحوه أو تصليحه، وما هي التي بها نظام داخلي لطلبتها.

وعلى ذكر النظام الداخلي، هل تفكر الوزارة في إنشاء وظائف للنظام الداخلي بالزوايا، كالمراقبين والمنظفين والطبّاخين وعمال الصيانة وغيرهم، لتدعيم النظام الداخلي كما دعمت التعليم القرآني ببعض الزوايا بمعلمين، منها زاوية طولقة دعمت بواحد منهم، وفيها نحو مائتي (**200**) طالب داخلي، والله المستعان.

فهل ستعترف الوزارة بالزوايا وبتعليمها وبشهاداتها وبتلاميذها اعترافا كاملا رسميا يخول لطلبتها التمتع بالحقوق التي لغيرهم من طلبة المؤسسات التعليمية الأخرى كالمنح الدراسية والضمان الاجتماعي ...

وأرى أنه من المفيد جدا أن تنشأ سلسلة تلفزيونية ذات حلقات أسبوعية، لكل زاوية حصة، للتعرف عليها، حصة ولو قصيرة، ولو أقصر من الحصة اليومية للوطو.

وأقترح أن يكون للزوايا موقع في الانترنت.

وأرى أيضا أن يكون هذا الملتقى سنويا، وأن يحمل ملتقانا هذا رقم واحد (**1**) على بركة الله، ويكون عنوانه الملتقى الوطني الأول لزوايا العلم والقرآن، أي بزيادة لفظة الأول، مثل ما كانت ملتقيات الفكر الإسلامي، الملتقى الأول، الملتقى الثاني، الثالث ...... إلخ.

أيها الإخوة، لقد حان الوقت، وفي ظل النظام الجديد والفتح الجديد وفي ظل الوعي الاجتماعي، أقول لقد آن الوقت في ظل ما ذكر لأن يصلح ما فسد من زوايا، وأن ترد إلى عهدها المنير النافع، وأن ترتفع فيها الأصوات بالذكر الحكيم والتعليم الديني والتربية الخلقية والروحية، والتوجيه والتوعية، حتى يكون لها الأثر الطيب في حياة الناس. لقد تغير كل شيء في هذا العالم، فعلى تلك الزوايا أن تتغير، ولكنها لن تتغير إلى الأحسن حتى يتغير شيوخها أو يغير شيوخها ما بأنفسهم، ويغيروا فكرتهم عن أنفسهم ويغيروا أنفسهم تجاه أتباعهم وينظروا إلى أنفسهم بعيون غيرهم، ويضعوا أنفسهم وسطهم وبعقل مفتوح، وأن يجددوا بطاقاتهم الدينية والطرقية، وينصرفوا إن عجزوا عن إصلاح أنفسهم وإصلاح زواياهم " **وسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه**".

والعاقل من عرف زمانه.

وقد سبق لبعضهم أن تحركوا للإصلاح الواحد بعد الآخر والمرة بعد المرة ولكنها حركة بدون تقدم، فلا هم قلدوا ولا هم جددوا ولكن حادوا عن الخط التراثي وبعدوا عنه بنسبة **180** درجة، عليهم أن يأخذوا الأمر بجد وقوة من أجل الإصلاح والتجديد والتعمير، وعليهم أن يضيفوا إلى سلطتهم الروحية التي لا زالوا يتمتعون بها عند البعض، أن يضيفوا إليها سلطة خلقية تمكنهم من جلب القلوب إليهم بالودِّ والإحسان والصدق مع الله.

ولا بد أن تتجسد فيهم الأسوة الحسنة والقوة الخلقية والقيادة الروحية التي تمكنهم من اكتساب القدرة على أداء رسالتهم الأداء الصحيح.

إن كل الطرق والزوايا ليس فيها ما يمنع النجاح في التجديد مع إقامة القديم لنشر الدين والتعليم، والزاوية والطريقة التي تنتسب إليها شيئان يتصل بعضهما ببعض ويؤثر أحدهما على الآخر فالإصلاح والتهذيب يجب أن يعماها معا.

أيها الإخوة في الله، إن إحياء الزوايا التي أميتت من قبل وارثيها، أو غيرهم، أو معالجة تلك التي أصيبت بأي نوع من الإصابات، أو تنقية الملوث منها أو تقويم المنحرفة، أو تحريك ما سكن منها وتعطل، كل ذلك لا يكلف بعثا جديدا ولا تبديلا عنيفا وإنما يكلف إيمانا بالرسالة المنوطة بأصحابها وتعاونا صادقا وإخلاصا تاما، إلى جانب التدبير الحكيم والتسيير السليم والتنظيم المناسب، وإدخال ما يتطلبه الحال من التحسين والتطوير.

وحتى تلك الزوايا التي خمدت أنفاسها بالمرة وطال عليها الأمد، فإنها لا تزال حية في قلوب خريجيها ومريديها ومن انتفع بها ولا تزال هي في ذاتها حية كحياة البذرة تسقى فتنبت فتأتي أكلها بإذن ربها أو هي الآن كالأرض الموات فتستصلح فتصبح مخضرة.

ويستحيل أن يكون لأهل الزوايا فضل وشرف ومجد وقيمة وحصانة إلا بتعمير وتنوير زواياهم التي هي حصنهم الذي يتحصنون بها حصانة ربانية ويتشرفون بها وبخدمتها وخدمة من فيها.

عليهم أن يتوكلوا على الله حق توكله ويستعينوا به وبالصبر والإخلاص عليهم أن لا ييأسوا إن عاقتهم المعوقات ماديا وبشريا، فالمصلح اليائس لا يرجى منه نجاح.

عليهم أن يجعلوا من المعوقات أول الطريق لا آخر الطريق.

عليهم أن يرحبوا في سبيل زواياهم بجميع الآلام.

عليهم أن يفتحوا الأبواب، ويفتحوا مع الأبواب المصاحف والكتب والقلوب

ويبسطوا وجوههم وألسنتهم وأيديهم وموائدهم بالبر والإحسان والتجاوب والتواضع والنزاهة، فقد زادت الحاجة إلى السعي في استجلاب القلوب بحسن المعاملة للجميع.

عليهم أن يثقوا بما عند الله من المدد والأجر والخلف، لا بما عند الناس، فلم تؤسس الزوايا لتبيع الطعام والماء وتكرى لمن يبيت، وإن الله هو الذي يتولى بنصره وتأييده من يخدم دينه وأهل دينه بصدق النية، وإذا تولى الله الأمر فالنصر محقق، والنجاح مضمون، والأجر ثابت عنده يوم اللقاء، والخلف في الدنيا موعود به، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ فلم تكن ثمة وسيلة أقوى من هذا لإقناع الناس بحسن النية وشرف المقصد، ولا سلاح أمضى من هذا لإرهاب أعداء الدين وإبطال عمل المفسدين ودفع مطاعن الطاعنين.

وإن الزمان أتى ليكشف عن الوجوه والقلوب، وأتى ليظهر القوة وفضيلة العمل المقدس الذي هو خدمة الدين وإبراز رموزه البشرية والمكانية.

إن الزوايا هي الرمز الأشهر العريق لهذا الوطن، لأنها تحمل القرآن فهي رمز للقرآن الكريم، والقرآن موجود بوجود الزوايا ومعرفة دين الإسلام لا تتم إلا بالقرآن، ولا يشعر بأهمية هذا الرمز الوطني الذي هو الزوايا، لا يشعر بأهميته وفضله وقيمته ومكانته عند الله إلا من فتح الله قلبه ونوره بنور الإيمان إنه رمز القرآن.

نفعنا الله وإياكم بالقرآن تعلماً وتعليماً وعملاً وخدمة وتخلقاً

- آمين -

بسم الله الرحمن الرحيم

الرابطة الرحمانيّة للزوايا العلميّة

جمعيّة وطنيّة تأسّست في غرّة المحرّم *1410* هـ (*1989/08/03* م)

اعتمدتها وزارة الداخليّة، بتاريخ *27* فبراير *1990*، تحت رقم *0019*

أهدافها ومقاصد رسالتها:

روحيّة. علميّة. تربويّة. ثقافيّة. اجتماعيّة

تأسيس الرابطة الرحمانيّة للزوايا العلميّة

المحرّم *1410* هـ / أغسطس *1989* م

في غرّة المحرّم، ذكرى الهجرة النبويّة، التي كانت منعطفا تاريخيّا عظيما في مسيرة دعوة الإسلام، ومنطلقا لتأسيس دولة الإسلام؛ اجتمع شيوخ الزوايا الرحمانيّة، في رحاب مؤسّس الطريقة الرحمانيّة، الشيخ محمّد بن عبد الرحمن الأزهريّ، قدّس الله سرّه وطيّب ثراه؛ وأعلنوا في ختام اجتماعهم تأسيس الرابطة الرحمانيّة للزوايا العلميّة، لتكون جمعيّة ذات طابع روحيّ وعلميّ، وتربويّ، وثقافيّ واجتماعيّ، تتوحّد فيها جهودهم، ويتحقّق تعاونهم في خدمة رسالتهم.

أشرف على الجمعيّة التأسيسيّة للرابطة، ونظّم مداولاتها، وأعلن بيانها مكتب تكوّن من المشايخ السادة:

- ✓ محمّد الطاهر آيت علجت — رئيسا
- ✓ محمّد المأمون القاسميّ الحسنيّ — مقرّرا عامّا
- ✓ عبد القادر العثمانيّ — نائبا للرئيس
- ✓ عليّ إسماعيل — نائبا للرئيس
- ✓ عبد الرحمن الحسينيّ — مساعدا
- ✓ أبو القاسم الداوديّ — مساعدا

وقد صادق مؤسّسو الرابطة الرحمانيّة على نظامها الأساسيّ، وانتخبوا مجلسها العامّ ومكتبها التنفيذيّ، كما انتخبوا الشيخ الخليل القاسميّ الحسنيّ رئيسا لها، واختاروا الزاوية القاسميّة مقرّا لها.

بيان الجمعيّة العامّة التأسيسيّة للرابطة الرحمانيّة للزوايا العلميّة

نحن أعضاء الجمعيّة العامّة التأسيسيّة للرابطة الرحمانيّة للزوايا العلميّة،

المجتمعين في زاوية الشيخ محمّد بن عبد الرحمن، الأزهريّ الخلوتيّ، في هذا اليوم الأغرّ، الفاتح من شهر المحرّم 1410 هـ، الذي يصادف ذكرى الهجرة النبويّة الشريفة؛ الموافق للثالث من شهر أغسطس 1989م؛

* إيماناً بأنّ الإسلام حياة روحيّة تتعامل مع الله سبحانه وتعالى، وحياة اجتماعيّة وسياسيّة تبني المجتمع والدولة، بناءً محكماً سليماً، وأنّه أعظم رسالة أغنت الحياة الاجتماعيّة، ووضعت لها أسسها، وبيّنت معالمها وخصائصها، وحدّدت مناهجها وأهدافها، وقامت على أساسه أمّة ربّانيّة اتّخذت القرآن العظيم شرعتها، والرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم أسوتها، فكانت خير أمّة أخرجت للناس؛

* وإيماناً بأنّ عقيدة الإسلام التي استقرّت في قلوب الجزائريين قد سرى حبّها في دمائهم، وانطلقوا في الدعوة إليها، والدفاع عنها بكلّ غال وعزيز، وكانت ثمرة هذه العقيدة هي الأخوّة التي جمعت شمل أبناء الوطن الواحد، ووحّدت أهدافهم، وحقّقت لهم النصر على عدوّ الله وعدوّهم.

* وإيماناً بأنّ العقيدة التي تستقرّ في العقل، تحتاج إلى دعمها بالشعور الوجدانيّ العميق، ليشكّل تيّاراً كافيا يحمل على السلوك، لأنّ المسلم الصادق في إسلامه هو الذي يحرص على تطويع الباطن لما تحلّى به الظاهر، ويسعى إلى التوفيق بين الظاهر من أحكام السلوك الدينيّة، والباطن من الإخلاص لوجه الله فيها، والصدق في الالتزام بأوامره، والانتهاء عن نواهيه، ابتغاء وجهه وحده، وتطهير القلب من الغوائل التي لا يطّلع عليها إلاّ الله، ولا يحاسب عليها غيره، والتي تصدّ صاحبها عن بلوغ درجة الصفاء في النيّات، والإخلاص في الأعمال. وقد ربط القرآن الكريم الذي يهدي إلى السبيل الأمثل، كلاًّ من الظاهر والباطن برباط السعي المخلص الصادق إلى مرضاة الله عزّ وجلّ، وأجمل بيان ذلك في كلمة واحدة، كرّر الأمر بها، وشدّد في التنبيه إلى ضرورتها، هي "التزكية". ثمّ نبّه إلى طريق واحد مرسوم لها، ألا وهو الذكر، ذكر الله عزّ وجلّ، في كلّ حال، والابتعاد عن الغفلة وأسبابها، وقد زاد رسول الله ﷺ الأمر بياناً، إذ ربط بين الإيمان والحبّ، ونبّه إلى التلازم المستمرّ بينهما، فقد جاء في الحديث الشريف: "ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان" وذكر منهنّ أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه ممّا سواهما؛

* ونظراً إلى الدور الهامّ للزوايا والطرق الصوفيّة في نشر الإسلام، وإرساخ قيمه، وفي التربية الروحيّة، والتثقيف الدينيّ، والإصلاح الاجتماعيّ، وهو الدور الذي نوّه به ملتقى الفكر الإسلاميّ في الجزائر، الذي يعدّ أعلى منبر إسلاميّ يحضره كبار علماء المسلمين، من مختلف مذاهبهم وجنسيّاتهم، حيث جاء في البيان الختاميّ للملتقى

الواحد والعشرين للفكر الإسلاميّ الذي انعقد في معسكر، عام 1407 هـ، الموافق 1987 م ما نصّه:

- تناول الملتقى، بالعرض والدراسة والنقد، كبرى الطرق الصوفيّة، ودورها في المجتمعات الإسلاميّة، إيجابا وسلبا، ودارت مناقشات طويلة حولها، ومن خلالها، تبيّن دور معظم الطرق في نشر الإسلام، وفي التربية والتثقيف الدينيّ والاجتماعيّ لجماهير الأمّة الإسلاميّة، فضلا عن بيان دور الصوفيّة، على مرّ القرون، في الجهاد والدفاع عن دار الإسلام، ومقاومة الغزو الاستعماريّ، ورأى الملتقى أن تدعم الإيجابيّات، لنشر الإسلام، والتربية الروحيّة، والحفاظ على القرآن الكريم، والسنّة المطهّرة، واللّغة العربيّة، وأن تعان الطرق الصوفيّة على التخلّص من أوجه قصورها وسلبيّاتها.

- استعرض الملتقى أهمّ الاتجاهات والأدوار التي يؤدّيها التصوّف الإسلاميّ في الغرب، في العصر الحديث، وانتهى إلى تصوّر دقيق وتقييم سليم لهذه الأدوار، وسجّل بعض الملاحظات الضروريّة فيما يتعلّق باتّجاهاته وآفاقه.

- أولى الملتقى عناية خاصّة بالحياة الروحيّة بعد إيضاح مفهومها الشامل في المجتمعات الإسلاميّة اليوم، وقدّر الظروف والأسباب التي أدّت إلى ضمور هذه الحياة؛ ولمس الحاجة الملحّة إلى بعث الطاقات الروحيّة في نفوس المسلمين، علاجا ووقاية، وقد حرص الملتقى على ضرورة تحقيق الانسجام والتوازن بين الجانب التشريعي والجانب الروحيّ من تعاليم الإسلام؛ كما بحث عن أنسب الطرق وأنجعها في تربية النشء تربية روحيّة سليمة. وقد تحقّق للملتقى إيضاح المفهوم الصحيح الشامل للحياة الروحيّة في الإسلام، كما استطاع أن يجلّي مقوّمات التربية الروحيّة الصحيحة، في ضوء الإطار العامّ الذي تحرسه أصول الإسلام وقيمه، وفي ضوء الحقائق المتعلّقة بالنفس الإنسانيّة المستمدّة من الكتاب والسنّة، وقرائح ممارسات الأعلام الصالحين من هذه الأمّة...

* وإيماناً بالدور العظيم الذي قامت به الزوايا، في الدفاع عن العقيدة التي ركز عليها المستعمر، منذ وطئت أقدامه أرضنا، واستهدف القضاء على ثمرتها، محاولا تشتيت صفوف الجزائريّين، وتفتيت وحدتهم، وغرس الخلافات والنزاعات العرقيّة والمذهبيّة فيما بينهم، فوقفت الزوايا سدّا منيعا أمام مطامع العدوّ، وشكّلت منذ دخوله، حصنا منيعا تحطّمت على أسواره جميع مخطّطاته الهادفة إلى تنصير شعبنا، ومسخ شخصيّة أمّتنا. ولمّا أدرك المحتلّون مدى انصهار الزوايا في الجماهير الشعبيّة، على

اختلاف ميولها ومستوياتها، وأهمّيّة الرسالة التي تؤدّيها في حياة الأمّة، راحوا يحاولون، بكلّ وسيلة، أن يجعلوا مفهوم الزوايا غامضا، ويحيطوه بضباب كثيف، ليستنقصوا أهميّتها، ويحطّوا من قيمة دورها، حتّى يبعدوها عن قاعدتها الجماهيريّة الواسعة؛

* وإيماناً بأنّ جلّ الثورات الجهاديّة التي عرفتها الجزائر، إن لم نقل كلّها، إنّما كانت بقيادة زعماء الطرق، ورؤساء الزوايا، ابتداء من مقاومة الأمير عبد القادر، إلى ثورة 1871، التي كان زعيمها الروحيّ الشيخ محمّد امزيان بن الحدّاد، خليفة الشيخ محمّد بن عبد الرحمن، ورئيس زاوية صدّوق، إلى ثورة الشيخ بوعمامة، وغيرها من الثورات التي قامت بعدها، إلى ثورة التحرير، في الفاتح نوفمبر، التي كانت الزوايا مراكز إمداد وإسناد لها، وكان طلبتها وأتباعها من صانعيها وطلائع قادتها وجنودها.

* وإيماناً بأنّ الزوايا قد وقفت، بشدّة وحزم، في وجه حركة الاندماج الرّامية إلى تغريب المجتمع الجزائريّ المسلم وتذويبه في سكّان فرنسا المسيحيين؛ وظلّت، في أحلك أيّام الاحتلال البغيض، محافظة على ثقافتنا وعاداتنا الأصيلة، وتقاليدنا الصالحة، وكانت ملاذا آمنا لكلّ مواطن يتعرّض لمطاردة السلطات الاستعماريّة، أو ملاحقتها أو مضايقتها.

* ونظرا إلى أنّ دعاة التغريب، ما فتئوا يعملون لاستمرار تبعيّتنا الثقافيّة للغرب، ويحاولون جرّ مجتمعنا إلى هاويته السحيقة، ويريدون أن يوقعونا في هوّة المدنيّة الغربيّة التي ضاق بها أبناؤها أنفسهم، لإحساسهم بالفراغ الروحيّ الذي يكدّر عليهم صفو حياتهم، وما فتئوا يتلمّسون الطريق، للخروج من دهاليزها المظلمة، إلى حيث يجدون النور وراحة البال. وقد كان من نتائج التقليد الأعمى للمجتمع الغربيّ والاقتداء بقيمه الهابطة، وأخلاقه المنحلّة، وتصوّراته المضلّلة، ما نراه اليوم من مظاهر الفساد والانحراف في مجتمعنا، ومن موجات الانحلال التي اجتاحت فئة عريضة من شبابنا، فشاعت الإباحيّة، وانتشرت الخلاعة والتبرّج الجاهليّ، وبدأت المخدّرات تعرف طريقها إلى أوساط الشباب، وسادت روح اللاّمبالاة، والنزعة الفرديّة، والأنانيّة المطلقة، وتزايد الاهتمام بالناحية الاستهلاكيّة والعناية بمظاهر الترف، والتهرّب من حياة العمل والجدّ والإنتاج، وهي كلّها نتائج طبيعيّة، لانعدام الوازع الدينيّ، وغلبة الاستلاب الفكريّ، والاغتراب الثقافيّ، ممّا ينشأ عنه، حتما، ضعف الروح الوطنيّة، وفقد الإحساس بالانتماء، ومن ثمّ الاستعداد للتفريط في مكتسبات شعبنا، ومرتكزاته الحضاريّة.

* وإيمانا بأن لا سبيل إلى مواجهة الغزو الثقافيّ الذي يتعرّض له مجتمعنا، إلاّ بالعودة إلى القيم الأصيلة التي مكّنت أسلافنا من التصدّي لمحاولات التغريب

والمسخ والتذويب؛

* وإيماناً بأنّ الطاقة الروحيّة، ما زالت تفعل فعلها في النفوس، وبقبسها يتبصّر كثير من النّاس سبيلهم إلى الإسلام، وأنّ أزماتنا ومشكلاتنا النفسيّة والاجتماعيّة، والاقتصاديّة، إنّما هي وليدة إعراضنا عن تربية النفوس، وإصلاح القلوب، بالوسائل المشروعة والمطلوبة، التي طالما نبّه إليها الربّانيّون من علماء أمّتنا الإسلاميّة، خلال القرون والأجيال؛

* وإيماناً بأنّ الإسلام الذي يربط أفراد شعبنا، من شرق الوطن إلى غربه، ومن شماله إلى أقصى جنوبه، سيظلّ، دون منازع، العامل الأساسيّ في تعزيز الوحدة الوطنيّة، والدرع الواقي من مخاطر النزاعات العرقيّة والجهويّة، والصخرة التي تتحطّم عليها كلّ المخطّطات التغريبيّة، والمحاولات التخريبيّة التي ترمي إلى تفتيت وحدتنا، وتستهدف المساس بأقدس مقوّمات أمّتنا، ومكوّنات شخصيّتنا الإسلاميّة؛

* ونظراً إلى الدور العظيم الذي يمكن أن تؤدّيه الزوايا، اليوم، في مواجهة المخطّطات التنصيريّة، والتغريبيّة، والإلحاديّة، والتصدّي للاتّجاهات الفكريّة والدينيّة المتحجّرة والمنحرفة، ومقاومة التيّارات الدينيّة المتطرّفة، ومحاربة الآفات الاجتماعيّة المتفاقمة.

* ونظراً إلى أنّ بعث نشاط الزوايا الروحيّ والعلميّ، والتربويّ، والاجتماعيّ، يقتضي إيجاد إطار محكم منظّم يجمع شملها، ويلمّ شتاتها، ويدعم صفوفها، ويوحّد جهودها، ويحقّق التضامن والتنسيق فيما بينها، لكي يتسنّى لها القيام بدورها الحضاريّ المنشود؛

بناء على هذه الاعتبارات كلّها؛ تعلن على بركة الله وحسن توفيقه، تأسيس الرابطة الرحمانيّة للزوايا العلميّة، طبقا لقانون الجمعيّات، المؤرّخ في 25 ذي القعدة 1407 هـ (1987/07/21م) تحت رقم 15-1987م.

وستعمل الرابطة، بعون الله، للنهوض بالزوايا، حتّى تعود إلى سالف مجدها، وتبقى على الدوام مصادر للإشعاع على الوطن كلّه، وتظلّ معاهد للعلوم الشرعيّة والدراسات الإسلاميّة، ومعاقل للدعوة والتربية الروحيّة، ومنارات للإرشاد والهداية والإصلاح الاجتماعيّ، ويتركّز نشاط الرابطة على المحاور الآتية:

أ) في مجال العقيدة والتربية الروحيّة:

- العمل لتمكين العقيدة في النفوس، وغرس القيم الروحيّة الرفيعة، وإرساخ الحياة الروحيّة الصحيحة، عن طريق التوجيه الرّاشد، الذي يملأ قلوب النّاس بهداية الإسلام، ويطبع سلوكهم بآدابه، ويصبغ مظاهر حياتهم بصبغته.

- العمل لفهم الحقيقة الروحيّة وإدراكها، وإزالة الشوائب التي غطت على المقصود من التربية الروحيّة، بتعميق معناها ومدلولها، وتعميم تعليمها ونشرها، والسعي لربط الحياة الروحيّة بالحياة الاجتماعيّة، باعتبارها الطريق الوحيد والمنهج الصحيح لتكوين الإنسان المسلم الصالح.

- إصلاح مناهج التربية الروحيّة في الزوايا، لتحفظ لها قوّتها، وتتجنّب مواطن الضعف، وتستأنف أداء رسالتها في إرشاد العباد، وتخليصهم من ربقة الجهل، وتصفية بواطنهم، وتزكية نفوسهم، وتعليمهم ما يصلح دينهم ودنياهم.

- المساهمة في تحقيق المناعة الفكريّة لأمّتنا، وضمان الوحدة الدينيّة والعقيديّة لشعبنا، والعمل لنفي ما علق بالأذهان، من غموض والتباس، أو جهل لحقيقة الدين ومفهومه الصحيح، وإزالة ما ترسّب في النفوس من آثار تفرّق الجماعات الإسلاميّة، نتيجة غلوّ بعضها، واهتمامها بالفروع، والجزئيّات، عوض العناية بالأصول والكليّات؛ والسعي لاستبعاد عوامل الخلاف في أمور الدين، وقطع الطريق على الذين يحاولون المساس بوحدتنا الدينيّة التي أنعم الله بها على بلادنا.

- تشجيع الحوار الفكريّ والعلميّ البنّاء الذي يستهدف تصحيح المفاهيم الإسلاميّة، ويساعد على بناء الشخصيّة الإسلاميّة العلميّة المتوازنة.

- التصدّي، بشدّة وحزم، للحملات التنصيريّة، والمخطّطات التغريبيّة والتيّارات الإلحاديّة، بما يحفظ لأمّتنا عقيدتها وقيمها، ويضمن وحدتها، ومناعتها، ويحقّق عزّتها وازدهارها.

- التصدّي للدعوات المشبوهة، والمذاهب الهدّامة والنظريّات المرتبطة بها؛ وحماية شبابنا من السموم الفكريّة للمستشرقين والمستغربين والعلمانيّين، بكشف مخطّطاتهم، وتعرية آرائهم التي ينشرونها، لإثارة روح الشكّ في أصول الإسلام وفروعه، وزرع بذور الفتنة، وعوامل هدم الوحدة الجامعة للأمّة.

- نشر مزيد من الوعي في أتباع الزوايا، حتّى يزنوا جميع أعمالهم بميزان الشرع الحنيف، ويكونوا، في جميع خطاهم، على مبادئ القرآن الكريم، وهدي السنّة المطهّرة، ولكيلا تستغلّ هذه المؤسسات من بعض الطفيليّين، والمشعوذين، والدجّالين، لأغراض تتنافى مع جوهر الإسلام وعقيدته الصحيحة.

- المساهمة في الجهود المبذولة، لفائدة جاليتنا المغتربة، بما يحفظ لأبنائنا عقيدتهم، وقيمهم، ويعصمهم في دينهم، عن التيّارات التي تهدّد وجودهم في ديار الغربة؛ والأخذ بأيدي الذين يتلمّسون طريقهم إلى الهداية؛ سواء من المسلمين الذين ضلّوا السبيل، أو من الذين استنارت قلوبهم بهداية الإسلام، فدخلوا في دين الله،

ويبحثون عن مزيد من الفهم لحقائقه ومبادئه السامية.

ب) في مجال التعليم والتربية:

- إصلاح مسار التعليم في الزوايا، والعمل لكي يكون القدر الأدنى من التعليم فيها، يقوم على تحفيظ كتاب الله العزيز، وتعليم أحكامه وقواعد تجويده، وإعطاء تعليم إسلاميّ قاعديّ، ومكافحة الأميّة.

- توجيه الزوايا إلى مزيد من العناية بعلوم القرآن والسنّة، وعلوم العربيّة، باعتبارها لغة القرآن الكريم، ومفتاح معرفته، والوقوف على مبادئه العظيمة وتشريعاته الحكيمة.

- العمل لإحداث شهادات علميّة تتوّج نهاية الدراسة بالزوايا، في مختلف مراحلها وترسّم بنصّ قانونيّ.

- العمل لتنقية المناهج المدرسيّة والجامعيّة، والبرامج الثقافيّة والإعلاميّة من كلّ ما يتعارض مع العقيدة والأخلاق الإسلاميّة؛ وتسخيرها لبناء الشخصيّة الإسلاميّة وإعدادها من النواحي: العقيديّة، والفكريّة، والثقافيّة، والاجتماعيّة، والسعي إلى تعزيز البرنامج المقرّر في المنظومة التربويّة، لمادتيّ التربية الإسلاميّة، والثقافة الإسلاميّة، لجعلهما تكسبان الطالب في المدرسة والجامعة، مجموعة المفاهيم الدينيّة الصحيحة، التي تساعده على معرفة دوره في المجتمع؛ مع الحرص على أن تكون جميع المواد الدراسيّة، مؤازرة للمادّتين المذكورتين، وتحاشي أي تعارض لأيّة مادّة دراسيّة معهما.

- العناية بتعليم الفتاة، وتربيتها تربية إسلاميّة صحيحة، لإعدادها لرسالتها الأساسيّة في الأسرة، وتوجيه المرأة الجزائريّة إلى القيام بدورها العظيم في تربية النشء على الاستقامة والفضيلة، وإعداد جيل صالح من أمثال: عبد القادر، والسنوسيّ، وابن الحدّاد، وبوعمامة، وابن بولعيد، وعميروش، ومن مثيلات: فاطمة نسومر الرحمانيّة، وأمّ صفيّة البسكريّة، ورقيّة بنت عبد القويّ البجائيّة، وزينب بنت محمّد القاسميّة.

ج) في مجال الإصلاح الاجتماعيّ والرعاية الاجتماعيّة:

- توجيه الزوايا إلى القيام بدورها في الإصلاح الاجتماعيّ، بالتصدّي لسلبيّات النزعة الاستهلاكيّة المفرطة، وأخطار الحياة الماديّة المسيطرة، والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بكلّ الوسائل المشروعة، عن طريق الموعظة الحسنة، وإعطاء المثل العمليّ الصحيح.

- العمل لتطهير البيئة الإعلاميّة، والثقافيّة، وتنقية المحيط الاجتماعيّ، من مظاهر الإغراء بالسلبيّة والانحراف، حماية لشبابنا من الضياع والفساد، ووقاية لمجتمعنا من الفوضى والإباحية والانحلال، والسهر على جعل المحيط الثقافيّ والاجتماعيّ يكتسي

طابع الجدّيّة والالتزام، ويصطبغ بالصبغة الإسلاميّة الصحيحة.

- التصدّي لمحاربة الآفات الاجتماعيّة، كالخمر والميسر، وغيرهما ممّا حرّمه الشرع الحنيف، وينكره العقل السليم، ومقاومة الرذائل الماديّة مثل: الغشّ، والخيانة، والرشوة، وفساد الذمم، والتهاون في أداء الواجب، والسلبيّة، واللاّمبالاة، والتواكل، والتبذير، والكسب غير المشروع، والاعتداء على الأعراض والأموال، وغيرها من الأمراض والآفات الاجتماعيّة، التي تعرقل تطوّر الأمّة، وتعوق مسيرتها.

- تنشيط الرسالة الاجتماعيّة للزوايا، لتستأنف دورها في رعاية اليتامى، ومساعدة المساكين، وإسعاف ذوي الحاجات، وإيواء العجزة وأبناء السبيل.

د) في مجال العمل لإقامة المجتمع الإسلاميّ المنشود:

- بذل أقصى الجهد لتهيئة الظروف الملائمة لتطبيق الشريعة الإسلاميّة؛ والعمل لظهور تعاليم الإسلام في سلوك أفراد الأمّة، وتجلّيها في أعمال القائمين على شؤونها، باعتبار الإسلام دينا ودولة، ويحيط بحياة المسلم وينظّمها في كافّة المجالات.

- العمل لإبراز السمات الأساسيّة للنموذج الإسلاميّ، وتوضيح القيم التي يقوم عليها، كالوسطيّة، والتوازن، والاعتدال؛ والسعي إلى وضع الشباب أمام القدوة الصالحة، وإعطائهم المثل العمليّ، الصحيح، لإعدادهم للحياة المتكاملة المبنيّة على مراعاة الجمع بين العمل بالإسلام، واتّباع آدابه، وبين الاجتهاد في الوصول إلى العمق الروحيّ للعبادات والأخلاق الإسلاميّة، والعمل لترقية حياة الأمّة المعنويّة والماديّة.

- الإثارة المستمرّة للإحساس بالمثل الأعلى الذي يدعو إليه الإسلام، والمجتمع الفاضل الذي يريد إقامته على الخير والحق والعدالة؛ وذلك بتوضيح شموليّة الإسلام، والتعريف بمبادئه وتوجيهاته من روح كانت حافزا أقوى على السير بالحياة وبالمجتمعات، في ظلال العدالة والمساواة، والإخاء والمودّة والرحمة.

هـ) في مجال التعاون والعلاقات:

- العمل لتوحيد جهود الزوايا والطرق الصوفيّة، في الجزائر، بإيجاد إطار للتنسيق فيما بينها، وتحقيق تعاونها في مجالات: التربية الروحيّة، والتعليم الشرعيّ، والإصلاح الاجتماعي؛ وذلك بإنشاء "جامعة" تضمّ تحت لوائها جميع الزوايا والطرق الصوفيّة في بلادنا، كخطوة نحو تعاون أوسع، في الميدان الروحيّ، على مستوى بلدان اتحاد المغرب العربي الكبير، وبلدان العالم الإسلاميّ الأوسع.

- التعاون والتنسيق مع الجمعيّات والهيئات العاملة في حقل الدعوة الإسلاميّة، بما يساعد على تحقيق الأهداف المشتركة، مجسّدة الشعار الإسلاميّ العظيم: "لنتعاون فيما نحن فيه متّفقون، ويعذر بعضنا فيما نحن فيه مختلفون".

- العمل لربط علاقات حسنة مع الجمعيّات والهيئات المختلفة النشاط، تقوم على الحوار الفكريّ والعلميّ، وعلى أساس التفاهم والاحترام المتبادل.

وللوصول إلى تحقيق الأهداف المذكورة أعلاه، فإنّ الرابطة تستعمل كلّ الوسائل المساعدة على بلوغ غاياتها المنشودة، بما تراه صالحا نافعا لها، مطابقاً للقوانين المعمول بها، ومن هذه الوسائل:

- الدعم المعنويّ والماديّ للزوايا، والتنسيق فيما بينها، والدفاع عن مصالحها ومكتسباتها، والمساهمة في المخطّطات الهادفة إلى تنميتها وتنشيطها، وتحسين أوضاعها الماديّة والأدبيّة والاجتماعيّة، وإنجاز عمليّات لمساعدتها والتضامن لفائدتها.

- العمل لبعث نشاط الزوايا التي تعطّلت عن العمل، والسعي لبناء مزيد منها، في مختلف جهات الوطن.

- العمل لاستعادة مراكز الزوايا وأملاكها المسيّرة من جهات أخرى، واسترجاع الأملاك الموقوفة عليها، باعتبارها مصدرا مهمّا لتمويل هذه المؤسّسات الدينيّة والتربويّة، وسدّ حاجاتها، وعملا بالحكم الشرعيّ في ميدان الأوقاف الإسلاميّة.

- إصدار نشريّات، وتنظيم ملتقيات، تعالج موضوع التصوّف، والتربية الروحيّة، وتساهم في التعريف بالفكر الصوفيّ وترقيته، وتتناول القضايا الدينيّة والتربويّة المعاصرة والمشكلات الاجتماعيّة الراهنة، وقضايا الشباب والمرأة، في ضوء كتاب الله وهدي رسوله ﷺ، وتضطلع، خاصّة، بمهمّة التبصير بحقائق الإسلام، والدعوة إلى الفضيلة، وإلى حماية الأخلاق الإسلاميّة، والآداب العامّة، والتقاليد الصالحة، ومقاومة التيّارات المتطرّفة، والأفكار الهدّامة، والنحل الفاسدة، وتيّارات الإلحاد والتنصير والتغريب، بكلّ صورها وأشكالها، الظاهرة والخفيّة، كما تنشر دراسات وأبحاثا في موضوع الوحدة الإسلاميّة الجامعة.

- تشجيع النشاط الثقافيّ الإسلاميّ المشتمل على الجانب الروحيّ، في الزوايا، وفي نوادي الرابطة ومراكزها، مثل مسابقات حفظ القرآن الكريم، وتجويده، واستظهار الحديث النبويّ الشريف بسنده، والتدريب على أسلوب الخطابة، ومنهج المناظرة، وتكريم الفائزين في هذه المسابقات.

- إحياء سنّة تفسير القرآن الكريم تفسيراً مبسّطا، موجّها للعامّة، وسنّة قراءة صحيح الإمام البخاريّ، رواية ودراية.

- الاحتفال بالأعياد والمواسم الإسلاميّة، في جميع الزوايا، وفي مراكز الرابطة، وتبادل الزيارات، بهذه المناسبات الدينيّة، دعما لأواصر النسب الروحيّ والعلميّ، الذي يربط بين أفرادها.

- تنظيم جولات لأعضاء الرابطة، عبر التراب الوطنيّ، في المناسبات الدينيّة والوطنيّة، وفي الأوقات التي تراها مناسبة لإلقاء الدروس والمحاضرات الدينيّة، وعقد الندوات العلميّة والفكريّة.

والله وليّ الإعانة والتوفيق

زاوية الشيخ سيّدي محمّد بن عبد الرحمن الأزهريّ

في الفاتح من شهر المحرّم 1410 هـ.
الموافق ل 03 أغسطس 1989 م.

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان الرابطة الرحمانيّة للزوايا العلميّة بمناسبة إحياء ذكرى تأسيسها العاشرة المحرّم 1410 هـ - المحرّم 1420 هـ

إنّ الرابطة الرحمانيّة للزوايا العلميّة، التي جعلت في طليعة أهدافها توحيد جهود الزوايا، وتنسيق تعاونها في مجالات: التربية الروحيّة، وتعليم القرآن الكريم، والعلوم الشرعيّة؛ والعمل المتواصل للحفاظ على وحدتنا الدينيّة؛ وحماية شعبنا من مخاطر التطرّف الديني، والتشرذم المذهبيّ، وشرور التعصّب والفتن الطائفيّة؛ والسعي لإصلاح المجتمع، وتطهير بيته من مظاهر الفساد والانحراف التي تفسد عنه عقيدته وأخلاقه؛ وتباعد بينه وبين الحياة العزيزة والعيشة الراضية؛ بما يضمن لشعبنا مناعته وتماسكه، ويحفظ له صبغته الأساسيّة وشخصيّته الإسلاميّة.

إذ تؤكّد إرادتها واستعدادها للتعاون مع الجمعيّات والهيئات المماثلة، وجميع الوطنيّين الغيورين من أبناء الأمّة، في كلّ مسعى يخدم مصالحها العليا، ويعزّز وحدتها الجامعة:

* تدعو جميع الزوايا والهيئات الإسلاميّة، في الجزائر، إلى الانضمام إليها، في مسعاها الهادف إلى رأب الصدع، وجمع الشمل، وتأليف القلوب المتنافرة، وإصلاح النفوس الحائرة، والعمل لإحياء القيم الروحيّة والوطنيّة، وغرسها في نفوس الناشئة، لتُروى بها قلوبهم، وتستقيم عليها أمورهم، فتقوى عزائمهم على بناء مستقبل أمّتهم، بالفكر السديد، والعقل الرشيد، والخلق الحميد، والعمل المنتج المفيد.

* تدعو رجال الزوايا والطرق الصوفيّة إلى أن يولوا كلّ عنايتهم لخدمة رسالتهم: الروحيّة والعلميّة والتربويّة والاجتماعيّة؛ وأن يسخّروا طاقاتهم للدعوة إلى كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، وتجديد الصلة بهدي السلف الصالح من العلماء الربّانيّين، وإصلاح

المجتمع على منهجهم، بالدين القيّم، والخلق الكريم، والتوجيه الحكيم، والتربية الإيمانيّة المتكاملة، التي تكفل للفرد المسلم معرفة الحقوق والواجبات، حتّى يكون له من قوّة عقيدته، وسموّ أخلاقه، وحسن توجيهه، سلاح ينصر به الحقّ والفضيلة، ويحارب به الباطل والفساد.

وهكذا، تظلّ هذه المؤسّسات الإسلاميّة مصابيح للمؤمنين، هادية للسعادة في الدارين، تجمع الشمل، وتوحّد الصفّ، وتوطّد أواصر المودّة والإخاء. يلتقي في رحابها أتباعها وأحبابها وطلبتها، تربطهم عروة وثقى، على تباعد ديارهم واختلاف اتّجاهاتهم وانتماءاتهم. ومن ثمّ، تبقى الزوايا أداة صالحة تمكّن مجتمعنا من أن يعيش حياة روحيّة صافية، أساسها تقوى الله، والرغبة في التعاون والبناء وفعل الخيرات، في ظلال الإخاء والوئام، والمحبّة والسلام.

* تدعو رجال العلم والفكر والتربية والثقافة والسياسة إلى بذل أقصى الجهد من أجل العناية بالشباب، وإعداده لرسالته في الحياة، باعتباره الطاقة الحيّة في الأمّة، وعماد نهضتها المنشودة؛ وذلك بتنشئته على الفضيلة والاستقامة، وتسليحه بالعلم والمعرفة، وتحصينه من آفات التطرّف والزيغ والاستلاب، وتكوين شخصيّته السويّة المتوازنة، وتجنيده نحو أهداف سامية، في خدمة دينه وأمّته ووطنه.

وتهيب بالعاملين منهم في حقل الإعلام أن يراعوا أمانة الكلمة، في أداء رسالتهم الإعلاميّة، متحرّين الصدق والموضوعيّة، سواء في نقل المعلومات، أو تصوير الوقائع والأحداث، أو في تحليل المواقف وانتقاد الممارسات.

وتناشد الجميع أن يجعلوا من حريّة الرأي والتعبير وسيلة بناء وإصلاح، يمارسونها في منهجيّة أخلاقيّة صارمة، تجعل الاختلاف في الرأي والنظر والتصوّر، من باب التنوّع والتكامل، لا من باب التخاصم والتنافر، تعصّبا للنفس، وانتصارا للهوى، وإلغاء للآخر.

* تستنكر الأعمال الإجراميّة النكراء التي تستهدف أرواح المواطنين وأعراضهم وأموالهم، وتشجب كلّ الممارسات التي تثير الفتن والخصومات، وتفضي إلى الفساد وتقطيع الأرحام، وتسيء إلى صورة الإسلام، دين الرحمة والتسامح والوسطيّة والاعتدال.

كما تستنكر العنف الذي يمارسه حملة الأفكار المسمومة المضلّلة، والمتطاولون على ثوابت الشعب ومقدّساته، وقيمه الحضاريّة، ومقوّمات شخصيّته الوطنيّة.

* تحيّي الشعب الجزائريّ الذي صبر على البلايا والمحن؛ وتهيب به أن يستمسك بدينه الذي هو عصمة أمره، ومصدر عزّته، وضامن وحدته؛ وأن يلتفّ حول

ثوابته ومبادئ جهاده، ويظلّ وفيّا لعهد شهدائه؛ وأن يفوّت على أعدائه محاولات ضرب وحدته، وزعزعة استقراره، وتمزيق صفوف أبنائه.

هذا؛ وإذ نهنّئ شعبنا بحلول العام الهجريّ الجديد، جعله الله عام خير ويمن وسلام على الأمّة الإسلاميّة جمعاء؛ نسأله تعالى أن يجعل لنا من عسرنا يسرا، ومن ضيقنا فرجا، ويردّ عن أمّتنا كيد الكائدين، وعدوان المفسدين.

كما ندعوه سبحانه، أن يعين أبناء الجزائر المخلصين على النهوض بها من كبوتها، وإصلاح ما فسد من أمرها، حتّى نشهد عهدا سعيدا، يلتئم فيه شملنا، ويسود فيه العدل والأمن ربوعنا، ويتحقّق الرخاء والازدهار لمجتمعنا، في ظلّ قيمه الروحيّة، ومقوّماته الحضاريّة.

والله وليّ الإعانة والتوفيق

عن الرابطة

خادم العلم الشريف في المقام القاسميّ

محمّد المأمون مصطفى القاسميّ الحسنيّ

شيخ زاوية الهامل القاسميّة

الفهرس